الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٢٠

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۲۰

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ ت۷ ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص:۱

اشاره

نهايه تجربه و بدايه تجربه اخرى

ها نحن بفضل اللّه و منّه و توفيقه فى نهايه المطاف مع«التّفسير الأمثل»،بعد جوله فى كتاب اللّه استغرقت خمسه عشر عاما:و من المناسب أن يكون لنا مع القارئ الكريم،الذى رافقنا فى هذه الرحله الطويله،حديث نستعرض فيه عصاره تجربتنا مع هذا التّفسير على أن يكون مفيدا للسائرين على طريق الدراسه و التعمّق فى القرآن الكريم.

۱-خلال جولتنا فى رحاب كتاب اللّه ازددنا تفهّما لما ورد فى الحديث الشريف بشأن وصف القرآن،بل تلمّسنا هذه الأوصاف بكلّ وجودنا،و رأينا بأم أعيننا.من ذلك ما

ورد عن النّبى عليه أفضل الصلاه و السّلام أنّه قال فى القرآن:

«له نجوم،و على نجومه نجوم،و لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه،فيه مصابيح الهدى،و منازل الحكمه». (۱)

و عن على بن موسى الرضا عليه السّلام أنّه فى جواب من سأله:ما بال القرآن لا يزداد على النشر و الدرس إلاّ غضاضه؟

قال:

«لأنّ اللّه تبارك و تعالى لم يجعله لزمان دون زمان و لا لناس دون ناس،فهو فى كلّ زمان جديد و عند كلّ قوم غض إلى يوم القيامه». (۲)

نعم:إنّه الشجره الطيبه التى تُؤْتِی أُكُلَهٰا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهٰا و هو البحر

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۸۹،ص ۱۷.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۱۵.

الواسع العميق الذی یجد فیه الغواص درّا جدیدا کلما ازداد فیه غوصا.

هـذه الحقیقه تتّضـح لکـلّ السالکین طریق القرآن،و تبعث فیهم الشوق و الانـدفاع نحو طلب المزیـد من مائـده کتاب اللّه،و نحو مواصله هذا الطریق حتی نهایه رحله العمر.

و

عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام قال فی حدیثه عن القرآن:

«فیه ربیع القلب،و ینابیع العلم،و ما للقلب جلاء غیره». (۱)

و هـذه حقیقه اخری تلمّسـناها خلال جولتنا فی رحاب القرآن الکریم.و کلما عاش الإنسان جوّ القرآن أکثر یحسّ بتفتـح جـدید فی القلب و الروح.و هذا الإحساس واضح لکلّ من دخل غمار التجربه.و باب الدخول مفتوح لمن أراد أن یجرّب.

۲-من خلال هـذه الجوله التّفسـیریه تبیّن مدی شـمول التعالیم القرآنیه، و اتضح أنّ القرآن الکریم لم یترک مجالا من المجالات الحیویّه فی الساحه الإنسانیه دون أن یبیّن أصولها و یعیّن إطارها(التفاصیل تکفلت السنّه ببیانها).

من هنا لا یحتاج الإنسان المسـلم فی تنظیم حیاته السیاسـیه و الاقتصادیه و الاجتماعیه إلی أن یولّی وجهه شطر مدارس الشرق أو الغرب،و کما

قال أمیر المؤمنین علی علیه السّلام:

«و اعلموا أنّه لیس علی أحد بعد القرآن من فاقه و لا لأحد قبل القرآن من غنی». (۲)

مشکله المسلمین تکمن فی عدم معرفتهم بما بین ظهرانیهم من کنز عظیم:

کالعیس فی البیداء یقتلها الظمأ

و الماء فوق ظهورها محمول

و هنا نشیر مرّه اخری إلی أن معارف القرآن و تعالیمه لا یمکن أن نتلقاها من

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۷۶.

۲- ۲) -المصدر السابق.

کتاب اللّه العزیز إلاّ إذا جلسنا عنده متتلمذین متعلمین.أمّا إذا أقبلنا علی القرآن بذهنیه مملوءه بأحکام مسبقه ملتقطه من مدارس الشرق و الغرب،فسوف نلجأ إلی زجّ آیات القرآن فی إطار مفاهیم غریبه علیه،لتنسجم مع ما نحمله من أحکام و نظریات مسبقه،و بذلک نحرم من عطاء القرآن،و نحوله إلی«آله»لتبریر أخطائنا و إسناد أفکارنا الناقصه.

۳-بعد هذه الجوله القرآنیه التی تلمّسنا فیها الحیاه القرآنیه بکلّ ما تحمله من عطاء ثرّ لحیاه الفرد و الجماعه،لا بدّ أن نسجّل أسفنا لما یحمله کثیر من المسلمین من نظره إلی القرآن...نظره تجعل القرآن محاطا بهاله من القدسیه غیر أنّه معزول عن الحیاه.تتلمس الثواب و البرکه فی التلاوه،و الفضیله فی الحفظ، دون أن تری فیه منهجا للحیاه.

لقد نسی هؤلاء أنّ القرآن مدرسه للفرد المسلم و للجماعه المسلمه،یرسم لها طریقها فی جمیع المجالات،و یوجهها الوجهه الصحیحه فی کلّ المنعطفات،و هنا تکمن عظمه القرآن و قدسیته.

کثیره هی مدارس القرآن و خلاوی التحفیظ و مجلس التلاوه فی عالمنا الإسلامی،و کم یدور فیها من البحوث حول طریقه التجوید و الترتیل!لکن الحدیث عن المنهج العملی الذی یطرحه القرآن قلیل،و الالتزام بهذا المنهج أقلّ.

و نحن فی هذا التّفسیر قلّما تعرّضنا لسوره دون أن نبیّن أنّ التلاوه التی بیّنت السنّه فضائلها إنّما هی التلاوه المتبوعه بالفکر و العمل...فضیله التلاوه أن یکون مقدمه للتفکر،أن یؤدی التفکر إلی العمل.

نسأل اللّه سبحانه و تعالی أن یوفق علماء المسلمین لطرح منهج القرآن بین أبناء الامّه،و أن یوفق اتباع القرآن إلی العمل به فی کلّ جوانب حیاتهم،و هذه کلمتنا الأخیره فی التّفسیر الأمثل،و ندع بقیه الحدیث إلی(التّفسیر الموضوعی).

و الحمد للّه ربّ العالمین

سوره المطفّفين

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ستّ و ثلاثون آیه

ص :۹

محتوى السّوره:

لقد جرى الحديث بين المفسّرين بخصوص نزولها بين مكّه و المدينه، و بملاحظه أسباب نزول الآيات الاولى من السّوره،و التى تتعلق بالذين يخسرون الميزان،فسيظهر أنّ نزولها كان فى المدينه.

و لكنّ طبيعه بقيه الآيات تأتى تماما مع سياق الآيات المكّيه،حيث أنّها تتحدث و بعبارات موجزه و مثيره عن حوادث يوم القيامه،و على الخصوص الآيات الأخيره من السّوره و التى تنقل لنا حاله استهزاء الكفّار بالمسلمين،و هو ما ينسجم مع أوضاع مكّه فى أوائل الدعوه المباركه،حينها كان المؤمنون عصبه قليله و الكفّار كثره من حيث العدد.و لعل ذلك هو الذى دفع بالمفسّرين لاعتبار قسم من الآيات مكّيه و القسم الآخر مدنيه.

و عموما،فالسّوره أقرب منها للسور المكّيه من السور المدنيه، و على أيه حال،فبحوث السّوره تدور حول محاور خمس:هى:

۱-تحذير و إنذار شديد للمطفّفين.

۲-الإشاره إلى أنّ منشأ الذنوب الكبيره إنّما يأتى من عدم رسوخ الإيمان بالبعث و المعاد.

۳-عرض لجوانب من عاقبه«الفجّار»فى ذلك اليوم العظيم.

۴-عرض لجوانب ما ينتظر المحسنين فى الجنّه من نعم إلهيه و عطاء ربّانى جزيل.

۵-الإشاره لآثار استهزاء الکفّار بالمؤمنین فی الحیاه الدنیا،و انعکاس الحال فی یوم القیامه.

فضیله السّوره:

روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأ سوره المطفّفین سقاه اللّه من الرحیق المختوم» (۱) .

و

عن الإمام الصّادق علیه السّلام:أنّه قال: «من قرأ فی فرائضه وَیْلٌ لِلْمُطَفِّفِینَ أعطاه الأمن یوم القیامه من النّار،و لم تره،و لم یرها...» (۲) .

و بطبیعه الحال،فکلّ هذا الثواب و الفضیله و البرکه،سینالها من جعل قراءتها مقدمه للعمل علی هدیها.

ص:۱۲

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۵۱.

۲- ۲) -ثواب الأعمال،ص ۱۲۲،و عنه نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۲۷.

الآيات [سوره المطففين (۸۳): الآيات ۱ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (۱) اَلَّذِينَ إِذَا اِكْتٰالُوا عَلَى اَلنّٰاسِ يَسْتَوْفُونَ (۲) وَ إِذٰا كٰالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (۳) أَ لاٰ يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (۴) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (۵) يَوْمَ يَقُومُ اَلنّٰاسُ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۶)

سبب النّزول

قال ابن عباس:لمّا قدم نبىّ اللّه المدينه،كانوا من أبخس النّاس كيلا،فأنزل اللّه هذه الآيه،فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

و قيل:كان تجار المدينه تجارا يطففون،و كانت بياعاتهم المنابذه و الملامسه و المخاطره،فنزلت هذه الآيه،

فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقرأها عليهم و قال:«خمس بخمس»،قيل يا رسول اللّه،و ما خمس بخمس؟ قال:«ما نقص قوم العهد إلاّ سلط اللّه عليهم عدّوهم! و ما حكموا بغير ما أنزل اللّه إلاّ فشا فيهم الفقر! و ما ظهرت فيهم الفاحشه إلاّ فشا فيهم الموت!

ص:۱۳

و لا طففوا الكيل إلّا منعوا النبات و أخذوا بالسنين! و لا منعوا الزكاه إلّا حبس عنهم المطر!» (۱) .

و روى العلاّمه الطبرسى فى مجمع البيان:إنّ رجلا كان فى المدينه يقال له (أبو جهينه)كان له صاعان،يكيل بأحدهما و يكتال بالآخر،فنزلت هذه الآيات. (۲)

التّفسير

اشاره

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ

:

بدأ الحديث فى هذه السّوره بتهديد شديد للمطفّفين: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ .

و تمثل الآيه فى حقيقه توجيهها،إعلان حرب من اللّه عزّ و جلّ على هؤلاء الظالمين،الذين يأكلون حقّ النّاس بهذه الطريقه القذره.

«المطفّفين»:من(التطفيف)و أصله من(الطف)،و هو جوانب الشىء و أطرافه، و إنّما قيل لكربلاء ب(وادى الطف)،لوقوعها على ساحل نهر الفرات،و(الطفيف):

الشىء النزر،و(التطفيف):البخس فى الكيل و الوزن،و نقص المكيال،و هو أن لا تملأه إلى أصباره.

«ويل»:تأتى بمعانى:حلول الشرّ،الحزن،الهلاك،المشقّه من العذاب،واد مهيب فى نار جهنم،و تستعمل عاده فى اللعن و بيان قبح الشىء،و رغم صغر الكلمه إلاّ أنّها تستبطن مفاهيم كثيره.

و

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «و لم يجعل اللّه الويل لأحد حتى يسميه كافرا،قال اللّه عزّ و جل: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۳) .

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۱،ص ۸۸؛و كذلك...أبو الفتوح و المراغى فى تفسيريهما.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۵۲.

۳- ۳) -اصول الكافى،ج ۲،ص ۳۲؛و عنه نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۲۷.

و ما نستفیده من هذه الرّوایه هو:إنّ التطفیف فیه وجه من الکفر.

و تتطرق الآیتین التالیتین إلی طریقه عمل المطففین،فتقول الآیه الأولی:

اَلَّذِینَ إِذَا اکْتٰالُوا عَلَی النّٰاسِ یَسْتَوْفُونَ

(۱)

.

و تقول الآیه الثّانیه: إِذٰا کٰالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ یُخْسِرُونَ و ذهب جمع من المفسّرین إلی أنّ الآیه أرادت ب«المطفف» من یأخذ عند الشراء أکثر من حقّه،و یعطی عند البیع أقل من الحقّ الذی علیه،و ال«ویل»إنّما جاء بلحاظ هاتین الجهتین.

و لکن ما ذهب أولئک المفسّرون غیر صحیح،بدلاله«یستوفون»التی تعنی أخذهم بالکامل،و لیس ثمّه ما یدلّ علی أخذهم أکثر من حقّهم،و یمکننا توجیه (الذم)الحاصل،باعتبار أخذهم حقّهم کاملا عند الشراء،و ینقصون من حقّ الآخرین عند البیع،کمن یرید أن یذم شخصا بقوله:ما أغربک من رجل،تراک تأتی فی الموعد المقرر عند ما تکون دائنا،و تتهرب من أداء ما علیک عند ما تکون مدینا.

فأخذ الحقّ فی موعده المقرر لیس عملا سیّئا،و لکن حصول الحالتین (أعلاه)فی شخص واحد هو الشیء.

و قد جاء ذکر«الکیل»فی الآیتین عند حاله الشراء،و ذکر«الکیل» و«الوزن»عند حاله البیع،و ربّما یرجع ذلک لأحد سببین:

الأوّل:کان تجار تلک الأزمان الکبار یستعملون(المکیال)عند شرائهم للکمیات الکبیره من المواد،لأنّه لم یکن عندهم میزان کبیر یستوعب تلک المواد الکثیره.

(و قیل:إنّ(الکر)،کان فی الأصل اسما لمکیال کبیر...و الکر:مصطلح

۱- ۱) -«علی النّاس»:اشاره إلی ما لهم لدی النّاس،و التقدیر:(إذا کالوا ما علی النّاس)و ذلک عند الأخذ منهم،و هو ما نستفیده من(کال علیه)..أمّا(کاله)أو(کال له)فهو عند العطاء.

یستعمل لقیاس سعه الماء).

أمّا فی حاله البیع،فکانوا یکیلون لبیع الجمله،و یزنون لبیع المفرد.

الثّانی:إنّهم کانوا یفضلون استعمال المکیال عند الشراء،لصعوبه الغش فیه، و یستغلون المیزان عند البیع لسهوله الغش فیه! و ممّا ینبغی الالتفات إلیه..إنّ الآیات و إن تحدثت عن التطفیف فی الکیل و الوزن،و لکن،لا ینبغی حصر مفهومها بهما،فالتطفیف یشمل حتی العدد،و لیس من البعید أن تکون الآیات قد أشارت إلی إنقاص ما یؤدی من خدمه مقابل أجر، کما لو سرق العامل أو الموظف من وقت عمله،فإنّه و الحال هذه سیکون فی حظیره«المطففین»المذمومین بشدّه فی الآیات المبارکه المذکوره.

و یتوسع البعض فی مفهوم الآیه أکثر و أکثر حتی یجعل أیّ تجاوز لحدود اللّه، و أیّ إنقاص أو إخلال فی الروابط الاجتماعیه أو انحلال فی الضوابط الأخلاقیه، إنّما هو مفردات و مصادیق لهذا المفهوم.

و مع أنّ ظاهر ألفاظ الآیه لا یرمز إلی هذه المعانی،و لکنّها لا تخلو من مناسبه.

و لذا،فقد ورد عن ابن عباس،أنّه قال:(الصلاه مکیال،فمن وفی،و فی اللّه له،و من طفف،قد سمعتم ما قال اللّه فی المطففین) (1)

.

و یهدد القرآن الکریم المطففین،باستفهام توبیخی: أَ لاٰ یَظُنُّ أُولٰئِکَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ .

لِیَوْمٍ عَظِیمٍ

.

یوم عظیم فی:عذابه،حسابه و أهواله.

یَوْمَ یَقُومُ النّٰاسُ لِرَبِّ الْعٰالَمِینَ

.

1- 1) -مجمع البیان،ج 10،ص 452.

أی،إنّهم لو کانوا یعتقدون بالبعث و الحساب:و أنّ أعمالهم مسجله و ستعرض کامله فی محکمه العدل الإلهی بخیرها و شرّها،و کبیرها و حقیرها،لو کانوا یعتقدون ذلک،لما ظلموا أحدا،و لأعطوا النّاس حقوقهم کامله.

و قد اعتبر کثیر من المفسّرین:إنّ«الظن»الوارد فی الآیه من«یظن»بمعنی (الیقین):کما هو فی الآیه(۲۴۹)من سوره البقره: قٰالَ الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاٰقُوا اللّٰهِ کَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِیلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً کَثِیرَهً بِإِذْنِ اللّٰهِ ،و هذه الآیه کانت تتحدث عن المراحل المختلفه لإیمان و استقامه بعض بنی إسرائیل.

و ممّا یشهد علی ما ذکر أیضا،ما

روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی تفسیر الآیه:

أَ لاٰ یَظُنُّ أُولٰئِکَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِیَوْمٍ عَظِیمٍ

،أنّه قال:«ألیس یوقنون أنّهم مبعوثون»؟ (۱) و روی عنه علیه السّلام أیضا،أنّه قال:«الظن ظنان،ظنّ شک و ظنّ یقین،فما کان من أمر المعاد من الظنّ فهو ظنّ یقین،و ما کان من أمر الدّنیا فهو علی الشک» (۲) .

و احتمل البعض:إنّ«الظنّ»الوارد فی الآیه،هو ذات«الظنّ»المتعارف علیه فی زماننا،و هو غیر الیقین،فیکون إشاره إلی أنّ الإیمان بالقیامه یترک أثرا فی روح الإنسان،یجعله یتنزّه عن الوقوع فی الذنوب و الظلم،حتی و إن کان ذلک الإیمان بنسبه«الظنّ»..فکیف به إن کان یقینا؟!و یصطلح العلماء علی هذا المعنی، عنوان(دفع الضرر المظنون)أو(دفع الضرر المحتمل).

فیکون مفهوم الآیه،علی ضوء ما ورد:لیس المطففین العاصین لا یملکون الیقین بوجود یوم القیامه،بل إنّهم لا یظنون بذلک أیضا.

(و یبدو أنّ التّفسیر الأوّل أنسب).

و«الظنّ»-کما یقول الراغب فی مفرداته-اسم لما یحصل عن إماره،و متی

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۳۸.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۲۸.

قويت أدت إلى العلم،و متى ضعفت جدّا لم يتجاوز حدّ التوهم.

و عليه..فاصطلاح«الظنّ»-بخلاف ما يتبادر إليه الذهن فى زماننا-يشمل العلم و الظنّ،و يستعمل فى الحالتين.

***

ملاحظه

اشاره

التطفيف من عوامل الفساد فى الأرض:

تعرض القرآن الكريم للتطفيف فى الوزن مرارا،و من ذلك ما جاء فى الآيات (١٨١-١٨٣)من سوره الشعراء،حينما خاطب شعيب عليه السّلام قومه قائلا: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فالتطفيف فى الوزن و الكيل من الفساد فى الأرض،و ذلك لما تنتج عنه من مفاسد اجتماعيه ذات أبعاد واسعه.

كما جاء التأكيد فى الآيتين(٧ و ٨)من سوره الرحمن على ضروره الالتزام بالعداله حين استعمال الميزان،بعد الإشاره إلى أن العدل أصل قد روعى فيه حتى نظام الخلق فى عالم الوجود: وَ السَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ الْمِيزٰانَ أَلاّٰ تَطْغَوْا فِي الْمِيزٰانِ .

و لذا،نجد أئمّه أهل البيت عليهم السّلام قد أولوا هذا الموضوع اهتماما بالغا،حتى

روى عن الأصبغ بن نباته،أنّه قال:سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول على المنبر:

«يا معشر التجار!الفقه ثمّ المتجر،الفقه ثمّ المتجر،الفقه ثمّ المتجر»إلى أن قال:

«التاجر فاجر،و الفاجر فى النّار،إلاّ من أخذ الحقّ و أعطى الحقّ» (١) .

و

فى روايه عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفه

١- ١) -اصول الكافى،ج ۵،ص ١۵٠،الحديث ١.

يغتدى كل يوم بكره من القصر،فيطوف فى أسواق الكوفه سوقا سوقا،و معه الدّره على عاتقه(لمعاقبه المخالفين)، فينادى:يا معشر التجّار اتقوا اللّه عزّ و جلّ، فإذا سمعوا صوته عليه السّلام ألقوا ما بأيديهم،و أرعوا إليه بقلوبهم،و سمعوا بآذانهم، فيقول عليه السّلام:قدموا الإستخاره،و تبركوا بالسهوله،و اقتربوا من المبتاعين،و تزيّنوا بالحلم،و تناهوا عن اليمين،و جانبوا الكذب،و تجافوا عن الظلم،و أنصفوا المظلومين،و لا تقربوا الربا،و أوفوا الكيل و الميزان،و لا تبخسوا النّاس أشياءهم، و لا تعثوا فى الأرض مفسدين،فيطوف عليه السّلام فى جميع أسواق الكوفه ثمّ يرجع فيقعد للناس» (۱) .

و بشأن نزول الآيات،

قال النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و لا طففوا الكيل إلاّ منعوا النبات و أخذوا بالسنين».

و زبده ما تقدم:يعتبر التطفيف فى الميزان من العوامل الأساسيه فى عذاب و هلاک بعض الأمم السالفه،حيث أدى ذلک إلى اختلال النظام الاقتصادى عندهم من جهه،و إلى نزول العذاب الإلهى عليهم من جهه أخرى.

و قد حثّت الرّوايات الوارده فى خصوص آداب التجاره على الأخذ ناقصا و العطاء راجحا،أى بعكس سلوكيه من ذمتهم الآيات المبحوثه،فهم يأخذون بدقّه و يعطون ناقصا. (۲)

و كما قلنا فى تفسير الآيه،فثمّه من يذهب إلى أنّ مفهوم التطفيف أوسع من أن يحدد بالكيل و الميزان،و يمتد ليشمل أىّ انقاص فى عمل،و أىّ تقصير فى أداء وظيفه فرديه أو اجتماعيه أو إلهيه.

***

ص: ۱۹

۱- ۱) -المصدر السابق،الحديث ۳.

۲- ۲) -و لمزيد من الاطلاع...راجع وسائل الشيعه،ج ۱۲،ص ۲۹۰،أبواب التجاره،الباب ۷.

الآيات [سوره المطففين (٨٣): الآيات ٧ الى ١٠]

اشاره

كَلّا إِنَّ كِتابَ اَلفُجّارِ لَفِی سِجِّینٍ (٧) وَ ما أَدْراکَ ما سِجِّینٌ (٨) کِتابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (١٠)

التّفسیر

اشاره

و ما أدراک ما سجّین؟!

بعد أن تحدثت الآیات السابقه عن المطفّفین،و عن ارتباط الذنوب بعدم الإیمان الراسخ بالمعاد و یوم القیامه،تشیر الآیات أعلاه إلی ما ستؤول إلیه عاقبه المسیئین و الفجار یوم حلول الیوم المحتوم،فتقول: کَلاّ ـ فلیس الأمر کما یظن هؤلاء عن المعاد و أنّه لیس هنا حساب و کتاب،بل إِنَّ کِتابَ الفُجّارِ لَفِی سِجِّینٍ .

وَ ما أَدْراکَ ما سِجِّینٌ

.

کِتابٌ مَرْقُومٌ

.

و توجد نظرتان فی تفسیر الآیه أعلاه:

الاولی:المراد من«کتاب»:هو صحیفه الأعمال،التی لا تغادر صغیره و لا کبیره،من الأفعال الإنسان إلاّ و أحصتها.

و المراد ب«سجّین»:هو الکتاب الجامع لکل صحائف أعمال الإنسان عموما.

و ما نستفيده من الآيات المذكوره و آيات اخرى:إنّ أعمال جميع المسيئين تجمع فى كتاب يسمّى«سجّين»،و أعمال جميع الصالحين و الأبرار تجمع فى كتاب آخر،اسمه«علّيين».

و«سجّين»:من(السجن)،و هو(الحبس)،و له استعمالات متعدده،فهو:

السجن الشديد،الصلب الشديد من كلّ شيء،اسم لوادى مهول فى قعر جهنم، موضع فيه كتاب الفجّار،و نار جهنم أيضا.

و قال:«الطريحى»فى«مجمع البحرين»فى«سجّين»:و فى التّفسير هو كتاب جامع ديوان الشرّ،دوّن اللّه فيه أعمال الكفره و الفسقه من الجنّ و الإنس... (۱)

أمّا القرائن التى تؤيد هذا التّفسير،فهى:

۱-غالبا ما وردت كلمه«كتاب»فى القرآن الكريم بمعنى(صحيفه الأعمال).

۲-ظاهر الآيه التاليه: كِتٰابٌ مَرْقُومٌ يشير إلى أنّها تفسير ل«سجّين».

۳-قيل:إنّ«سجّين»و«سجّيل»بمعنى واحد،و كما هو معلوم أنّ«سجّيل» بمعنى(كتاب كبير). (۲)

۴-و تشير آيات قرآنيه اخرى إلى أنّ أعمال الإنسان تضبط فى عدّه كتب، حتى لا يبقى عذر للإنسان فى حال حسابه.

و أولى تلك الكتب،صحيفه الأعمال المعدّه لكلّ شخص،فالصالح سيعطى كتابه فى يمينه،و المسيء سيعطى كتابه فى شماله.

و هذا المعنى كثير ما تكرر ذكره فى القرآن الكريم.

و الكتاب الثّانى،هو ما تسجّل فيه أعمال الأمم،و يمكن أن نسميه ب(صحيفه أعمال الأمم)و الآيه(۲۸)من سوره الجاثيه تشير إلى هذا بقولها:

۱- ۱) -و لم يوضح الطريحى أن هذا التفسير لمعصوم كان أم لغيره.

۲- ۲) -روح المعانى،ج ۳۰،ص ۷۰،و مجمع البحرين،ماده(سجل).

كُلَّ أُمَّهٍ تُدْعىٰ إِلىٰ كِتٰابِهَا .

و ثالث الكتب،هو صحيفه أعمال جميع الأبرار و الفجّار،التی وردت الإشاره إلیهما فی الآیات المبحوثه و ما سیأتی من الآیات،باسم«سجّین»و«علّیین».

و خلاصه القول:إنّ«سجّین»عباره عن دیوان جامع لکافه صحائف الفجّار و الفسقه،و أطلق علیه هذا الاسم باعتبار أنّ ما فیه یؤدی إلی حبس أصحابه فی جهنم،أو أنّ هذا الدیوان موجود فی قعر جهنم.

علی عکس کتاب الأبرار فإنّه فی أعلی علّیین...فی الجنّه.

الثّانیه:إنّ«سجّین»،هی«جهنم»...و هی سجن کبیر لجمیع المذنبین،أو هی محل شدید من جهنم.

و«کتاب»الفجّار،أی:ما قرر لهم من عاقبه و مصیر.

فیکون التقدیر علی ضوء هذا التّفسیر:إنّ جهنم هی المصیر المقرر للمسیئین، و قد استعمل القرآن کلمه«کتاب»بهذا المعنی فی مواضع عدّه،و من ذلک ما تناولته الآیه(۲۴)من سوره النساء حین بیّنت حرمه الزواج من المتزوجات:

کِتٰابَ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ أی،إنّ هذا الحکم(و ما سبقه من أحکام)،هی أحکام قررها اللّه علیکم،و کذلک ما جاء فی الآیه(۷۵)من سوره الأنفال: وَ أُولُوا الْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلیٰ بِبَعْضٍ فِی کِتٰابِ اللّٰهِ ،أی فیما قرره اللّه و جعله من أحکام.

و ممّا یؤید هذا التّفسیر ما جاء فی الرّوایات من أنّ«سجّین»هی«جهنم»...

ففی تفسیر علی بن إبراهیم،قال فی تفسیر: إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ :ما کتب اللّه لهم من العذاب لفی سجّین.

و

عن الإمام الباقر علیه السّلام،أنّه قال: «السجّین الأرض السابعه،و علّیون السماء السابعه»، (إشاره إلی أخفض و أعلی مکان) (۱) .

ص :۲۲

۱- ۱) -تفسیر علی بن إبراهیم،ج ۳،ص ۴۱۰؛و عنه نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۳۰،الحدیث ۱۵.

و روی فی روایات عدیده،إنّ الأعمال التی لا تلیق بالقرب منه جلّ شأنه تسقط فی سجّین:کما

نقل الأثر عن سید البشر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوله: «إنّ الملک لیصعد بعمل العبد مبتهجا فإذا صعد بحسناته یقول اللّه عزّ و جلّ اجعلوها فی سجّین،إنّه لیس إیّای أراد فیها!» (۱) و من کلّ ما تقدم،نصل إلی أنّ«سجّین»:مکان شدید جدّا فی جهنم،توضع فیه أعمال المسیئین أو صحیفه أعمالهم،أو یکون مصیرهم الحبس فی ذلک المکان(السجّن).

و علی ضوء هذا التّفسیر،تکون الآیه: کِتٰابٌ مَرْقُومٌ تأکیدا للآیه: إِنَّ کِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِی سِجِّینٍ ،و لیس تفسیرا لها،لأن العقاب قد قرر لهم،و هو قطعی و حتمی.

«مرقوم»:من(رقم)علی وزن(زخم)،و هو الخطّ الغلیظ،و لکون هکذا خطّ من الوضوح بحیث لا إبهام فیه،فقد استعملته الآیه للإشاره إلی قطعیه ما قرر لهم من مصیر من غیر أیّ إبهام أو إغفال.

و علی أیّه حال،فلا مانع من الجمع بین التّفسیرین لأنّ«سجّین»حسب التّفسیر الأوّل بمعنی الدیوان الجامع لکلّ أعمال المسیئین،و حسب التّفسیر الثّانی بمعنی:«جهنم»أو قعرها،فالأمران علی صوره علّه و معلول،فإذا کانت صحیفه أعمال الإنسان السیئه فی ذلک الدیوان الجامع،فإنّ مقام الدیوان هو قعر جهنم.

و تأتی الآیه التالیه لتقول: وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ .

التکذیب الذی یوقع فی ألوان من الذنوب،و منها التطفیف و الظلم.

و بملاحظه کلمه«ویل»الوارده فی أوّل أیه و آخر آیه،تبیّن شدّه العلاقه

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۳۰،الحدیث ۱۹.

الموجوده ما بين تلك الأعمال السيئه و إنكار المعاد،حيث بدأ الحديث بالويل للمطفّفين،و مرورا بالفجّار و من ثمّ الويل للمكذبين بيوم الدين.

و سيتوضح هذا الترابط بشكل أدق فى الآيات التاليه.

ص :۲۴

الآیات [سوره المطففين (٨٣): الآيات ١١ الى ١٧]

اشاره

اَلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ اَلدِّينِ (١١) وَ مٰا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاّٰ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ (١٣) كَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ (١۴) كَلاّٰ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١۵) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصٰالُوا اَلْجَحِيمِ (١۶) ثُمَّ يُقٰالُ هٰذَا اَلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)

التّفسير

اشاره

صدأ الذنوب:

بعد ما ذكرت آخر آيه من الآيات السابقه مصير المكذّبين،تأتى الآيات أعلاه لتشرح حالهم،فتقول: اَلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ،و هو يوم القيامه.

و تقول أيضا: وَ مٰا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاّٰ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ .

فإنكار القيامه لا يستند على المنطق السليم و التفكير الصائب و الاستدلال العقلى،بل هو نابع من حبّ الاعتداء و ارتكاب الذنوب و الآثام(الصفه المشبهه «أثيم»تدل على استمرار الشخص فى ارتكاب الذنوب).

ص: ٢۵

فهم یریدون الاستمرار بالذنوب و الإیغال بالاعتداءات و بکامل اختیارهم، و من دون أیّ رادع یردعهم من ضمیر أو قانون،و هذا الحال شبیه ما أشارت إلیه الآیه(۵)من سوره القیامه: بَلْ یُرِیدُ الْإِنْسٰانُ لِیَفْجُرَ أَمٰامَهُ ،و علیه،فهو یکذّب بیوم الدین.

و علی هذا الأساس،فإنّ للممارسات السیئه أثر سلبی علی عقیده الإنسان، مثلما للعقیده من أثر علی سلوکیه و توجیهات الإنسان،و هذا ما سیتوضح أکثر فی تفسیر الآیات القادمه.

و تشیر الآیه التالیه للصفه الثّالثه لمنکری المعاد،فتقول: إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِ آیٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِیرُ الْأَوَّلِینَ .

فبالاضافه لکون منکر المعاد معتد و أثیم،فهو من الساخرین و المستهزئین بآیات اللّه،و یصفها بالخرافات البالیه (۱) ،و ما ذلک إلّا مبرر واه لتغطیه تهربه من مسئولیه آیات اللّه علیه.

و لم تختص الآیه المذکوره بذکر المبررات الواهیه لأولئک الضالّین المجرمین فرارا من الاستجابه لنداء الدعوه الربانیه،بل ثمّه آیات أخری تناولت ذلک،منها الآیه(۵)من سوره الفرقان: وَ قٰالُوا أَسٰاطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَهٰا فَهِیَ تُمْلیٰ عَلَیْهِ بُکْرَهً وَ أَصِیلاً ،و الآیه(۱۷)من سوره الأحقاف،حکایه عن قول شاب طاغ وقف أمام والدیه المؤمنین مستهزءا بنصائحهما قائلا: مٰا هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِیرُ الْأَوَّلِینَ .

و قیل فی شأن نزول الآیه:إنّها نزلت بشأن(النضر بن حارث بن کلده)،ابن خاله النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و کان من رؤوس الکفر و الضلال.

و لا یمنع نزول الآیه فی شخص معین،من تعمیم ما جاء فیها لکلّ من یشارک

۱- ۱) -«أساطیر»:جمع(اسطوره)من(السطر)،و غالبا ما تستعمل فی وصف الشخصیات الموهومه و الأحادیث الملفقه و القصص الکاذبه.

ذلک الشخص فی الصفه و الحال.

فالطغاه،کثیرا ما یتذرعون بأعذار واهیه،عسی أن یتخلصوا من لوم و تأنیب الضمیر من جهه..و من اعتراضات النّاس و رجال الحق من جهه اخری،و العجیب أنّ الطغاه من الحماقه و التحجّر بحیث أنّ أسلوب مواجهتهم للأنبیاء علیهم السّلام و علی مرّ التاریخ قد جاء علی وتیره واحده،و کأنّهم قد وضعوا لأنفسهم مخططا لا ینبغی الحید عنه،فعند مواجهتهم لدعوه الأنبیاء علیهم السّلام بتعالیم السماء،لیس عندهم سوی أن یقولوا:سحر،کهانه،جنون،أساطیر! و یعری القرآن مرّه اخری جذر طغیانهم و عنادهم،بالقول: کَلاّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ .

ما أشد تقریع العباره!فقد احتوی صدأ أعمالهم کلّ قلوبهم،فأزیل عنها ما جعل اللّه فیها من نور الفطره الاولی و ذهب صفائها،و لذا..فلا یمکن لشمس الحقیقه أن تشرق بعد فی أفق قلوبهم،و لا یمکن لتلک القلوب التعسه من أن تتقبل نفوذ أنوار الوحی الإلهی إلی دواخلها.

«ران»:من(الرین)علی وزن(عین)،و هو:الصدأ یعلو الشیء الجلیل(کما یقول الراغب فی مفرداته)،و یقول عنه بعض أهل اللغه:إنّه قشره حمراء تتکون علی سطح الحدید عند ملامسته لرطوبه الهواء،و هی علامه لتلفه،و ضیاع بریقه و حسن ظاهره.

و قیل:ران علیه:غلب علیه،و رین به:وقع فی ما لا یستطیع الخروج منه و لا طاقه له به (1) و کل هذه المعانی هی من لوازم المعنی الأوّل.

و سنتناول موضوع تأثیر الرین علی صفاء القلب و نورانیته فی البحوث

۱- ۱) -راجع:المنجد،و تفسیر الفخر الرازی فی الآیه المبحوثه.

القادمه.

و يستمر البيان القرآنی: کَلاّٰ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ .

و هـو أشـدّ مـا سـيعاقبون بـه،مثلمـا منزله اللقـاء بـاللّه و درجه القرب منه هی من أعظم نعم الأبرار و الصـالحين و أكثرهـا لـذه و استئناسا.

«کلاّ»:عاده ما تستعمل لنفی ما قيل سابقا،و للمفسرين أقوال فی تفسيرها:

القول الأوّل:إنّها تأكيد ل«کلاّ»المتقدمه فی الآيه السابقه،أی:يوم القيامه ليس بأسطوره كما يزعمون.

و القول الثّانی:«کلاّ»بمعنی لا يمكن إزاله الرين الـذی فقأ البصيره فی قلوبهم، فهم محرومون من رؤيه جمال الحقّ فی هذا العالم و فی عالم الآخره أيضا.

القول الثّـالث:إنّ الآـيه تجيب زعم أولئـک من أنّ القيـامه(حتی علی فرض وجودهـا!)فهم سـينعمون بهـا كمـا(يتصورون)بـأنّهم منعمين فی الدنيا،(و قد تناولت الآيات الأخری ما جاء فی زعمهم) (1) .

و لكنّ أحلامهم ستتلاشی أمام حقيقه وقوع القيامه،و ما سينالونه من شديد العذاب.

نعم،فأعمـال الإنسـان فی دنيـاه سـتتجسم له فی آخرته شـاء أم أبی،و لمـا كـان أولئک قـد أغلقوا عيونهم عن رؤيه الحق،و رانت أعمالهم علی قلوبهم،فسيحجبون عن ربّهم فی ذلک اليوم العظيم،و عندها فسوف لن يتمتعوا برؤيه جمال الحق أبدا، و سيحرمون من نعمه اللقاء بالحبيب الحقيقی،الذی لا حبيب سواه.

و: ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصٰالُوا الْجَحِيمِ .

فـدخولهم جهنم نتيجه طبيعيه لاحتجابهم عن اللّه تعالی و أثر لازم له،و ممّا لا شک فيه إنّ لهيب الحرمان من لقاء اللّه أشدّ إيلاما و إحراقا من نار جهنم!

1- 1) -كما فی الآيه(32)من سوره الكهف: وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَهَ قٰائِمَهً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلیٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً ،كما و جاء نظير ذلک فی الآيه(50)من سوره فصلت.

و تقول الآیه التالیه: ثُمَّ یُقٰالُ هٰذَا الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ .

یقال لهم ذلک توبیخا و لوما لزیاده تعذیبهم روحیا،و هو ما ینتظر کلّ من عاند الحق و تخبط متاهات الضلال.

***

ملاحظتان

اشاره

١-لم کانت الذنوب صدأ القلب؟!

تناول القرآن الکریم فی مواضع متعدده ما للذنوب من تأثیرات سلبیه علی إظلام القلب و تلویثه،فقد جاء فی الآیه(٣۵)من سوره المؤمن: کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبّٰارٍ .

و قال فی موضع آخر: خَتَمَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلیٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلیٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَهٌ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (١) .

و جاء فی الآیه(۴۶)من سوره الحج: فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَی الْأَبْصٰارُ وَ لٰکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ .

نعم..فأسوأ ما للاستمرار فی الذنوب من آثار:اسوداد القلب،فقدان نور العلم،موت قدره التشخیص بین ما هو حق و باطل.

فآثار ما تقترفه الجوارح من ذنوب تصل إلی القلب و تحوله إلی مستنقع آسن،و عندها لا یقوی الإنسان علی تشخیص طریق خلاصه،فیهوی فی حفر الضلاله التی توصله لأدنی درکات الانحطاط، و تکون النتیجه أن یرمی ذلک الإنسان مفتاح سعادته بنفسه من یده،و لا یجنی حینها إلاّ الخیبه و الخسران.

و

روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: «کثره الذنوب مفسده للقلب». (٢)

١- ١) -البقره،الآیه ٧.

٢- ٢) -تفسیر الدر المنثور:ج ۶،ص ٣٢۶.

و

فی حدیث آخر: «إنّ العبد إذا أذنب ذنبا نکتت فی قلبه نکته سوداء،فإن تاب و نزع و استغفر صقل قلبه،و إن عاد زادت حتی تعلو قلبه،فذلک الرین الذی ذکر اللّه فی القرآن: کَلّا بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ (۱) .

و روی الحدیث(بتفاوت یسیر)عن الإمام الباقر علیه السّلام (۲) .

و

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «تذاکروا و تلاقوا و تحدثوا فإنّ الحدیث جلاء للقلوب،إنّ القلوب لترین کما یرین السیف،و جلائه الحدیث». (۳)

و من الثابت فی علم النفس،أنّ للأعمال الأثر الکبیر علی نفسیه و روحیه الإنسان،فنفسیه الإنسان تتکیف تدریجیا علی ضوء تلک الآثار،و بالنتیجه سینعکس ذلک علی فکر و آراء الإنسان.

و ینبغی التنویه إلی:أنّ روح الإنسان تتعامل طردیا مع الذنوب،فمع استمرار الذنوب تغوص الروح فی أعماق الظلام لحظه بلحظه،حتی تصل إلی درجه یبدأ الإنسان یری سیئاته حسنات،و ربّما یتفاخر بها!و عندها..ستغلق أمامه أبواب العوده: إِلاّ أَنْ یَشاءَ اللّهُ ،و هذه الحال من أخطر ما تعرض للإنسان فی حیاته الدنیویه من حالات.

۲-حجاب الروح!

حاول کثیر من المفسّرین أن یجعل للآیه:کلا إنهم عن ربهم لمحجوبون تقدیرا،و احتاروا بین أن یجعلوا التقدیر(الحجاب عن رحمه اللّه)،أم الحجاب عن إحسانه،أم کرامته،أم ثوابه...

و لکنّ ظاهر الآیه لا یبدو فیه الاحتیاج لتقدیر،فإنّهم سیحجبون عن ربّهم

۱- ۱) -المصدر السابق،ص ۳۲۵.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۳۱،الحدیث ۲۲.

۳- ۳) -المصدر السابق،الحدیث ۲۳.

على الحقيقه،بينما سينعم الصالحون الطاهرون بقرب اللّه و جواره ليفعموا بلذيذ لقاء الحبيب،و الرؤيه الباطنيه لهذا الحبيب الأمل،بينما الكفره الفجره ليس لهم من هذا الفيض العظيم و النعمه البالغه من شيء.

و بعض المؤمنين المخلصين يتنعمون بهذا اللقاء حتى فى حياتهم الدنيا،فى حين لا يجنى المجرمون المعميه قلوبهم سوى الحرمان...

فهؤلاء فى حضور دائم،و أولئك فى ظلام و ابتعاد! فلمناجاه المؤمنين مع بارئهم حلاوه لا توصف،و أمّا من اسودت قلوبهم فتراهم غرقى فى بحر ذنوبهم و تتقاذفهم أمواج الشقاء،(أعاذنا اللّه من ذلك).

و

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى دعاء كميل: «...هبنى صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك».

***

ص :٣١

الآيات [سوره المطففين (٨٣): الآيات ١٨ الى ٢٨]

اشاره

كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ اَلْأَبْرٰارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتٰابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ اَلْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى اَلْأَرٰائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ اَلنَّعِيمِ (٢۴) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢۵) خِتٰامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنٰافَسِ اَلْمُتَنٰافِسُونَ (٢۶) وَ مِزٰاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا اَلْمُقَرَّبُونَ (٢٨)

التّفسير

اشاره

عليّون في انتظار الأبرار:

بعد أن تحدثت الآيات السابقه عن الفجّار و كتابهم و عاقبه أمرهم،ينتقل الحديث في هذه الآيات للطرف المقابل لهؤلاء،فتتحدث عن الأبرار الصالحين و ما سيالون إليه من حسن مآب،و يبدأ الحديث بالقول: كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِي عِلِّيِّينَ .

«عليّين»:جمع(علّى)على وزن(ملّى)،و هو المكان المرتفع،أو الشخص

الجالس فی مکان مرتفع،و یطلق أیضا علی ساکنی قمم الجبال.

و قد فسّر فی الآیه ب(أشرف الجنان)أو(أعلی مکان فی السماء).

و قیل:إنّما استعمل اللفظ بصیغه الجمع للتّأکید علی معنی(العلو فی علو).

و علی أیّه حال،فما عرضناه بخصوص تفسیر«سجّین»یصدق علی«علیّین» أیضا،بقولیه:

الأوّل:أنّ المقصود من«کتاب الأبرار»هو صحیفه أعمال الصالحین و المؤمنین،فجمیع الأعمال تجمع فی هذا الدیوان العام،و هو دیوان عالی المقام و شریف القدر.

الثّانی:أنّ صحیفه أعمال الأبرار تکون فی أشرف مکان،أو فی أعلی مکان فی الجنّه،و هذا یکشف عن علو شأنهم و رفعه کرامتهم عند اللّه عزّ و جلّ.

و

جاء فی الحدیث النّبوی الشریف: «علیّون فی السماء السابعه تحت العرش» (1) .

و هذا بالضبط هو المحل المضاد تماما لمحل صحیفه أعمال«الفجار»،حیث وضعت فی أسفل طبقات جهنم.

و ذهب قسم من المفسّرین إلی أنّ ال«کتاب»هنا یرمز لمعنی(المصیر)،أو (الحکم القطعی الإلهی)بخصوص نیل الصالحین درجات الجنّه العلی.

و لا یضرّ من الجمع بین التّفسیرین،فأعمال الأبرار مجموعه فی دیوان عام، و محل ذلک الدیوان فی أعلی نقطه من السماء،و یکون الحکم و القضاء الإلهی کذلک مبنیّ علی کونهم فی أعلی درجات الجنّه.

و لأهمیه و عظمه شأن«علیّین»..تأتی الآیه التالیه لتقول: وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّیُّونَ ،إنّه مقام من المکانه بحیث یتجاوز حدود التصور و الخیال و القیاس

1- 1) -تفسیر القرطبی،ج 10،ص 7053،و مجمع البحرین:ماده(علو).

و الظن،بل و حتى أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على ماله من علو شأن و مرتبه مرموقه، فلا يستطيع من تصور حجم أبعاد عظمته.

و يبدأ البيان القرآنى بتقريب ال«عليّين»إلى الأذهان:«كتاب مرقوم» و هذا على ضوء تفسير«عليّين»بالديوان العام لأعمال الأبرار،أمّا على ضوء التّفسير الآخر فسيكون معنى الآيه:إنّه المصير الحتمى الذى قرره اللّه و سجّله لهم، بأن يكون محلهم فى أعلى درجات الجنّه،(بناء على هذا التّفسير فستكون الآيه «كتاب مرقوم»مفسّره لكتاب الأبرار و ليس لعليّين).

و كذلك: يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ أى يشاهدونه،أو عليه يشهدون عليه.

ثمّه من ذهب إلى أنّ«المقربون»فى الآيه،هم ملائكه مقرّبون عند اللّه عزّ و جلّ،ينظرون إلى ديوان أعمال الصالحين،أو ينظرون إلى مصيرهم المحتوم.

و لكنّ الآيات التاليه تظهر بوضوح بأنّ المقرّبين،هم نخبه عاليه من المؤمنين لهم مقام مرموق،و بإمكانهم مشاهده صحيفه أعمال الأبرار و الصالحين.

و يمكن أن نستفيد هذا المعنى من الآيتين(۱۰ و ۱۱)من سوره الواقعه:

وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ...و من الآيه(۸۹)من سوره النحل:

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ .

و ينتقل الحديث إلى عرض بعض جوانب جزاء الأبرار: إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِى نَعِيمٍ .

«النعيم»:هو النعمه الكثيره-على قول الراغب فى مفرداته-و جاءت بصيغه نكره لتعظيم شأنها،أى إنّهم فى نعيم مادى و معنوى لا حدّ لوصفه.

و ينقلنا البيان القرآنى لجوانب من نعيم الأبرار: عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ (۱) .

---

۱ - ۱) -المبتدأ محذوف فى الآيه،التقدير:(هم على الأرائك ينظرون)«ينظرون»،حال،أو أن جمله«على الأرائك»:خبر ثان، نسبه إلى«إنّ»الوارده فى الآيه السابقه.

«الأرائك»:جمع(أريكه)،و هى سرير منجّد مزّين خاص بالملوك،أو سرير فى حجله،و جاءت فى الآيه بمعنى،الأسره المزينه التى يتكئ عليها أهل الجنّه.

و ثمّه من يذهب إلى أنّها معربه من«أرك»بمعنى قصر الملك فى الفارسيه،أو القلعه فى وسط المدينه،و بما أنّ القلعه فى وسط المدينه تكون للملوك عاده اطلق عليها هذه الكلمه،أو بمعنى عرش السلطان الذى يقال عنه بالفارسيه«أراك»،ثمّ سمّيت العاصمه به(أراك)و«عراق»معرب«أراك»بمعنى مقر السلطان.

فيما يقول آخرون أنّها من(الأراك)و هو شجر معروف تصنع من الأسره، و قيل أيضا،إنّما سمّيت بذلك لكونها مكانا للإقامه من(الأروك)و هو الإقامه. (١)

و جاءت«ينظرون»مطلقه،لإعطاء مفهوم السعه و الشمول،فمسموح لهم النظر إلى لطف البارى و جماله،و إلى نعم الجنّه الباهره،و إلى ما أودع فيها من رونق و بهاء...و ذلك لأنّ لذه النظر من اللذائذ الإنسانيه التى تدخل الغبطه و السرور فى الإنسان بشكل كبير و ملموس.

ثمّ يضيف: تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ النَّعِيمِ .

إشاره إلى أنّ ما يبدى على وجوههم من علائم النشاط و السرور و الغبطه،إنّ هو إلّا انعكاس لسعادتهم الحقّه،بعكس أهل جهنّم الذين لا يبدو على وجوههم إلّا علائم الغم و الحسره و الندم و الشقاء.

«نضره»:إشاره إلى النشاط و الأريحيه التى تظهر على وجوههم.(كما أسلفنا القول).

و بعد ذكر نعم:«الأرائك»،«النظر»،«الاطمينان و السعاده»..تذكر الآيه التاليه نعمه شراب الجنّه،فتقول: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ .

إنّه ليس كشراب أهل الدنيا الشيطانى،بما يحمل من خبث دافع إلى المعاصى

١- ١) -لمزيد من الإيضاح..راجع مفردات الراغب،و لسان العرب(ماده:أرك).

و الجنون،بل هو شراب طاهر يذكى العقول و يدب النشاط و الصفاء فى شاربه.

و«الرحيق»-كما اعتبره المفسّرين-:هو الشراب الخالص الذى لا يشوبه أىّ غش أو تلوث.

و«مختوم»:إشاره إلى أنّه أصلى و يحمل كلّ صفاته المميزه عن غيره من الأشربه و لا يجاريه شراب قطّ،و هذا بحدّ ذاته تأكيد آخر على خلوص الشراب و طهارته.

و الختم بالصوره المذكوره يظهر مدى الاحترام الخاص لأهل الجنّه، حيث أنّ ذلك الإحكام و تلك الأختام مختصه لهم،و لا يفتحها أحد سواهم (١) .

و تقول الآيه التاليه: خِتٰامُهُ مِسْكٌ .

فختامه ليس كختوم أهل الدنيا التى تلوث الأيدى،و أقل ما فيها أنّها فى حال فتحها ترمى فى سله الأوساخ،بل هو شراب طاهر مختوم،و إذا ما فتح ختمه فتفوح رائحه المسك منه! و قيل:«ختامه»يعنى(نهايته)،فعند ما ينتهى من شراب الرحيق،ستفوح من فمه رائحه المسك،على خلاف أشربه أهل الدنيا،التى لا تترك فى الفم إلّا المراره و الرائحه الكريهه،و لكنّه بعيد بملاحظه الآيه السابقه.

و يقول العلّامه الطبرسى فى(مجمع البيان):«التنافس»:تمنّى كلّ واحد من النفسين مثل الشىء النفسى الذى للنفس الاخرى أن يكون له.

و فى(مجمع البحرين):نافست فى الشىء:إذا رغبت فيه على وجه المباراه فى الكرم،(سباق سالم و نزيه).

ص:٣۶

١- ١) -عمليه ختم الأشياء(كانت و لا زالت)،تستعمل للاطمينان على سلامه تلك الأشياء من التلاعب بها،فمثلا..لكى يطمأن على سلامه وصول شىء معين إلى صاحبه المراد،فإنّه يوضع فى ظرف خاص مغلق،و إذا ما كان الشىء بدرجه عاليه من الأهميه،فلا يكتفى بالغلق،بل يربط بسلك أو ما شابه و من ثمّ يوضع على عقدته شىء من الشمع أو الطين و يختم بختم معين، كل ذلك للتأكيد من وصوله إلى المراد بدون أن تمتد إليه يد التلاعب.

و فی(مفردات الراغب):«المنافسه»:مجاهده النفس للتشبّه بالأفاضل و اللحوق بهم من غیر إدخال ضرر علی غیره.

و جاء مضمون الآیه فی الآیه(۲۱)من سوره الحدید: سَابِقُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهٰا کَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ ،و ما جاء فی الآیه(۱۳۳)من سوره آل عمران: وَ سٰارِعُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ .

و علی آیه حال،فدقّه تعبیر الآیه و شفافیته،من أجمل تعابیر التشجیع للوصول إلی النعیم الخالد،من خلال ترسیخ الإیمان فی قلوب و تجسید الأعمال الصالحه علی سوح الواقع،و الآیه قطعه بلاغیه رائعه (۱) (۲) و نصل لآخر وصف شراب الأبرار فی الجنّه: وَ مِزٰاجُهُ مِنْ تَسْنِیمٍ أی أنّه ممزوج بالتسنیم،(عینا یشرب بها المقرّبون) (۳) .

و من خلال الآیتین أعلاه،یتّضح لنا بأنّ«التسنیم»هو أشرف شراب فی الجنّه،و«المقرّبون»یشربون منه بشکل خالص،فیما یشربه«الأبرار»ممزوجا بالرحیق المختوم.

أمّا وجه تسمیه ذلک الشراب أو العین ب«تسنیم»،(علما بأنّ التسنیم فی اللغه هو عین ماء یجری من علو إلی أسفل)،فقد قال البعض فیه:إنّه شراب خاص موجود فی الطبقات العلیا من الجنّه..و قال آخرون:إنّه نهر یجری فی الهواء فینصب فی أوانی أهل الجنّه.

و الحقیقه،فللجنّه ألوان من الأشربه،منها ما یجری علی صوره أنهار،کما

۱- ۱) -یتّضح من تفسیر الآیه،أنّ اسم الإشاره«ذلک»یعود علی جمیع نعم الجنّه،و شرابها بالذات لما وصف فیه فی الآیه.

۲- ۲) -«الواو»و«الفاء»فی وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ ،کلاهما حرف عطف،و إذا ما سئل عن عله وجودهما معا، فالجواب هو:یوجد شرط محذوف،و التقدیر:«و إن أرید تنافس فی شیء فلیتنافس فی ذلک المتنافسون»،فحذفت أداه الشرط و الجمله الشرطیه و قدمت«فی ذلک».

۳ - ۳) -قیل فی سبب نصب«عینا»عدّه وجوه..منها:لأنّها حال التسنیم،تمییز،مدح و اختصاص..و التقدیر:(أعنی). و«الباء»فی«بها»:زائده،أو بمعنی(من)و هو الأنسب.

تشیر إلی ذلک آیات قرآنیه کثیره (۱) ،و منها یقدّم فی کؤوس مختومه،کما فی الآیات أعلاه،و یأتی ال«تسنیم»فی قمّه أشربه الجنّه،و له من العطاء علی روح شاربه ما لا یوصف بوصف أبدا.

و نعود لنکرر القول مرّه أخری:إنّ حقیقه النعم الإلهیه فی عالم الآخره لا یمکن لأیّ کان من أن یتکلم عنها بلسان أو یوصفها بقلم أو یتصورها فی ذهن، و کلّ ما یقال عنها لا یتعدی عن کونه صورا تقریبیه علی ضوء ما یناسب محدودیه الإنسان.

و الآیه(۱۷)من سوره السجده: فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ خیر دلیل علی ذلک.

بحثان

اشاره

۱-من هم«الأبرار»و«المقرّبین»؟

ورد ذکر«الأبرار»و«المقربین»کثیرا فی القرآن الکریم،و ما أعدّ لهم من درجه رفیعه و ثواب عظیم،حتی أنّ أولی الألباب تمنوا أن تکون وفاتهم مع الأبرار،کما تقول الآیه(۱۹۳)من سوره آل عمران: وَ تَوَفَّنٰا مَعَ الْأَبْرٰارِ .

و تناولت الآیات(۵-۲۲)من سوره الدهر ما أعدّ لهم من ثواب جزیل،کما و تناولت الآیه(۱۳)من سوره الإنفطار،و الآیات المبحوثه بعض ما ینتظرهم من ألطاف إلهیه.

فمن هم یا تری؟ «الأبرار»:هم أصحاب النفوس الزکیه الأبیه الطاهره،و معتنقی العقائد

۱- ۱) -کالآیه(۱۵)من سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

الصائبه،و الذین لا یعملون إلّا ما فیه الخیر و الصلاح.

و«المقربون»:هم الذین لهم مقام القربه عند اللّه عزّ و جلّ.

فبین الأبرار و المقربین عموم و خصوص مطلق،حیث کلّ المقرّبین أبرار، و لیس کلّ الأبرار مقرّبین.

و

روی عن الإمام الحسن المجتبی علیه السّلام،أنه قال: «کلما فی کتاب اللّه عزّ و جلّ من قوله:«إنّ الأبرار»فو اللّه ما أراد به إلّا علیّ بن أبی طالب و فاطمه و أنا و الحسین» (۱) و ممّا لا یشوبه شک،أنّ الخمسه الطیبه،تلک الأنوار القدسیّه،و هی أفضل مصادیق الأبرار و المقربین.

و کما ذکرنا فی تفسیرنا لسوره الدهر التی تحدثت بشکل رئیسی عن أمیر المؤمنین و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّلام،و قلنا بأنّ الآیات الثمانیه عشر قد تناولت فضائلهم علیهم السّلام،و لکن لا یمنع من انطباق علی غیر الخمسه الطیبه علیهم السّلام.

۲-خمور الجنّه

تبیّن لنا مختلف الآیات فی القرآن الکریم أنّ ثمه ألوان من الأشربه و الخمور الطاهره بأسماء و کیفیات مختلفه،تباین خمور أهل الدنیا الملوثه من جمیع جهاتها،فهذه:تأخذ بلبّ الإنسان صوب التیه،توصل شاربها لحال الجنون،کریهه الطعم و الرائحه،و تزرع عند شاربها العداوه و البغضاء،تؤدی إلی سفک الدماء و تبث الرذیله و الفساد...أمّا تلک:تذکی عقل شاربها و تصفو به،و تزیده نشاطا و حیویه،ذات عطر لا یوصف و طهاره خالصه،و یغوص شاربها فی نشوه روحیه نقیه راقیه.

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۳۳،الحدیث ۳۳.

و ذکرت السّوره المبحوثه نوعین منها:الرحیق المختوم و«التسنیم»فی حین ذکرت سوره الدهر أنواعا اخری،و فی سور اخری-و قد تعرضنا لها فی محلها.

و تؤکّد الأحادیث و الرّوایات علی أنّ تلک الأشربه خالصه لمن تنزّه عن الولوغ فی خمور الدنیا الخبیثه.

فعن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال لأمیر المؤمنین علیه السّلام: «یا علیّ من ترک الخمر للّه سقاه اللّه من الرحیق المختوم» (۱) .

و

فی حدیث آخر أنّه علیه السّلام سأله عن هذا الترک أنّه حتی لو کان:«لغیر اللّه»؟، قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«نعم و اللّه،صیانه لنفسه فیشکره اللّه تعالی عن ذلک» (۲) .

نعم،فهؤلاء من أولی الألباب،الذین تناولت ذکرهم الآیه(۱۹۳)من سوره آل عمران،و اولی الألباب مع الأبرار فی تناول تلک الأشربه الطاهره.

و

روی عن الإمام زین العابدین علیّ بن الحسین علیه السّلام أنّه قال: «من سقی مؤمنا من ظمأ سقاه اللّه من الرحیق المختوم» (۳) .

و

جاء فی حدیث آخر: «من صام للّه فی یوم صائف،سقاه اللّه من الظمأ من الرحیق المختوم» (۴)

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۳۴،الحدیث ۴۰.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحدیث ۳۷.

۳- ۳) -المصدر السابق،الحدیث ۳۵.

۴- ۴) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۵۶.

الآیات [سوره المطففين (٨٣): الآيات ٢٩ الى ٣٦]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ أَجْرَمُوا كٰانُوا مِنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَ إِذٰا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغٰامَزُونَ (٣٠) وَ إِذَا اِنْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ اِنْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَ إِذٰا رَأَوْهُمْ قٰالُوا إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَضٰالُّونَ (٣٢) وَ مٰا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حٰافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ اَلْكُفّٰارِ يَضْحَكُونَ (٣۴) عَلَى اَلْأَرٰائِكِ يَنْظُرُونَ (٣۵) هَلْ ثُوِّبَ اَلْكُفّٰارُ مٰا كٰانُوا يَفْعَلُونَ (٣۶)

سبب النّزول

ذكر المفسّرون سببين لنزول هذه الآيات:

الأوّل:إنّها نزلت فى على بن أبى طالب عليه السّلام،و ذلك..إنّه كان فى نفر من المسلمين جاؤوا إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فسخر منهم المنافقون،و ضحكوا، و تغامزوا...فنزلت الآيه قبل أن يصل على عليه السّلام و أصحابه إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و ذكر الحاكم أبو القاسم الحسكانى فى كتابه(شواهد التنزيل)عن ابن عباس قال: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا منافقو قريش،و اَلَّذِينَ آمَنُوا على بن أبى طالب عليه السّلام

ص: ۴۱

و أصحابه. (۱)

الثّاني:إنّها نزلت في مشركي قريش،أبي جهل و الوليد بن المغيره و العاص بن وائل و أشياعهم،كانوا يستهزءون بفقرائهم كعمار و صهيب و خباب و بلال و غيرهم (۲) .

التّفسير

اشاره

بالأمس كانوا يضحكون من المؤمنين..أمّا!!

بعد أن تحدثت الآيات السابقه عن النعم التي تنتظر الأبرار و الصالحين في الحياه الآخره، تبدأ الآيات أعلاه بتبيان جوانب ممّا يعانوه من مصائب و مشاكل في الحياه الدنيا بسبب إيمانهم و تقواهم...

و أنّ ما سيناله الأبرار من ثواب جزيل ليس اعتباطيا.

فالآيات تنقل لنا أساليب الكفار القذره التي كانوا يتعاملون بها مع المؤمنين البرره،و قد صنّفتها في أربعه أساليب:

الأسلوب الأوّل: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ فأصل الطغيان و التكبر و الغرور و الغفله الذي زرع في نفوسهم،يدفعهم للضحك على المؤمنين و الاستهزاء بهم و النظر إليهم بسخريه و احتقار! و هذا هو شأن كلّ من غرّته أحابيل الشيطان في مواجهه من آمن و اتقى، و على مرّ الأيّام.

و جاء وصفهم ب«أجرموا»بدلا من«كفروا»،للإشاره إلى إمكان معرفه الكافرين من خلال أعمالهم الإجراميه،فالكفر دائما مصدرا للجرائم و العصيان.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۵۷-كما و ذكر كثير من المفسّرين مسأله نزولها في علي بن أبي طالب،و مشركي مكّه،كما في تفسير القرطبي،و روح البيان،و الكشّاف،و تفسير الفخر الرازي...إلخ.

۲- ۲) -روح المعاني،ج ۳۰،ص ۷۶.

و الأسلوب الثّانی: وَ إِذٰا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغٰامَزُونَ فحينما يمرّ المشركون على مجموعه من المؤمنين يغمزون بأعينهم و يشيرون إليهم بالقول:

انظروا إلى هؤلاء الفقراء المعدمين..إنّهم أصبحوا مقرّبين عند اللّه! انظروا إلى هؤلاء الحفاه العراه..إنّهم يدّعون نزول الوحی الإلهی لهم! انظروا إليهم..فإنّهم يعتقدون بأنّ العظام الباليه ستعود إلى الحياه مرّه اخرى!! و ما شابه ذلک،من الكلمات الرخيصه و الموهنه..

و يبدو أنّ ممارسه الضحک من قبل المشركين يكون حينما يمرّ المؤمنون من أمامهم و هم متجمعون،فی حين يمارسون الأسلوب الثّانی و هو الإشارات الساخره و الغمز و اللمز حين مرورهم هم أمام جمع من المؤمنين،لعدم تمكنهم من الضحک العلنی أمام جمع المؤمنين. (۱)

«يتغامزون»:من(الغمز)،و هو الإشاره بالجفن أو اليد طلبا إلى ما فيه معاب، و عبّرت الآيه بهذا اللفظ«التغامز»للإشاره إلى اشتراكهم جميعا فی ذلک الفعل.

و لكنّهم لم يكتفوا بالنيل من المؤمنين فی حضورهم من خلال الضحک و التغامز،بل تعدوا إلى حال غيابهم أيضا،حيث تنقل لنا الآيه التاليه، الأسلوب الثّالث بقولها: وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ .

و كأنّهم فی ضحكهم و تغامزهم قد نالوا فتحا كبيرا!فتأخذهم نشوه تصور الغفله و الجهل لأن يتباهوا فيما قاموا به من فعل قبيح،و يبقون على حاله السخريه و الاستهزاء بالمؤمنين رغم غياب المؤمنين عنهم!...

«فكهين»:جمع(فكه)،و هی صفه مشبهه من(الفكاهه)بمعنى التمازح و الضحک،مأخوذه من(الفاكهه)،و كأن لذه الخوض فی هكذا حديث و سخريه كلذه أكل الفاكهه،كما و يطلق على حديث ذوی الأنس اسم(فكاهه).

۱- ۱) -ذكر المفسّرون احتمالين فی ضمير«مرّوا»و«بهم»،فارجع بعضهم الأوّل الى المشركين و الثّانی إلى المؤمنين،و قال البعض الآخر عكس ذلک،و يبدو أن الاحتمال الأول أقرب بلحاظ ما ذكر أعلاه.

«الأهل»:هم العائله و الأقرباء،و قد تشمل الأصدقاء المقرّبين أيضا.

و الأسلوب الرّابع: وَ إِذٰا رَأَوْهُمْ قٰالُوا إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَضٰالُّونَ .

لما ذا؟لأنّهم تركوا ما كان شائعا من عباده الأصنام،و الخرافات التى يعتبرونها هدايه!و اتجهوا نحو الإيمان باللّه و التوحيد الخالص.

و لأنّهم باعوا لذه الدنيا الحاضره بنعيم الآخره الغائبه!...

و يمكن أن تكون هذه المواجهه قد حدثت بعد انتهاء مرحله الاستهزاء،بعد أن غلّف الأمر بطابع الجديّه و رأوا ضروره المواجهه الشديده،لأنّ حال المشركين و الكافرين على مرّ التاريخ فى مواجهتهم لدعوه و رسالات الأنبياء عليهم السّلام تبدأ بالسخريه و عدم المبالاه،و كأنّهم لم يشاهدوا بعد من الدين الجديد ما يوجب الوقوف أمامه بجدّ و حزم،و لكن بمجرّد إحساسهم بأنّ الدين الإلهى راح ينفذ إلى قلوب النّاس،و رؤيتهم لازدياد أتباعه،سيزداد إحساسهم بالخطر،فيدخلون مرحله المواجهه العنيفه مع الدين الجديد.

فتشير الآيه إلى أوّل خطوه جاده من قبل المجرمين فى قبال المؤمنين،التى تتبعها خطوات و خطوات حتى تصل الحال إلى المواجهه الدمويه الحادّه.

و غالبا ما لا يكون المؤمنون من أثرياء أو وجهاء القوم،و لذلك ينظر إليهم باحتقار و يهزأ بدينهم و إيمانهم،فى مجتمع يسوده التمايز الطبقى بشكل راسخ و ظاهر.

فيقول القرآن الكريم فى الآيه التاليه: وَ مٰا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حٰافِظِينَ فبأى حقّ إذن يهزأون بهم،و يقفون أمامهم؟! تنقل لنا الآيه(٢٧)من سوره هود ما قاله المستكبرين من أثرياء قوم نوح عليه السّلام: وَ مٰا نَرٰاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرٰاذِلُنٰا بٰادِيَ الرَّأْيِ ،و تنقل لنا الآيه(٣١) من نفس السّوره جواب نوح عليه السّلام: وَ لاٰ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللّٰهُ خَيْراً اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا فِي أَنْفُسِهِمْ .

فجواب نوح عليه السّلام عام يشمل حتى أولئك المغرورون فى صدر الإسلام..فما شأنكم و هؤلاء؟!و عليكم أن تنظروا إلى هذا الدين،و إلى النّبى الذى جاء بهذا الدين،و لا تنظروا إلى من آمن به و اتبعه!...

و تبقى أساليب الذين يعادون الحقّ محدوده فى إطار الحياه الدنيا،و لكن إذا كان يوم القيامه،فستختلف الحال تماما: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ .

فيوم القيامه،يوم مجازات الأعمال و إجراء العداله الإلهيه،و العداله تقتضى بأن يستهزأ المؤمنون بالكافرين المعاندين للحقّ،و الاستهزاء فى ذلك اليوم أحد ألوان عذاب الآخره الأليم الذى ينتظر أولئك المغرورون و المستكبرون.

و

روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «المستهزئين بالنّاس فى الدنيا يرفع لأحدهم يوم القيامه باب من أبواب الجنّه،فيقال له:هلم،فيجىء بكربه و غمّه،فإذا أتاه أغلق دونه،ثمّ يفتح له باب آخر،فيقال:هلم هلم،فيجىء بكربه و غمّه،فإذا أتاه أغلق دونه،فما يزال كذلك حتى أنّه ليفتح له الباب فيقال:هلم هلم،فلا يأتيه من اياسه» (۱) .. (و هنا يضحك المؤمنون الذين يطلعون عليه و على بقيه الكفار من جنتهم).

و تقول الآيه التاليه: عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ .

ماذا ينظرون؟ إنّهم ينظرون إلى:نعم اللّه التى لا توصف و لا تنفد فى الجنّه،و إلى كلّ ما فازوا به من الألطاف الإلهيه و الكرامه،و إلى ما أصاب الكفار و المجرمين من العذاب الأليم خاسئين...

و فى آخر آيات السّوره،يقول القرآن مستفهما:

۱- ۱) -تفسير الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۲۸.

هَلْ ثُوِّبَ الْكَفّارُ مٰا کٰانُوا یَفْعَلُونَ

(۱)

.

فهذا القول سواء صدر من اللّه،أو من الملائکه،أو من المؤمنین،فهو فی کلّ الحالات یمثل طعنا و استهزاء بأفکار و ادعاءات أولئک المغرورون،الذین کانوا یتصورون أنّ اللّه سیثیبهم علی أعمالهم القبیحه،و یأتیهم النداء ردّا علی خطل تفکیرهم: هَلْ ثُوِّبَ الْکُفّٰارُ مٰا کٰانُوا یَفْعَلُونَ .

و اعتبر کثیر من المفسّرین أنّ الآیه(جمله مستقله)،فی حین اعتبرها آخرون تابعه للآیه التی قبلها،أی:إنّ المؤمنین سیجلسون علی الأرائک ینظرون هل أن الکفار نالوا جزاءهم العادل؟ فإن کانوا یرجون ثوابا فلیأخذوه من الشیطان!...و لکن هل بإمکان هذا اللعین المطرود من رحمه اللّه أن یثیبهم علی ما عملوا له؟! «ثوّب»:من(الثوب)علی وزن(جوف)و هو رجوع الشیء إلی حالته الاولی التی کان علیها،و«الثواب»:ما یرجع إلی الإنسان جزاء أعماله،و یستعمل للخیر و الشرّ أیضا،و لکن استعماله للخیر هو الغالب (۲) .

و علیه،فالآیه تشیر إلی الطعن بالکفار کنتیجه طبیعیه لاستهزاءهم بالمؤمنین و بآیات اللّه فی الحیاه الدنیا،و ما علیهم إلاّ أن یتقبلوا جزاء ما کسبت أیدیهم.

بحث

اشاره

الاستهزاء...سلاح بائس:

من الحراب التی طالما شهرت فی وجوه الأنبیاء علیهم السّلام عبر التاریخ..حربه الاستهزاء و السخریه،و عکست لنا الآیات القرآنیه مرارا تلک الصور التی تحکی

۱- ۱) -الاستفهام فی الآیه..استفهام تقریری.

۲- ۲) -مفردات الراغب:ماده(ثوب).

هـذا الموضوع،و لا عجب فی ذلک حین صدور الاسـتهزاء من الناس ابتلوا بالظلم و الکفر،لأنّ مصدر کفرهم و ظلمهم هو عقده الغرور و التکبر التی تدفعهم للنظر إلی الآخرین بعین التحقیر و التصغیر.

و لم ینفلت زماننـا المعاش من مـدار تلک الأسالیب القـدیمه،فما زال الإعلام الکافر و عبر وسائله التقنیه،ما زال یبـذل کلّ ما فی جهـده فی اسـتعمال ذات الحربه القـدیمه،عسـی أن یخرج الحقّ و أتباعه من المیدان،و بواجهات عدّه،و منها تلک التی یسـمّونها برامج الترفیه و الفکاهه.

و لکنّ المؤمنین أقوی من أن تزلزلهم تلـک الألاـعیب المـاکره الواهیه،و هم مطمئنون تمامـا بالوعـد الإلـهی الحق،کمـا ورد فی الآیات أعلاه.

و مـا اسـتعمال أسـالیب السـخریه و الغمز و الضـحک فی قبـال دعـوه تـدعو إلی الحـق إلاّـ کـاشف عـن جهـاله و غرور أولئک المساکین.

فحتی علی فرض عـدم الإیمـان بالـدین الحق،أو لیس المنطق السـلیم و الحجّه القـاطعه هی سـلاح الإنسـان العاقـل؟فـأین هم من إنسانیتهم أمام ما یمارسونه؟!..

اللّهمّ!قنا من الغرور و التکبر.

اللّهمّ!ارزقنا طلب الحق و زیّنا بالتواضع.

اللّهمّ!اجعل صحیفه أعمالنا فی«علیین»و جنبها من الوقوع فی«سجّین»...

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره المطفّفین

سوره الإنشقاق

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها خمس و عشرون آیه

ص :۴۹

محتوى السّوره

لاـ تخرج السّوره عن الإطار العام لسور الجزء الأخير من القرآن الكريم، فتبدأ بوصف علامات أشراط القيامه و ما سيحدث من أحداث مروعه فى نهايه العالم و بدايه يوم القيامه،ثمّ تتحدث ثانيا عن القيامه و الحساب و ما ستؤول إليه عاقبه كلّ من الصالحين و المجرمين،ثمّ تعطف السّوره فى المرحله الثّالثه لتوضيح ماهيه الأعمال و العقائد التى تجر الإنسان إلى سخط اللّه و خلوده بالعذاب مهانا، و فى الرّابعه تنتقل السّوره لعرض مراحل سير الإنسان فى حياتيه(الدنيا و الآخره)و فى آخر مطاف السّوره يدور الحديث خامسا عن جزاء الأعمال الحسنه و السيئه

فضيله السّوره:

روى عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأ سوره«انشقت»أعاذه اللّه أن يؤتيه كتابه وراء ظهره» (1) .

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام،أنّه قال: «من قرأ هاتين السّورتين و جعلهما نصب عينه فى صلاه الفريضه و النافله لم يحجبه اللّه من حاجه،و لم يحجزه من اللّه حاجز،و لم يزل ينظر إليه حتى يفرغ من حساب النّاس» (2) .

***

1- 1) -مجمع البيان،ج 10،ص 458.

2- 2) -نور الثقلين،ج 5،ص 536.

الآيات [سوره الانشقاق (۸۴): الآيات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِذَا اَلسَّمٰاءُ اِنْشَقَّتْ (۱) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ (۲) وَ إِذَا اَلْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ مٰا فِيهٰا وَ تَخَلَّتْ (۴) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ (۵) يٰا أَيُّهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاٰقِيهِ (۶) فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ (۷) فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً (۸) وَ يَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۹)

التّفسير

اشاره

نحو الكمال المطلق:

تبدأ السّوره فی ذكرها لأحداث نهايه العالم المهوله بالإشاره إلی السماء فتقول: إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ (۱) (فتلاشت نجومها و أجرامها و اختل نظام الكواكب فيها)،كإشاره الآيتين(۱ و ۲)من سوره الإنفطار التی أعلنت عن نهايه العالم بخرابه و فنائه: إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ .

و تحكی الآيه التاليه حال السماء: وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ .

فلا يتوهم أن السماء بتلك العظمه بإمكانها اظهار أدنی مقاومه لأمر اللّه..بل ستستجيب لأمر اللّه خاضعه طائعه،لأنّ إرادته سبحانه فی خلقه هی الحاكمه،و لا

۱- ۱) -«إذا»أداه شرط،حذف جزاؤها،و التقدير:(إذا السماء انشقت...لاقی الإنسان ربّه فحاسبه و جازاه).

یحق لأی مخلوق أن یعصی أمره جلّ و علا.

«أذنت»:من(الاذن)علی وزن(أفق)،و هی آله السمع و تستعار لمن کثر استماعه،و فی الآیه:کنایه عن طاعه أمر الآمر و التسلیم له.

«حقّت»:من(الحق)،أی:و حق لها أن تنقاد لأمر ربّها.

و کیف لها لا تسلّم لأمره عزّ و جلّ،و کلّ وجودها و فی کلّ لحظه من فیض لطفه،و لو انقطع عنها بأقل من رمشه عین لتلاشت.

نعم،فالسماء و الأرض مطیعتان لأمر ربّهما منذ أوّل خلقهما حتی نهایه أجلهما،کما تشیر الآیه(۱۱)من سوره فصّلت عن قولهما فی ذلک: قٰالَتٰا أَتَیْنٰا طٰائِعِینَ .

و قیل:یراد ب«حقّت»:إنّ الخوف من القیامه سیجعل السماء تنشق..و لکنّ التّفسیر الأول أنسب.

و فی المرحله التالیه تمتد الکارثه لتشمل الأرض أیضا: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ .

فالجبال-کما تقول آیات قرآنیه اخری-ستندک و تتلاشی،و ستستوی الأرض فی کافه بقاعها،لتلمّ جمیع العباد فی عرصتها،کما أشارت الآیات(۱۰۵ -۱۰۷)من سوره طه إلی ذلک: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبٰالِ فَقُلْ یَنْسِفُهٰا رَبِّی نَسْفاً فَیَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً لاٰ تَریٰ فِیهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً ! فمحکمه ذلک الیوم من العظمه بحیث تجمع فی عرصتها جمیع الخلق من الأولین و الآخرین،و لا بدّ للأرض من هذا الانبساط الواسع.

و قیل فی معنی الآیه:إنّ اللّه عزّ و جلّ سیمدّ الأرض یوم القیامه أکثر ممّا هی علیه الآن لتسع حشر الخلائق جمیعا (۱) .

۱- ۱) -الفخر الرازی،فی تفسیره للآیه المذکوره.

و فی ثالث مرحله تقول الآیه التالیه: وَ أَلْقَتْ مٰا فِیهٰا وَ تَخَلَّتْ .

و المعروف بین المفسّرین أنّ الآیه تشیر إلی إلقاء الأرض بما فیها من موتی فیخرجون من باطن القبور إلی ظاهر الأرض،مرتدین لباس الحیاه من جدید.

و قد تناولت آیات اخری هذا الموضوع،کالآیه(۲)من سوره الزلزال:

وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا ،و الآیتین(۱۳ و ۱۴)من سوره النازعات: فَإِنَّمٰا هِیَ زَجْرَهٌ وٰاحِدَهٌ فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَهِ .

و قال بعض المفسّرین:إنّ المعادن و الکنوز المودعه فی الأرض ستخرج مع الأموات أیضا.

و ثمّه احتمال آخر فی تفسیر الآیه،یقول:إنّ المواد المذابه التی فی باطن الأرض ستخرج نتیجه الزلازل الرهیبه التی تقذفها إلی الخارج،فتملأ الحفر و المنخفضات الموجوده علی سطح الأرض،و ستهدأ الأرض بعد أن یخلو باطنها من هذه المواد.

و الجمع بین المعانی التی وردت فی تفسیر الآیه،ممکن.

و...: وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ .

فتسلیم الموجودات لما سیحدث من کوارث کونیه مدمره ینم عن جمله امور،فمن جهه:إنّ الفناء سیعم الدنیا بکاملها بأرضها و سمائها و إنسانها و کلّ شیء آخر،و من جهه اخری:فالفناء المذکور یمثل انعطافه حادّه فی مسیر عالم الخلیقه،و مقدّمه للدخول فی مرحله وجود جدیده،و من جهه ثالثه،فکلّ ما سیجری سینبأ بعظمه قدره الخالق المطلقه،و خصوصا فی مسأله المعاد.

نعم،فسیرضخ الإنسان،بعد أن یری بأمّ عینیه وقوع تلک الحوادث العظام، و سیری حصیله أعماله الحسنه و السیئه.

و تبیّن الآیه التالیه معالم طریق الحیاه للإنسان مخاطبه له: یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ .

«الكدح»:-على وزن مدح-السعى و العناء الذى يخلق أثرا على الجسم و الروح،و يقال:ثور فيه كدوح،أى آثار من شدّه السعى.

و جاء فى(تفسير الكشّاف)و(روح المعانى)و(تفسير الفخر الرازى):

الكدح:جهد النفس فى العمل و الكد فيه حتى يؤثر فيها،من كدح جلده:إذا خدشه.

و الآيه تشير إلى أصل أساسى فى الحياه البشريه،فالحياه دوما ممزوجه بالتعب و العناء،و إن كان الهدف منها الوصول إلى متاع الدنيا،فكيف و الحال إذا كان الهدف منها هو الوصول إلى رضوان اللّه و نيل حسن مآب الآخره؟! فالحياه الدنيا قد جبلت على المشقه و التعب و الألم،حتى لمن يرفل بأعلى درجات الرفاه المادى.

و ما ذكر«لقاء اللّه»فى الآيه إلاّ لتبيان أنّ حاله التعب و العناء و الكدح حاله مستمره إلى اليوم الموعود،و لا يتوقف إلاّ بانتهاء عجله حياه الدنيا،و لا فرق فى توجيه معنى«اللقاء»سواء كان لقاء يوم القيامه و الوصول إلى عرصه حاكميه اللّه المطلقه،أو بمعنى لقاء جزاء اللّه من عقاب أو ثواب،أو بمعنى لقاء ذاته المقدسه عن طريق الشهود الباطنى.

نعم،فراحه الدنيا لا تخلو من تعب،و الراحه الحقه..هناك،حيث ينعم الإنسان بين فيافى جنان الخلد.

و كان نداء الآيه مخاطبا عموم«الإنسان»،ليشير إلينا بأن اللّه عزّ و جلّ قد وضع القدره و القوّه اللازمه لهذه الحركه الإلهيه المستمره فى وجود و تكوين هذا المخلوق،و الذى جعل من أشرف المخلوقات قاطبه.

و استعمال كلمه«ربّ»فيه إشاره إلى ثمّه ارتباط ما بين سعى و كدح الإنسان من جهه و ذلك البرنامج التربوى الذى أعدّه الخالق لمخلوقه فى عمليه توجيه الإنسان نحو الكمال المطلق من جهه اخرى.

ص :55

نعم،فمشوار حركه الوجود قد بدأ من العدم،و الأقدام سائره فى خطوها صوب لقاء اللّه،شاء ذلك الموجود أمّ أبى.

و قد تحدثت لنا آيات قرآنيه اخرى عن السير التكاملى المستمر للمخلوقات نحو خالقها سبحانه و تعالى،و منها.

الآيه(۴۲)من سوره النجم: وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّکَ الْمُنْتَهىٰ .

و الآيه(۱۸)من سوره فاطر: وَ إِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ ..بالإضافه إلى آيات مباركات أخر.

و إلى ذلك المطاف،ستنفصل البشريه إلى فريقين: فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً، وَ يَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً .

فالذين ساروا على هدى المخطط الربّانى لحركه الإنسان على الأرض، و كان كلّ عملهم و سعيهم للّه دائما،و كدحوا فى السير للوصول إلى رضوانه سبحانه،فسيعطون صحيفه أعمالهم بيمينهم،للدلاله على صحه إيمانهم و قبول أعمالهم و النجاه من وحشه ذلك اليوم الرهيب،و هو مدعاه للتفاخر و الاعتزاز أمام أهل المحشر.

و حينما توضع أعمال هؤلاء فى الميزان الإلهى الذى لا يفوته شىء مهما قلّ و صغر،فإنّه سبحانه و تعالى:سييسّر حسابهم،و يعفو عن سيئاتهم،بل و يبدل لهم سيئاتهم حسنات.

أمّا ما المراد من«الحساب اليسير»؟فذهب بعض إلى أنّه العفو عن السيئات و الثواب على الحسنات و عدم المداقه فى كتاب الأعمال.

و حتى

جاء فى الحديث الشريف: «ثلاث من كنّ فيه حاسبه اللّه حسابا يسيرا،و أدخله الجنّه برحمته.

قالوا:و ما هى يا رسول اللّه؟!

قال:تعطی من حرمک،و تصل من قطعک،و تعفو عمّن ظلمک» (۱) .

و جاء فی بعض الرّوایات،أنّ الدقّه و التشدید فی الحساب یوم القیامه تتناسب و درجه عقل و إدراک الإنسان.

فعن الإمام الباقر علیه السّلام،أنّه قال: «إنّما یداق اللّه العباد فی الحساب یوم القیامه علی ما آتاهم من العقول فی الدنیا» (۲) .

و وردت أقوال متفاوته فی تفسیر کلمه«الأهل»الوارده فی الآیه إِلیٰ أَهْلِهِ .

فمنهم من قال:هم الزوجه و الأولاد المؤمنین،لأنّه سیلتحق بهم فی الجنّه، و هی بحدّ ذاتها نعمه کبیره،لأنّ الإنسان یأنس بلقاء من یحب،فکیف و سیکون معهم أبدا فی الجنّه! و منهم من قال:الأهل:الحور العین اللاتی ینتظرنّهم فی الجنّه.

و آخرین قالوا:هم الاخوه المؤمنین الذین کانوا معه فی الدنیا.

و لا مانع من قبول کلّ هذه الأقوال فی معنی الآیه و ما رمزت له.

بحثان

اشاره

۱-خذ العلم من علیّ علیه السّلام

فی تفسیر الآیه المبارکه: إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ ،

روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال: «إنّها تنشق من المجرّه» (۳) .

و الحدیث یعتبر من الإعجاز العلمی لأمیر المؤمنین علیه السّلام،حیث أنّه قد کشف

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۳۷.

۳- ۳) -روح المعانی،ج ۳۰،ص ۸۷؛و فی الدر المنثور،ج ۶،۳۲۹.

الستار عن حقيقه علميه قائمه لم يكن قد سبقها من علماء تلك الأزمان أحد قبله عليه السّلام،و بقيت هذه الحقيقه خافيه عن أنظار النّاس(سوى الراسخين فى العلم)، إلى أن تمّ صنع التلسكوبات الكبيره،فتوصل علماء الفلك المعاصرين إليها.

فعالم الوجود،يتكون من مجموعه مجرات،و المجره عباره عن مجموعه عظيمه من النجوم و المنظومات الشمسيه،و لذا فقد اطلق على المجرات اسم(مدن النجوم).

و من هذه المجرات،مجره(درب التبانه)المعروفه و التى يمكن مشاهدتها بالعين المجرده،و المتكونه من مجموعه من النجوم و الشموس على شكل دائره، و يبدو لنا طرفها البعيد عنّا بصوره سحاب أبيض،و ما هو فى حقيقته إلاّ مجموعه من النجوم،تبدو لنا بهذه الصوره نتيجه لبعدها و عجز عيوننا عن تشخيصها.

و ما نراه ليلا على سطح السماء هو طرفها القريب.

و منظومتنا الشمسيه جزء من هذه المجره العظيمه.

و كما يقول حديث أمير المؤمنين عليه السّلام،فإنّ النجوم التى نراها فى السماء اليوم، ستنفصل عن المجره،و بها تنشق السماء.

فمن كان يعلم فى زمانه عليه السّلام إنّ النجوم المتناثره على القبه السماويه هى جزء من مجرّه عظيمه؟! نعم،لا يعلم بذلك،إلاّ من كان قلبه متصلا بعالم الغيب،و من يستقى من علم اللّه تعالى استقاء.

٢-الدنيا دار بلاء

التعبير ب«كادح»للإشاره إلى أن طريق الحياه شاق و صعب،و خوضه يستلزم العناء و الألم و المشاكل،فى كافه خطوات المسير و لا يستثنى من ذلك الروح أو البدن،بل كليهما و بكلّ ما يحملان من جوارح و جوانح لا يخلوان من التأثر بهذه

الطبیعه الحاکمه علی الحیاه الدنیا.

و

یحدثنا الإمام علی بن الحسین زین العابدین علیه السّلام،فیما روی عنه أنّه قال:

«الراحه لم تخلق فی الـدنیا و لاـ لأهل الـدنیا،إنّما خلقت الراحه فی الجنّه و لأهل الجنّه،و التعب و النصب خلقا فی الـدنیا،و لأهل الـدنیا،و مـا اعطی أحـد منهـا جفنه إلاّـ أعطی من الحرص مثلیها،و من أصاب من الـدنیا أکثر، کان فیها أشـد فقرا لأنّه یفتقر إلی النّاس فی حفظ أمواله،و یفتقر إلی کلّ آله من آلات الدنیا،فلیس فی غنی الدنیا راحه...».

و

جاء فی آخر حدیثه علیه السّلام: «کلاّ ما تعب أولیاء اللّه فی الدنیا للدنیا،بل تعبوا فی الدنیا للآخره». (۱)

***

ص :۵۹

۱- ۱) -الخصال،للشیخ الصدوق رحمه اللّه:الجزء الأول،باب:الدنیا و الآخره ککفتی المیزان،الحدیث ۹۵.

الآيات [سوره الانشقاق (۸۴): الآيات ۱۰ الی ۱۵]

اشاره

وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ (۱۰) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً (۱۱) وَ يَصْلىٰ سَعِيراً (۱۲) إِنَّهُ كٰانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۱۳) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (۱۴) بَلىٰ إِنَّ رَبَّهُ كٰانَ بِهِ بَصِيراً (۱۵)

التّفسير

اشاره

الذين يستلمون كتابهم من وراء ظهرهم:

بعد أن عرضت الآيات السابقه أحوال فريق أصحاب اليمين،تأتي الآيات أعلاه لتعرض لنا أحوال الفريق الآخر، و توصف لنا كيفيه إعطاء كتاب كلّ منهم مشرعه لتقديم المشاهد الاخرى: وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ .. فيصرخ و ينادى الويل لى لقد هلكت فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً .

وَ يَصْلىٰ سَعِيراً

ذكرت الآيه بأن المجرمين سيؤتون كتبهم من وراء ظهورهم،فى حين أنّ آيات اخرى تقول بأنّ المذنبين سيعطى كتاب كلّ منهم بيده الشمال.

فهل من تأليف فيما بين العرضين؟ للمفسّرين جمله آراء فى ذلك،منها:

ص :۶۰

قیل:إنّ یدهم الیمنی تغلّ إلی أعناقهم،و یعطون الکتاب بالید الیسری من وراء ظهورهم إیغالا فی إذلالهم و إخجالهم.

و قیل:إنّ کلتی یدیهم تربط من خلفهم-کما یفعل بالأسیر-و یعطون الکتاب بالید الیسری من وراء الظهر.

و قیل أیضا:ستکون وجوه المجرمین من الخلف،بدلاله الآیه(۴۷)من سوره النساء: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهٰا عَلیٰ أَدْبٰارِهٰا ،فیعطون کتبهم من وراء ظهورهم و بیدهم الیسری،کی یقرءوها بأنفسهم.

و الأنسب أن نقول:سیأخذ أصحاب الیمین کتبهم بافتخار و مباهاه فی یدهم الیمنی،و کلّ منهم یقول: هٰاؤُمُ اقْرَؤُا کِتٰابِیَهْ (۱) ،و لکن المجرمین سیأخذون کتبهم بأیدیهم الیسری و بسرعه و یضعونها وراء ظهورهم خجلا و ذلا،و لکی لا یطّلع علی ما فیها أحد،و لکن،هیهات...فکلّ شیء حینئذ بارز،کیف لا و هو«یوم البروز»!...

یَدْعُوا ثُبُوراً

:یصرخ بالویل و الثبور،کما هو متعارف علیه عند نزول بلاء، أو وقوع حادث شدید الخطوره.

و«الثبور»:الهلاک.

و لکنّ صراخه سوف لا یدر علیه نفعا أبدا أبدا،و لا بدّ من نیله جزاء ما اقترف: وَ یَصْلیٰ سَعِیراً أی یدخل نار جهنم.

و تبیّن الآیه التالیه علّه تلک العاقبه المخزیه: إِنَّهُ کٰانَ فِی أَهْلِهِ مَسْرُوراً .

سرورا ممتزجا بالغرور،و غرورا احتوشته الغفله و الجهل بربّ الأرباب سبحانه و تعالی،فالسرور المقصود فی الآیه،هو ذلک السرور المرتبط بشدّه بالدنیا و المنسی لذکر الآخره.

۱- ۱) سوره الحاقه،الآیه ۱۹.

و بـديهى فالسـرور و الارتياح ليس مـذموم بـذاته،و لكنّ السـرور المذموم هو الذى يغفل فيه الإنسان عن ذكر مولاه عزّ و جلّ،و يغرق به فى بحر شـهواته الموصـل إلى التيه و الضـلاله و الجهل.أمّـا سـرور المؤمن بلطف اللّه و نعمـائه، و بشاشـته عنـد مصاحبه إخوانه،فما أحلاها و أزكاها.

و يتقرب لنا المعنى من خلال الآيه التاليه: إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ .

فاعتقاده الفاسـد و ظنّه الباطل الـدائر على نفى المعاد،مصدر سـروره و غروره و هو ما سيوصـله إلى الشـقاء الأبدى،لأنّه ابتعد عن ساحه رضوانه سـبحانه و تعالى بعد أن أوقعته شـهواته فى هاويه الاسـتهزاء بدعوه الأنبياء عليهم السّلام الربانيه،حتى أوصلته حالته المرضـيه تلك لأنّ يستمر فى استهزاءه و سخريته حتى فى حال عودته إلى أهله،كما أشارت الآيه(٣١)من سوره المطففين: وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ،و كمـا وردت الإشـاره أيضـا على لسـان علمـاء بنى إسـرائيل حينما خاطبوا قارون الثرى المغرور الجاهل: لاٰ تَفْرَحْ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . (١)

«لن يحور»:لن يرجع،من(الحور)-على زنه غور-بمعنى:الرجوع،التردد، الـذهاب،و الإيـاب(سواء كـان فى العمل أو الفكر)،و«حار المـاء»فى الغـدير:تردد فيـه،و يقـال«المحـور»:للعـود الـذى تجرى عليـه البكره و تـدور حـوله و المحـاوره و(الحـوار):المراوده فى الكلام،و(تحير فى الأمر):تردد فيه بين أن يقدم أو لا يقدم.

و قيل:أصل الكلمه(حبشى).

و روى عن ابن عباس أنّه قال:(ما كنت أدرى ما معنى«حور»حتى سمعت

١- ١) سوره القصص،الآيه ٧۶.

أعرابيه تقول لابنتها:«حوری»أی ارجعی) (۱) .

و ربّما کان استعمال کلمه«الحواری»فی نعت أصحاب عیسی علیه السّلام أو أی مقرّبین لأحد، ربّما کان لکثره ترددهم علیه.

و قیل:حورت الشیء،أیّ بیضته،و سمّی أنصار عیسی علیه السّلام الحواریین لتبییضهم قلوب النّاس بالمواعظ الهادیه،و«الحور العین»إشاره إلی بیاضهنّ،أو لشفّافیه بیاض عیونهنّ.

و قیل أیضا:إنّ سبب تسمیتهنّ ب«الحور العین»یعود إلی تحیر العین فی جمالهنّ الخارق.

و علی أیّه حال،فیقصد من الکلمه فی الآیه المبحوثه،الرجوع و المعاد، لإیضاح أنّ عدم الإیمان بالمعاد یؤدی إلی الوقوع فی اتون الغفله و الغرور و ارتکاب المعاصی.

و لنفی العقائد الضاله،تقول الآیه: بَلیٰ إِنَّ رَبَّهُ کٰانَ بِهِ بَصِیراً .

فکل أعمال الإنسان تسجل و تحصی علیه،لتعرض یوم الحساب فی صحیفته.

و الآیه تشارک الآیه السابقه: یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ فی کونها دلیلا علی المعاد أیضا.فتأکید الآیتین علی کلمه«ربّ»یدل علی أن الإنسان فی سیره التکاملی صوب ربّه لا ینتهی بالموت،و أنّ الحیاه الدنیا لا یمکنها أن تکون هدفا و غایه لهذا الخلق العظیم و هذا المسار التکاملی...

و کذلک کون اللّه«بصیرا»بأعمال الإنسان و تسجیلها لا بدّ من اعتباره مقدمه للحساب و الجزاء و إلاّ لکان عبثا،و هذا ما لا یکون.

۱- ۱) مفردات الراغب،و تفسیر الفخر الرازی،و غیرهما.

الآیات [سوره الانشقاق (۸۴): الآیات ۱۶ الی ۲۵]

اشاره

فَلاٰ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَ اَللَّيْلِ وَ مٰا وَسَقَ (۱۷) وَ اَلْقَمَرِ إِذَا اِتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) فَمٰا لَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ إِذٰا قُرِئَ عَلَيْهِمُ اَلْقُرْآنُ لاٰ يَسْجُدُونَ (۲۱) بَلِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (۲۲) وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يُوعُونَ (۲۳) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ (۲۴) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۲۵)

التّفسیر

اشاره

سنّه التغیّر!

لمزید من إیضاح ما ورد فی الآیات السابقه بخصوص سیر الإنسان التکاملی نحو خالقه سبحانه و تعالی...تأتی الآیات لتقول: فَلاٰ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ .

وَ اللَّيْلِ وَ مٰا وَسَقَ

،أی:و ما جمع.

وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ

،أی:إذا اکتمل.

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ

.

«لا»فی«لا اقسم»:زائده،و جاءت للتأکید.

و ثمّه من اعتبرها(نافیه)،أی:لا اقسم،لأنّ الأمر من الوضوح ما لا یحتاج فیه إلی قسم،أو أنّ القسم بهذا الموضوع لا یلیق و أهمیته،أو أنّ ما اقسم به من الأهمیه بحیث یلیق أنّ لا یقسم به.

إلاّ أنّ الأوّل(کونها زائده جاءت للتأکید)أقرب من البقیه.

«الشفق»:اختلاط ضوء النهار بسواد اللیل عند غروب الشمس،و(الإشفاق):

عنایه مختلطه بخوف،لأنّ(المشفق)یحب المشفق علیه و یخاف ما یلحقه (۱) .

و یقول الفخر الرازی:ترکیب لفظ«الشفق»فی أصل اللغه لرقّه الشیء،و منه یقال:ثوب شفق،کأنّه لا تماسک له لرقته،و(الشفقه):رقه القلب.

(و الظاهر أنّ قول الراغب أقرب للصواب).

و علی أیّه حال،ف«الشفق»هو وقت الغروب،و قد اختلف فی تعیین وقته ما بین الحمره التی تظهر فی الأفق الغربی عند بدایه اللیل،و بین ما یظهر بعد الحمره من بیاض، و المشهور بین العلماء و المفسّرین هو التعیین الأوّل،و هو المستعمل علی لسان الأدباء أیضا حیث یشبهون دماء الشهداء بالشفق.

إلاّ أنّ البعض اختار التعیین الثّانی،علی ما یبدو علیه من ضعف،و خصوصا إذا ما اعتبرنا(الرّقه)هی الأصل اللغوی للکلمه،حیث أنّها ستتناسب مع الحمره الخفیفه الرقیقه دون الثّانی.

و علی أیه حال،فقد جاء القسم بالشفق للفت الأنظار إلی ما فی هذه الظاهره السماویه الجمیله من معان،فمنه تعلن حاله التحول العام من النهار إلی اللیل، إضافه لما یتمتع به من بهاء و جمال،و کونه وقت صلاه المغرب.

و أمّا القسم باللیل،فلما فیه من آثار کثیره و أسرار عظیمه(و قد تناولنا ذلک

۱- ۱) مفردات الراغب.

مفصلا) (۱) .

«ما وسق» (۲) :إشاره إلى عوده الإنسان و الحيوانات و الطيور إلى مساكنها عند حلول الليل(بلحاظ كون الوسق بمعنى جمع المتفرق) (۳) ،فيكون عندها سكنا عاما للكائنات الحيّه،و هو من أسرار و آثار الليل المهمّه،كما أشارت الآيه(۶۱) من سوره غافر إلى ذلك: اَللّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ .

إِذَا اتَّسَقَ

:من(الاتساق)،و هو الاجتماع و الإطراد،و تريد الآيه به، اكتمال نور القمر فى الليله الرابعه عشر من الشهر القمرى،حيث يكون بدرا.

و لا يخفى ما لروعه البدر فى تمامه،فنوره الهادىء الرقيق يكسو سطح الأرض،و هو من الرقّه و اللطافه بحيث لا يكسر ظلمه الليل و سكونه،و لكنّه ينير درب سالكيه!فهو آيه كبرى من آيات اللّه،و لذا جاء القسم به.

و ينبغى الالتفات إلى الصله الموجوده فيما أقسمت الآيات بهن:(الشفق، الليل،ما اجتمع فيه،و القمر فى حاله البدر)و جميعها موضوعات مترابطه و يكمل بعضها البعض الآخر،و تشكل بمجموعها لوحه فنيه طبيعيه رائعه،و تحرّك عند الإنسان التأمل و التفكير فى عظمه و دقّه و قدره الخالق فى خلقه،و يمكن للإنسان العاقل بتأمل هذه التحولات السريعه من التوجه إلى قدرته جلّ شأنه على المعاد ما يحمل بين طياته من تغيّرات فى عالم الوجود.

و الأمر المثير هو أنّ القرآن الكريم يشير هنا إلى امور متتابعه الوقوع،فعند ما تغيب الشمس يظهر الشفق معلنا عن بدايه حلول الليل،الذى تتجه الكائنات الحيه فيه إلى بيوتها،ثمّ يخرج القمر بدرا تامّا(علما بأنّ البدر فى ليله تمامه يخرج مع

۱- ۱) راجع تفسير الآيات(۷۱-۷۳)من سوره القصص.

۲- ۲) «ما»:موصوله،و احتمال كونها(مصدريه)ضعيف،ضميرها محذوف،و التقدير:(و ما وسقه).

۳- ۳) و جاء«الوسق»،أيضا بمعنى حمل بعير،أو ستين صاعا(و كل صاع يقرب من ثلاثه كيلوات)،و هو مأخوذ من الاجتماع أيضا.

بدایه اللیل!).

ثمّ یأتی جواب القسم الوارد فی الآیات أعلاه: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ، إشاره إلی المراحل و التحولات التی یمرّ بها الإنسان فی حیاته.

و قد ذکرت تفاسیر مختلفه لهذه الآیه المبارکه،منها:

۱-یقصد بها تلک الحالات المختلفه التی یمرّ بها الإنسان فی کدحه و سیره المضنی نحو اللّه جلّ و علا،فیبدأ بحاله الدنیا،ثمّ ینتقل إلی عالم البرزخ و منه إلی القیامه و الآخره(مع ملاحظه أنّ«طبق»من(المطابقه)،و هی جعل الشیء فوق شیء آخر بقدره،و جاءت أیضا بمعنی،المنازل التی یطویها الإنسان فی عملیه صعوده).

۲-یقصد بها تلک الحالات التی یمرّ بها الإنسان منذ کونه نطفه حتی یموت، (و قد عدّها البعض(۳۷)حاله).

۳-یقصد بها تلک الحالات التی یعیشها الإنسان فی حیاته من:سلامه و مرض،سرور و غم،الیسر و العسر،السلم و الحرب...إلخ.

۴-یقصد بها تلک الحالات الصعبه التی ستواجه الإنسان یوم القیامه حتی یفرغ من حسابه،و یتجه إلی مصیره(الجنّه أو النّار).

۵-یقصد بها تلک الحالات التی مرّت بها الأقوام السالفه بحلاوتها و مرّها، و کذلک الإشاره إلی ألوان التکذیب و الإنکار الذی یقع فی هذه الأمّه،و هذا المعنی قد ورد فی حدیث ما روی عن الإمام الصادق علیه السّلام.

و لا یمنع من اعتبار کلّ ما جاء فی التفاسیر أعلاه مصادیق لمعنی الآیه.

و قیل:إنّ شخص النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هو المخاطب فی الآیه،و الآیه تشیر إلی طبقات السماء التی طواهنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی معراجه.

و لکن،بلحاظ وجود الضم علی«الباء»فی«لترکبنّ»،یتّضح لنا أنّ المخاطب جمع و لیس فرد هذا من جهه،و لو رجعنا إلی الآیات السابقه لرأینا النداء موجه

إلی النّاس کافه من جهه اخری،و علیه،فهذا التّفسیر بعید عن مرام الآیه.

و علی آیه حال،فعدم استقرار الإنسان علی حال ثابته یدلل علی فقر الإنسان و احتیاجه،لأنّ کلّ متغیّر حادث، و کلّ حادث له محدث،کما و إنّ عدم استقرار هذا العالم علامه علی حرکه الإنسان المستمره نحو اللّه و المعاد،و کما قالت الآیه: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ .

و من کلّ ما سبق...یخرج القرآن الکریم بنتیجه: فَما لَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ .

فمع وضوح أدله الحق،مثل أدله:التوحید،معرفه اللّه،المعاد،بالإضافه إلی ما من الآفاق فی آیات مثل:خلق...اللیل و النهار،الشمس و القمر،النور و الظلمه، شروق الشمس و غروبها،الشفق،ظلمه اللیل،اکتمال القمر بدرا،و کذلک الآیات التی فی نفس الإنسان منذ أن یکون نطفه فی رحم امّه،و ما یطویه من مراحل حتی یکتمل جنینا،مرورا بما یمرّ به من حالات فی حیاته الدنیا،حتی یدرکه الموت...

فمع وجود کل هذه الأدله و الآیات لم لا یؤمنون؟!..

و ینتقل بنا العرض القرآنی من کتاب(التکوین)إلی کتاب(التدوین)،فیقول:

وَ إِذا قُرِئَ عَلَیْهِمُ الْقُرْآنُ لا یَسْجُدُونَ

.

القرآن کالشمس یحمل دلیل صدقه بنفسه،و تتلألأ أنوار الإعجاز من بین جنباته،و یشهد محتواه علی أنّه من الوحی الإلهی و کل منصف یدرک جیدا لدی قراءته له أنّه فوق نتاجات عقول البشر و لا یمکن أن یصدر من انسان مهما کان عالما،فکیف بإنسان لم یتلق تعلیما قط و قد نشأ فی بیئه جاهلیه موبوءه بالخرافات!...

و یراد ب«السجود»هنا:الخضوع و التسلیم و الطاعه (۱) ،أمّا السجود المتبادر

۱- ۱) و من الشواهد علی هذا المعنی،بالإضافه إلی شهاده الآیات السابقه و اللاحقه،إنّ السجود بمعنی وضع الجبین علی الأرض عند تلاوه القرآن إنّما یجب فی مواضع محدوده جدّا و یستحب فی مواضع اخری،و فی مواضع اخری لا هو بالواجب و لا

إلى الذهن بوضع الجبين على الأرض،فهو أحد مصاديق مفهوم السجود،و لعل هذا هو ما ورد فى الرّوايات من سجود النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند قراءته لهذه الآيه.

و السجود فى هذه الآيه مستحب عند فتاوى فقهاء أهل البيت عليهم السّلام،فيما يوجب ذلك فقهاء المذاهب الأربع،إلّا(مالك)،فإنّه يقول بالسجود عند الانتهاء من تلاوه السّوره (۱) .

و تأتى الآيه التاليه لتقول: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ .

و التعبير عن ممارسه تكذيب الكافرين فى الآيه بصيغه المضارع المستمر، للإشاره إلى تكذيبهم المتعنت المستمر و إصرارهم و لجاجتهم و ليس تكذيبهم بسبب ضعف أدله الحق،بل من أجل روح التعصب الأعمى للأسلاف و الدنيا و المصالح الماديه و الحاكمه على قلوبهم المريضه، و أهوائهم الشيطانيه.

و ببيان جدّى و تهديد جدّى،تقول الآيه التاليه: وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يُوعُونَ .

فاللّه تعالى أعلم بدافع و نيّه و هدف ذلك التكذيب،و مهما تستروا على ما فعلوا فلا يجزون إلّا بما كسبت أيديهم.

«يوعون»:من(الوعاء)و هو الظرف،كما هو مستقى من

قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى نهج البلاغه: «إنّ هذه القلوب أوعيه فخيرها أوعاها».

ثمّ... فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ .

عاده ما تستعمل«البشاره»للأخبار الساره،و جاءت هنا لتنم عن نوع من الطعن و التوبيخ.

و الحال،إنّ البشاره الحقّه للمؤمنين خالصه بما ينتظرهم من نعيم،و ما للكاذبين إلّا الغرق فى بحر من الحسره و الندم،و ما هم إلّا فى عذاب جهنم

(۱)

بالمستحب-و حينما تقول الآيه: وَ إِذٰا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاٰ يَسْجُدُونَ فقد أطلقت القول،و الإطلاق و الحال هذه يراد به التسليم للقرآن.

ص: ۶۹

۱- ۱) روح البيان،ج ۱،ص ۱۳۸۲.

یخلدون.

و یستثنی المؤمنون من تلک البشری المخزیه: إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ .

«ممنون»:من(المنّ)،و هو القطع و النقصان،(و منه«المنون»بمعنی الموت).

و إذا ما جمعنا کلّ هذه المعانی،فستکون النعم الاخرویه علی عکس الدنیویه الناقصه و المنقطعه و المقترنه بمنّه هذا و ذاک،حیث أنّها لا تنقطع و لا تنقص و لیس فیها منّه.

أمّا الاستثناء الذی ورد فی الآیه السابقه،ففیه بحث:هل أنّه«متصل»أو «منقطع».

قال بعض المفسّرین:إنّه منقطع،أی:إنّ القرآن الکریم انتقل بالآیه من الحدیث حول الکفار الذی عرض فی الآیات السابقه،إلی الحدیث عن المؤمنین و ما ینتظرهم من أجر و ثواب.

و الأقرب لسیاق الآیات أن یکون الاستثناء متصلا،و فی هذه الحال یکون هدفه فتح الطریق أمام الکفار للعوده و تشجیعهم علی ذلک،لأنّ الآیه تقول:إنّ العذاب الألیم المذکور فی الآیه السابقه سوف لا یصیب من یؤمن منهم و یعمل صالحا و علاوه علی ذلک،سیکون له أجر غیر ممنون.

بحث

و قد استنبط العلاّمه الطبرسی،فی کتابه مجمع البیان،من الآیات الأخیره للسوره ما یلی:

أوّلا:حریه إراده الإنسان و اختیاره.

فقال:قوله سبحانه: فَما لَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ و لا یَسْجُدُونَ دلاله علی أنّ

السجود فعلهم،لأنّ الحكيم لا يقول:مالك لا تؤمن و لا تسجد،لمن يعلم أنّه لا يقدر على الإيمان و السجود.

ثانيا:إنّ الذمّ على ترك السجود دليل على أنّ الكفار كما أنّهم مكلفون بأصول الدين كذلك بفروعه أيضا.(هذا القول مبنيّ على اعتبار كلمه السجود الوارده فى الآيه يراد منها(سجود الصلاه)،أو حتى إذا اعتبرنا الكلمه بمفهومها العام،فهى تتضمّن سجود الصلاه كذلك).

اللّهمّ!يسّر علينا الحساب يوم حشر الخلق فى ساحه عدلك...

اللّهمّ!الكلّ إليك راجعون،فاهدنا الصراط المستقيم فيمن هديت..

ربّنا!نحن مسلّمون و مطأطئون برؤوسنا إجلالا لقرآنك فوفقنا للعمل بتعليماته و ارشاداته..و ارزقنا العمل بكتابك الكريم.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الإنشقاق

سوره البروج

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها اثنتان و عشرون آیه

ص :۷۳

محتوى السّوره:

كـان المؤمنون فى بـدايه الـدعوه المحمّـديه-خصوصـا فى مكّه-يعـانون من شـدّه التضـييق و أقسـى ألوان التعـذيب الجسـدى و النفسـى،الـذى انهال به عـدوّهم من الكفّار على أن يتركوا إيمانهم بترك عقيـده الحق و الارتـداد عن الدين القويم! و بملاحظه كـون السّـوره مكيّه،فيظهر إنّهـا نزلت لتقويه معنويـات المؤمنين لمواجهه تلـك الظروف الصـعبه،و لـترغيبهم على الصـمود أمـام الصعاب و الثبات على الإيمان و ترسيخه فى القلوب.

و تناولت السّوره قصّه«أصـحاب الأخدود»،الذين حفروا خندقا و سـجّروه بالنيران،و هددوا المؤمنين بإلقائهم فى تلك النّار إن لم يعودوا إلى كفرهم! و أحرقوا مجموعه منهم بالنّار و هم أحياء،و مع ذلك لم يرجعوا عن دينهم..

و تعـد السّـوره فى بعض آياتهـا بعـذاب جهنم الأـليم لأولئـك الـذين يـؤذون المؤمنين و يعـذبونهم على إيمـانهم،و تـذمهم ذما شديدا،فى حين تبشر المؤمنين الصابرين بالجنّه و الفوز بنعيمها.

و فى جـانب آخر من السّـوره،تعرض لنـا مقتطفـات من قصّـتى فرعـون و ثمود و قوميهمـا الجنـاه الطغـاه،و مـا آلوا إليه من ذلّ و هلاـك،كـلّ ذلك تـذكيرا لكفّار مكّه الـذين هم أضـعف قوّه و أقل جنـدا من أولئك،فعسـى أن يرعووا عمّا هم فيه من جهه،و تسليه لقلب الحبيب المصطفى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من كان معه من المؤمنين من جهه

اخری.

و تختم السّوره فی آخر مقاطعها بالإشاره إلی عظمه القرآن الکریم،و إلی الأهمیه البالغه لهذا الوحی الإلهی.

و عموما،فالسّوره من سور المقاومه و الثبات و الصبر أمام ضغوط الظالمین و المستکبرین،و آیاتها تتضمّن الوعد الإلهی بنصر المؤمنین.

و سمّیت بسوره«البروج»بلحاظ ذکر الکلمه فی أول آیه من السّوره بعد ذکر البسمله.

فضیله السّوره:

روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأ هذه السّوره أعطاه اللّه من الأجر بعدد کلّ من اجتمع فی جمعه و کلّ من اجتمع یوم عرفه عشر حسنات،و قراءتها تنجی من المخاوف و الشدائد». (۱)

و بملاحظه أنّ أحد تفاسیر وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ -من آیات السّوره-هو یومی الجمعه و عرفه من جهه،و أنّ السّوره حکایه مقاومه و بساله المؤمنین السابقین أمام الشدائد و الضغوط من جهه اخری،و بملاحظه ذلک سیتّضح لنا التناسب الموجود ما بین هذا الثواب الجزیل لمن یقرءها و بین محتوی السّوره، و أنّ الأجر و الثواب إنّما یحصل لمن قرأها بتأمل معانیها،و عمل علی ضوء هدیها.

***

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۴۵.

الآيات [سوره البروج (۸۵): الآيات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ اَلْبُرُوجِ (۱) وَ اَلْيَوْمِ اَلْمَوْعُودِ (۲) وَ شٰاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (۳) قُتِلَ أَصْحٰابُ اَلْأُخْدُودِ (۴) اَلنّٰارِ ذٰاتِ اَلْوَقُودِ (۵) إِذْ هُمْ عَلَيْهٰا قُعُودٌ (۶) وَ هُمْ عَلىٰ مٰا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (۷) وَ مٰا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّٰ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ (۸) اَلَّذِي لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۹)

التّفسير

اشاره

الإيمان الراسخ أقوى من حفر النيران!

كما نعلم جميعا،بأنّ المسلمين فی صدر الإسلام الأوّل،كانوا يعيشون فی مكّه تحت ظروف قاسيه،بعد أن كشّر أعدائهم بقباحه تلك الأنياب القذره، فانهالوا على المؤمنين بأصناف العذاب و ألوانه..

و لمّا كان الهدف من نزول السّوره،و بما عرضته من صور الأولين هو إنذار

ص: ۷۷

هؤلاء الظالمين المغرورين بأنّ مصيرهم سيكون مثل مصير الأقوام السالفه من جهه،و من جهه اخرى لتثبيت المؤمنين،و تقويه عزائمهم فى صراعهم أمام أذى و اضطهاد أهل مكّه.

ابتدأت السّوره ب: وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْبُرُوجِ .

«البروج»:جمع(برج)و هو القصر،و قيل:هو الشيء الظاهر،و تسميه القصور و الأبنيه العاليه بالبروج لظهورها و وضوحها،و قيل للمحلات الخاصه من السور المحيط بالبلد و التى يجتمع فيها الحراس و الجنود(البروج)لظهورها الخاص، و يقال للمرأه التى تظهر زينتها(تبرجت).

و الأبراج السماويه:إمّا أن يكون المراد منها النجوم الزاهره و الكواكب المنيره فى السماء،أو المجموعات من النجوم تتخذ مع بعضها شكل شيء معروف فى الأرض،و تسمى ب«الصور الفلكيه»،و هى إثنا عشر برجا،و فى كلّ شهر تحاذى الشمس أحد هذه البروج،(طبيعى أن الشمس لا تتحرك تلك الحركه، و إنّما الأرض،تدور حول الشمس فيبدو لنا تغيّر موضع الشمس بالنسبه إلى الصور الفلكيه أو الأبراج). (۱)

و القسم بهذه البروج يشير إلى عظمه أمرها،التى لم تكن معلومه للعرب الجاهليين وقت نزول الآيه بينما أصبحت معلومه تماما فى هذا الزمان و الأقوى أنّ المراد منها هو النجوم المتلألئه ليلا فى القبه السماويه.

و لذا نقرأ فيما

روى عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أنّه حينما سئل عن تفسير الآيه قال:«الكواكب» (۲) .

و تقول الآيه الثّانيه: وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ

۱- ۱) -و الأبراج الاثنا عشر هى:الحمل،الثور،الجوزاء،السرطان،الأسد،السنبله،الميزان،العقرب،القوس،الجدى،الدلو و الحوت.

۲- ۲) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۳۱.

اليوم الذى وعد به جميع الأنبياء و المرسلين عليهم السّلام،و الذى تحدثت عنه مئات الآيات القرآنيه المباركه،اليوم الذى يلتقى فيه جميع الخلق من الأولين و الآخرين للحساب،إنّه يوم القيامه الحق.

و فى القسم الثّالث و الرّابع يقول: وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ .

و قد تعرض المفسّرون للآيه بمعان متباينه،وصلت إلى ثلاثين معنى،و أدناه أهم ما ذكر منها:

۱-«الشاهد»:هو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،بدلاله الآيه(۴۵)من سوره الأحزاب: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً .

و«المشهود»:هو يوم القيامه،بدلاله الآيه(۱۰۳)من سوره هود: ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ .

۲-«الشاهد»:هو ما سيشهد على أعمال النّاس،كأعضاء بدنه،بدلاله الآيه (۲۴) من سوره النور: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ .و«المشهود»:هم النّاس و أعمالهم.

۳-«الشاهد»:هو يوم«الجمعه»،الذى يشهد اجتماع فى صلاه مهمّه، و«المشهود»:هو يوم«عرفه»،الذى يشهده زوّار بيت اللّه الحرام،و هو ما روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإمام الباقر عليه السّلام و الإمام الصادق عليه السّلام (۱) .

۴-«الشاهد»:عيد الأضحى.

و«المشهود»:يوم عرفه.

و

روى أنّ رجلاً دخل مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فإذا رجل يحدث عن رسول اللّه،قال:فسألته عن الشاهد و المشهود،فقال:(نعم،الشاهد يوم الجمعه، و المشهود يوم عرفه)،فجزته إلى آخر يحدث عن رسول اللّه،فسألته عن ذلك

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۶۶.

فقال:(أمّا الشاهد فيوم الجمعه،و أمّا المشهود فيوم النحر)،فجزتهما إلى غلام كأنه وجه الدينار،و هو يحدّث عن رسول اللّه،فقلت أخبرني عن«و شاهد و مشهود» فقال:«نعم،أمّا الشاهد فمحمّد،و أمّا المشهود فيوم القيامه،أما سمعت اللّه سبحانه يقول: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً ،و قال ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ..فسألت عن الأول،فقالوا:ابن عباس،و سألت عن الثّاني، فقالوا:ابن عمر،و سألت عن الثّالث:فقالوا:الحسن بن على عليهما السّلام (۱) ۵-«الشاهد»:الليالى و الأيّام..و«المشهود»:بنو آدم،حيث تشهد على اعمالهم،بدلاله ما جاء فى دعاء الإمام زين العابدين عليه السّلام الذى يقرأ كلّ صباح و مساء:

«هذا يوم حادث جديد،و هو علينا شاهد عتيد،إن أحسنّا و دعنا بحمد،و إن أسأنا فارقنا بذنب». (۲)

۶-«الشاهد»:الملائكه..و«المشهود»:القرآن.

۷-«الشاهد»:الحجر الأسود..و«المشهود»:الحجاج الذين يأتون و يلمسونه:

۸-«الشاهد»:الخلق..و«المشهود»:الحق.

۹-«الشاهد»:الامّه الإسلاميه..و«المشهود»:الأمم الاخرى،بدلاله الآيه (۱۴۳)من سوره البقره: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ .

۱۰-«الشاهد»:النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم..و«المشهود»:سائر الأنبياء عليهم السّلام،بدلاله الآيه (۴۱)من سوره النساء: وَ جِئْنَا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِيداً .

۱۱-«الشاهد»:النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم..و«المشهود»:أمير المؤمنين عليه السّلام.

و إذا ما أدخلنا الآيه فى سياق الآيات السابقه لها،فسنصل إلى أنّ«الشاهد» هو كلّ من سيقوم بالشهاده يوم القيامه،كشهاده:النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كلّ نبىّ على امّته،

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۴۳،و ذكر مضمونه كل من(أبو الفتوح الرازى)و(الطبرسى)فى تفسيرهما.

۲- ۲) -الصحيفه السجاديه:الدعاء السادس.

الملائكه،بالإضافه إلى شهاده:أعضاء بدن الإنسان،الليل و النهار..إلخ..

و«المشهود»:النّاس أو أعمالهم.

و بهذا،يدغم الكثير من التّفاسير المذكوره مع بعضها لتشكل مفهوما واسعا للآيه المباركه.

و يخرج عن هذا الإدغام تلك التّفاسير التى تشير إلى:يوم الجمعه،يوم عرفه و يوم الأضحى.

و إن كانت الأيّام المذكوره ستشهد على أعمال الإنسان يوم الحشر،بل و كلّ يوم يجتمع فيه المسلمون يكاد يكون صوره مصغره للحشر على رقعه الحياه الدنيا.

و مع كلّ ما ذكر تتّضح صله التآلف ما بين التّفاسير المذكوره أعلاه،حيث من الممكن جمعها تحت مظله شمول مفهوم الآيه،و هذا بحد ذاته يعكس لنا عظمه القرآن الكريم باحتوائه على هكذا مفاهيم و اصطلاحات..ف«الشاهد»ينطبق على كلّ من و ما يشهد،و كذا«المشهود»ينطبق على كلّ من و ما يشهد عليه،و ما ورودهما بصيغه النكره إلاّ لتعظيمهما،و هو ما ينعكس على كلّ التّفاسير.

و ثمّه علاقه خاصه بين الأقسام الأربع و بين ما اقسم به..فالسماء و ما فيها من بروج تحكى عن نظام و حساب دقيق،و«اليوم الموعود»يوم حساب و كتاب دقيق أيضا،و«شاهد و مشهود»أيضا وسيله للحساب الدقيق على أعمال الإنسان، و كلّ ذلك لتذكير الظالمين الذين يعذّبون المؤمنين،عسى أن يكّفوا عن فعلتهم السيئه،و لإعلامهم بأن كلّ ما يفعله الإنسان يسجل عليه و بحساب دقيق جدّا و سيواجه بها فى اليوم الموعود بين عتبات ساحه العدل الإلهى، فسيشهد على أعمال النّاس الملائكه الموكلون لهذا الأمر و أعضاء بدن ذات الإنسان و كذا الليل و النهار و..و..و..،و ستكون الشهاده فى يوم لا ينفع فيه مال و لا بنين إلاّ من أتّى

اللّه بقلب سليم! (۱) .

و بعد هذه الأقسام الأربع،تقول الآيه التاليه: قُتِلَ أَصْحٰابُ الْأُخْدُودِ .

و المقصود هم الظالمين لا من القى فى النّار،فالجمله انشائيه و المراد هو اللعن و الدعاء عليهم.

و الأخدود مليء بالنّار الملتهبه: اَلنّٰارِ ذٰاتِ الْوَقُودِ .

و كان الظالمون جالسون على حافه الأخدود يشاهدون المعذبين فيها: إِذْ هُمْ عَلَيْهٰا قُعُودٌ .

وَ هُمْ عَلىٰ مٰا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ

.

«الأخدود»:-على قول الراغب فى مفرداته-:شقّ فى الأرض مستطيل غائص،و الجمع أخاديد،و أصل ذلك من«خدّ»الإنسان،و هو تقعر بسيط يكتنف الأنف من اليمين و الشمال(و عند البكاء تسيل الدموع من خلاله)ثمّ اطلق مجازا على الخنادق و الحفر فى الأرض،ثمّ صار معنى حقيقيا لها.

أمّا من هم الذين عذّبوا المؤمنين؟و متى؟فللمفسّرين و أرباب التواريخ آراء مختلفه،سنستعرضها إنشاء اللّه فى بحوث قادمه.

و لكنّ القدر المسلم به،إنّهم حفروا خندقا عظيما و وجّروه بالنيران،و أوقفوا المؤمنين على حافه الخندق و طلبوا منهم واحدا واحدا بترك إيمانهم و الرجوع إلى الكفر،و من رفض القى بين ألسنه النيران حيا ليذهب إلى ربّه صابرا محتسبا! «الوقود»:ما يجعل للاشتعال،و«ذات الوقود»:إشاره الى كثره ما فيها من الوقود،و شدّه اشتعالها،فالنّار لا تخلو من وقود،و لعل ما قيل من أن«ذات الوقود»بمعنى ذات اللهب الشديد،يعود للسبب المذكور،و ليس كما ذهب به البعض من كون«الوقود»يطلق على معنيين:«الحطب»و على«شعله النّار»أيضا

ص:۸۲

۱- ۱) -و عليه،فجواب القسم محذوف و يدل عليه قوله تعالى: قُتِلَ أَصْحٰابُ الْأُخْدُودِ أو: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ .و التقدير:(اقسم بهذه الأمور إنّ الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات معذبون ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود).

و تأسفوا لعدم التفات المفسّرين لهذه النكته! و الآيتان: إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ، وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ،تشيران إلى ذلك الجمع من النّاس الذين حضروا الواقعه،و هم ينظرون إلى ما يحدث بكل تلذذ و برود و فى منتهى قساوه القلب(ساديه)! و قيل:الإشاره إلى المأمورين بتنفيذ التهديد،و إجبار المؤمنين على ترك إيمانهم.

و قيل أيضا:إنّهم كانوا فريقين،فريق يباشر التعذيب،و آخر حضر للمشاهده، و قد أشرك الجميع فى هذا العمل لرضايتهم به.

و هذه صوره طبيعيه الوقوع،حيث هناك من يأمر(الرؤساء)،و من ينفذ (المرؤسون)،و ثمّه المشاهدون من غير الآمر و المأمور.

و قيل أيضا:ثمّه فريق منهم كان مكلفا بمراقبه عمليه التنفيذ لرفع تقاريرهم إلى السلطان عن كيفيه أداء المأمورين لواجباتهم السلطانيه.

و لا يبعد وجود كلّ ما ذكر من أصناف فى ذلك المشهد المروع،كما و بالإمكان الجمع بين كلّ الآراء المطروحه.

و مجىء فعل جمله«يفعلون»بصيغه المضارع،للإشاره إلى أنّ ذلك العمل قد استغرق وقتا طويلا،و ما كان بالحدث السريع العابر.

و تقول الآيه التاليه: وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

نعم،فجرمهم الوحيد إنّهم آمنوا باللّه الواحد الأحد دون تلك الأصنام الفاقده للعقل و الإحساس.

«نقموا»:من(النقم)-على زنه قلم-و هو الإنكار باللسان أو بالعقوبه،و منه (الانتقام).

هكذا عقوبه لا تجرى إلاّ على ذنب عظيم،و أين الإيمان باللّه العزيز الحميد من الذنب؟!إنّه الانحطاط الكبير الذى وصل إليه أولئك القوم،قد صوّر لهم أعزّ

و أفضل ما ينبغی للإنسان أن يفتخر به(الإيمان باللّه)علی أنّه جرم كبير و ذنب لا يغتفر!...

و ينقل لنا القرآن فی الآيه(۵۹)من سوره المائده شبيه هذه الحادثه،حينما قال السحره الذين آمنوا بموسی عليه السّلام لفرعون عند ما توعدهم بالعقاب المؤلم،فقالوا له: وَ مٰا تَنْقِمُ مِنّٰا إِلاّٰ أَنْ آمَنّٰا بِآيٰاتِ رَبِّنٰا .

و ذكر«العزيز الحميد»جواب لما اقترفوا من جريمه بشعه،و احتجاج علی أولئک الكفره،إذ كيف يكون الإيمان باللّه جرم و ذنب؟!و هو أيضا،تهديد لهم،بأن يأخذهم اللّه العزيز الحميد جراء ما فعلوا،أخذ عزيز مقتدر.

و تأتی الآيه الاخری لتبيّن صفتين أخريين للعزيز الحميد: اَلَّذِی لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّٰهُ عَلیٰ كُلِّ شَیْءٍ شَهِيدٌ .

فالصفات الأربعه المذكوره،تمثل رمز معبوديته جلّ و علا،فالعزيز و الحميد..

ذو الكمال المطلق،و مالک السماوات و الأرض و الشهيد علی كلّ شیء..أحقّ أن يعبد وحده دون غيره،لا شريک له.

إضافه إلی كونها بشاره للمؤمنين،بحضور اللّه سبحانه و تعالی و رؤيته لصبرهم و ثباتهم علی الإيمان،فيدفع فيهم الحيويه و النشاط و القوّه.

و من جهه اخری تهديد للكفار،و إفهامهم بأن عدم منع ارتكاب مثل هذه الجرائم الخبيثه،ليس لعجز أو ضعف منه جلّ شأنه،و إنّما ترک العباد يفعلون ما يرونه هم،امتحانا لهم،و سيريهم فی عاقبه أمرهم جزاء ما فعلوا،و ما للظالمين إلاّ العذاب المهين.

ص :۸۴

بحثان

اشاره

١-من هم أصحاب الأخدود؟

قلنا إنّ«الأخدود»هو الشق العظيم فی الأرض،أو الخندق..و هو فی الآیه إشاره إلی تلك الخنادق التی ملأها الکفار نارا لیردعوا فیها المؤمنین بالتنازل عن إیمانهم و الرجوع إلی ما کانوا علیه من کفر و ضلال.

و لکن..متی حدث ذلك؟فی أیّ قوم؟و هل حدث مرّه واحده أم لمرّات؟فی منطقه أم مناطق؟ جری بین المفسّرین و المؤرخین مخاض طویل بخصوص الإجابه عن هذه الأسئله.

و المشهور:إنّ الآیه قد اشارت إلی قصه(ذو نواس)،و هو آخر ملوك «حمیر» (١) فی أرض«الیمن».

و کان«ذو نواس»قد تهوّد،و اجتمعت معه حمیر علی الیهودیه،و سمّی نفسه (یوسف)،و أقام علی ذلك حینا من الدهر،ثمّ أخبر أنّ«بنجران»(شمال الیمن) بقایا قوم علی دین النصرانیه،و کانوا علی دین عیسی علیه السّلام و حکم الإنجیل،فحمله أهل دینه علی أن یسیر إلیهم و یحملهم علی الیهودیه،و یدخلهم فیها، فسار حتی قدم نجران،فجمع من کان بها علی دین النصرانیه،ثمّ عرض علیهم دین الیهودیه و الدخول فیها،فأبوا علیه،فجادلهم و حرص الحرص کلّه،فأبوا علیه و امتنعوا من الیهودیه و الدخول فیها،و اختاروا القتل،فاتخذ لهم أخدودا و جمع فیه الحطب، و أشعل فیه النّار،فمنهم من احرق بالنّار،و منهم من قتل بالسیف،و مثّل بهم کلّ مثله،فبلغ عدد من قتل و احرق بالنّار عشرین ألفا. (٢)

و أضاف بعض آخر:إنّ رجلا من بنی نصاری نجران تمکّن من الهرب،

١- ١) -حمیر:إحدی قبائل الیمن المعروفه.

٢- ٢) -تفسیر علی بن ابراهیم القمی،ج ٢،ص ۴١۴.

فالتحق بالروم و شكا ما فعل(ذو نواس)إلى قيصر.

فقال قيصر:إن أرضكم بعيده،و لكنّى سأكتب كتابا إلى ملك الحبشه النصرانى و أطلب منه مساعدتكم.

ثمّ كتب رسالته إلى ملك الحبشه،و طلب منه الانتقام لدماء المسيحيين التى أريقت فى نجران،فلمّا قرأ الرساله تأثّر جدّا،و عقد العزم على الانتقام لدماء شهداء نجران.

فأرسل كتائبه إلى اليمن و التقت بجيش(ذو نواس)،فهزمته بعد معركه طاحنه،و أصبحت اليمن ولايه من ولايات الحبشه. (1)

و ذكر بعض المفسّرين:إنّ طول ذلك الخندق كان أربعين ذراعا،و عرضه اثنى عشر ذراع،(و كلّ ذراع يقرب من نصف متر،و أحيانا يقصد به ما يقرب من متر كامل).

و قيل:إنّها كانت سبعه أخاديد، و كلّ منها بالحجم الذى ذكرناه. (2)

و ذكرت القصّه فى كتب تاريخيه و تفسيريه كثيره،بتفاصيل متفاوته،منها:ما ذكره المفسّر الكبير الطبرسى فى(مجمع البيان)،و أبو الفتوح الرازى فى تفسيره، و الفخر الرازى فى(تفسيره الكبير)،و الآلوسى فى(روح البيان)،و القرطبى فى تفسيره،و كذلك ابن هشام فى الجزء الأوّل من كتاب(السيره)ص ۳۵..و غيرهم كذلك.

و قد تبيّن ممّا ذكرناه بأن العذاب الإلهى قد أصاب أولئك الذين قاموا بتعذيب المؤمنين،و انتقم منهم فى دنياهم جراء ما هدروا من دماء زكيه بريئه،و أنّ عذاب نار الآخره لفى انتظارهم.

و أوّل من أوجد المحارق البشريه فى التاريخ هم اليهود،و سرت هذه

۱- ۱) -قصص القرآن،للبلاغى،ص ۲۸۸.

۲- ۲) -تفسير روح المعانى،و تفسير أبى الفتوح الرازى،عند تفسير الآيات المذكوره.

الممارسه الخبيثه على أيدى الطواغيت المجرمين،حتى شملت اليهود أنفسهم،كما حدث فى ألمانيا النّازيه حينما احرق جمع كبير من اليهود فى محارق هتلر كما هو المشهور،فذاقوا«عذاب الحريق»فى دنياهم قبل آخرتهم.

كما أصاب الخزى و العذاب(ذو نواس اليهودى)و هو مؤسس هذا الأسلوب القذر من الجريمه.

ذكرنا ما اشتهر بين أرباب التاريخ و التّفسير من قصّه أصحاب الأخدود، و ثمّه روايات تذكر بأنّ هذه الجريمه البشعه ما اقتصرت على أهل اليمن فقط و لم تقف عند عصر(ذو نواس)،حتى قيل عشره أقوال فى ذلک.

و

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «إنّهم كانوا مجوس،أهل كتاب،و كانوا متمسكين بكتابهم،فتناول ملكهم الخمره فوقع على أخته،و بعد أن أفاق ندم، فأعلن حليه زواج الاخت،فلم يقبل النّاس،فهددهم فلم يقبلوا،فخدّ لهم الأخدود، و أوقد فيه النيران،و عرض أهل مملكته على ذلک،فمن أبى قذفه فى النّار،و من أجاب خلّى سبيله» (۱) .

هذا فى أصحاب فارس..أمّا أصحاب أخدود الشام،فهم قوم مؤمنون أحرقهم(أنطياخوس) (۲) .

و قيل أيضا:إنّ هذه الواقعه تعود لأصحاب نبىّ اللّه دانيال من بنى إسرائيل، و قد أشير إلى ذلک فى كتاب دانيال من التوراه.

و اعتبر الثعلبى:إنّهم هم الذين احرقوا فى أخدود فارس (۳) و لا يبعد انطباق قصه«أصحاب الأخدود»على كلّ ما ذكر،و إنّ كان المشهور منها قصّه(ذو نواس)فى أرض اليمن.

۱- ۱) -مجمع البيان،و عنه الميزان فى تفسير الآيه.

۲- ۲) -تفسير الثعلبى،ص ۲۷۵.

۳- ۳) -المصدر السابق.

٢-الإيمان الثابت

فی قصـص الأولین و ما یجری عند الآخرین،ثمّه وقائع رائعه فی الثبات علی الإیمان فقد تحمل البعض الحرق فی النّار و أشدّ من ذلک علی أن یترک طریق الحقّ أو العدول عن دینه.

و ها هی«آسیه»زوجه فرعون شاخصه بما تحملت من عذاب بسبب تصدیقها بنبیّ اللّه موسی علیه السّلام و إیمانها برسالته،حتی انتهی بها المطاف للارتواء من کأس الشهاده.

و

فی حدیث عن الإمام علی علیه السّلام أنّه قال: «إنّ اللّه بعث رجلا حبشیا نبیّا،و هم حبشیه،فکذّبوه فقاتلهم،فقتلوا أصحابه،فأسروه و أسروا أصحابه،ثمّ بنوا له حیرا،ثمّ ملأوه نارا،ثمّ جمعوا النّاس فقالوا:من کان علی دیننا و أمرنا فلیعتزل، و من کان علی دین هؤلاء فلیرم نفسه فی النّار،فجعل أصحابه یتهافتون فی النّار، فجاءت امرأه معها صبی لها ابن شهر،فلمّا هجمت هابت و رقت علی ابنها،فنادی الصبی:لا تهابی،و ارمینی و نفسک فی النّار،فإنّ هذا و اللّه فی اللّه قلیل فرمت بنفسها فی النّار و صبیها،و کان ممن تکلم فی المهد» (١) .

و یفهم من هذه الرّوایه،إنّ فی الحبشه قسم رابع قد انطبقت علیهم قصّه «أصحاب الأخدود».

و من تاریخنا..هناک قصّه عمار بن یاسر و أبویه و أمثالهم،و أهم من کلّ ذلک ما جری للحسین علیه السّلام و أصحابه فی میدان التضحیه و الفداء(کربلاء)،و کیف أنّهم قد تسابقوا علی شرف نیل و سام الشهاده،کما هو معروف فی التاریخ.

و ها هو عصرنا یرینا الکثیر من صور التضحیه و الفداء فی سبیل إعلاء کلمه

١- ١) -تفسیر المیزان،ج ٢٠،ص ٣٧٧،عن تفسیر العیاشی.

الحقّ و حفظ الدين القويم.

و ينبغى القول هنا:إنّ بقاء الدين الإلهى(على مرّ العصور)مرتهن على ما تقدّم فى سبيله من تضحيات مقدسه.

ص :۸۹

الآيات [سوره البروج (۸۵): الآيات ۱۰ الى ۱۶]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ فَتَنُوا اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ اَلْحَرِيقِ (۱۰) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهَارُ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْكَبِيرُ (۱۱) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (۱۲) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ (۱۳) وَ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلْوَدُودُ (۱۴) ذُو اَلْعَرْشِ اَلْمَجِيدُ (۱۵) فَعّالٌ لِمَا يُرِيدُ (۱۶)

التّفسير

اشاره

العذاب الالهى للمجرمين:

بعد ذكر عظم جريمه أصحاب الأخدود التى ارتكبت ضد المؤمنين بحرقهم و هم أحياء،يشير القرآن الكريم فى هذه الآيات إلى ما ينتظر أولئك الجناه من عذاب إلهى شديد،و يشير أيضا إلى ما اعدّ للمؤمنين من ثواب و نعيم جراء صبرهم و ثباتهم على إيمانهم باللّه.

فتقول الآيه الاولى: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ

عَذٰابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذٰابُ الْحَرِيقِ

.

«فتنوا»:من ماده(فتن)،-على زنه متن-و هو إدخال الـذهب النّار لتظهر جودته من رداءته،و قد استعملت(الفتنه)بمعنى(الاختبار)،و بمعنى(العذاب و البلاء)،و بمعنى(الضلال و الشرك)أيضا.

و هى فى الآيه بمعنى(العذاب)،على غرار ما جاء فى الآيتين(١٣ و ١۴)من سوره الذاريات: يَوْمَ هُمْ عَلَى النّٰارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ .

ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا

:تدلّ على أنّ باب التوبه مفتوح حتى لأولئك الجناه المجرمين،و تدلّ أيضا على مدى لطف البارى جلّ و علا على الإنسان حتى و إن كان مذنبا،و فى الجمله تنبيه لأهل مكّه ليسارعوا فى ترك تعذيب المؤمنين و يتوبوا إلى اللّه توبه نصوح.

فباب التوبه لا يغلق بوجه أحـد،و ذكر العقاب الإلهى الشديـد الأليم إنّما جاء لتخويف الفاسدين و المنحرفين عسـى أن يرعووا و يعودوا إلى الحق مولاهم.

و قـد ورد فى الآـيه لـونين مـن العـذاب الإـلهى، عَـذٰابُ جَهَنَّمَ و عَـذٰابُ الْحَرِيـقِ ،للإشـاره إلى أن لعـذاب جهنـم ألـوان عديده،منها(عذاب النّار)،و تعيين «عَذٰابُ الْحَرِيقِ» للإشاره أيضا إلى أن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات و أحرقوهم بالنّار،سوف يجازون بـذات أساليبهم،و لكن،أين هـذه النّار من تلك؟! فنار جهنم قد سـجّرت بغضب اللّه،و هى نار خالده و يصاحب داخليها الذلّ و الهوان،أمّا نار الدنيا،فقد أوقدها الإنسان الضـعيف،و دخلها المؤمنون بعزّه و إباء و شـرف ملتحقين بصفوف شهداء رساله السماء الحقه.

و قيل:إنّ عَذٰابُ جَهَنَّمَ جزاء كفرهم،و عَذٰابُ الْحَرِيقِ جزاء ما اقترفوا بحق المؤمنين الأخيار من جريمه بشعه.

و تعرض لنا الآيه التاليه ما سيناله المؤمنون من ثواب: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ذلِکَ الْفَوْزُ الْکَبِیرُ

.

و أیّ فوز أرقی و أسمی من الوصول إلی جوار اللّه،و التمتع فی نعیمه الذی لا یوصف!نعم،فمفتاح ذلک الفوز العظیم هو(الإیمان و العمل الصالح)،و ما عداه فروع لهذا الأصل.

عَمِلُوا الصّالِحاتِ

:إشاره إلی أنّ العمل الصالح لا یختص بشیء محدد،بل ینبغی أن یکون محور حیاه الإنسان هو:«العمل الصالح».

«ذلک»:إشاره للبعید،و استعملت هنا لتبیان عظمه و أهمیه المشار إلیه،أیّ:إنّ فوزهم الکبیر من عظمه الشأن،بقدر لا یخطر علی بال أحد.

و یعود القرآن مرّه اخری لتهدید الکفار الذین یفتنون المؤمنین،فیقول: إِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ لَشَدِیدٌ .

و لا تظنوا بأن القیامه أمر خیالی،أو إنّ المعاد من الأمور التی یشک فی صحه تحققها،بل: إِنَّهُ هُوَ یُبْدِئُ وَ یُعِیدُ .

«البطش»:تناول الشیء بصوله و قهر،و باعتباره مقدّمه للعقاب،فقد استعمل بمعنی العقاب و المجازاه.

«ربّک»:تسلیه للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و تأکید دعم اللّه اللامحدود له.

و الجدیر بالملاحظه،إنّ الآیه تضمّنت جمله تأکیدات،لتبیان صرامه التهدید الإلهی بجدیّه و قطع.

ف«البطش»یحمل معنی الشدّه المؤکّده،و الجمله الاسمیه عاده ما تأتی للتأکید،و وصف البطش بأنّه«شدید»،و کذا وجود«إن»،و وجود لام التأکید فی «لشدید»،هذا بالإضافه إلی التأکید المتضمّن فی قوله تعالی: إِنَّهُ هُوَ یُبْدِئُ وَ یُعِیدُ کدلیل إجمالی علی المعاد (۱) .

۱- ۱) -و هذا یشبه دلیل الآیه(۷۹)من سوره«یس»: قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ ،یقال:إنّ الفارابی تمنی لو کان أرسطو«الفیلسوف الیونانی المعروف»حیّا لیری جمال هذا الدلیل المحکم فی القرآن الکریم.

ثمّ يعرض لنا القرآن الكريم خمسه أوصاف للبارى جلّ شأنه: وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ الذى يغفر للتائبين و يحب المؤمنين.

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ

صاحب الحكومه المقتدره على عالم الوجود و ذو المجد و العظيمه.

فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ

.

«الغفور»و«الودود»:كلاهما صيغه مبالغه،و يشيران إلى منتهى الغفران و الود الإلهى،«الغفور»لعباده المذنبين،و«الودود»المحب لعباده الصالحين.

فذكر هذه الأوصاف بعد ما تضمّنته الآيات السابقه من تهديد و وعيد،يبيّن أنّ طريق العوده إلى اللّه سالك و أنّ باب التوبه مفتوح لكلّ من ولغ فى الذنوب، فالبارى جلّت عظمته فى الوقت الذى هو شديد العقاب فهو الغفور الرحيم أيضا.

و على هذا الضوء ف«الودود»جاء بصيغه اسم الفاعل،و ليس كما قيل من أنّه اسم مفعول،ليكون المعنى:بأنّ اللّه له محبّون كثيرون،فهذا المعنى لا ينسجم مع الصفه السابقه«الغفور»و لا يتناسب مع سياق الكلام.

و صفه:«ذو العرش»كنايه عن قدرته و حاكميته و مالكيته سبحانه و تعالى، و يتبيّن بهذا الوصف أنّ حكم عالم الوجود بيده جلّ و علا،فما شاء كان،و قوله تعالى: فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ من لوازم هذه الحاكميه المطلقه.

ف«ذو العرش»تشير إلى قدرته تعالى على:المعاد،إحياء الموتى و معاقبه الجبابره و المجرمين و الذين يفتنون المؤمنين و المؤمنات.

«المجيد»:من(المجد)،و هو السعه فى الكرم و الجلال،و هى من الصفات المختصه باللّه سبحانه،و قلّما تستعمل لغيره. (۱)

و بنظره بسيطه إلى هذه الصفات المذكوره سيتراءى أمامنا ذلك الانسجام

۱- ۱) -جاءت كلمه«المجيد»فى الآيه مرفوعه(طبق القراءه المشهوره)،تكون صفه للّه تعالى و ليس صفه للعرش،و إلاّ لكانت مجروره.

و الترابط فیما بینها فالغفور و الودود لمن له القدره وسعه الکرم کی یفعل ما یرید،لا یمنعه شیء و لا یصد إرادته أمر،لأنّ إرادته فی مطلق القوّه و الدوام و لا یصیبها تردد أو فسخ،سبحانه و تعالی.

ص: ۹۴

الآیات [سوره البروج (۸۵): الآیات ۱۷ الی ۲۲]

اشاره

هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ اَلْجُنُودِ (۱۷) فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ (۱۸) بَلِ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فِی تَکْذِیبٍ (۱۹) وَ اَللّٰهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِیطٌ (۲۰) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ (۲۱) فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (۲۲)

التّفسیر

اشاره

ألم تر ما حلّ بجیش فرعون و ثمود؟!

فیما تعرضت الآیات السابقه لقدره اللّه المطلقه و حاکمیته،و لتهدید الکفار الذین یفتنون المؤمنین..تتعرض الآیات أعلاه لما یؤکّد هذا التهدید...

فتخاطب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قائله: هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ الْجُنُودِ .

تلک الکتائب الجراره التی وقفت بوجه أنبیاء اللّه علیهم السّلام بتصورها الساذج بأنّها ستقف أمام قدره اللّه عزّ و جلّ.

و تشیر إلی نموذجین واضحین،أحدهما من غابر الزمان،و الآخر فی زمن قریب من صدر دعوه الإسلام: فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ .

فأحدهما ملک الشرق و الغرب،و الآخر وصلت مدنیته لأن یحفر الجبال لبناء البیوت و القصور الفخمه،و لهما من الجبروت ما لم یستطع أحد من الوقوف

بوجههم،و لكنّ العزيز الجبار أهلكهم بالماء و الهواء،مع ما لهاتين المادتين من لطافه و ليونه،و ما يمثلانه باعتبارهما من الوسائل المهمّه المستلزمه لأساسيات حياه الإنسان،فقد أغرقت أمواج و تيارات نهر النيل ذلك الطاغى(فرعون) و جنوده،فيما سلّط اللّه الهواء القارص بأعاصير مدمره اجتاحت قوم ثمود حتى قطعت دابرهم،فأهلكوا جميعهم.

القرآن الكريم يذكّر مشركى مكّه بذلك النموذجين ليعرفوا أنفسهم أمام اللّه تعالى،فإنّ كان اللّه قد أهلك تلك الجيوش العظيمه و بما تملك من عناصر القوّه بماء و هواء،فهل سيبقى لزمام أمورهم من شىء،و هم أضعف من أولئك!إعلما بأنّ البشر أمام اللّه بكلّ ما يحملون من قوّه فهم سواء،فلا فرق بين ضعيف و قوى..

فأين الخالق من المخلوق! و إنّما اختير قوم«فرعون»و«ثمود»دون بقيه الأقوام السالفه كنموذجين للعصاه و الضالين،باعتبارهما كانا يمتلكان قدره و قوّه مميزه على بقيه الأقوام، و أهل مكّه على معرفه بتاريخهما إجمالا.

و تقول الآيه التاليه: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ .

فآيات و دلائل الحق ليست بخافيه على أحد،و لكن العناد و اللجاجه هما اللذان يحجبان عن رؤيه طريق الحق و الإيمان.

و كأن«بل»تشير إلى أنّ عناد و تكذيب أهل مكّه أشدّ و أكثر من قوم فرعون و ثمود و هم مشغولون دائما بتكذيب الحق و إنكاره و يستخدمون كلّ وسيله فى هذا الطريق،(بلحاظ أن«بل»تستعمل عاده للاضراب:أى للعدول من شىء إلى شىء آخر).

و عليهم أن يعلموا بقدره اللّه: وَ اللّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ .

فلا يدل الإمهال على الضعف أو العجز،و لا يعنى عدم تعجيل إنزال العقوبه الإلهيه بأنّهم قد خرجوا عن قدرته جلّ شأنه.

ص :۹۶

و ما مجیء مِنْ وَرٰائِهِمْ إلاّ للتعبیر عن کونهم فی قبضه القدره الإلهیه من جمیع الجهات،و هو محیط بهم،و لیس لهم من مخلص عن العذاب بحکم العدل الإلهی.

و ثمّه من یذهب بإراده الإحاطه العلمیّه فی الآیه،أی..إنّ اللّه تعالی محیط بأعمالهم من کلّ جهه،فلا یغیب عنه سبحانه أی قول أو عمل أو نیّه.

و تقول الآیه التالیه: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ ذو مکانه سامیه و مقام عظیم.

فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

،لا تصل إلیه ید العبث،و الشیطنه،و لا یصیبه أیّ تغییر أو تبدیل،أو زیاده أو نقصان.

فلا تبتأس یا محمّد بما ینسبونه إلیک افتراء،کأن یتهموک بالشعر،السحر، الکهانه و الجنون..فأصولک ثابته،و طریقک نیّر،و القادر المتعال معک.

«مجید»:-کما قلنا-من(المجد)،و هو السعه فی الکرم و الجلال،و هو ما یصدق علی القرآن تماما،فمحتواه واسع العظمه،و معانیه سامیه علی کافه الأصعده العلمیّه،العقائدیه،الأخلاقیه الوعظ و الإرشاد،و کذا فی الأحکام و السنن.

«لوح»-بفتح اللام-:هو الصفحه العریضه التی یکتب علیها،و(اللوح)-بضم اللام-:العطش،و الهواء بین السماء و الأرض.

الفعل الذی یشتق من الأوّل یأتی بمعنی الظهور و الانکشاف.

و یراد باللوح هنا:الصفحه التی کتب فیها القرآن،لکنّها لیست کالألواح المتعارفه عندنا،بل(و علی قول ابن عباس):إنّ اللوح المحفوظ طوله ما بین السماء و الأرض و عرضه ما بین المشرق و المغرب! و یبدو أنّ اللوح المحفوظ،هو«علم اللّه»الذی یملأ الشرق و الغرب، و مصان من أیّ اختلاق أو تحریف.

نعم،فالقرآن من علم المطلق،و ما فیه یشهد علی أنّه لیس نتیجه إشراقه عقلیه

فی عقل بشر،و لا هو بنتاج الشیاطین.

و یحتمـل أن یکون هو المقصود به«ام الکتاب»و«کتاب مبین»الواردان فی الآیه(٣٩)من سوره الرعد: یَمْحُوا اللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتٰابِ ،و الآیه (٥٩)من سوره الأنعام: وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ .

علما بأنّ تعبیر(لوح محفوظ)لم یرد فی القرآن إلاّ فی هذا الموضع فقط.

اللّهم!زدنا معرفه بکتابک العظیم...

اللّهم!ضمّنا بین جناح رحمتک یوم یفوز المؤمنون،و قنا غضبک یوم یهلک الکافرون و المجرمون فی عذاب الحریق...

اللّهم!أنت الغفور الودود الرحیم،فعاملنا بمقتضی صفاتک،و لا تعاملنا بمقتضی أعمالنا...

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره البروج

ص :٩٨

سوره الطّارق

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها سبع عشره آیه

ص :۹۹

«سوره الطّارق»

محتوى السّوره:

تدور مواضيع السّوره حول محورين:

۱-محور المعاد و القيامه.

۲-محور القرآن الكريم و أهميته القيمه تبتدأ السّوره بجمله أقسام تبعث على التأمل و التفكير،ثمّ تشير إلى المراقبين الإلهيين على الإنسان.

و تنتقل السّوره لإثبات إمكانيه المعاد من خلال الإشاره الى كيفيه خلق الإنسان من نطفه.

فالقادر على خلق الإنسان من نطفه نتنه لقادر على إعاده حياته بعد موته.

و تعرض لنا السّوره بعد ذلك معالم المرحله التاليه من خلال تبيان بعض ملامح يوم القيامه،ثمّ تذكر جمله أقسام اخرى للتأكيد على أهميه القرآن،و من ثمّ نختم بإنذار الكفار بالعذاب الإلهى.

فضيله السّوره:

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأها أعطاه اللّه بعدد كلّ نجم فى السماء

ص:۱۰۱

عشر حسنات» (۱) .

و

عن الإمـام الصادق علیه السّلام،أنّه قال: «من کانت قراءته فی الفریضه ب(و السـماء و الطارق)کان له عنـد اللّه یوم القیامه جاه و منزله،و کـان من رفقـاء النـبیّین و أصـحابهم فی الجنّه» (۲) و بـدیهی،أنّ التأمـل بمحتوی السّوره و العمـل علی ضوءها هو الـذی یضمن حصول ثوابها،و حرکه اللسان الفارغه عن کل محتوی و تطبیق،لا تغنی عن الحق شیئا.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۶۹.

۲- ۲) -ثواب الأعمال،ص ۱۲۲،و عنه نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۴۹.

الآيات [سوره الطارق (۸۶): الآيات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلطّٰارِقِ (۱) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا اَلطّٰارِقُ (۲) اَلنَّجْمُ اَلثّٰاقِبُ (۳) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ (۴)
فَلْيَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ اَلصُّلْبِ وَ اَلتَّرٰائِبِ (۷) إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ (۸) يَوْمَ تُبْلَى اَلسَّرٰائِرُ
(۹) فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ (۱۰)

التّفسیر

اشاره

ممّ خلق الإنسان؟!

تبتدأ السّوره-کمثیلاتها من سور الجزء الأخیر من القرآن الکریم-بعدّه أقسام بلیغه تبعث علی التأمل،و هی مقدمه لبیان أمر مهم.

وَ السَّمٰاءِ وَ الطّٰارِقِ

.. وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا الطّٰارِقُ .. اَلنَّجْمُ الثّٰاقِبُ .

«الطارق»:من(الطرق)-علی زنه برق-و هو الضرب،و لهذا قیل(الطریق) لما تطرقه أرض المشاه،و(المطرقه)هی الآله التی یطرق بها الحدید و غیره.

ص :۱۰۳

و يقال للقادم ليلا(الطارق)،لأنّ البيوت عاده ما تغلق أبوابها ليلا،فكلّ قادم يلزمه و الحال هذه طرق الباب.

و عند ما جاء المنافق(الأشعث بن قيس)لزياره أمير المؤمنين عليه السّلام ليلا،جلب معه الحلوى،ظنا منه أنّ هذه الحلوى ستجعل من أمير المؤمنين عليه السّلام ظهيرا له فى قضيه معينه.

فذكر الأمير عليه السّلام هذه الواقعه متعجبا و ذاما:

«و أعجب من ذلك طرقنا بملفوفه فى وعائها». (١)

و يفسّر القرآن الكريم«الطارق»بقوله: اَلنَّجْمُ الثّاقِبُ ،النجم اللامع الذى مع علوّه الشاهق و كأنّه يريد أن يثقب سقف السماء،و كأنّ نوره المتشعشع يريد أن يثقب ستار الليل الحالك،فيجلب الأنظار بميزته هذه.

و لكن،أىّ نجم هو الطارق؟هل هو الثريا(لبعدها الغائر فى عمق السماء)، زحل،الزهره،أم الشهب(لما لها من نور جذّاب)،أم كل النجوم؟ ثمّه احتمالات متباينه فى هذا الموضوع، و لكن وجود صفه«الثاقب»لهذا النجم تعطى الإشاره إلى أنّ النجوم المتلألئه التى تثقب أنوارها ظلمه الليل، و تجذب الأنظار إليها،هى المراده و ليس كلّ نجم.

و فسّرت بعض الرّوايات«النجم الثاقب»بكوكب(زحل)من المنظومه الشمسيه لشدّه نوره و لمعانه.

و

روى أنّ منجما سأل الإمام الصادق عليه السّلام،بقوله:فما يعنى بالثاقب؟قال:«لأنّ مطلعه فى السماء السابعه،و أنّه ثقب بضوءه حتى أضاء السماء الدنيا،فمن ثمّ سمّاه اللّه النجم الثاقب» (٢) .

و يعتبر(زحل)من أبعد النجوم أو الكواكب فى مجموعتنا الشمسيه التى

١- ١) -نهج البلاغه،الخطبه ٢٢۴.

٢- ٢) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۵٠،ح ۴.

يمكن رؤيتها بالعين المجرّده،و يقع فى المدار السابع للشمس،و لذا عبّر عنه الإمام عليه السّلام بأنّه فى السماء السابعه.

و ما لهذا الكوكب من خصائص تؤهله لأن يقسم به،فهو أبعد ما يمكن رؤيته من منظومتنا الشمسيه،لذا فالعرب يشبهون كلّ عال به،و يطلقون عليه أحيانا (شيخ النجوم) (۱) ،و له حلقات رائعه تحيط به،و له أيضا ثمانيه أقمار،و تعتبر من حلقاته من أعجب ظواهر السماء.

و مع كلّ ما توصل إليه علماء الفلك بخصوصه،فثمّه أسرار لم يكشف عنها الستار بعد.

و قيل:إنّ لزحل عشره أقمار،يمكن رؤيه ثمانيه منها بالناظور العادى (تلسكوب)،و لا يمكن رؤيه الآخرين إلّا بالنواظير الكبيره (۲) .

و ممّا لا شك فيه،إنّ هذه الحقائق ما كانت مكتشفه فى عصر نزول الآيه المباركه،و توصل إليها بعد قرون من نزولها.

و على أيه حال،فيمكن تفسير: اَلنَّجْمُ الثّاقِبُ بكوكب زحل،على اعتبار كونه أحد مصاديقه الواضحه،و لا ينافى تفسيره بأيه نجوم اخرى عاليه و وضاءه، فالتّفسير المصداقى كثير الاستعمال فى رواياتنا.

و فى الآيه(۱۰)من سوره الصافات: إِلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَهَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ ،فوصف«الشهاب»بأنّه«ثاقب»يحمل الإشاره لاحتمال أنّ تكون الظاهره السماويه المذكوره هى ظاهره«الشهب»،لتكون أحد تفاسير الآيه المبحوثه،و يؤيد ذلك أيضا بعض ما ذكر فى شأن نزول الآيه. (۳)

ص:۱۰۵

۱- ۱) -دائره المعارف دهخدا ماده زحل.

۲- ۲) -دائره المعارف دهخدا ماده زحل.

۳- ۳) -روح البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۷.

و لنرى لأى شىء كان هذا القسم: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ (1) .

يحفظ عليه أعماله،و تسجل كل أفعاله،ليوم الحساب.

كما جاء فى الآيات(10-12)من سوره الإنفطار: وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ كِرٰاماً كٰاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ .

فلا تظنوا بأنّكم بعيدون عن الأنظار،بل أينما تكونوا فثمّه عليكم ملائكه مأمورين يسجلون كلّ ما يبدر منكم..و هذا ما له الأثر البالغ فى عمليه إصلاح و تربيه الإنسان.مع أنّ الآيه لم تحدد هويه«الحافظ»،و لكن الآيات الاخرى تبيّن بأن«الحفظه»هم الملائكه و أنّ«المحفوظ»هو أعمال الإنسان من الطاعات و المعاصى.

و قيل:يراد بها حفظ الإنسان من الحوادث و المهالك،و لولا ذلك لما خرج الإنسان من الدنيا بالموت الطبيعى،و الأطفال بالخصوص.

أو المراد هو:حفظ الإنسان من وساوس الشيطان،و لو لا هذا الحفظ لما سلم أحد من وساوس شياطين الجنّ و الأنس.

و بلحاظ ما تتطرق إليه الآيات التاليه(حول المعاد و الحساب الإلهى)،يكون التّفسير الأول أقرب من غيره و أنسب،و لو أنّ الجمع بين هذه التفاسير الثلاثه غير بعيد عن مراد الآيه.

و العلاقه ما بين المقسوم به و ما أقسم له وثيقه،حيث أنّ السماء العاليه و النجوم التى تتحرك فى مسارات منظمه،دليل على وجود النظم و الحساب الدقيق فى عالم الوجود،فكيف يمكن أنّ نتصور بأنّ أعمال الإنسان دون باقى الأشياء لا تخضع لهذه السّنه،لتبقى سائبه بلا ضبط و تسجيل و ليس عليها من حافظ؟!!..

1- 1) -«إن»فى الآيه:نافيه،و«لمّا»:بمعنى(إلاّ).

ثمّ يستدل القرآن الكريم على المعاد فى مقابل من يقول باستحاله المعاد:

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ

.

و بهذا..أخذ القرآن الكريم بأيدى الجميع و أرجعهم إلى أول خلقهم،مستفهما عمّا خلق منه الإنسان.

و بدون أن ينتظر الجواب من أحد يجيب القرآن على استفهامه: خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ ،و هو ماء الرجل الذى تسبح فيه الحيا من،و يخرج بدفق.

و يستمر فى تقريب المراد: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرٰائِبِ .

«الصلب»:الظهر:و«الترائب»:جمع(تريبه)،و هى-على ما هو مشهور بين علماء اللغه-عظام الصدر العليا و ضلوعه.

و كما يقول ابن منظور فى لسان العرب:قال أهل اللغه أجمعون:الترائب موضع القلاده من الصدر.

و ذكرت معان اخرى للترائب،منها:إنّها القسم الأمامى للإنسان(فى قبال الصلب،الذى هو ظهر الإنسان)،إنّها اليدان و الرجلان و العينان،إنّها عظام الصدر، أو ما يلى الترقوتين منه،و قيل:أربعه أضلاع من يمين الصدر و أربعه من يساره.

و أدناه،نذكر بعض الآراء الكثيره للمفسّرين بخصوص المراد من«الصلب و الترائب»الوارده فى الآيه المباركه.

۱-«الصلب»إشاره إلى الرجال،و«الترائب»إشاره إلى النساء،لأنّ فى الرجال مظهر الصلابه،و فى النساء مظهر الرقه و اللطافه.

و عليه،فالآيه بصدد ذكر حيمن الرجل و بويضه المرأه،و منهما تتشكل نطفه خلق الإنسان.

۲-«الصلب»إشاره إلى ظهر الرجل،و«الترائب»إشاره إلى صدره،فيكون مراد الآيه نطفه الرجل التى تقع ما بين ظهره و صدره.

۳-إراده،خروج الجنين من رحم امّه،لأنّه يكون بين ظهرها و الجزء

الأمامی لبدنها.

۴-قیل:إنّ فی الآیتین سرّا من أسرار التنزیل،و وجها من وجوه الأعجاز، إذ فیهما معرفه حقائق علمیّه لم تکن معروفه حینذاک و قد کشف عنها العلم أخیرا.

و إذا رجعنا إلی علم الأجنه وجدنا فی منشأ خصیّه الرجل و مبیض المرأه ما یفسر لنا هذه الآیات،التی حیرت الألباب،فقد ثبت أن خصیّه الرجل و مبیض المرأه فی بدایه ظهورهما فی الجنین یقعان فی مجاوره کلیه الجنین،أی بین وسط الفقرات(الصلب)و الأضلاع السفلی للصدر(الترائب)ثمّ مع نمو الجنین ینتقلان تدریجیا إلی الأسفل،و بما أن تکون الإنسان یمثل ترکیبا من نطفه الرجل و المرأه و المحل الأصلی لجهاز تولید النطفه فیهما هو بین الصلب و الترائب،أختار القرآن لذلک هذا التعبیر.و هذا ما لم یکن معروفا حینذاک.

و بعباره اخری:إنّ کلّ من الخصیّه و المبیض فی بدء تکوینهما یجاور الکلی و یقع بین الصلب و الترائب،أی ما بین منتصف العمود الفقری تقریبا و مقابل أسفل الضلوع. (۱)

و یشکل علی هذا التّفسیر ب:إنّ القرآن إنّما یقول: مٰاءٍ دٰافِقٍ یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرٰائِبِ ،فهو یمرّ من بینهما حال الخروج،فی حین لا یقول التّفسیر المذکور ذلک،و یشیر إلی محل تولیده بینهما أثناء النمو الجنینی، بالإضافه إلی أنّ تفسیر«الترائب»بأسفل الضلوع لا یخلو من نقاش.

۵-مراد الآیه،هو المنی،لأنّه فی الحقیقه مأخوذ من جمیع أجزاء البدن،و لذا عند ما یقذف إلی الخارج فإنّه یقترن مع انفعال و هیجان البدن کلّه و بعده فتور البدن بأجمعه،فیکون مقصود«الصلب»و«الترائب»فی هذه الحال تمام قسمی بدن الإنسان،الإمامی و الخلفی.

۱- ۱) -تفسیر المراغی،ج ۳۰،ص ۱۱۳.

۶-و قيل أيضا:إنّ المصـدر الأساس لتكوين المنى هو النخاع الشوكى الواقع فى ظهر الإنسان،ثمّ القلب و الكبد،فالأوّل يقع تحت أضلاع الصدر،و الآخر بين المكانين المذكورين،و على هذا الأساس قالت الآيه: مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ .

و يكفينا الرجوع إلى الآيات المبحوثه لدفع الغموض الحاصل،فالآيات تشـير إلى ماء الرجل دون المرأه،بقرينه«ماء دافق»،و هذا لا يصدق إلاّ على الرجل،و عليه يعود الضمير فى«يخرج».

و عليه،فينبغى إخراج المرأه من هذه الدائره،ليكون البحث منصبا على الرجل فقط،و هو المشار إليه فى الآيه.

و«الصلب و الترائب»هما ظهر الرجل و قسمه الأمامى،لأنّ ماء الرجل إنّما يخرج من هاتين المنطقتين (۱) .

و هذا التّفسير واضح،خال من أىّ تكلف،ينسجم مع ما ورد فى كتب اللغه بخصوص المصطلحين.

كمـا و يمكن أن تكون الآـيه قـد أشارت إلى حقيقه علميه مهمّه لم يتوصل إلى اكتشافها بعـد،و ربّما المسـتقبل سـيكشف ما لم يكن بالحسبان.

و نصل مع القرآن إلى نتيجه ما تقدم من الذكر الحكيم: إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ .

فالإنسان ترابا قبل أن يكون نطفه،ثمّ مرّ بمراحل عديـده مدهشه حتى أصـبح إنسانا كاملا،و ليس من الصـعوبه بحال على الخالق أن يعيد حياه الإنسان بعد أن نخرت عظامه و صار ترابا،فالذى خلقه من التراب أوّل مرّه قادر على إعادته مرّه اخرى.

۱- ۱) -عنـد مـا تتحـدث الآيـات القرآنيه الاـخرى عن خلق الإنسان،فإنّها غالبا ما تشـير إلى نطفه الرجل،باعتبارها أمرا محسوسـا (راجع الآيه ۴۶ من سوره النجم،و الآيه ۳۷ من سوره القيامه).

و قد ورد هذا المعنى فى الآيه(۵)من سوره الحج: يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ،بالإضافه إلى الآيه(۶۷)من سوره مريم: أَ وَ لاٰ يَذْكُرُ الْإِنْسٰانُ أَنّٰا خَلَقْنٰاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً .

و تصف لنا الآيه التاليه ذلك اليوم الذى سيرجع فيه الإنسان: يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ (۱) .

«تبلى»:من(البلوى)،بمعنى الاختبار و الامتحان،و هو هنا الظهور و البروز،لأنّ الامتحان يكشف عن حقيقه الأشياء و يظهرها.

«السرائر»:جمع(سريره)،و هى صفات و نوايا الإنسان الداخليه.

نعم،فأسرار الإنسان الدفينه ستظهر فى ذلك اليوم،«يوم البروز»و«يوم الظهور»،فسيظهر على الطبيعه كلّ من:الإيمان،الكفر،النفاق،نيّه الخير،نيّه الشر، الإخلاص،الرياء...

و سيكون ذلك الظهور مدعاه فخر و مزيد نعمه للمؤمنين،و مدعاه ذلّه و مهانه و حسره للمجرمين...

و ما أشد ما سيلاقى من قضى وطرا من عمره بين النّاس بظاهر حسن و نوايا خبيثه!و ما أتعسه حينما تهتك أقنعته المزيفه فيظهر على حقيقته أمام كلّ الخلائق! و ربّما ذلك من أشدّ عذاب جهنم عليه...

و تصف لنا الآيه(۴۱)من سوره الرحمن هيئتهم بالقول: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمٰاهُمْ ،و كذا الآيات(۳۸-۴۱)من سوره عبس: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضٰاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهٰا قَتَرَةٌ .

نعم،فكما إنّ«الطارق»و النجوم الاخرى تظهر من خفائها ليلا على صفحه السماء،فكذا حال الإنسان فى عرصه يوم القيامه،فالحفظه و المراقبين الإلهيين

۱- ۱) -«يوم»ظرف زمان متعلق بالرجع فى الآيه السابقه.

المکلفین لتسجیل أعمال الإنسان سیظهرون کلّ شیء،کظهور ضوء النجم فی اللیل الداج.

عن معاذ بن جبل أنّه قال ،سألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:و ما هذه السرائر التی تبلی بها العباد فی الآخره؟ فقال:«سرائرکم هی أعمالکم من الصلاه و الصیام و الزکاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و کلّ مفروض،لأنّ الأعمال کلّها سرائر خفیّه،فإن شاء الرجل قال صلیت و لم یصل،و إنّ شاء قال توضیت و لم یتوضأ،فذلک قوله تعالی یوم تبلی السرائر» (1) .

و لکن أشدّ صعاب ذلک الیوم علی الإنسان: فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ .

فلا یملک تلک القوّه التی تخفی أعماله و نیاته،و لیس له ذلک الظهیر الذی یعینه عن الخلاص من عذاب اللّه سبحانه و تعالی.

و قد ورد هذا المعنی فی آیات قرآنیه اخری،ففی ذلک الیوم:لا ناصر و لا معین،و لا یقبل فداء،و لا رجعه،و لیس من وسیله للفرار من قبضه العدل حینها،إلاّ وسیله واحده للنجاه و هی«الإیمان و العمل الصالح»فقط.

1- 1) -مجمع البیان،ج ١٠،ص ۴٧٢.و مثله فی تفسیر الدر المنثور،ج ۶،ص ٣٣۶.

الآيات [سوره الطارق (٨۶): الآيات ١١ الى ١٧]

اشاره

وَ اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ اَلرَّجْعِ (١١) وَ اَلْأَرْضِ ذٰاتِ اَلصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ (١۴) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١۵) وَ أَكِيدُ كَيْداً (١۶) فَمَهِّلِ اَلْكٰافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (١٧)

التّفسير

اشاره

خواء خطط الأعداء:

بعد أن تضمّنت الآيات السابقه استدلالا على المعاد،بطريق توجيه الإنسان إلى بدايه خلقه،تعود هذه الآيات إلى المعاد مرّه اخرى،لتشير إلى بعض الأدله الاخرى عليه فتقول: وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الرَّجْعِ .. وَ الْأَرْضِ ذٰاتِ الصَّدْعِ .. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ .. وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ .

«الرجع»:من(الرجوع)،بمعنى العود،و يطلق على الأمطار اسم(الرجع) لأنّها تبدأ من مياه الأرض و البحار،ثمّ تعود إليها تاره اخرى عن طريق الغيوم،أو لأنّ هطول المطر يكون فى فواصل زمنيه مختلفه.

و يسمّى الغدير رجعا..إمّا للمطر الذى فيه،و إمّا لتراجع أمواجه،و تردده فى

مکانه (۱) .

«الصدع»:هو الشق فی الأجسام الصلبه.

و بملاحظه معنی«الرجع»فی الآیه السابقه،نصل إلی أنّ مراد الآیه بالصدع هو شق الأرض الیابسه بالأمطار،و خروج النباتات منها.

فالقسمان یشیران إلی إحیاء الأراضی المیته بالأمطار،و هذا ما تکرر ذکره فی القرآن الکریم کدلیل علی إمکانیه المعاد،کما فی قوله تعالی فی الآیه(۱۱) من سوره«ق»: وَ أَحْیَیْنٰا بِهِ بَلْدَهً مَیْتاً کَذٰلِکَ الْخُرُوجُ .

و هنا تتجسد بلاغه الأسلوب القرآنی،من خلال ربطه الدقیق فیما بین ما یقسم به و ما یقسم له.

و بعباره اخری،فالسّوره قد استندت إلی المقارنه فیما بین خلق الإنسان من نطفه و بین إحیاء الأرض المیته بالأمطار،فی استدلالها،و جاء شبیه هذا الاستدلال فی الآیه(۵)من سوره الحج: یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاکُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ ... وَ تَرَی الْأَرْضَ هٰامِدَهً فَإِذٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْهَا الْمٰاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ .

و قیل أیضا:إنّ الآیه: وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الرَّجْعِ تشیر إلی دوران الکواکب فی مسارات معینه،کدوران الأرض حول نفسها و حول الشمس،و حرکه الکواکب السیّاره للمنظومه الشمسیه،و کذلک شروق و غروب الشمس و القمر و النجوم، حیث أنّ کلّ هذه الحرکات تتضمّن الرجوع و العوده.

و هذا الرجوع علامه لرجوع النّاس العام إلی الحیاه.

و لکن من خلال ما تقدم یظهر لنا أنّ التّفسیر الأوّل أنسب و أقرب لقرائن السّوره،حیث أنّه أشاره إلی مسأله شقّ الأرض مع أدله المعاد.

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده(رجع).

«القول الفصل»:هو القول أو الحديث الذی يفرق بين الحق و الباطل،و قيل:

هو فی الآيه يشير إلی المعاد،بقرينه الآيات السابقه،و قيل أيضا:هو إشاره إلی القرآن،و هناك بعض الرّوايات عن أهل البيت عليهم السّلام تؤيد هذا المعنی.و قد ورد التعبير عن القيامه ب«يوم الفصل»فی الكثير من الآيات القرآنيه.

و يحتمل أيضا أن يكون المراد هو الإشاره إلی الآيات القرآنيه و التی تتضمّن الحديث عن المعاد،و بذلك يتمّ الجمع بين التّفسيرين.

فقد روی عن الإمام علی عليه السّلام: «إنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم قال:«إنّها ستكون فتنه!» قلت:فما المخرج منها يا رسول اللّه؟! قال:«كتاب اللّه فيه نبأ من قبلكم،و خبر ما بعدكم،و حكم ما بينكم،هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه اللّه،و من ابتغی الهدی فی غيره أضله اللّه». (۱)

و تسلّی الآيات التاليه قلب النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين من جهه،و تتوعد أعداء الإسلام من جهه اخری: إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ،فالكفار يخططون من جهه،و أنا أخطط لإحباط تلك الخطط من جهه اخری.. وَ أَكِيدُ كَيْداً .

فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً

،حتی يروا عاقبتهم! نعم،إنّهم دوما يكيدون فی حربك و الحرب ضد دينك.

فتاره بالاستهزاء..

و اخری بالحصار الاقتصادی..

و مرّه بتعذيب المؤمنين..

و اخری يقولون:لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه كی تنتصروا..

و يقولون عنك:ساحرا،كاهنا،مجنونا..

۱- ۱) -تفسير روح المعانی،ج ۳۰،ص ۱۰۰؛و تفسير المراغی،ج ۳۰،ص ۱۱۸؛عن صحيح الترمذی و سنن الدارمی.

و يمارسون النفاق:بأن يؤمنوا بك صباحا و يكفروا مساء،كى يؤثّروا على البسطاء..

و يقولون لك:أبعد الفقراء و المستضعفين عنك حتى نتّبعك و أحيانا يقولون:آمن ببعض آلهتنا حتى نؤمن بك..

و يكيدون لإبعادك و قتلك..

و الخلاصه:فشغلهم الشاغل هو:التخطيط المستمر لمواجهتك،لتفريق من آمن بك،و الضغط على أصحابك،أو قتلك لإطفاء نور اللّه بذلك!و لا يعلمون بأنّ اللّه متمّ نوره و لو كرهوا.

«الكيد» (۱) :ضرب من الاحتيال و التغلب على المشكل بتهيئه المقدمات، و فيه جنبه خفيه،و قد يكون مذموما و ممدوحا كقوله تعالى: كَذٰلِكَ كِدْنٰا لِيُوسُفَ (۲) ،و إن كان يستعمل فى المذموم أكثر.

و مراد الآيه هو كيد الأعداء كما هو واضح،و قد تعرضنا لبعض نماذجه أعلاه، فيما تناولت هذا الموضوع آيات قرآنيه كثيره.

و لكن..ما المقصود بالكيد الإلهى؟ قيل:إنّه الإمهال الذى ينتهى بالأخذ الشديد و العذاب الأليم.

و قيل أيضا:إنّه نفس العذاب الذى ينتظرهم.

و الأنسب أن يقال:إنّه تلك الألطاف الإلهيه التى غمرت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من معه من المؤمنين،و ما كان يصيب أعداء الإسلام من فشل مخططاتهم و خيبه مساعيهم.

و يحمل التاريخ الإسلامى بين طياته شواهد كثيره على هذا المعنى.

و تأمر الآيات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-على الأخص-بأن يمهلهم و لا يتعجل على

۱- ۱) -مفردات الراغب.

۲- ۲) -سوره يوسف،الآيه ۷۶.

عـذابهم،و أنّ يتمّ الحجّه عليهم،فعسـى أن يعود قسم منهم إلى رشـده و يسـلم و أساسـا فـالعجله لمن يخـاف الفوت،و هـذا ما لا يصدق على القاهر القادر سبحانه و تعالى.

و الملاحـظ فى الآـيه،إنّهـا شـرعت ب فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ فيمـا أكّـدت ذلك بقولها «أمهلهم»،فالأوّل من باب(التفعيل)،و الثّانى من باب(الأفعال)و قد جاء للتأكيد دون تكرار اللفظ بعينه.

«رويدا»:من(الرود)-على وزن عود-و هو التردد فى طلب الشـىء يرفق، و لها هنا معنى مصدريا مع تصغير،أى أمهلهم مهله صغيره (1) .

و بهـذا يوصـى اللّه عزّ و جـلّ نبيّه الكريم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى هـذه الجمله المختصـره ثلاـث مرات بامهال و مـداراه الكافرين و هذا فى الحقيقه درس للمسلمين فى الكيفيه التى ينبغى العمل بها عند مواجهه أعداءهم،و خصوصا إذا ما كانوا أعداء أقوياء و شرسـين،فلا بدّ من الصبر و التأنى و الدقّه فى حساب خطوات المواجهه،و ينبغى عدم التسرع فى العمل،و كذا عدم تنفيذ القرارات غير المدروسه.

مضافـا إلى التبليغ و الـدعوه إلى الحق لا بـدّ فيها من تجنب العجله و التسـرّع حتّى تتاح الفرصه لكلّ من يمكن هـديه،فلا بـدّ من تفهيم الإسلام بكل لطف و سعه صدر مع الدليل القاطع،و بهذا تتمّ الحجّه على الآخرين.

أمّا السبب فى طلب الإمهال القليل،ففيه احتمالين:

الأوّل:كان الإمهال لحين حدوث معركه بدر،حيث أحرز المسلمون فيها نصرا مبينا على الكفار بعد مدّه قليله من نزول الآيه.

و معركه بدر أوّل ضـربه موجعه تلقاها المشـركون من المسلمين،ثمّ تلتها ضربات فى معركه الأحزاب و معركه خيبر و غيرها،ممّا أفشل مخططات الكفره

۱ - ۱) -ف«رويـدا»فى محـل مفعول مطلق،و المعنى:أمهلهم إمهالاـ قليلاـ،أمّـا مـا قيل من كونها تحمل معنى الأمر،فهو بعيـد،لأنّ ذلك سيسـتلزم للآيه ثلاثه أوامر. و مع أنّ«رويدا»جاءت بمعنى الأمر،و على صـيغه اسم فعل،لكن الأنسب لها فى هذا الموضع أن تكون منصوبه كمفعول مطلق.

لدحر الإسلام.

و حينما وافى عمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأجل،كان نور الإسلام قد غطى كلّ أرجاء شبه الجزيره العربيه،و لم يمض قرن واحد على عمر الرساله الخاتمه حتى تفيئت معظم أجزاء العالم تحت ظله الآمن.

الثّانى:لأنّ عذاب القيامه سيقع حتما،و كلّ حتمى الوقوع قريب.

و على أيّه حال،فقد بدأت السّوره بالقسم بالسماء و النجوم،و انتهت بتهديد الكافرين و المتآمرين على الحقّ،و فيما بين البدء و الانتهاء،تعرضت إلى بعض أدله المعاد بأسلوب رائع و مؤثر،و إلى بيان شيّق للرقابه الإلهيه على أعمال الإنسان،بالاضافه إلى ما قدمته من تسليه لترطيب خواطر المؤمنين،بلسان فى غايه اللطف البليغ.

اللّهم،ردّ كيد أعداء دينك،و لا سيما المتأخرين منهم الذين عاثوا فى الأرض فسادا،و اقطع دابر المتجبرين...

اللّهم،سدّ عوراتنا يوم تبلى السرائر...

اللّهم،لا قوّه لنا و لا ناصر سواك،فلا تكلنا لغيرك...

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الطّارق ***

سوره الأعلى

اشاره

مكيّه و عدد آياتها تسع عشره آيه

ص :۱۱۹

محتوی السّوره:

تحتوی السّوره علی قسمین من المواضیع:

القسم الأوّل:یحوی خطابا إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،یأمره الباری سبحانه فیه بالتسبیح و أداء الرساله،ثمّ ذکر سبعا من صفات اللّه عزّ و جلّ،لها صله ربط بالأمر الرّبانی إلی النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

القسم الثّانی:یتحدث عن المؤمنین الخاشعین،و الکافرین الأشقیاء،و یتناول باختصار العوامل التی تؤدی إلی کل من السعاده و الشقاء الحقّ.

و فی آخر السّوره،یأتی التأکید علی أنّ ما جاء فی هذه السّوره لیس هو حدیث القرآن الکریم فقط،بل و تناولته کتب و صحف الأولین أیضا،کصحف إبراهیم و موسی علیهما السّلام.

فضیله السّوره:

روی عن النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأها أعطاه اللّه عشر حسنات بعدد کلّ حرف أنزل اللّه علی إبراهیم و موسی و محمّد علیهم السّلام» (1) .

و

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أیضا،أنّه قال: «من قرأ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی فی فرائضه أو نوافله قیل له یوم القیامه ادخل الجنّه من أیّ أبواب الجنّه

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۵۳.

شئت إن شاء اللّه» (۱) .

و ورد فی روایات عدیده:إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو أئمّه أهل البیت علیهم السّلام،کانوا إذا قرءوا سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی ،قالوا:«سبحان ربّی الأعلی» (۲) .

و

روی عن أحد أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام،إنّه قال: صلیت خلفه عشرین لیله،و لیس یقرأ إلاّ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی ،و قال:«لو تعلمون ما فیها لقرأها الرجل کلّ یوم عشرین مرّه،و أنّ من قرأها فکأنّما قرأ صحف موسی و إبراهیم الذی وفی» (۳) .

و خلاصه القول:

فیبدو أنّ السّوره من الأهمیه بحیث:

«کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یحب هذه السّوره: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی کما روی عن الإمام علی علیه السّلام (۴) .

و قد اختلف فی مکان نزول الآیه،فمع أنّ المشهور،نزولها فی مکّه،لکنّ ثمّه من یقول بنزولها فی المدینه.

و یرجح العلاّمه الطباطبائی(قدّس سرّه)أن یکون قسمها الأوّل مکّیا و الآخر مدنیا، فیقول:و سیاق الآیات فی صدر السّوره سیاق مکّی،و أمّا ذیلها،أعنی قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکّی إلخ فقد ورد فی طرق أئمّه أهل البیت علیهم السّلام،و أنّ المراد به«زکاه الفطره»و«صلاه العید»،و من المعلوم أنّ الصوم و ما یتبعه من زکاه الفطره و صلاه العید إنّما شرّعت بالمدینه بعد الهجره (۵) .

و یحتمل أیضا أنّ الأمر بالصلاه العید و الزکاه الواردین فی آخر السّوره،هما

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۴۴.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۷۲.

۵- ۵) -تفسیر المیزان،ج ۲۰،ص ۳۸۶.

أمران عامان،و ما صلاه و زكاه الفطره إلاّ مصداقان لهما،و التّفسير بالمصداق كثير فى روايات أهل البيت عليهم السّلام.

و عليه..فلا يبعد أن تكون السّوره كلّها مكّيه كما هو المشهور،بقرينه انسجام مقاطع الآيات الاولى منها و الأخيره أيضا.

و يصعب اعتبار كون بعضها مكّى و الآخر مدنى،خصوصا و أنّ الرّوايات تذكر،بأنّ كلّ مجموعه من المسلمين حينما يصلون المدينه،كانوا يقرءون هذه السّوره لأهل المدينه (1) .

فمن المستبعد أن يقرأ صدر السّوره فى مكّه،و من ثمّ ينزل ذيلها فى المدينه.

1- 1) -للتفصيل-راجع الدر المنثور،ج 6،ص 337.

الآيات [سوره الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّکَ اَلْأَعْلَى (١) اَلَّذِى خَلَقَ فَسَوّٰى (٢) وَ اَلَّذِى قَدَّرَ فَهَدىٰ (٣) وَ اَلَّذِى أَخْرَجَ اَلْمَرْعىٰ (۴) فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْوىٰ (۵)

التّفسير

اشاره

تسبيح اللّه:

تبدأ السّوره بخلاصه دعوه الأنبياء عليهم السّلام،حيث التسبيح و التقديس أبدا للّه الواحد الأحد،فتخاطب النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقول: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى .

يذهب جمع من المفسّرين إلى أنّ المراد بال«اسم»هنا هو(المسمى)،فى حين قال آخرون هو(اسم اللّه)سبحانه و تعالى.

و ليس ثمّه فرق كبير بين القولين،فالإسم يدّل على المسمى.

و على أيّه حال،فمراد الآيه أن لا يوضع اسمه جلّ شأنه فى مصاف أسماء الأصنام،و يجب تنزيه ذاته المقدسه من كلّ عيب و نقص،و من كلّ صفات المخلوق و عوارض الجسم،أى أن لا يحد.

ص:١٢۴

فينبغى على المؤمنين ألاّ يتعاملوا مع اسمه الجليل كتعامل عبده الأصنام،بأن يضعوا اسمه تعالى مع أسماء أصنامهم،و لا يفعلوا كما يفعل المجسمه،ممن وقعوا فى خطأ كبير و فاحش حينما نسبوا إلى البارى جلّ جلاله الصفات الجسميه.

اَلْأَعْلَى

:أى الأعلى من كلّ:أحد،تصوّر،تخيّل،قياس،ظن،وهم،و من أى شرك بشقيه الجلى و الخفى.

رَبِّکَ

:إشاره إلى أنّه غير ذلك الرّب الذى يعتقد به عبده الأصنام.

و بعد ذكر هاتين الصفتين(الربّ و الأعلى)،تذكر الآيات التاليه خمس صفات تبيّن ربوبيه اللّه العليا..: اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّی فَسَوّی :من(التسويه)،و هى الترتيب و التنظيم،و يضم هذا المفهوم بين جناحيه كلّ أنظمه الوجود،مثل:النظام السماوى بنجومه و كواكبه،و الأنظمه الحاكمه على المخلوقات فى الأرض،و لا سيما الإنسان من حيث الروح و البدن.

أمّا ما قيل،من كونها إشاره إلى نظام اليد أو العين أو اعتدال القامه،فهذا فى واقعه لا يتعدى أن يكون إلاّ بيان لمصداق محدود من مصاديق هذا المفهوم الواسع.

و على أيّه حال،فنظام عالم الخليقه،بدءا من أبسط الأشياء،كبصمات الأصابع التى أشارت إليها الآيه(۴)من سوره القيامه بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ ،و انتهاء بأكبر منظومه سماويه،كلها شواهد ناطقه على ربوبيه اللّه سبحانه و تعالى،و أدله إثبات قاطعه على وجوده عزّ و جلّ.

و بعد ذكر موضوعى الخلق و التنظيم،تنتقل بنا الآيه التاليه إلى حركه الموجودات نحو الكمال: وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدی .

و المراد ب(قدّر)،هو:وضع البرامج،و تقدير مقادير الأمور اللازمه للحركه باتجاه الأهداف المرسومه التى ما خلقت الموجودات إلاّ لأجلها.

و المراد ب(هدى)هنا،هى:الهدايه الكونيه،على شكل غرائز و سنن طبيعيه

حاكمه على كل موجود(و لا فرق فى الغرائز و الدوافع سواء كانت داخليه أم خارجيه).

فمثلا،إنّ اللّه خلق ثدى المرأه و جعل فى اللبن لتغذيه الطفل،و فى ذات الوقت جعل عاطفه الامومه شديده عند المرأه،و من الطرف الآخر جعل فى الطفل ميلا غريزيا نحو ثدى امّه،فكلّ هذه الاستعدادات و الدوافع و شدّه العلاقه الموجوده بين الام و الابن و الثدى مقدّر بشكل دقيق،كى تكون عمليه السير نحو الهدف المطلوب طبيعيه و صحيحه.

و هذا التقدير الحكيم ما نشاهده بوضوح فى جميع الكائنات.

و بنظره ممعنه لبناء كلّ موجود،و ما يطويه فى فتره عمره من خطوات فى مشوار الحياه،تظهر لنا بوضوح الحقيقه التاليه:(ثمّه برنامج و تخطيط دقيق يحيط بكل موجود،و ثمّه يد مقتدره تهديه و تعينه على السير على ضوء ما رسم له)، و هذه بحد ذاتها علامه جليّه لربوبيه اللّه جلّ و علا.

و قد اختص الإنسان بهدايه تشريعيه إضافه للهدايه التكوينيه يتلقاها عن طريق الوحى و إرسال الأنبياء عليهم السلام،لتكتمل أمامه معالم الطريق من كافه جوانبه.

و توصلنا الآيه(٥٠)من سوره طه لهذا المعنى،و ذلك لمّا نقلت لنا سؤال فرعون إلى موسى عليه السّلام بقوله: فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ،فأجابه عليه السّلام: رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ .

و قد فهم قول موسى عليه السّلام بشكل مجمل فى زمانه،و حتى فى زمان نزول الآيه المباركه فى صدر الدعوه الإسلاميه،و لكنّ..مع دوران عجله الأيّام،و تقدم العلوم البشريه،توصل الإنسان إلى معارف كثيره و منها ما يختص بمعرفه أنواع أحوال الموجودات الحيّه،فتوضح قول موسى عليه السّلام أكثر فأكثر،حتى كتبت آلاف الكتب فى موضوع(التقدير)و(الهدايه التكوينيه)،و مع ما توصل إليه العلماء من معلومات

باهره،إلاّ إنّهم يؤكّدون على أنّ ما بقى خافى عليهم،هو أكثر بكثير ممّا توصلوا لمعرفته! و تشير الآيه التاليه إلى النباتات،و ما يخصّ غذاء الحيوانات منها: وَ الَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعىٰ .

و استعمال كلمه أَخْرَجَ فيه وصف جميل لعمليه تكوّن النباتات،حيث إنّه يتضمّن وجودها داخل الأرض فأخرجها البارى منها.

و ممّا لا شك فيه إنّ التغذيه الحيوانيه هى مقدمه لتغذيه الإنسان،و بالنتيجه فإنّ فائده عمليه تغذيه الحيوان تعود إلى الإنسان.

ثمّ: فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْوىٰ .

«الغثاء»:هو ما يطفح و يتفرق من النبات اليابس على سطح الماء الجارى، و يطلق أيضا على ما يطفح على سطح القدر عند الطبخ،و يستعمل كنايه عن:كلّ ضائع و مفقود،و جاء فى الآيه بمعنى:النبات اليابس المتراكم.

«أحوى»:من(الحوه)-على زنه قوّه-و هى شدّه الخضره،أو شدّه السواد، و كلاهما من أصل واحد،لأنّ الخضره لو اشتدّت قربت من السواد،و جاء فى الآيه بمعنى:تجمع النبات اليابس و تراكمه حتّى يتحول لونه تدريجيا إلى السواد.

و يمكن أن يكون اختيار هذا التعبير فى مقام بيان النعم الإلهيه،لأحد أسباب ثلاث:

الأوّل:إنّ حال هذه النباتات يشير بشكل غير مباشر إلى فناء الدنيا،لتكون دوما درسا و عبره للإنسان،فهى بعد أن تنمو و تخضر فى الربيع،شيئا فشيئا ستيبس و تموت بعد مرور الأيّام عليها،حتى يتحول جمالها الزاهى فى فصل الربيع إلى سواد قاتم،و لسان حالها يقول بعدم دوام الدنيا و انقضائها السريع.

الثّانى:إنّ النباتات اليابسه عند ما تتراكم،فستتحول بمرور الوقت إلى سماد طبيعى،ليعطى الأرض القدره اللازمه لإخراج نباتات جديده اخرى

الثّالث:إنّ الآيه تشير إلى تكوّن الفحم الحجرى من النباتات و الأشجار.

فكما هو معلوم،إنّ الفحم الحجرى،و الذى يعتبر من المصادر المهمّه للطاقه، قد تكوّن من النباتات و الأشجار التى يبست منذ ملايين السنين،و دفنت فى الأرض حتى تحجرت و اسود لونها بمرور الزمان.

و يعتقد بعض العلماء،بأنّ مناجم الفحم الحجرى قد تكوّنت من جراء النباتات اليابسه المدفونه فى داخل الأرض منذ(٢٥٠)مليون سنه تقريبا! و لو أخذنا بنظر الاعتبار مقدار الاستهلاك الفعلى للفحم الحجرى فى العالم، لوجدنا أنّها تؤمن احتياج النّاس لأكثر من(٤٠٠٠)سنه.

و تفسير الآيه بالمعنى الأخير دون غير بعيد حسب الظاهر،و لا يستبعد أن تكون الآيه قد أرادت كل ما جاء فى المعانى الثلاث أعلاه.

و على أيّه حال،فللغثاء الأحوى منافع كثيره..فهو غذاء جيد للحيوانات فى الشتاء،و يستعمل كسماد طبيعى للأرض،و كذا يستعمله الإنسان كوقود.

فما ذكرته الآيات من صفات الربوبيه،الأعلى،الخلق،التسويه،التقدير، الهدايه و إخراج المرعى،توصلنا إلى الربوبيه الحقّه للّه جلّ و علا،و بقليل من التأمل يتمكن أىّ إنسان من إدراك هذا المعنى،ليصل نور الإيمان إلى قلبه،فيشكر المنعم على ما أعطى.

بحث

مسأله التقدير و الهدايه العامّه للموجودات،التى تناولتها الآيات الآنفه الذكر كمظهر من مظاهر ربوبيه اللّه عزّ و جلّ،تعتبر من المسائل الحيويه و التى كلما تقدم الزمان و توسعت مدارك و علوم الإنسان،إزداد فى الوصول إلى حقائق جديده تضاف إلى معلوماته السابقه.

فالاکتشافات العلمیه الجدیده فی کلّ یوم تحیطنا علما لرؤیه وجوه جدیده رائعه لتقدیر اللّه مخلوقاته و هدایته لها.

و یزیّن المفسّرون تفاسیرهم ببعض النماذج من تلک الأسرار الرائعه فی خصوص الهدایه التکوینیه لحرکه الحیوانات،و اعتمد البعض علی ما ذکره العالم المعروف(کریسی موریسن)فی کتابه(أسرار خلق الإنسان)،و إلیکم مختصرا ممّا جاء فیه:

۱-تقطع الطیور المهاجره-فی بعض الأحیان-آلاف الکیلومترات فی السنه،عابره الصحاری و الغابات و البحار،و عند عودتها تعرف طریق موطنها الأصلی بکل دقّه،و لا تضل عنه أبدا.

و من النحل ما یبتعد عن خلیته لمسافات بعیده جدّا،و لکنّه یعود إلی خلیته بکلّ سهوله و یسر،فی حین نری الإنسان فی حال عودته إلی وطنه یحتاج إلی عناوین و علامات دقیقه،حتی لا یضل الطریق! ۲-الحشرات تتمتع بعیون مجهریه ذات دقّه فائقه حیّرت عقول العلماء،من حیث بنائها و قدرتها علی النظر فی حین أن عیون الصقور تلسکوبیه تعینها علی النظر لمسافات بعیده جدّا.

۳-حینما یسیر الإنسان بین عتمه اللیل الداکنه فلا بدّ له من إضاءه تعینه فی مسیره،إلاّ أنّ کثیرا من الطیور تصل أهدافها فی حلکه اللیل الدامس،مستعینه بما لعیونها من قدره علی التحسس بالأشعه ما دون الحمراء!و لبعضها مراکز حسّاسه تشبه فی عملها الرادارات المتطوره! ۴-للکلاب حاسه شم ممیزه،تستطیع من خلالها معرفه أیّ کائن حی یقع فی طریقها،و هذا ما لا یتوفر عند الإنسان،بالرغم من التقدم التقنی الذی وصل إلیه.

۵-حاسه السمع عند جمیع الحیوانات أقوی و أدق من سمع الإنسان بدرجات،علی الرغم من استعمال الإنسان للأجهزه العلمیه المتطوره فی سمعه،

بحيث يستطيع أن يستمع إلى حركه أجنحه ذبابه على بعد عدّه كيلومترات منه! و لعل السرّ فى هذا التفاوت بين قدره حواس الإنسان و الحيوان،يرجع إلى القدره العقليه المودعه فى الإنسان،و التى بها يسد كلّ نقص،فيما لا تمتلك الحيوانات هذه القدره الفعاله ۶-و ثمّه حركه عجيبه عند بعض الأسماك الصغيره،فهى تقضى السنين من عمرها فى البحار،و لكن حين يحين وقت وضع البيض،فإنّها تترك البحار متجهه إلى تلك الأنهار التى فيها ولدت،فتسير بعكس التيار لمدّه طويله حتى تصل إلى مسقط رأسها،المكان المناسب لتكاثرها! ۷-و الأعجب منها حياه بعض الأسماك و حيوانات الماء التى تسلك فى حياتها عكس الصنف السابق.

ص: ۱۳۰

الآيات [سوره الأعلى (٨٧): الآيات ۶ الى ١٣]

اشاره

سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسىٰ (۶) إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اَللّٰهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ اَلْجَهْرَ وَ مٰا يَخْفىٰ (٧) وَ نُيَسِّرُکَ لِلْيُسْرىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ اَلذِّكْرىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ (١٠) وَ يَتَجَنَّبُهَا اَلْأَشْقَى (١١) اَلَّذِى يَصْلَى اَلنّٰارَ اَلْكُبْرىٰ (١٢) ثُمَّ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ (١٣)

التّفسير

اشاره

التوفيق الرّبانى:

فيما كان الحديث فى الآيات السابقه عن ربوبيه اللّه و توحيده جلّ شأنه، و الهدايه العامّه للموجودات،و كذا عن تسبيح الرّب الأعلى..تأتى الآيات أعلاه لتتحدث عن:القرآن و النّبوّه،و هدايه الإنسان،و كذا البيان القرآنى للتسبيح.

فتقول الآيه الاولى مخاطبه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسىٰ .

فلا تتعجل نزول القرآن،و لا تخف من نسيان آياته،فالذى أرسلك بهذه الآيات لهدايه البشريه كفيل بحفظها،و يخطها على قلبك الطاهر بما لا يمكن لآفه النسيان من قرض و لو حرف واحد منها أبدا.

ص: ١٣١

و تدخل الآیه فی سیاق الآیه(۱۱۴)من سوره طه: وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً ،و کذا الآیه(۱۶)من سوره القیامه:

لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ تدخل فی سیاقهما.

و لإثبات قدرته سبحانه و تعالی،و أنّ کلّ خیر منه،تقول الآیه: إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مٰا یَخْفیٰ .

و لا یعنی هذا الاستثناء بأنّ النسیان قد أخذ من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وطرا،و إنّما هو لبیان أنّ قدره حفظ الآیات هی موهبه منه سبحانه و تعالی،و مشیئته هی الغالبه أبدا،و إلاّ لتزعزعت الثقه فی قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و بعباره اخری،إنّما جاء الاستثناء لتبیان الفرق بین علم اللّه تعالی الذاتی، و علم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المعطی له من بارئه.

و الآیه تشبه إلی حد ما ما جاء فی الآیه(۱۰۸)من سوره هود،بخصوص خلود أهل الجنّه: وَ أَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خٰالِدِینَ فِیهٰا مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّکَ عَطٰاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ .

ف خٰالِدِینَ فِیهٰا دلیل علی عدم خروج أهل الجنّه منها أبدا،فإذن..عباره إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّکَ تکون إشاره إلی حاکمیه الإراده و القدره الإلهیه،و ارتباط کلّ شیء بمشیئته جلّ و علا،سواء فی بدایه الوجود أم فی البقاء.

و ممّا یشهد علی ذلک أیضا..أنّ حفظ بعض الأمور و نسیان اخری تعتبر حاله طبیعیه بین بنی آدم،و لکنّ اللّه تعالی میزّ حبیبه المصطفی بأن جعل فیه ملکه حفظ جمیع آیات القرآن،و الأحکام و المعارف الإسلامیه،حینما خاطبه ب: سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ .

و قیل:أرید بهذا الاستثناء تلک الآیات التی نسخ محتواها و نسخت تلاوتها أیضا.

و لکن لعدم ثبوت وجود هکذا آیات،فلا یمکننا الاعتماد علی هذا القول

الآنف أعلاه.

و قيل أيضا:إنّ الاستثناء يختص بقراءه بعض الآيات،فعلى هذا يكون مفهوم الآيه هو:إنّنا سنقرئک آيات القرآن إلّا بعض الآيات التى أراد اللّه عزّ و جلّ أن تبقى فى مخزون علمه..

و لا يتوافق هذا القول مع سياق الآيه.

أمّا جمله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مٰا يَخْفىٰ فلبيان علّه أمر تضمّنته جمله سَنُقْرِئُکَ ،أى:إنّ العليم جلّ اسمه عالم بجميع حقائق الوجود،أمّا ما يوحيه إليک،فهو ما يحتاج إليه البشر،و يصلک بالكامل دون أن ينقص منه شىء.

و قيل أيضا:إنّ مراد الآيه هو:على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن لا يتعجل فى أخذ الوحى، و أنّ لا يخشى نسيانه،فاللّه الذى يعلم الأمور ما خفى منها و ما ظهر،سوف لا يتركه و قد تعهد له بالحفظ.

و على أيّه حال،فمن معاجز النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،قابليته على حفظ الآيات و السور الطوال بعد تلاوه واحده من جبرائيل عليه السّلام،دون أنّ ينسى منها شيئا أبدا.

و تخاطب الآيه التاليه النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مسليه له: وَ نُيَسِّرُکَ لِلْيُسْرىٰ (۱) .

أى،إخبار النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بصعوبه الطريق فى كافه محطاته،من تلقى الوحى و حفظه حتى البلاغ و النشر و التعليم و العمل به،و تطمئنه بالرعايه و العنايه الربانيه، بتذليل صعابه من خلال تيسيرها له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و يمكن كذلک أن تكون إشاره الآيه إلى أن طبيعه الرساله الإسلاميه و التكاليف التى تضمّنتها،طبيعه سهله و سمحه،خاليه من الحرج و المشقّه.

و هذا المعنى يعطى شموليه أكثر لمفهوم الآيه،بالرغم من أنّ أكثر المفسّرين قد حددوا الآيه ببعد واحد من أبعاد مفهومها.

۱- ۱) -قال بعض المفسّرين:إنّ مفهوم الآيه هو:«نيسّر اليسرى لک»،و إنّما حصل فيها التقديم و التأخير للتأكيد،و هذا على أن لا تكون«نيسرک»بمعنى(نوفقک)،و إلّا لم تكن هناک حاجه للتقديم و التأخير.

و حقّا،فلو لا توفيق اللّه و تيسيره للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما أمكنه من التغلب على كل تلك المشاكل و الصعاب التى واجهته فى حياته الرساليه،و حياته الشريفه تنطق بذلك.

فنراه بسيطا فى لباسه،قنوعا فى طعامه،متواضعا فى ركوبه،و تاره ينام على الفراش و اخرى على التراب بل و على رمال الصحراء أيضا.

فليس فى حياته الشريفه أىّ تكلف،و لا أدنى تشريف من التشريفات الزائفه الواهيه المحيطه بزعماء و رؤساء أىّ قوم أو أمّه.

و بعد أن تبيّن الآيات العنايه الرّبانيه للنّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،تنتقل إلى بيان مهمته الرئيسيه: فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرىٰ .

قيل:الإشاره هنا إلى أنّ التذكير بحدّ ذاته نافع، و قليل أولئك من الذين لا ينتفعون به،و الحد الأدنى للتذكير هو إتمام الحجّه على المنكرين،و هذا بنفسه نفع عظيم (1) .

و لكن ثمّه من يعتقد أنّ فى الآيه محذوف،و التقدير:(فذكّر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع)،و هذا يشبه ما جاء فى الآيه(18)من سوره النحل: وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرٰابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ،فذكر«الحر»و أضمر(البرد)لوضوحه بقرينه المقابله.

و هناك من يؤكّد على أنّ الجمله الشرطيه فى الآيه،لها مفهوم،و المراد:أنّه يجب عليك التذكير إذا كان نافعا،فإن لم يكن نافعا فلا يجب.

و قيل:«إن»:-فى الآيه-ليست شرطيه،و جاءت بمعنى(قد)للتأكيد و التحقيق،فيكون مراد الآيه:(ذكر فإنّ الذكرى مفيده و نافعه).

و يبدو لنا أنّ التّفسير الأوّل مرجح على بقيه التّفاسير الثّلاث،بقرينه سلوك

1- 1) -و ما فى الآيه بخلاف ما جاء فى الآيه(6)من سوره البقره: سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ ،لأنّها تختص بفئه قليله من النّاس،و إلاّ فأكثر النّاس يتأثرون بالبلاغ المبين،و إن كانوا بدرجات متفاوته،و عليه..فالجمله الشرطيه فى الآيه المبحوثه من قبيل القيد بالغالب الأعم.

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی نشره الإسلام،تبلیغه الحق،فإنّه کان یعظ و ینذر الجمیع.

و تقسم الآیات التالیه النّاس إلی قسمین،من خلال مواقفهم تجاه الوعظ و الإنذار،الذی مارسه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم...: سَیَذَّکَّرُ مَنْ یَخْشیٰ نعم،فإذا ما فقد الإنسان روح«الخشیه»،و الخوف ممّا ینبغی أن یخاف منه، و إذا لم تکن فیه روحیه طلب الحق-و التی هی من مراتب التقوی-فسوف لا تنفع معه المواعظ الإلهیه،و لا حتّی تذکیرات الأنبیاء ستنفعه،علی هذا الأساس کان القرآن«هدی للمتقین».

و تذکر الآیه التالیه القسم الثّانی،بقولها: وَ یَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَی (1) .

و جاء عن ابن عباس،إنّ الآیه السابقه: سَیَذَّکَّرُ مَنْ یَخْشیٰ نزلت فی(عبد اللّه بن ام مکتوم) (2) ،ذلک البصیر المؤمن الذی جاء إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم طلبا للحق و التبصر به.

و روی،إنّ الآیه: وَ یَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَی نزلت فی(الولید بن المغیره)و(عتبه بن ربیعه)من رؤوس الشرک و الکفر (3) .

و قیل:یراد بالأشقی،المعاندین للحق بعداء،فالنّاس علی ثلاثه أقسام:إمّا عارف و عالم،و إمّا متوقف شاک،أو معاند،و أفراد الطائفه الاولی و الثّانیه ینتفعون من التذکیر طبیعیا،فیما لا ینفع القسم الثّالث منهم،و لیس للتذکیر من أثر علیه سوی إتمام الحجّه.

و یفهم من سیاق الآیه،أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان ینذر و یعظ حتی المعاندین،لکنّهم کانوا یتجنبونه و یهربون منه.

یبدو من خلال الآیتین الآنفتی الذکر أنّ«الشقاء»یقابل«الخشیه»فی حین

۱- ۱) -یعود ضمیر«یتجنبها»علی«الذکری»الوارده فی الآیات السابقه.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۱۱۰.

۳- ۳) -تفسیر الکشّاف؛روح المعانی(فی ذیل الآیات المبحوثه).

أنّ(السعاده)هی التی تقابله،و لعل هذا التقابل یستبطن حقیقه کون أساس سعاده الإنسان مبنیه علی إحساسه بالمسؤولیه و خشیته.

و یعرض لنا القرآن عاقبه القسم الثّانی: اَلَّذِی یَصْلَی النّارَ الْکُبْریٰ .. ثُمَّ لاٰ یَمُوتُ فِیهٰا وَ لاٰ یَحْییٰ .

أیّ،لاـ یموت لیخلص من العـذاب،و لاـ یعیش حیـاه خالیه من العـذاب،فهو أبـدا یتقلقل بالعـذاب بین الموت و الحیاه! و لکن ما هی«النّار الکبری»؟ قیل:إنّها أسفل طبقه فی جهنم،و أسفل السافلین،و لم لا یکون ذلک و هم أشقی النّاس و أشدّهم عنادا للحق.

و قیل أیضا:إنّ وصف تلک النّار ب«الکبری»مقابل(النّار الصغری)فی الحیاه الدنیا.

و

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام،أنّه قال: «إنّ نارکم هذه جزء من سبعین جزء من نار جهنّم،و قد أطفئت سبعین مرّه بالماء ثمّ التهبت و لولا ذلک ما استطاع آدمی أن یطیقها» (۱) .

و فی وصف نسبه بلاـء الـدنیا إلی بلاـء الآخره،یقول أمیر المؤمنین علیه السّـلام،فی دعاء کمیل:«علی أنّ ذلک بلاء مکروه قلیل مکثه،یسیر بقاؤه،قصیر مدّته...».

ص:۱۳۶

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۸:ص ۲۸۸،الحدیث ۲۱.

الآيات [سوره الأعلى (٨٧): الآيات ١۴ الى ١٩]

اشاره

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى (١۴) وَ ذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى (١۵) بَلْ تُؤْثِرُونَ اَلْحَياةَ اَلدُّنْيا (١۶) وَ اَلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (١٧) إِنَّ هذا لَفِي اَلصُّحُفِ اَلْأُولى (١٨) صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى (١٩)

التّفسير

اشاره

أسس دعوه الأنبياء جميعا عليهم السّلام:

بعد أن عرضت الآيات السابقه صوره العذاب و معاناه أهله، يأتى الحديث عن الذين نفعتهم الذكرى،ممن استمعوا إلى دعوه الهدى فطهروا أنفسهم من المعاصى و الآثام،و خشعت قلوبهم لذكر اللّه..و يقول القرآن: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى .

وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى

.

فأساس الفلاح بالنجاه من العذاب و الفوز بالنعيم الخالد،يعتمد على ثلاثه أركان رئيسيه:«التزكيه»،«ذكر اسم اللّه»و«الصلاه».

و قيل فى معنى«التزكيه»عدّه أقوال:

الا

أوّل:تطهير الروح و تزكيتها من الشرك،بقرينه الآيات السابقه،و باعتبار أن التطهير من الذنوب و عباده اللّه،يعتمد بالأساس على التطهير من الشرك،فهو مقدمته اللازمه.

الثّاني:تطهير القلب من الرذائل الأخلاقيه،و القيام بالأعمال الصالحه،بدلاله آيات الفلاح الوارده في كتاب اللّه الكريم،كالآيات الاولى من سوره المؤمن التي ذكرت أعمالا صالحه بعد أن قالت: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ،و كذا الآيه(۹)من سوره الشمس التي قالت،بعد ذكر مسأله التقوى و الفجور: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها .

الثّالث:«زكاه الفطره»التي تؤدى يوم عيد الفطر،لأنّها تدفع أوّلا ثمّ يصلى صلاه العيد،و هذا المعنى قد ورد في جمله روايات،رويت عن الإمام الصادق عليه السّلام (۱) ،كما و روى في كتب أهل السنه ما يؤيد هذا المعنى نقلا عن أمير المؤمنين عليه السّلام (۲) .

و يواجه القول الثّالث بالإشكال التالي:إنّ سوره الأعلى مكيه،في حين أن تشريع زكاه الفطره و صوم شهر رمضان و صلاه العيد قد نزل في المدينه.

فأجاب البعض:لا مانع من اعتبار أوائل آيات السّوره مكّيه و أواخرها مدنيه،فتكون الآيات المبحوثه مدنيه.

و يحتمل أن يكون التّفسير المذكور من قبيل بيان مصداق واضح للآيه،و ليس مطلق مراد الآيه.

الرّابع:يراد ب«التزكيه»في الآيه بمعنى:إعطاء الصدقه.

المهم أن«التزكيه»ذات مداليل واسعه تشمل:تطهير الروح من الشرك،تطهير الأخلاق من الرذائل،تطهير الأعمال من المحرمات و الرياء،تطهير الأموال و الأبدان بإعطاء الزكاه و الصدقات في سبيل اللّه،

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۵۶،الحديثين(۱۹ و ۲۰).

۲- ۲) -روح المعاني،ج ۳۰،ص ۱۱۰،و تفسير الكشاف،ج ۴،ص ۷۴۰.

خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهٰا .

و بهذا تجمع كلّ الأقوال المذكوره لتدخل فى مفهوم التزكيه الواسع المداليل.

و الجدير بالذكر أنّ الآيات محل البحث تتحدث عن التزكيه أولا،ثمّ ذكر اللّه ثمّ الصلاه.

و قد أشار بعض المفسّرين إلى هذه المراتب،بعد أن جدولها بالمراحل العمليه الثلاثه للمكلف:

الاولى:إزاله العقائد الفاسده من القلب.

الثّانيه:حضور معرفه اللّه و صفاته و أسمائه فى القلب.

الثّالثه:الإشتغال بخدمته و فى سبيله جلّ و علا.

و يمكن القول:إنّ الصلاه فرع لذكر اللّه،فإذا لم يذكر الإنسان ربّه،لم يسطع نور الإيمان فى قلبه، و عندها فسوف لن يقوى على الوقوف للصلاه،و الصلاه الحقّه هى تلك التى يصاحبها التوجّه الكامل و الحضور التام بين يديه عزّ و جلّ و هذان التوجّه و الحضور إنّما يحصلان من ذكره سبحانه و تعالى.

أمّا ما ذكره البعض،من أنّ ذكر اللّه هو قول«اللّه أكبر»أو«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم»فى بدايه الصلاه،فإنّما هو بيان لأحد مصاديق الذكر ليس إلاّ.

و يشير البيان القرآنى إلى العامل الأساس فى عمليه الانحراف عن جاده الفلاح: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا .. وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ .

و نقل الحديث النّبوى الشريف هذا المعنى،بقوله:«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه» (١) .

فالإنسان العاقل لا يجيز لنفسه أن يبيع الدار الباقيه بأمتعه فانيه،و لا أن يستبدل اللذائذ المحدوده و المحفوفه بألوان الآلام بالنعم الخالده و النقيه الخالصه.

١- ١) -و روى الحديث بصور عدّه عن الإمام الصادق عليه السّلام و الإمام السجاد عليه السّلام،و ورد معنى الحديث عن الأنبياء عليهم السّلام أيضا،ممّا يشير إلى أهميته البالغه.

و تختم السّوره ب: إِنَّ هٰذٰا لَفِی الصُّحُفِ الْأُولیٰ .. صُحُفِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ (۱) .

و لکن،ما المشار إلیه ب«هـذا»؟ فبعض قال:إنّه إشاره إلی الأمر بالتزکیه و ذکر اسم اللّه و الصـلاه و عـدم إیثار الحیاه الـدنیا علی الآخره.

و ذلک من أهم تعالیم جمیع الأنبیاء علیهم السّلام،کما و ورد هذا الأمر فی جمیع الکتب السماویه.

و اعتبره آخرون:إنّه إشاره لجمیع ما جاء فی السّوره،حیث أنّها ابتدأت بالتوحید مرورا بالنبوه حتی ختمت بالأعمال.

و علی أیّه حـال،فهـذا التعـبیر یبیّن أهمیّه محتوی السّوره،أو خصوص الآیـات الأـخیره منهـا،حیث اعتبرهـا من الأـصول الأساسـیه للأدیان،و ممّا حمله جمیع الأنبیاء علیهم السّلام إلی البشریه کافه.

«الصحف»:جمع و(صحیفه)،و هی اللوح الذی یکتب علیه.

و نستدل بالآیه الأخیره بأنّ لإبراهیم و موسی علیهما السّلام کتبا سماویه.

و

روی عن أبی ذر رضی اللّه عنه،إنّه قال: قلت یا رسول اللّه،کم الأنبیاء؟ فقال:«مائه ألف نبی و أربعه و عشرون ألفا».

قلت:یا رسول اللّه،کم المرسلون منهم؟ قال:«ثلاثمائه و ثلاثه عشر،و بقیتهم أنبیاء».

قلـت:کـان آدم علیـه السّـلام نبیّـا؟ قـال:«نعم،کلمه اللّه و خلقه بیـده..یا أبـا ذرّ،أربعه من الأنبیـاء عرب:هـود و صالـح و شـعیب و نبیّک».قلت:یا رسول اللّه،کم أنزل اللّه من کتاب؟

---

۱ - ۱) -یمکن أن تکـون«صـحف إبراهیم و موسـی»توضـیحا للصـحف الاـولی،کمـا و یمکن أن تکـون إشـاره لأحـد مصـادیق الصحف، و إلاّ فهی تشمل جمیع کتب الأنبیاء السابقین.

قال:«مائه و اربعه کتب،أنزل اللّه منها علی آدم علیه السّلام عشر صحف،و علی شیث خمسین صحیفه،و علی أخنوخ و هو إدریس ثلاثین صحیفه،و هو أوّل من خط بالقلم،و علی إبراهیم عشر صحائف،و التوراه و الإنجیل و الزّبور و الفرقان» (۱) .

(أنزلت علی موسی و عیسی و داود و محمّد علی نبیّنا و آله و علیهم السلام).

و«الصحف الاولی»:مقابل«الصحف الأخیره»التی أنزلت علی المسیح علیه السّلام و علی النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

بحث

اشاره

شرح الحدیث الشریف: «حبّ الدنیا رأس کلّ خطیئه»

لما کان تفضیل الآخره علی الدنیا من الأمور الجلیّه لدی المؤمنین،فکیف تصیب الغفله الإنسان المؤمن فیقع فی فخ الخطایا و الذنوب؟! و یکمن الجواب فی جمله واحده:عند غلبه الشهوات علی وجود الإنسان و مصدر قوّه الشهوات هو:حبّ الدنیا.

یتضمّن حبّ الدنیا:حبّ المال،المقام،الشهوه الجنسیه،حبّ التفوق، حبّ الذات،و حبّ الانتقام...إلخ..و إذا ما غلب هذا الحبّ علی وجود الإنسان فسیهتز کیانه بإعصار شدید و لا تستطیع کلّ معارف و علوم و عقائد الإنسان من أن تقف أمام جموحه،حتی یصل الإنسان لفقدان قدره التشخیص،فیقدم بالنتیجه الدنیا علی الآخره.

ف

«حبّ الدنیا رأس کلّ خطیئه» أمر محسوس و مجرّب فی حیاتنا و حیاه الآخرین و هو دائم الوقوع أمام ناظرینا.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۷۴۶.

الآخرين و هو دائم الوقوع أمام ناظرينا.

و عليه..فلا سبيل لقطع جذور المعاصى إلّا بإخراج حبّ الدنيا و عشقها من القلب.

ينبغى علينا أن ننظر إلى الدنيا بواقعيه و عقلائيه،فالدنيا ليست أكثر من مرحله انتقاليه أو معبر أو مزرعه الآخره،فما يبذر اليوم يحصد غدا،و لا بدّ للإنسان أن العاقل ن يختار الطريق الذى يوصله إلى الهدف المنشود فيما إذا وقف بين مفترق طريقين،واحد يؤدى للحصول على متاع الدنيا الزائل،و الآخر يوصل إلى نيل رضا البارى سبحانه و تعالى.

و نظره-و إن كانت سريعه-إلى ملفات الجرائم سترينا واقعيه الحديث المذكور،و إذا ما تأملنا فى بواعثها الحقيقه،فسيتوضح الحديث أكثر فأكثر.

و لا تخرج علل الحروب و سفك الدماء(حتى بين الاخوه و الأصدقاء)عن هذا الإطار المهلك(حبّ الدنيا).

فكيف النجاه،و كلنا أبناء هذه الدنيا و«لا يلام الولد على حبّه لامه»كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السّلام؟! إنّ زورق النجاه من تلاطم أمواج و هيجان حبّ الدنيا لا يبنى إلاّ بالتربيه الفكريه و العقائديه،و من ثمّ تهذيب النفس و مجاهدتها،بالإضافه إلى الإعتبار من عواقب عبده الدنيا.

فما كانت عاقبه الفراعنه مع كلّ ما كان لهم من قوّه؟!و أين هو الآن قارون و كنوزه التى لا يقدر مجموعه من الرجال على حمل مفاتيحها إلاّ بشقّ الأنفس؟! و حتى القوى المتسلطه فى عصرنا المعاش،ليس لهم سوى فتره زمنيه محدوده، فترى عروشها تتهاوى،و هم بين فار و مختبئ فى أقذر المكانات و بين من سيلفه التراب،لينتقل بعدها إلى العالم الذى كان يكذّب وجوده..أو ليس ذلك أفضل واعظ لنا؟!

سئل عن أیّ الأعمال أفضل عند اللّه؟

قال: «ما من عمل بعد معرفه اللّه عزّ و جلّ و معرفه رسوله أفضل من بغض الدنیا،فإنّ لذلک لشعبا کثیره،و للمعاصی شعب.

فأوّل ما عصی اللّه به«الکبر»،معصیه إبلیس حین أبی و استکبر و کان من الکافرین،ثمّ«الحرص»و هی معصیه آدم و حواء حین قال اللّه عزّ و جلّ لهما: فَکُلاٰ مِنْ حَیْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونٰا مِنَ الظّٰالِمِینَ فأخذا ما لا حاجه بهما إلیه،فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامه،و ذلک إنّ أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجه به إلیه،ثمّ«الحسد»و هی معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلک حبّ النساء،و حبّ الدنیا (۱) ،و حبّ الرئاسه،و حبّ الراحه،و حبّ الکلام، و حبّ العلو و الثروه،فصرن سبع خصال فاجتمعن کلّهن فی حبّ الدنیا،فقال الأنبیاء و العلماء بعد ذلک:حبّ الدنیا رأس کلّ خطیئه» (۲) .

اللّهم،اخرج حبّ الدنیا من قلوبنا..

اللّهم،خذ بأیدینا إلی صراطک القویم،و أبلغنا مغرمنا..

اللّهم،إنّک تعلم الجهر و ما یخفی،فاغفر لنا ما ظهر من ذنوبنا و ما خفی..

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الأعلی

ص :۱۴۳

۱- ۱) -یبدو أنّ«حبّ الدنیا»هنا،بمعنی(حبّ البقاء فی الدنیا)،باعتباره کأحد الشعب السبعه،و یبدو أنّه یرادف(طور الأمد).

۲- ۲) -اصول الکافی،ج ۲،ص ۲۳۹،باب حبّ الدنیا و الحرص علیها،الحدیث ۸،و فی هذا الباب توجد روایه اخری بهذا الشأن.

سوره الغاشيه

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ست و عشرون آیه

ص :۱۴۵

محتوی السّوره:

تدور محتویات السّوره علی ثلاثه محاور:

الأوّل:بحث«المعاد»،و بیان حال المجرمین بما فیه من شقاء و تعاسه، و وصف حال المؤمنین و هم یرفلون بنعیم لا ینضب.

الثّانی:بحث«التوحید»،و یتناول موضوع خلق السماء و الجبال و الأرض، و نظر الإنسان إلیها.

الثّالث:بحث«النبوّه»،مع عرض لبعض وظائف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و عموما،فالسّوره تسیر علی منهج السور المکّیه فی تقویه أسس الإیمان و الإعتقاد.

فضیله السّوره:

ورد فی فضیله هذه السّوره فی الحدیث النبوی الشریف: «من قرأها حاسبه اللّه حسابا یسیرا». (1)

و

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام،أنّه قال: «من أدمن قراءه هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ الْغٰاشِیَهِ فی فرائضه أو نوافله غشاه اللّه برحمته فی الدنیا و الآخره،أو أعطاه الأمن یوم القیامه من عذاب النّار» (2) .

و بدیهی أنّ الثواب المذکور لا یحصل إلاّ لمن تلاها بتأمل و عمل.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۷۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآیات [سوره الغاشیه (۸۸): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ اَلْغٰاشِيَةِ (۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ (۲) عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ (۳) تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً (۴) تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (۵) لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِيعٍ (۶) لاٰ يُسْمِنُ وَ لاٰ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (۷)

التّفسیر

اشاره

المتعبون..الأخسرون!

تبتدأ السّوره بذکر اسم جدید لیوم القیامه: هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ الْغٰاشِيَةِ .

«الغاشیه»:من(الغشاوه)،و هی التغطیه،و سمّیت القیامه بذلک لأنّ حوادثها الرهیبه ستغطی فجاءه کلّ شیء.

و قیل:بما أنّ الأوّلین و الآخرین سیجمعون فی ذلک الیوم،فالقیامه تغشاهم جمیعا.

و قیل أیضا:یراد بها نار جهنم،لأنّها ستغطی وجوه الکافرین و المجرمین

ص:۱۴۸

و یبدو لنا التّفسیر الأوّل أنسب من غیره.

و ظاهر الآیه:إنّها خطاب للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و ما حوته من صیغه الاستفهام فلبیان عظمه و أهمیه یوم القیامه.

و یبدو بعیدا ما احتمله البعض من کون خطاب الآیه موجّه إلی کلّ إنسان.

و تصف الآیات التالیه،حال المجرمین فی یوم القیامه،فتقول أوّلا: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ خٰاشِعَهٌ .

لا ـ شک أنّ الوضع النفسی و الروحی،تنعکس آثاره علی وجه صاحبه،لذا فستری تلک الوجوه و قد علتها علائم الخسران و الخشوع لما أصابها من ذلّ و خوف و وحشه و هم بانتظار ما سیحل بهم من عذاب مهین ألیم.

و قیل:«الوجوه»هنا،بمعنی وجهاء القوم و رؤساء الکفر و الطغیان،لما سیکون لهم من ذل و هوان و عذاب أشد من غیرهم.

و لکنّ المعنی الأوّل أنسب و تصف حال تلک الوجوه ثانیا: عٰامِلَهٌ نٰاصِبَهٌ .

فکلّ ما سعوا و کدوّا فیه فی الحیاه الدنیا سوف لا یجنون منه إلّا التعب و النصب،و ذلک:لأنّ أعمالهم غیر مقبوله عند اللّه،و ما جمعوه من أموال و ثروات قد ذهبت لغیرهم،و لا یملکون من ذکر صالح یعقبهم فی الدنیا و لا ولد صالح یدعو و یستغفر اللّه لهم،فما اصدق هذا القول بحقّهم: عٰامِلَهٌ نٰاصِبَهٌ .

و قیل:المراد،إنّهم یعملون فی الدنیا،و لهم التعب و الألم فی الآخره.

و قیل أیضا:إنّ المجرمین سیقومون بأعمال شاقّه داخل جهنم،زیاده فی عذابهم.

و یبدو التّفسیر الأوّل أصح من غیره.

و خاتمه مطاف تلک الوجوه التعبه الذلیله أنّ: تَصْلیٰ نٰاراً حٰامِیَهً .

«تصلی»:من(صلی)-علی زنه نفی-و هو دخول النّار و البقاء فیها،

و الاحتراق بها (۱) .

و لن يقف عذابهم عند هذا الحد،بل أنّهم و بسبب حراره النيران يصيبهم العطش الشديد و حينئذ: تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَهٍ .

«آنيه»:مؤنث آنی من(الأنی)-علی زنه حلی-و هو التأخیر،و يستعمل لما يقرب وقته،و جاء فی الآيه بمعنی:الماء الحارق الذی بلغ أقصی درجه حرارته و جاء فی الآيه(۲۹)من سوره الكهف: وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغٰاثُوا بِمٰاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرٰابُ وَ سٰاءَتْ مُرْتَفَقاً و تحكی لنا الآيه التاليه عن طعام المجرمين: لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّ مِنْ ضَرِيعٍ و قد تعددت الآراء فی معنی«الضريع».

فقال بعض:نبت ذو شوك لا صق بالأرض،تسمّيه قريش(الشبرق)إذا كان رطبا،فإذا يبس فهو (الضريع)،لا تقربه دابه و لا بهيمه و لا ترعاه،و هو سم قاتل. (۲)

و قال الخليل(أحد علماء اللغه):الضريع نبات أخضر منتن الريح،يرمی به البحر.

و عن ابن عباس:هو شجر من نار،و لو كانت فی الدنيا لأحرقت الأرض و ما عليها.

و

جاء فی الحديث النبوی الشريف: «الضريع شیء يكون فی النّار يشبه الشوك،أشدّ مراره من الصبر،و أنتن من الجيفه،و أحر من النّار،سمّاه اللّه ضريعا».

و قال بعض آخر:هو طعام يضرعون عنده و يذلون،و يتضرعون منه إلی اللّه

ص:۱۵۰

۱- ۱) -صلی بالنّار،لزمها و احترق بها.

۲- ۲) -تفسير القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۱۱۹.

(و یذکر أن(الضرع)بمعنی الضعف و الذله و الخضوع). (۱)

و لا تعارض بین هذه التفاسیر،و یمکن قبولها کلها فی تفسیر الآیه المذکوره.

و تصف لنا الآیه التالیه ذلک الطعام: لاٰ یُسْمِنُ وَ لاٰ یُغْنِی مِنْ جُوعٍ .

فهو لیس لسد جوع أو تقویه بدن،و إنّما هو طعام یغص به،ایغالا-فی العذاب، کما ورد هذا المعنی فی الآیه(۱۳)من و سوره المزمل: وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّهٍ وَ عَذٰاباً أَلِیماً .

فالذین شرهوا فی تناول ألذ المأکولات فی دنیاهم،علی حساب ظلم النّاس و التجاوز علی حقوقهم،و منعوا لقمه العیش عن کثیر من المحرومین،فلیس فی طعام آخرتهم سوی العذاب الألیم.

و نعود لنکرر القول:إنّ ما نصفه و نتصوره عن نعیم الجنّه و عذاب جهنم،لا یتعدی عن کونه مجرد إشارات و أشباح نراها من بعید و نحن نعیش فی سجن الدنیا المحدود،و إلاّ-فحقیقه ما سینعم به أهل الجنّه و ما یعانیه أهل النّار فمما لا یمکن لأحد وصفه!.

۱- ۱) -بحثنا موضوع طعام أهل النّار،الذی یسمیه القرآن تاره ب«الضریع»و اخری ب«الزقوم»و ثالثه ب«غسلین»،و ما بینها من تفاوت..فی ذیل الآیه(۳۶)من سوره الحاقه.

الآيات [سوره الغاشيه (٨٨): الآيات ٨ الى ١٦]

اشاره

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَهٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَهٌ (٩) فِی جَنَّهٍ عَالِيَهٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَهً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَهٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَهٌ (١٣) وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَهٌ (١۴) وَ نَمَارِقُ مَصْفُوفَهٌ (١۵) وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَهٌ (١۶)

التّفسير

اشاره

صور من نعيم الجنّه:

بعد ذكر ما سيتعرض له أهل النّار،تنتقل عدسه السّوره لتنقل لنا مشاهدا رائعه لنعيم أهل الجنّه..ليتوضح لنا الفرق ما بين القهر الإلهی و الرحمه الإلهيه،و ما بين الوعيد و البشاره.

فتقول الآيه الاولى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَهٌ ،على عكس وجوه المذنبين المكسوه بعلائم الذله و الخوف.

«ناعمه»:من(النعمه)،و تشير هنا إلی الوجوه الغارقه فی نعمه اللّه،وجوه طريه،مسروره و نورانيه،كما أشارت لهذا الآيه(٢۴)من سوره المطففين: تَعْرِفُ

فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ النَّعِیمِ .

و تری الوجوه: لِسَعْیِها راضِیَهٌ .

علی عکس أهل جهنّم،فوجوههم «عامله ناصبه»،أمّا أهل الجنّه،فقد حان وقت حصادهم لما زرعوا فی دنیاهم،و حصلوا علی أحسن ما یتمنون،فتراهم فی غایه الرضی و السرور.

و ما زرعوا سیتضاعف ناتجه بإذن اللّه و لطفه أضعافا مضاعفه،فتاره عشره أضعاف،و اخری سبعمائه ضعف،و ثالثه یجازون علی ما عملوا بغیر حساب،کما أشارت الآیه(١٠)من سوره الزمر إلی ذلک بقولها: إِنَّما یُوَفَّی الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسابٍ و یدخل البیان القرآنی فی التفصیل أکثر: فِی جَنَّهٍ عالِیَهٍ .

«عالیه»:قیل بإراده المکان(فی طبقات الجنّه العلیا)،و قیل أرید بها المقام الرفیع،و مع أنّ التّفسیر الثّانی أرجح،إلاّ أنّه لا مانع من الجمع بینهما:

و کذا..: لا تَسْمَعُ فِیها لاغِیَهً . (١)

فلیس هناک ثمّه:جدال،کلام نفاق،عداوه،حقد،حسد،کذب،تهمه،افتراء، غیبه و لا أیّ إیذاء،بل و لا حتی الکلام الفارغ.

فهل یوجد مکان أهدأ و أجمل من ذلک؟! و لو تأملنا حقیقه مشاکلنا فیما بیننا،لرأینا أنّ الغالب منها ما کان ناشئا عن سماع هکذا أحادیث،و التی تؤدی إلی عدم الاستقرار النفسی،و إلی تهدیم أرکان الترابط الاجتماعی فینهار النظام و تشتعل نیران الفتن لتأکل الأخضر و الیابس معا.

و بعد ذکر القرآن لما یتمتع به أهل الجنّه من نعمه روحیه،یبیّن بعض النعم المادیه فی الجنّه: فِیها عَیْنٌ جارِیَهٌ .

ص :١٥٣

١- ١) -«لاغیه»:بالرغم من کونها اسم فاعل،و لکنّها تأتی بما یرادف(اللغو)،أی(ذات لغو).

ظاهر كلمه«عين»فی الآیه،إنّها عين واحده بدليل مجيئها نكره،إلاّ أنّه بالرجوع إلى بقيه الآيات فی القرآن الكريم،يتبيّن لنا إنّها للجنس،فهی و الحال هذه تشمل عيونا مختلفه،و من قرائن ذلك ما جاء فی الآيه(۱۵)من سوره الذاريات: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ .

و قيل:فی كلّ قصر من قصور أهل الجنّه،ثمّه«عين جاريه»،و هو المراد فی الآيه،و من ميزه تلك الأنهار أنّها تجری حسب رغبه أهل الجنّه،فلا داعی معها لشقّ أرض أو وضع سد.

و ينهل أهل الجنّه أشربه طاهره و متنوعه،فتلك العيون و على ما لها من رونق و روعه،فلكلّ منها شراب معين له مواصفاته الخاصّه به.

و ينتقل الوصف إلى أسره الجنّه: فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ .

«سرر»:جمع(سرير)،و هو من(السرور)،بمعنى المقاعد التی يجلس عليها فی مجالس الانس و السرور (۱) .

و جعلت تلك الأسره من الارتفاع بحيث يتمكن أهل الجنّه من رؤيه كلّ ما يحيط بها و التمتع بذلك.

يقول ابن عباس:إذا أراد أن يجلس عليها،تواضعت له حتى يجلس عليها، ثمّ ترتفع إلى موضعها. (۲)

و يحتمل أيضا:وصفت بالمرفوعه إشاره إلى رفعتها و علو شأنها.

و قيل:إنّها من الذهب المزين و المرصع بالزبرجد و الدرّ و الياقوت.

و لا مانع من الجمع بين ما ذكر.

و لمّا كان شرب الشراب يستلزم ما يشرب به،فقد قالت الآيه التاليه:

وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ

.

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده(سرّ).

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۷۹.

و متی ما أرادوا الشرب ارتفعت تلک الأکواب لتصل بین أیدیهم و قد ملئت من شراب تلک العیون،فیستلذون بما لا وصف له عند أهل الدنیا.

«أکواب»:جمع(کوب)،و هو القدح،أو الظرف الذی له عروه.

و بالاضافه إلی ذکر ال«أکواب»فقد ذکر القرآن الکریم تعابیر اخری لها، مثل:«أباریق»جمع(إبریق)و هو ظرف معروف،و«کأس» بمعنی القدح المملوء بالشراب،کما جاء فی الآیتین(۱۷)و(۱۸)من سوره الواقعه: یَطُوفُ عَلَیْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَکْوابٍ وَ أَبارِیقَ وَ کَأْسٍ مِنْ مَعِینٍ و یستمر الحدیث عن جزئیات نعیم الجنّه: وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَهٌ .

«نمارق»:جمع(نمرقه)،و هی الوساده الصغیره التی یتکأ علیها.

«مصفوفه»:إشاره إلی تعددها بنظم خاص،لیظهر أنّ لأهل الجنّه جلسات انس جماعیه،التی لا یتخللها أی لغو و باطل،و یدور الحدیث فیها حول الألطاف الإلهیه و نعمه الخالده،و عن الفوز الحقیقی الذی أبعدهم عن عذاب الآخره،و کیف أنّهم قد نجوا و خلصوا من الآم و أتعاب الدنیا.

ثمّ تکون الإشاره إلی فرش الجنّه الفاخره: وَ زَرابِیُّ مَبْثُوثَهٌ .

«زرابیه»:جمع(زرب)أو(زربیّه)،و هی الفرش و البسط الفاخره ذات المتکأ.

ذکرت الآیات المبحوثه سبع نعم رائعه من نعم الجنّه،و کلّ منها أکثر روعه من الاخری.

و الخلاصه:فمنزل الجنّه لا مثیل له من کلّ الجهات،فهو الخالی من أی ألم أو عذاب أو حرب أو جدال..و تجد فیه کلّ ألوان الثمار و الأنعام و العیون الجاریه و الأشربه الطاهره و الولدان المخلدین و الحور العین و الأسره المرصعه و الفرش الفاخره و أقداح جمیله فی متناول الید و جلساء أصفیاء،إلی غیر ذلک ممّا لا یمکن عدّه بلسان أو وصفه بقلم و لا حتی تخیله إذا ما سرحت المخیّله فی عالمها

الرحب!..

و كلّ ما ذكر و غيره سيكون فى انتظار من آمن و عمل صالحا،بعد حصوله على إذن الدخول إلى تلك الدار العاليه.

و فوق هذا و ذاک فثمّه«لقاء اللّه»،الذى ليس من فوز يوازيه.

الآيات [سوره الغاشيه (۸۸): الآيات ۱۷ الی ۲۶]

اشاره

أَ فَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى اَلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَ إِلَى اَلسَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَ إِلَى اَلْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (۱۹) وَ إِلَى اَلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (۲۰) فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (۲۱) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (۲۲) إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ كَفَرَ (۲۳) فَيُعَذِّبُهُ اَللّٰهُ اَلْعَذٰابَ اَلْأَكْبَرَ (۲۴) إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ (۲۵) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ (۲۶)

التّفسير

اشاره

الإبل..من آيات خلق اللّه:

بعد أن تحدثت الآيات السابقه بتفصيل عن الجنّه و نعيمها،تأتی هذه الآيات لتوضيح معالم الطريق الموصل إلى الجنّه و نعيمها.

فمفتاح المعرفه«معرفه اللّه»،و وصولا لهذا المفتاح تذكر الآيات أربعه نماذج لمظاهر القدره الإلهيه و بديع الخلقه،داعيه الإنسان للتأمل،عسى أن يصل إلى ما ينبغی له أن يصل إليه.

و تشير أيضا إلى أنّ قدره اللّه المطلقه هی مفتاح درک المعاد..

ص :۱۵۷

فتقول الآیه الاولی: أَ فَلاٰ یَنْظُرُونَ إِلَی الْإِبِلِ کَیْفَ خُلِقَتْ .

و لکن،لم اختص ذکر«الإبل»قبل غیره؟ للمفسّرین حدیث طویل فی ذلک،لکنّ الواضح إنّ الآیات فی أوّل نزولها کانت تخاطب أهل مکّه قبل غیرهم،و الإبل أهم شیء فی حیاه أهل مکّه فی ذلک الزمان،فهی معهم لیل نهار و تنجز لهم ضروب الأعمال و تدر علیهم الفوائد الکثیره.

أضف إلی ذلک أنّ لهذا الحیوان خصائص عجیبه قد تفرّد بها عن بقیه الحیوانات،و یعتبر بحق آیه من آیات خلق اللّه الباهره.

و من خصائص الإبل:

۱-لو نظرنا إلی موارد الاستفاده من الحیوانات الألیفه،فسنری أنّ قسما منها لا یستفاد إلاّ من لحومها،و القسم الآخر یستفاد من ألبانها علی الأغلب، و قسم لا یستفاد منه إلاّ فی الرکوب،و قسم قد تخصص فی حمل و نقل الأثقال، و لکنّ الإبل تقدم کلّ هذه الخدمات(اللحم،اللبن،الرکوب و الحمل).

۲-قدره حمل و تحمل الإبل أکثر بکثیر من بقیه الحیوانات الأهلیه،حتی أنّها لتبرک علی الأرض فتوضع الأثقال علیها ثمّ تنهض بها،و هذا ما لا تستطیع فعله بقیه الحیوانات الأهلیه.

۳-تتحمل العطش لأیّام متتالیه(بین السبعه إلی عشره أیّام)،و قابلیتها علی تحمل الجوع مذهله.

۴-یطلق علیها اسم(سفینه الصحراء)،لما لها من قابلیه فائقه علی طی مسافات طویله فی الیوم الواحد،رغم الظروف الصحراویه الصعبه،فلا یعرقل حرکتها صعوبه الأرض أو کثره المنخفضات الرملیه،و هذا ما لا نجده فی أی حیوان أخر و بهذه المواصفات.

۵-مع إنّها تتغذی علی أی شوک و أیّ نبات،فهی تشبع بالقلیل أیضا.

۶-لعينها و اذنها و أنفها قدره كبيره على مقاومه الظروف الجويه الصعبه فى الصحراء،و حتى العواصف الرمليه لا تقف حائلا أمام مسيرها.

۷-و الإبل مطيعه و سهله الانقياد،لدرجه أنّ بإمكان طفل صغير أن يأخذ بزمام مجموعه كبيره من الإبل و تتحرك معه حيث يريد.

و الخلاصه:إنّ ما يتمتع به هذا الحيوان من خصائص تدفع الإنسان لأن يلتفت إلى قدره الخالق سبحانه و تعالى.

و ها هو القرآن ينادى بكلّ وضوح:يا أيّها الضالون فى وادى الغفله ألاّ تتفكرون فى كيفيه خلق الإبل،لتعرفوا الحق و تخرجوا من ضلالكم؟! و لا بدّ من التذكير،بأنّ«النظر»الوارد فى الآيه،يراد به النظر الذى يصحبه تأمل و دراسه.

و ينتقل بنا البيان القرآنى فى الإبل إلى السماء: وَ إِلَى السَّمّٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .

السماء التى حيّرت العقول بعظمتها و عجائبها و ما فيها من نجوم و ما لها من بهاء و روعه..السماء التى يتصاغر وجود الإنسان أمامها ليعد لا شيء بالنسبه لها..

السماء التى لها من دقّه التنظيم و الحساب الدقيق ما بهر فيها عقول العلماء المتخصصين.

ألا ـ ينبغى للإنسان أن يتفكر فى أمر مدبر هذا الخلق،و ما الأهداف المرجوه من خلقه؟! فكيف أصبحت تلك الكواكب فى مساراتها المحدوده؟و ما هو سرّ استقرارها فى أماكنها و بكلّ هذه الدقّه؟و لم لم يتغيّر محور حركتها بالرغم من مرور ملايين السنين عليها؟!!! و مع تطور الاكتشافات العلميّه الحديثه،نرى أنّ عالم السماء و ما يحويه يزداد عظمه و جلالا بدرجات ملموسه نسبه إلى ما كان عليه قبلا...

مع كلّ هذا و ذاك،ألا يكون أمر خلق السماء مدعاه للتأمل و التفكير،

و الخضوع و التسليم لربوبيه الخالق الواحد الأحد؟! و ينقلنا إلى الجبال: وَ إِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ .

الجبال التى تشمخ بتعمق جذورها فى باطن الأرض،و تحيط بالأرض على شكل حلقات و سلاسل لتقلل من شدّه الزلازل الناشئه من ذوبان المواد المعدنيه فى باطن الأرض،و كذا ما لها من دور فى حفظ الأرض من عمليه المدّ و الجزر الناشئه من تأثيرات الشمس و القمر..الجبال التى لو لا وجودها بهذه الهيئه لما توفرت ظروف عيش الإنسان على سطح الأرض،لما تمثله من سد منيع أمام قوّه أثر العواصف..و أخيرا،الجبال التى تحفظ الماء فى داخلها لتخرجه لنا على صوره عيون فياضه نعم الأرض ليخضر بساطها بأنواع المزارع و الغابات.

و لعل ذلك كلّه كان وراء وصفها«أوتادا»فى القرآن الكريم.

فهى عموما..مظهر الابهه و الصلابه و الشموخ،و هى مصدر خير و بركه معطاه، و لعل ذلك من علل تفتح ذهنيه الإنسان عندها،كما و ليس من العبث أن يتّخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جبل النور و غار حراء محلا لعبادته قبل البعثه المباركه.

«نصبت»:من(النصب)،و هو التثبيت،و ربّما رمز هذا التعبير إلى بدايه خلق الجبال أيضا.

فقد توصل العلم الحديث إلى أنّ تكّون الجبال يعتمد على عوامل عديده و قسمها إلى عدّه أنواع:

فمنها:ما تكون نتيجه للتراكمات الحاصله على الأرض.

و منها:ما تكون من الحمم البركانيه.

و منها:ما تكون نتيجه لتفتت الأرض بواسطه الأمطار.

و كذا منها:ما تكون نتيجه للترسبات الحاصله فى أعماق البحار و من بقايا الحيوانات(كالجبال و الجزر و المرجانيه).

نعم،فالجبال و بكلّ ما فيها و لها تعدّ آيه من آيات القدره الإلهيه،لمن رآها

بعین بصیره و لبّ شغول.

ثمّ إلی الأرض: وَ إِلَی اَلْأَرْضِ کَیْفَ سُطِحَتْ .

فلینظر الإنسان إلی کیفیه هطول الأمطار علی الجبال لتسیل من بعدها محمله الأتربه کی تتکون بها السهول الصافیه،لتکون صالحه للزراعه من جهه و مهیئه لما یعمل بها الإنسان من جهه اخری..و لو کانت کلّ الأرض عباره عن جبال و ودیان،فما أصعب الحیاه علی سطحها و الحال هذه! و لا بدّ لنا من التأمل و التفکیر فی من جعلها تکون علی هذه الهیئه الملائمه تماما لحیاه الإنسان؟..

و لکن،ما علاقه الربط بین الإبل و السماء و الجبال و الأرض،حتی تذکرها الآیات بهذا التوالی؟ یقول الفخر الرازی فی ذلک:إنّ القرآن نزل علی لغه العرب،و کانوا یسافرون کثیرا لأنّ بلدتهم بلده خالیه من الزراعیه،و کانت أسفارهم فی أکثر الأمر علی الإبل،فکانوا کثیرا ما یسیرون علیها فی المهامه و القفار مستوحشین،منفردین عن النّاس،و من شأن الإنسان إذا انفرد أن یقبل علی التفکر فی الأشیاء،لأنه لیس معه من یحادثه،و لیس هناک شیء یشغل به سمعه و بصره،و إذا کان کذلک لم یکن له بدّ من أن یشغل باله بالفکره،فإذا فکر فی ذلک وقع بصره أوّل الأمر علی الجمل الذی رکبه،فیری منظرا عجیبا،و إذا نظر إلی فوق لم یر غیر السماء،و إذا نظر یمینا و شمالا لم یر غیر الجبال،و إذا نظر إلی ما تحت لم یر غیر الأرض،فکأنّه تعالی أمره بالنظر وقت الخلوه و الانفراد عن الغیر حتی لا تحمله داعیه الکبر و الحسد علی ترک النظر،ثمّ إنّه فی وقت الخلوه فی المفازه البعیده لا یری شیئا سوی هذه الأشیاء،فلا جرم جمع اللّه بینها فی هذه الآیه (1) .

ص:161

1- 1) -تفسیر الفخر الرازی،ج 31،ص 158.

و إذا مـا ابتعـدنا المحيط العربى القـديم و ما كان فيه،و توسـعنا فى مجال تأملنا ليشـمل كلّ محيط البشـريه،لتوصـلنا إلى أنّ هـذه الأشـياء الأربع تدخل فى حياه الإنسان بشـكل رئيسى،حيث من السماء مصدر النور و الأمطار و الهواء،و الأرض مصدر نمو أنواع النباتات و ما يتغـذى به،و كذا الجبال فبالإضافه لكونها رمز الثبات و العلو ففيها مخازن المياه و المواد المعدنيه بألوانها المتنوعه،و ما الإبل إلّا نموذج شاخص متكامل لذلك الحيوان الأهلى الذى يقدّم مختلف الخدمات للإنسان.

و عليه،فقـد تجمعت فى هذه الأشـياء الأربع كلّ مسـتلزمات«الزراعه» و«الصـناعه»و«الثروه الحيوانيه»،و حرى بالإنسان و الحال هذه أن يتأمل فى هـذه النعم المعطاءه،كى ينـدفع بشـكل طبيعى لشـكر المنعم سـبحانه و تعالى،و بلا شك فإنّ شـكر المنعم سـيدعوه لمعرفه خالق النعم أكثر فأكثر.

و بعـد هـذا البحث التوحيـدى،يتوجه القرآن الكريم لمخاطبه النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ .. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ .

نعم،فخلق السماء و الأرض و الجبال و الحيوانات ينطق بعدم عبثيه هذا الوجود،و أنّ خلق الإنسان إنّما هو لهدف...

فذكّرهم بهدفيه الخلق،و بيّن لهم طريق السلوك الربّانى،و كن رائدهم و قدوتهم فى مسيره التكامل البشرى.

و ليس باسـتطاعتك إجبـارهم،و إن حصـل ذلـك فلاـ فائـده منه،لأنّ شوط الكمال إنّما يقطع بالإراده و الإختيار،و ليس ثمّه من معنى للتكامل الإجبارى.

و قيل:إنّ هذا الأمر الإلهى نزل قبل تشـريع«الجهاد»،ثمّ نسخ به! و ما أعظم هذا الاشـتباه!! فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مـارس عمليه التـذكير و التبليغ منـذ الوهله الاـولى للبعثه الشـريفه و اسـتمر على هـذا النهـج حتـى آخر لحظه من حيـاته الشـريفه المباركه،و لم

توقف العمليه عن الممارسه من بعده،حيث قام بهذه المهمّه الأئمّه عليهم السّلام و العلماء من بعدهم،حتى وصلت ليومنا و سوف لن تتوقف بإذن اللّه تعالى،فأىّ نسخ هذا الذى يتكلمون عنه! ثمّ إنّ عدم إجبار النّاس على الإيمان يعتبر من ثوابت الشريعه الإسلاميه السمحاء،أمّا هدف الجهاد فيتعلق بمحاربه الطغاه الذين يقفون حجر عثره فى طريق دعاه الحقّ و طالبيه.

و ثمّه آيات اخرى فى القرآن قد جاءت فى هذا السياق،كالآيه(٨٠)من سوره النساء: وَ مَنْ تَوَلّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ،و كذا الآيه(١٠٧)من سوره الأنعام،و الآيه(۴٨)من سوره الشورى-فراجع «مصيطر»:من(السطر)،و هو المعروف فى الكتب،و(المسيطر):الذى ينظم السطور،ثمّ استعمل لكلّ من له سلطه على شىء،أو يجبر أحدا على عمل ما.

و فى الآيتين التاليتين..يأتى الاستثناء و نتيجته: إِلاّ مَنْ تَوَلّى وَ كَفَرَ ..

فَيُعَذِّبُهُ اللّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ

.

و لكن،إلى أيه جمله يعود الاستثناء؟ ثمّه تفاسير مختلفه فى ذلك:

الأوّل:إنّه استثناء لمفعول الجمله«فذكّر»،أى:لا ضروره لتذكير المعاندين الذين رفضوا الحق جمله و تفصيلا،كما جاء فى الآيه(٨٣)من سوره الزخرف:

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ .

الثّانى:إنّه استثناء لجمله محذوفه،و التقدير:فذكّر إنّ الذكرى تنفع الجميع إلاّ من تولى و كفر،كما جاء فى الآيه(٩)من سوره الأعلى: فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى ،(على أن يكون لها معنا شرطيا).

الثّالث:إنّه استثناء من الضمير«عليهم»فى الآيه السابقه،أى:(إنّك لست

عليهم بمصيطر إلّا من تولّى و كفر فأنت مأمور بمواجهتها) (۱) .

کلّ ما ذکر من تفاسیر مبنیّ علی أنّ الاستثناء متصل،و لکن ثمّه من یقول بأنّ الاستثناء منقطع،فیکون معناه بما یقارب معنی(بل)،فیصبح معنی الجمله:(بل من تولّی و کفر فإنّ اللّه متسلط علیهم)أو(إنّه سیعاقبهم بالعذاب الأکبر).

و من بین هذه التفاسیر،ثمّه تفسیران مناسبان.

الأوّل:القائل بالاستثناء المتصل لجمله لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ فیکون إشاره لاستعمال القوّه فی مواجهه من تولی و کفر.

الثّانی:القائل بالاستثناء المنفصل،أیّ،سینالهم العذاب الألیم،الذی ینتظر المعاندین و الکافرین.

و یراد ب اَلْعَذٰابَ الْأَكْبَرَ «عذاب الآخره»الذی یقابل عذاب الدنیا الصغیر نسبه لحجم وسعه عذاب الآخره،بقرینه الآیه(۲۶)من سوره الزمر: فَأَذٰاقَهُمُ اللّٰهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ لَعَذٰابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ .

و کذلک یحتمل إراده نوع شدید من عذاب الآخره،لأنّ عذاب جهنم لیس بمتساو للجمیع.

و بحدّیه قاطعه،تقول آخر آیتین فی السّوره: إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ .. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ .

و الآیتان تتضمّنان التسلیه لقلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مواجهته لأسالیب المعاندین، لکی لا ییتئس من أفعالهم،و یستمر فی دعوته.

و هما أیضا،تهدید عنیف لکلّ من تسول له نفسه فیقف فی صف الکافرین و المعاندین،فیخبرهم بأنّ حسابهم سیکون بید جبار شدید! بدأت سوره الغاشیه بموضوع القیامه و ختمت به أیضا،کما تمّت الإشاره فیما

۱- ۱) -و نستفید من حدیث شریف ورد فی(الدرّ المنثور)..أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان مأمورا بمحاربه عبده الأصنام،و فی غیر ذلک فهو مأمور بالتذکیر.

بین البدء و الختام إلی بحث التوحید و النّبوه،و هما دعامتا المعاد.

کما و تضمّنت السّوره عرضا لبعض ما سیصیب المجرمین من عقاب، و عرضت فی قبال ذلک ما سینعم به المؤمنون فی جنّات النعیم الخالده.

کما و أکّدت السّوره علی حریه الإنسان فی اختیار الطریق الذی یسلکه، و ذکّرت بعوده الجمیع إلی مولاهم الحق،و هو الذی سیحاسبهم علی کلّ ما فعلوا فی دنیاهم کما و بیّنت السّوره أن مهمّه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هی إبلاغ الرساله،و أنّه غیر مسئول عن کفر و انحراف النّاس و ذنوبهم،و هذه هی مهمّه مبلغی طریق الحقّ.

اللّهم،ارحمنا یوم تعود الخلائق إلیک و یکون حسابهم علیک..

اللّهم،نجّنا برحمتک الکبری من عذابک الأکبر..

اللّهم،إنّ مواهب أهل الجنّه التی أوردت هذه السّوره قسما منها عظیمه و مذهله.فإن کنّا لا نستحقها بأعمالنا فتفضل علینا بها بلطفک و رحمتک.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الغاشیه

سوره الفجر

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ثلاثون آیه

ص :۱۶۷

محتوى السّوره:

كبقيه السور المكيّه،فسوره الفجر ذات آيات قصار و أسلوب واضح و مصحوب بالإنذار و التحذير..

و تقدّم لنا الآيات الاولى أقساما نادره فى نوعها لتهديد الجبارين بالعذاب الإلهى.

و تنقل لنا بعض آياتها ما حلّ ببعض الأقوام السالفه ممن طغوا فى الأرض و عاثوا فسادا(قوم عاد،ثمود و فرعون)،و جعلهم عبره لاولى الأبصار،و درسا قاسيا لكلّ من يرى فى نفسه القوّه و الاقتدار من دون اللّه.

ثمّ تشير باختصار إلى الامتحان الربّانى للإنسان،و تلومه على تقصيره فى فعل الخيرات..

و فى آخر ما تتحدث عنه السّوره هو«المعاد»و ما سينتظر المؤمنين ذوى النفوس المطمئنه من ثواب جزيل،و أيضا ما سينتظر المجرمين و الكافرين من عقاب شديد.

فضيله السّوره:

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأها فى ليال عشر غفر اللّه له،و من

قرأها سائر الأيّام كانت له نورا يوم القيامه» (۱) .

كما و

روی عن الإمـام الصادق علیه السّـلام،أنّه قال: «اقرأوا سوره الفجر فی فرائضـكم و نوافلكم فإنّها سوره الحسـین بن علی،من قرأها كان مع الحسین بن علی یوم القیامه فی دوحته من الجنّه». (۲)

یمكن أن یكون وصف السّوره بسوره الإمام الحسین علیه السّلام بلحاظ أنّه أفضل مصادیق ما جاء فی آخر آیاتها،حیث فیما ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه الأخیره من السّوره:إنّ«النفس المطمئنه»هو الحسین بن علی علیهما السّلام.

أو قد یكون بلحاظ ل«لیال عشـر»المقسوم بها فی أوّل السّوره،حیث من ضـمن تفاسـیرها أنّها:لیالی محرم العشـره،المتعلقه بشهاده الإمام الحسین علیه السّلام و علی أیّه حال،فثوابها لمن تبصر فی قراءتها و عمل علی ضوءها.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۸۱.

۲- ۲) -مجمع البیان،۱۰،ص ۴۸۱.

الآيات [سوره الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلْفَجْرِ (١) وَ لَيٰالٍ عَشْرٍ (٢) وَ اَلشَّفْعِ وَ اَلْوَتْرِ (٣) وَ اَللَّيْلِ إِذٰا يَسْرِ (۴) هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (۵)

التّفسير

اشاره

و الفجر..!

بدأت السّوره بخمسه أقسام:

الأوّل: وَ الْفَجْرِ ..و الثّاني: وَ لَيٰالٍ عَشْرٍ .

«الفجر»:في الأصل،بمعنى الشقّ الواسع،و قيل للصبح«الفجر»لأنّ نوره يشقّ ظلمه الليل.

و كما هو معلوم فالفجر فجران،كاذب و صادق.

الفجر الكاذب:هو الخيط الأبيض الطويل الذى يظهر فى السماء،و يشبّه بذنب الثعلب،تكون نقطه نهايته فى الأفق،و قسمه العريض فى وسط السماء.

الفجر الصادق:هو النور الذى يبدأ من الأفق فينتشر،و له نورانيه و شفافيه خاصه،كنهر من الماء الزلال يغطى أفق الشرق ثمّ ينتشر فى السماء.

و یعلن الفجر الصادق عن انتهاء اللیل و ابتداء النهار،و عنده یمسک الصائمون، و تصلی فریضه الصبح.

و فسّر«الفجر»فی الآیه بمعناه المطلق،أی:بیاض الصبح.

و لا شک فهو من آیات عظمه اللّه سبحانه و تعالی،و یمثل انعطافا فی حرکه حیاه الموجودات الموجوده علی سطح الأرض،و منها الإنسان،و یمثل کذلک حاکمیه النور علی الظلام،و عند مجیئه تشرع الکائنات الحیه بالحرکه و العمل، و یعلن انتهاء فتره النوم و السکون.

و قد أقسم اللّه تعالی ببدایه حیاه الیوم الجدید.

و فسّره بعض،بفجر أوّل یوم من محرم و بدایه السنه الجدیده.

و فسّره آخرون،بفجر یوم عید الأضحی،لما فیه من مراسم الحج المهمّه و لاتصاله باللیالی العشره الاولی من ذی الحجّه.

و قیل أیضا:إنّه فجر أوّل شهر رمضان المبارک،أو فجر یوم الجمعه.

و لکنّ مفهوم الآیه أوسع من أن تحدد بمصداق من مصادیقها،فهی تضم کلّ ما ذکر.

و ذهب البعض إلی أوسع ممّا ذکر حینما قالوا:هو کلّ نور یشع وسط ظلام..

و علیه،فبزوغ نور الإسلام و نور المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی ظلام عصر الجاهلیه هو من مصادیق الفجر،و کذا بزوغ نور قیام المهدی(عجل اللّه تعالی فرجه الشریف)فی وسط ظلام العالم(کما جاء فی بعض الرّوایات) (1) .

و من مصادیقه أیضا،ثوره الحسین علیه السّلام فی کربلاء الدامیه،لشقها ظلمه ظلام بنی امیّه،و تعریه نظامهم الحاکم بوجهه الحقیقی أمام النّاس.

و یکون من مصادیقه،کلّ ثوره قامت أو تقوم علی الکفر و الجهل و الظلم علی

1- 1) -راجع تفسیر البرهان،ج 4،ص 457،الحدیث 1.

مرّ التاريخ.

و حتى انقداح أوّل شراره يقظه فى قلوب المذنبين المظلمه تدعوهم إلى التوبه،فهو«فجر».

و ممّا لا شك فيه أنّ المعانى هى توسعه لمفهوم الآيه،أمّا ظاهرها فيدل على «الفجر»المعهود.

و المشهور عن«ليال عشر»:إنّهن ليالى أوّل ذى الحجّه،التى تشهد أكبر اجتماع عبادى سياسى لمسلمى العالم من كافه أقطار الأرض،(و ورد هذا المعنى فيما رواه جابر بن عبد اللّه الأنصارى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) (۱) .

و قيل:ليالى أوّل شهر محرم الحرام.

و قيل أيضا:ليالى آخر شهر رمضان،لوجود ليله القدر فيها.

و الجمع بين كلّ ما ذكر ممكن جدّا.

و ذكر فى بعض الرّوايات التى تفسّر باطن القرآن:إنّ«الفجر»هو«المهدى» المنتظر«عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف»..و«ليال عشر»هم الأئمّه العشر قبله عليهم السّلام..

و«الشفع»-فى الآيه-هما علىّ و فاطمه عليهما السّلام.

و على أيّه حال،فالقسم بهذه الليالى يدّل على أهميتها الاستثنائيه نسبه لبقيه الليالى،و هذا هو شأن القسم (۲) ،و لا مانع من الجمع بين كلّ ما ذكر من معان.

و يأتى القسم الثّالث و القسم الرّابع: وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ .

للمفسّرين آراء كثيره فيما أريد ب«الشفع و الوتر»حتى ذكر بعضهم عشرين قولا (۳) ،فيما ذهب آخرون لذكر(۳۶)قولا فى ذلك (۴) .

۱- ۱) -تفسير أبى الفتوح الرازى،ج ۱۲،ص ۷۴.

۲- ۲) -جاءت«ليال عشر»بصيغه النكره للدلاله على عظمتها و أهميتها،و إلاّ فهى تنطبق على كلّ ما ذكر أعلاه.

۳- ۳) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۱،ص ۱۶۴.

۴- ۴) -نقل ذلك كلّ من:العلاّمه الطباطبائى فى الميزان عن بعض المفسّرين فى الجزء ۲۰،ص ۴۰۶..و فى كتاب روح المعانى عن كتاب التحرير و التحيير،ج ۳۰،ص ۱۲۰.

و أهم تلك الأقوال،ما يلى:

۱-مراد الآیه العددان الزوجی و الفردی،فیکون القسم بجمیع الأعداد،تلک الأعداد التی تدور علیها و بها کلّ المحاسبات و الأنظمه و المغطیه لجمیع عالم الوجود،و کأنّه سبحانه و تعالی یقول:قسما بالنظم و الحساب.

و حقیقه الحساب و النظم فی عالم الوجود،تمثل الاسس الواقعیه التی تقوم علیها الحیاه الإنسانیه.

۲-المراد ب«الشفع»المخلوقات،لوجود قرین لکلّ منها،و المراد ب«الوتر» الباری جلّ شأنه،لعدم وجود شبیه له و لا نظیر.

إضافه إلی أنّ الممکنات تترکب من(ماهیه)و(وجود)،و هو ما یعبّر عنه بالفلسفه ب(الزوج الترکیبی)،أمّا الوجود المطلق الخالی من الماهیه فهو«اللّه» حده،(و أشارت بعض الرّوایات المنقوله عن المعصومین علیهم السّلام إلی ذلک) (۱) .

۳-المراد ب«الشفع و الوتر»جمیع المخلوقات،لأنّها من جهه بعضها زوج و البعض الآخر فرد.

۴-المراد ب«الشفع و الوتر»الصلاه،لأنّ بعضها زوجی و البعض الآخر فردی،(و ورد هذا المعنی فی بعض روایات أهل البیت علیهم السّلام أیضا) (۲) ..أو هما رکعتی الشفع و رکعه الوتر فی آخر صلاه اللیل.

۵-المراد ب«الشفع»یوم الترویه(الثامن من شهر ذی الحجه،حیث یستعد الحجاج للوقوف علی جبل عرفات)،و«الوتر»یوم عرفه(حیث یکون حجاج بیت اللّه الحرام فی عرفات..أو«الشفع»هو یوم عید الأضحی(العاشر من ذی الحجّه،و«الوتر»هو یوم عرفه.

۱- ۱) -روی ذلک أبو سعید الخدری عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم راجع مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۸۵.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و وردت الإشاره إلى هذا المعنى فى روايات أهل البيت عليهم السّلام أيضا (۱) و المهم..إنّ الألف و اللام فى«الشفع و الوتر»إن كانـا للتعميم،فكـلّ المعانى تجتمع فيهما،و كلّ معنى سـيكون مصـداق من مصاديق«الشـفع»و«الوتر»،و لا داعى و الحال هـذه إلى حصر التّفسير بإحدى المعانى المذكوره،بل كلّ منها تطبيق على مصداق بارز.

أمّا إذا كانا للتعريف،فستكون إشارتهما إلى زوج و فرد خاصـين،و فى هذه الحال سـيكون تفسـيران من التّفاسير المذكوره أكثر من غيرهما مناسبه و قربا مع مراد الآيه،و هما:

الأـوّل:المراد بهما يومى العيـد و عرفه،و هـذا ما يناسب ذكر الليالى العشـر الاولى من شـهر ذى الحجّه،و فيهما تؤدى أهم فقرات مناسك الحج.

الثّانى:أنّهما يشيران إلى«الصلاه»،بقرينه ذكر«الفجر»،و هو وقت السحر و وقت الدعاء و التضرع إلى اللّه عزّ و جلّ.

و قد ورد هذان التّفسيران فى روايات عن أئمّه أهل البيت المعصومين عليهم السّلام.

و نصل هنا،إلى القسم الخامس: وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَسْرِ (۲) .

فمـا أدّق هـذا التعبير و أجمله؟!فقـد نسب السـير إلى الليـل،و ذلـك لأـنّ«يسـر» من(سـرى)و هو السـير ليلاـ على قول الراغب فى مفرداته.

و كأنّ الوصف يقول:بأنّ الليل موجود حسى،له حس و حركه،و هو يخطو فى ظلمته وصولا لنور النهار.

نعم،قسما بالظلام السائر نحو النور،قسما بالظلام المتحرك،لا الثابت الذى يثير الخوف و الرعب فى الإنسان،و الليل يكون ذا قيمه فيما لو كان سائرا نحو النور.

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -«يسر»:فى الأصل(يسرى)من(السرى)،و حذفت الياء للتخفيف،و لمناسبه الآيات السابقه.

و قیل:هو ظلمه اللیل التی تتحرک علی سطح الکره الأرضیه،و اللیل نافع بحرکته و تناوبه مع النهار علی سطح الأرض،لینعم نصفها بالسبات و النوم،و ینعم النصف الآخر بالحرکه و العمل تحت نور الشمس الرائع.

اختلف المفسّرون فی مراد الآیه من«اللیل»،هل هو مطلق اللیل أم لیله مخصوصه،فإن کانت الألف و اللام للتعمیم فجمیع اللیالی،کآیه من آیات اللّه و مظهر من مظاهر الحیاه المهمّه.

و إن کانت الألف و اللام للتعریف،فلیله عید الأضحی،بلحاظ الآیات السابقه،حیث یتجه حجاج بیت اللّه الحرام من(عرفات)إلی(المزدلفه)-المشعر الحرام-و یقضون لیلهم فی ذلک الوادی المقدس، و عند الصبح یتجهون نحو (منی).

(و قد ورد فی هذا روایات عن أئمّه أهل البیت علیهم السّلام) (۱) .

و الذین حضروا مثل تلک اللیله فی عرفات و مشعر،قد رأوا کیف یتحرک أکثر من ملیون مسلم و هم متجهون من عرفات إلی المشعر و کأن اللیل بکلّه یتحرک و تشاطره فی ذلک الأرض و کذا الزمان.

و هناک یتلمس الإنسان معنی وَ اللَّیْلِ إِذٰا یَسْرِ بکلّ دقائقه.

و علی أیّه حال،فاللیل سواء کان بمعناه المطلق أم المحدد فهو من آیات عظمه الخالق سبحانه و تعالی،و هو من الضرورات الحیاتیه فی عالم الوجود.

فاللیل یکیّف حراره الجو،و یعم علی جمیع الکائنات الاستقرار و السکون بعد جهد الحرکه و التنقل،و فوق هذا و ذاک ففیه أفضل أوقات الدعاء و المناجاه مع اللّه جلّ و علا.

و أمّا لیله عید الأضحی(لیله الجمع)فهی من أعجب اللیالی فی ذلک الوادی

۱- ۱) -راجع تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۷۱.

المقدس(المشعر الحرام).

و تتجسد تلك العلاقه الموجوده بين الأشياء الخمس التى أقسم بها(الفجر، ليال عشر،الشفع،الوتر،الليل إذ يسر)إذا ما اعتبرناها ضمن أيّام ذى الحجّه و مراسم الحج العظيمه.

و فى غير هذا فسيكون إشاره إلى مجموعه من حوادث عالم التكوين و التشريع المهمّه،و التى تبيّن جلال و عظمه الخالق سبحانه و تعالى.

ثمّ تأتى الآيه التاليه لتقول: هَلْ فِى ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ .«الحجر»هنا بمعنى:العقل،و فى الأصل بمعنى(المنع)،كأن يقال:حجر القاضى فلانا،أو كأن يطلق على الغرفه(حجره)لأنّها محل محفوظ و يمنع دخوله من قبل الآخرين، و كذلك يقال للحضن(حجر)-على وزن فكر-لحفظه و إحاطته،و اطلق على العقل(حجر)لمنعه الإنسان عن الأعمال السيئه،كما أنّ مصطلح(العقل)هو بمعنى (المنع)أيضا،و منه(العقال)الذى به تربط أرجل البعير ليمنعه من الحركه.

و لكن...أين جواب القسم؟ ثمّه احتمالان،هما:

الأوّل:قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ .

الثّانى:جواب القسم محذوف و تدلّ عليه الآيات التاليه،التى تتحدث عن عقاب الطغاه،و التقدير:(قسما بكلّ ما قلناه لنعذبنّ الكافرين و الطغاه).

ص :177

الآيات [سوره الفجر (۸۹): الآيات ۶ الی ۱۴]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ (۶) إِرَمَ ذٰاتِ اَلْعِمٰادِ (۷) اَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِي اَلْبِلاٰدِ (۸) وَ ثَمُودَ اَلَّذِينَ جٰابُوا اَلصَّخْرَ بِالْوٰادِ (۹) وَ فِرْعَوْنَ ذِي اَلْأَوْتٰادِ (۱۰) اَلَّذِينَ طَغَوْا فِي اَلْبِلاٰدِ (۱۱) فَأَكْثَرُوا فِيهَا اَلْفَسٰادَ (۱۲) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذٰابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ (۱۴)

التّفسير

اشاره

إمهال الظالمين..و الانتقام!

بعد أن تضمّنت الآيات الاولى خمسه أقسام حول معاقبه الطغاه،تأتی هذه الآيات لتعرض لنا نماذج من طواغيت الأرض من الذين توفرت لهم بعض سبل القوّه و القدره،فأهوتهم أهوائهم فی قاع الغرور و الكفر و الطغيان،و تبيّن لنا الآيات المباركه ما حلّ بهم من عاقبه أليمه،محذره المشركين فی كلّ عصر و مصر علی أن يرعووا و يعودوا إلی رشدهم بعد أن يعيدوا حسابهم و يستيقظوا من غفلتهم،لأنّهم مهما تمتعوا بقوّه و قدره فلن يصلوا لما وصل إليه الأقوام السالفه،و ينبغی الاتعاظ بعاقبتهم،و إلاّ فالهلاك و العذاب الأبدی و لا غير سواه.

و تبتدأ الآيات ب: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ .

ص :۱۷۸

المراد«بالرؤيه»هنا،العلم و المعرفه لما وصلت إليه تلك الأقوام من الشهره بحال بحيث أصبح من جاء بعدهم يعرف عنهم الشيء الكثير و كأنّه يراهم بامّ عينيه و لذا جاء في الآيه: أَ لَمْ تَرَ .

و مع أنّ المخاطب في الآيه هو النّبي الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،إلاّ أنّ الخطاب موجّه إلى الجميع.

«عـاد»:هم قوم نبي اللّه هود عليه السّلام،و يـذكر المؤرخون أنّ اسم«عاد»يطلق على قبيلتين..قبيله كانت في الزمن الغابر البعيـد، و يسميها القرآن الكريم ب«عاد الاولى»،كما في الآيه(۵۰)من سوره النجم،(و يحتمل أنّها كانت قبل التاريخ).

و يحددون تاريخ القبيله الثّانيه بحدود(۷۰۰)سنه قبل الميلاد،و كانت تعيش في أرض الأحقاف أو اليمن.

و كان أهل عاد أقوياء البنيه،طوال القامه،لـذا كانوا يعتبرون من المقاتلين الأشـداد،هذا بالإضافه إلى ما كانوا يتمتعون به من تقدّم مدني،و كانت مدنهم عامره و قصورهم عاليه و أراضيهم يعمها الخضار.

و قيل:إنّ«عاد»هو اسم جدّ تلك القبيله،و كانت تسمى القبيله ب(عاده).

و يضيف القرآن قائلا: إِرَمَ ذٰاتِ الْعِمٰادِ .

اختلف المفسّرون في علام يطلق اسم«إرم».هل هو شخص أم قبيله أم مدينه؟ ينقل الزمخشري في الكشاف عن بعضهم،قوله:إنّ عاد هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح،و سمّيت القبيله باسم الجدّ و هو(إرم).

و يعتقد آخرون:إنّ(إرم)هم«عاد الاولى»،و«عاد»هي القبيله الثّانيه،يقال أيضا:إنّ«إرم»هو اسم مدينتهم. (۱)

۱- ۱) -تفسير الكشّاف،ج ۴،ص ۷۴۷،و ذكر ذلك أيضا القرطبي في تفسيره،و غيره.

و ما يناسب الآيه التاليه،أن يكون(إرم)هو اسم مدينتهم.

«عماد»:بمعنى العمود و جمعه«عمد»و هى على ضوء التّفسير الأوّل،تشير إلى ضخامه أجسادهم كأعمده البناء،و على ضوء التّفسير الثّانى تشير إلى عظمه أبنيتهم و علو قصورهم و ما فيها من أعمده كبيره.

و على القولين فهى:إشاره إلى قدره و قوّه قوم عاد. (۱)

و لكنّ التّفسير الثّانى(أعمده قصورهم العظيمه)أنسب.

و لذا تقول الآيه التاليه: اَلَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُها فِی الْبِلادِ .

و الآيه تبيّن أنّ المراد ب«إرم»المدينه و ليس شخص أو قبيله،و لعل هذه الآيه هى التى دعت بعض كبار المفسّرين من اختيار هذا التّفسير،و نراه كذلك راجحا (۲) .

و قد ذكر بعض المفسّرين قصّه اكتشاف مدينه«إرم»العظيمه فى صحارى شبه الجزيره العربيه و صحارى عدن،و تحدثوا بتفصيل عن رونقها و بنائها العجيب،و لكنّ القصّه أقرب للخيال منها للواقع.

و على أيّه حال،فقوم«عاد»كانوا من أقوى القبائل فى حينها،و مدنهم من أرقى المدن من الناحيه المدنيه،و كما أشار إليها القرآن الكريم: اَلَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُها فِی الْبِلادِ .

و ثمّه قصص كثيره عن«جنّه شداد بن عاد» فى كتب التاريخ،حتى أنّها أصبحت مضربا للأمثال لما شاع عنها بين النّاس و على مرّ العصور،إلاّ أنّ ما ورد بين متون كتب التاريخ لا يخرج عن إطار الأساطير التى لا واقع لها.

و تذكر الآيه التاليه جمع آخر من الطغاه السابقين: وَ ثَمُودَ الَّذِینَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ ،و صنعوا منها البيوت و القصور.

۱- ۱) -و على ضوء التّفسير الأوّل يكون التعبير ب«ذات»لأنّ الطائفه و القبيله مؤنث لفظى.

۲- ۲) -«إرم»ممنوع من الصرف،لذا فقد نصب فى حاله الجر.

«ثمود»:من أقدم الأقوام،و نبيّهم صالح عليه السّلام،و كانوا يعيشون فی(وادی القری)بین المدينه و الشام،و كانوا يعيشون حياه مرفهه،و مدنهم عامره.

و قيل:«ثمود»اسم جدّ القبيله،و قد سميت به (1) .

«جابوا»:من(الجوبه)-على زنه توبه-و هی الأرض المقطوعه،ثمّ استعملت فی قطع كلّ أرض،و جواب كلام،هو ما يقطع الهواء فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع،(أو لأنّه يقطع السؤال و ينهيه).

و على أيّه حال،فمراد الآيه:قطع أجزاء الجبال و بناء البيوت القويه،كما أشارت إلى ذلك الآيه(٨٢)من سوره الحجر-حول ثمود أنفسهم-: وَ كانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ،و الآيه(١۴٩)من سوره الشعراء،و التی جاء فيها: ...بُيُوتاً فارِهِينَ .

و قيل:قوم ثمود أوّل من قطع الأحجار من الجبال،و صنع البيوت المحكمه فی قلبها.

«واد»:فی الأصل(وادی)،و هو الموضع الذی يجری فيه النهر،و منه سمی المفرج بين الجبلين واديا،لأنّ الماء يسيل فيه.

و المعنى الثّانی أكثر مناسبه بقرينه ما ورد فی القرآن من آيات تتحدث عن هؤلاء القوم،و ما ذكرناه آنفا يظهر بأنّهم كانوا ينحتون بيوتهم فی سفوح الجبال (2) .

و

روی: إنّ النّبی الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما وصل إلى وادی ثمود-شمال الجزيره العربيه-فی طريقه إلى تبوك،قال و هو راكب على فرسه:«أسرعوا،فهی أرض ملعونه» (3) .

١- ١) -«ثمود»:من(الثمد)،و هو الماء القليل الذی لا ماده له،و المثمود:إذا كثر عليه السؤال حتى فقد ماده ما له،و يقال أنّها كلمه أعجميه(مفردات الراغب).

٢- ٢) -الباء فی«الواد»:تعطی معنى الظرفيه.

٣- ٣) -روح البيان،ج ١٠،ص ۴٢۵(ما مضمونه).

ممّا لا شکّ فیه أنّ ثمود قوم قد وصلوا إلی أعلی درجات التمدن فی زمانهم، و لکنّ ما یذکر عنهم فی بعض کتب التّفسیر،یبدو و کأنّه مبالغ فیه أو اسطوره،کأن یقولوا:إنّهم بنوا ألفا و سبعمائه مدینه من الحجر! و تتعرض الآیه التالیه لقوم ثالث: وَ فِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتٰادِ .

أی:ألم تر ما فعل ربّک بفرعون الظالم المقتدر؟! «أوتاد»:جمع(وتد)،و هو ما یثبّت به.

و لم وصف فرعون بذی الأوتاد؟ و ثمّه تفاسیر مختلفه:

الأوّل:لأنّه کان یملک جنودا و کتائبا کثیره،و کانوا یعیشون فی الخیم المثبته بالأوتاد.

الثّانی:لما کان یستعمل من أسالیب تعذیب من یغضب علیهم،حیث غالبا ما کان یدق علی أیدیهم و أرجلهم بأوتاد لیثبتها علی الأرض،أو یضعهم علی خشبه و یثبتهم بالأوتاد،أو یدخل الأوتاد فی أیدیهم و أرجلهم و یترکهم هکذا حتی یموتوا.

و ورد هذا الکلام فی روایه نقلت عن الإمام الصادق علیه السّلام (1) .

و تنقل کتب التاریخ إنّه قد عذّب زوجته«آسیه»بتلک الطریقه البشعه حتی الموت،لأنّها آمنت بما جاء به موسی علیه السّلام و صدّقت به.

الثّالث:«ذی الأوتاد»:کنایه عن قدره و استقرار الحکم.

و لا تنافی فیما بین التفاسیر الثلاثه،و یمکن إدخالها جمیعها فی معنی الآیه.

و ینتقل القرآن العرض ما کانوا یقومون به من أعمال: اَلَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلاٰدِ .. فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسٰادَ

1- 1) -تفسیر نور الثقلین،ج 5،ص 571،الحدیث(6)،کما نقله عن علل الشرائع.

الفساد الـذی یشـمل کلّ أنواع الظلم و الاعتـداء و الانحراف،و الـذی هو نتیجه طبیعیه من نتائـج طغیانهم،فکلّ من یطغی سـیؤول أمره إلی الفساد لا محال.

و یـذکر عقابهم الألیم و بعباره موجزه: فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَـذابٍ «السوط»:هو الجلـد المضـفور الـذی یضـرب به،و أصـل السوط:خلط الشیء بعضه ببعض،و هو هنا کنایه عن العذاب،العذاب الذی یخلط لحم الإنسان بدمه فیؤذیه أشدّ الإیذاء.

و

جـاء فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّـلام عن الامتحان: «و الـذی بعثه بالحقّ لتبلبلن بلبله و لتغربلن غربله و لتساطن سوط القـدر» (1) .

«صبّ علیهم»:تسـتعمل فی الأصل لانسـکاب الماء،و هنا إشاره إلی شدّه و استمرار نزول العذاب،و یمکن أن یکون إشاره لتطهیر الأرض من هؤلاء الطغاه أمّا أنسب معانی«السوط»فهو المعروف بین النّاس به.

فعلی إیجاز الآیه،لکنّها تشـیر إلی أنواع العـذاب الذی أصابهم،فعاد أصـیبوا بریح بارده،کما تقول الآیه(6)من سوره الحاقه: وَ أَمّا عادٌ فَأُهْلِکُوا بِرِیحٍ صَرْصَـرٍ عاتِیَهٍ ،و أهلک قوم ثمود بصیحه سماویه عظیمه،کما جاء فی الآیه(5)من سوره الحاقه أیضا: فَأَمّا ثَمُودُ فَأُهْلِکُوا بِالطّاغِیَهِ ،و الآیه(55)من سوره الزخرف تنقل صوره هلاک قوم فرعون: فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِینَ .

و تحذر الآیه التالیه کلّ من سار علی خطو أولئک الطواغیت: إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ .

«المرصاد»:من(الرصد)،و هو الاستعداد للترقب،و هو فی الآیه یشیر إلی عدم وجود أیّ ملجأ أو مهرب من رقابه اللّه و قبضته،فمتی شاء سبحانه أخذ المذنبین بالعقاب و العذاب.

1- 1) -نهج البلاغه،الخطبه 16.

و بـدیهی،أنّ التعـبیر لاـ یعنی أنّ اللّه تعـالی له مکـان و کمین یرصـد فیه الطـواغیت، بـل کنـایه عن إحـاطه القـدره الإـلهیه بکلّ الجبارین و الطغاه و المجرمین، و سبحانه و تعالی عن التجسیم و ما شابه.

و

قد ورد فی معنی الآیه عن الإمام علی علیه السّلام قوله: «إنّ ربک قادر علی أن یجزی أهل المعاصی جزاءهم» (۱) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام،أنّه قال: «المرصاد قنطره علی الصراط،لا یجوزها عبد بمظلمه عبد» (۲) .

و هـذا مصداق جلّی للآیه،حیث أنّ المرصاد الإلهی لا ینحصـر بیوم القیامه و الصـراط،بل هو تعالی بالمرصاد لکلّ ظالم حتی فی هذه الدنیا،و ما عذاب تلک الأقوام الآنفه الذکر إلّا دلیل واضح علی هذا.

«ربّک»:إشاره إلی أنّ هـذه السـنّه الإلهیه لم تقف عنـد حـدّ الـذین خلوا من الأقوام السالفه،بل هی ساریه حتی علی الظالمین من امّتـک یـا محمّـد صـلّی اللّه علیـه و آلـه و سـلّم..و فی ذلـک تسـلیه لقلـب النّـبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و تطمینـا لقلـوب المؤمنین،فالوعد الإلهی قد أکّد علی عدم انفلات الأعداء المعاندین من قبضه القدره الإلهیه أبدا أبدا،و فیه تحذیر أیضا لأولئک الذین یؤذون النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یظلمون المؤمنین،تحذیر بالکف عن ممارساتهم تلک و إلّا سیصیبهم ما أصاب الأـکثر منهم قـدره و قوّه،و عنـدها فسوف لن تقوم لهم قـائمه إذا مـا أتتهم ریـح عاصـفه أو صـیحه مرعبه أو سـیل جـارف یقطع دابرهم.

روی عن النّبی الأـکرم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم،أنّه قـال: «أخبرنی الروح الأـمین أنّ اللّه لا إله غیره إذا وقف الخلائق و جمیع الأولین و الآخرین،أتی بجهنّم ثمّ یوضع علیها صراط أدق من الشعر و أحدّ من السیف،علیه ثلاث قناطر...الاولی:الأمانه

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۸۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و الرحم،و الثّانيه:عليها الصلاه،و الثّالثه:عليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممر عليها،فتحبسهم الرحم و الأمانه،فإن نجوا منها حبستهم الصلاه، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ ذكره،و هو قول اللّه تبارك و تعالى: إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ (۱) .

و

عن الإمام على عليه السّلام: «و لئن أمهل اللّه الظالم فلن يفوت أخذه،و هو له بالمرصاد،على مجاز طريقه،و بموضع الشجى من مساغ ريقه» (۲) .

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۷۳،عن روضه الكافى الحديث ۴۸۶،اقتباس.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۹۷.

الآيات [سوره الفجر (٨٩): الآيات ١٥ الى ٢٠]

اشاره

فَأَمَّا اَلْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا اِبْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ (١۵) وَ أَمّٰا إِذٰا مَا اِبْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهٰانَنِ (١۶) كَلاّٰ بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ اَلْيَتِيمَ (١٧) وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلىٰ طَعٰامِ اَلْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ اَلتُّرٰاثَ أَكْلاً لَمًّا (١٩) وَ تُحِبُّونَ اَلْمٰالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)

التّفسير

اشاره

موقف الإنسان من تحصيل النعمه و سلبها!

بعد أن تحدثت الآيات السابقه عن عقاب الطغاه،و تحذيرهم و إنذارهم، تأتى هذه الآيات لتبيّن مسأله الابتلاء و التمحيص و أثرها على الثواب و العقاب الإلهى،و تعتبر مسأله الابتلاء من المسائل المهمّه فى حياه الإنسان.

و تشرع الآيات ب: فَأَمَّا الْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ .

و كأنّه لا يدرى بأنّ الابتلاء سنّه ربّانيه تاره يأتى بصوره اليسر و الرخاء

ص :١٨۶

و اخرى بالعسر و الضراء.

فلا ينبغى للإنسان أن يغتر عند الرخاء،و لا أن ييأس عند ما تصيبه عسره الضراء،و لا ينبغى له أن ينسى هدف وجوده فى الحالتين،و عليه أن لا يتصور بأن الدنيا إذا ما أرخت نعمها عليه فهو قد أصبح مقرّبا من اللّه،بل لا بدّ أن يفهمها جيّدا و يؤدّى حقوقها،و إلاّ فسيفشل فى الامتحان.

و من الجدير بالملاحظه،أنّ الآيه ابتدأت بالحديث عن إكرام اللّه تعالى للإنسان«فأكرمه و نعمه»،فى حين تلومه على اعتقاده بهذا الإكرام فى آخرها:

فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ

،و ذلك..لأنّ الإكرام الأوّل هو الإكرام الطبيعى،و الإكرام الثّانى بمعنى القرب عند اللّه تعالى.

وَ أَمّٰا إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهٰانَنِ

.

فيأخذه اليأس،و يظن إنّ اللّه قد ابتعد عنه،غافلا عن سنّه الابتلاء فى عمليه التربيه الربّانيه لبنى آدم،و التى تعتبر رمزا للتكامل الإنسانى،فمن خلال نظره و معايشه الإنسان للابتلاء يرسم بيده لوحه عاقبته،فأمّا النعيم الدائم،و أمّا العقاب الخالد.

و توضح الآيتان بأنّ حاله اليسر فى الدنيا ليست دليل قرب اللّه من ذلك الإنسان،و كذا الحال بالنسبه لحاله العسر فلا تعنى بعد اللّه عن عبده،و كلّ ما فى الأمر أنّ الحالتين صورتان مختلفتان للامتحان الذى قررته الحكمه الإلهيه،ليس إلاّ.

و تأتى الآيه(٥١)من سوره فصّلت فى سياق الآيتين: وَ إِذٰا أَنْعَمْنٰا عَلَى الْإِنْسٰانِ أَعْرَضَ وَ نَأىٰ بِجٰانِبِهِ وَ إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعٰاءٍ عَرِيضٍ .

و كذا الآيه(٩)من سوره هود: وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنّٰا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنٰاهٰا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ .

و تنبهنا الآيتان أيضا،بأن لا نقع فى خطأ التشخيص،فنحكم على فلان بأن

اللّه راضی عنه لأنّه یفعم بالنعم الإلهیه،و أن فلان قد سخط علیه اللّه لأنّه محروم من نعم کثیره،و لا بدّ لنا من الرجوع إلی المعاییر الثابته عند القیام بعملیه التشخیص و التقییم،فالعلم و الإیمان و التقوی هی أسس التقییم،و لیس ظاهر التمتع بحاله السراء..

فما أکثر الأنبیاء الـذین تناوشـتهم أنیاب البلایا و المصائب،و ما أکثر الکافرین و الطغاه الذین تنعموا بمختلف ملاذ الدنیا،إنّها من سنن طبیعه الحیاه الدنیا،و لکن..

أین الأنبیاء من الکافرین و..عقبی الدار؟! فالآیه إذن،تشیر إلی فلسفه البلاء،و ما یصیب الإنسان من محن و إحن فی دنیاه.

و توجه الآیتان التالیتان نظر إلی الإنسان و الأعمال التی تؤدّی بحقّ للبعد عن اللّه،و توجب عقابه: کَلاّ فلیس الأمر کما تظنون من أنّ أموالکم دلیل علی قربکم من اللّه،لأنّ أعمالکم تشهد ببعدکم عنه، بَلْ لاٰ تُکْرِمُونَ الْیَتِیمَ .. وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلیٰ طَعٰامِ الْمِسْکِینِ .

و الملاحظ أنّ الآیه لم تخص الیتیم بالإطعام بل بالإکرام،لأنّ الوضع النفسی و العاطفی للیتیم أهم بکثیر من مسأله جوعه.

فلا ینبغی للیتیم أن یعیش حاله الانکسار و الذله بفقدان أبیه،و ینبغی الاعتناء به و إکرامه لسدّ الثغره التی تسببت برحیل أبیه،و قد أولت الأحادیث الشریفه و الرّوایات هذا الجانب أهمیه خاصّه،و أکّدت علی ضروره رعایه و إکرام الیتیم.

فعن الإمام الصادق علیه السّلام،إنّه قال: «ما من عبد یمسح یده علی رأس یتیم رحمه له إلاّ أعطاه اللّه بکلّ شعره نورا یوم القیامه» .(۱)

و تقول الآیه(۹)من سوره الضحی: فَأَمَّا الْیَتِیمَ فَلاٰ تَقْهَرْ .

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۵،ص ۱۲۰(الطبعه القدیمه).

و هـذه الـدعوه الربّـانيه تقابـل مـا كان سائـدا فی عصور الجاهليه،كيف و كانوا يتعاملون مع اليتامی،و لا تنفصل جاهليه اليوم عن تلـک الجاهليه،فنری من لم يـدخل الإيمان قلبه،كيف يتوسل بمختلف الحيل و الألاعيب لسـرقه أموال اليتامی، و الأشـد من هـذا فإنّهم يتركون اليتامی جانبا بلا اهتمام و لا رعايه ليعيشوا غمّ فقـدان الآباء و بأشدّ صوره! فإكرام اليتيم لا ينحصـر بحفظ أموالهم- كما يقول البعض-بل يشمل حفظ الأموال و غيرها.

«تحاضون»:من(الحض)،و هو الترغيب،فلا يكفی إطعام المسـكين بل يجب علی النّاس أن يتواصوا و يحث بعضـهم البعض الآخر علی ذلک لتعم هذه السنّه التربويه كلّ المجتمع (۱) .

و قـد قرنت الآيه(۳۴)من سوره الحـاقه عـدم الإـكرام بعـدم الإيمـان باللّه عزّ و جلّ: إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ وَ لاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (۲) .

و تعرض الآيه التاليه ثالث أعمالهم القبيحه: وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا (۳) .

ممّا لا شکّ فيه أنّ الاستفاده من الميراث المشروع عمل غير مذموم،و لذا فيمكن أن يكون المذموم فی الآيه أحد الأمور التاليه:

الأوّل:الجمع بين حقّ الإنسان و حقّ الآخرين فی الميراث،لأنّ كلمه«لمّ» بمعنی الجمع،و فسّرها الزمخشری فی الكشّاف بمعنی الجمع بين الحلال و الحرام.

و كانت عاده العرب فی الجاهليه أن يحرموا النساء و الأطفال من الإرث لاعتقادهم بأنّه نصيب المقاتلين(لأنّ أكثر أموالهم تأتيهم عن طريق السلب و الإغاره).

۱- ۱) -«تخاضون»:فی الأصل(تتحاضون)،و حذفت إحدی التائين للتخفيف.

۲- ۲) -«طعام»هو فی الآيه ذو معنی مصدری أی:(إطعام).

۳- ۳) -«لمّ»:بمعنی الجمع،و تأتی بمعنی الجمع مع الإصلاح أيضا.

الثّانی:عـدم الإنفاق من الإرث علی المحرومین و الفقراء من الأقرباء و غیرهم،فإن کنتم تبخلون بهـذه الأموال التی وصـلت إلیکم بلا عناء،فأنتم أبخل فیما تکدّون فی تحصیله،و هذا عیب کبیر فیکم.

الثّالث:هو أکل إرث الیتامی و التجاوز علی حقوق الصـغار،و ذلک من أقبح الذنوب، لأنّ فیه استغلال فاحش لحقّ من لا یستطیع الدفاع عن نفسه.

و الجمع بین هذه التّفاسیر الثلاث ممکن (۱) .

ثمّ یأتی الذّم الرّابع: وَ تُحِبُّونَ اَلْمٰالَ حُبًّا جَمًّا (۲) .

فأنتم..عبـده دنیـا،طـالبی ثروه،عشـاق مـال و متـاع..و من یکون بهـذه الحـال فمن الطبیعی أن لا یعتنی فی جمعه للمال،أ کان من حلال أم من حرام،و من الطبیعی أیضا أن یتجاوز علی الحقوق الشـرعیه المترتبه علیه،بأن لا ینفقها أو ینقص منها..و من الطبیعی کذلک إنّ القلب الذی امتلأ بحبّ المال و الدنیا سوف لا یبقی فیه محل لذکر اللّه عزّ و جلّ.

و لذا نجد القرآن الکریم بعد ذکره لمسأله امتحان الإنسان،یتعرض لأربعه اختبارات یفشل فیها المجرمین.

إکرام الیتیم.

إطعام المسکین.

أسهم الإرث.

و جمعه من طریق مشروع و غیر مشروع.

و جمع المال بدون قید أو شرط.

و الملاحـظ أنّ الاختبـارات المـذکوره إنّمـا تـدور حول محور الأموال،للإشاره ما للمال من مطبات مهلکه،و لو تجاوزها الإنسان لسهلت علیه بقیه العقبات فی

۱- ۱) -«تراث»:فی الأصل(وراث)،ثمّ أبدلت الواو تاء.

۲- ۲) -«الجم»:بمعنی الکثیر،کما جاء فی(مصباح اللغه)،و(المقاییس)،و(الجمّه)الشعر المتجمع فی مقدمه الرأس.

طریقه نحو التکامل و الرقی و السمو.

و ثمّه من یکون متذبذبا فی الأمانه(بین أن یؤدی أو یخون)،و هکذا إنسان غالبا ما تصـرعه و وساوس الشیطان و ترمیه فی جانب الخیانه..أمّـا أولئک الصادقون فی إیمانهم فهم الأمناء حقّا فی الرعایه و الاهتمام لأداء الحقوق الواجبه و المسـتحبه للآخرین،و لا تراهم یتهاونون بأدنی درجات التهاون،و مثلهم هو الذی یتمکن من صعود سلم الرفعه و السمو علی طریق الإیمان و التقوی.

و الخلاـصه:من تجـاوز اختبـار المـال بنجـاح،فهو أهل للاعتماد،و من أهل التقوی و الورع،و هو خیر أخ و صـدیق،و غالبا ما تراه صالحا فی کافه مجالات حیاته و المجتمع.

و لذلک،نری الاختبارات هنا دارت حول محور المال.

الآيات [سوره الفجر (۸۹): الآيات ۲۱ الی ۲۶]

اشاره

كَلاّٰ إِذٰا دُكَّتِ اَلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (۲۱) وَ جٰاءَ رَبُّكَ وَ اَلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (۲۲) وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ یَتَذَكَّرُ اَلْإِنْسٰانُ وَ أَنّٰی لَهُ اَلذِّكْریٰ (۲۳) یَقُولُ یٰا لَیْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَیٰاتِی (۲۴) فَیَوْمَئِذٍ لاٰ یُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ (۲۵) وَ لاٰ یُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ (۲۶)

التّفسیر

اشاره

یوم لا تنفع الذكری!

بعد أن ذمت الآیات السابقه الطغاه و عبده الدنیا و الغاصبین لحقوق الآخرین، تأتی هذه الآیات لتحذرهم و تهددهم بوجود القیامه و الحساب و الجزاء.

فتقول أوّلا:«كلا»(فلیس الأمر كما تعتقدون بأن لا حساب و لا جزاء،و أنّ اللّه قد أعطاكم المال تكریما و لیس امتحانا).. إِذٰا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا .

«الدك»:الأرض اللینه السهله،ثمّ استعملت فی تسویه الأرض من الارتفاعات و التعرجات،و(الدكان):المحل السوی الخالی من الارتفاعات و(الدكه):المكان السوی المهیأ للجلوس.

ص:۱۹۲

و جاء تكرار«دكّا»فى الآيه للتأكيد.

و عموما،فالآيه تشير إلى الزلازل و الحوادث المرعبه التى تعلن عن نهايه الدنيا و بدايه يوم القيامه،حيث تتلاشى الجبال و تستوى الأرض،كما أشارت لذلك الآيات(۱۰۶-۱۰۸)من سوره طه: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً .

و بعد أن ينتهى مرحله القيامه الاولى(مرحله الدمار)،تأتى المرحله الثّانيه، حيث يعود النّاس ثانيه للحياه ليحضروا فى ساحه العدل الالهى: وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا .

نعم،فسيقف الجميع فى ذلك المحشر لإجراء الأمر الالهى و تحقيق العداله الربّانيه،و قد بيّنت لنا الآيات ما لعظمه ذلك اليوم،و كيف أنّ الإنسان لا سبيل له حينها إلاّ الرضوخ التام بين قبضه العدل الالهى.

وَ جاءَ رَبُّكَ

:كنايه عن حضور الأمر الالهى لمحاسبه الخلائق،أو أنّ المراد:

ظهور آيات عظمه اللّه سبحانه و تعالى،أو ظهور معرفه اللّه عزّ و جلّ فى ذلك اليوم،بشكل بحيث لا يمكن لأىّ كان إنكاره،و كأنّ الجميع ينظرون إليه بأم أعينهم.

و بلا شك،إنّ حضور اللّه بمعناه الحقيقى المستلزم للتجسيم و التحديد بالمكان،هذا المعنى ليس هو المراد،لأنّ سبحانه و تعالى مبرّأ من الجسميه و خواص الجسميه (۱) .

و قد ورد هذا المعنى فى كلام للإمام على بن موسى الرضا عليهما السّلام (۲) .

كما و تؤيد الآيه(۳۳)من سوره النحل هذا التّفسير بقولها:

ص: ۱۹۳

۱- ۱) -يقول الفخر الرازى فى تفسيره:إن فى الآيه محذوف،تقديره(أمر)أو(قهر)أو(جلائل آيات)أو(ظهور و معرفه)..و ظهرت هذه التقديرات فى كتب غيره من المفسرين أيضا،و خصوصا التقدير الأول.

۲- ۲) -راجع تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۴۱۶.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَهُ أَوْ يَأْتِیَ أَمْرُ رَبِّکَ .

صَفًّا صَفًّا

:إشاره إلی ورود الملائکه عرصه یوم القیامه علی هیئه صفوف، و یحتمل تعلق الصفوف بکلّ السماوات.

و تقول الآیه التالیه: وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ یَتَذَکَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنّی لَهُ الذِّکْری .

و ما نستنبطه من الآیه،إنّ جهنم قابله للحرکه،فتقرب للمجرمین،کما هو حال حرکه الجنّه للمتقین: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ (۱) .

و ثمّه من یعطی للآیه معنی مجازیا،و یعتبرها کنایه عن ظهور الجنّه و النّار أمام أعین المحسنین و المسیئین.

و لکن،لا دلیل علی الأخذ بخلاف الظاهر،و من الأفضل التعامل مع ظاهر الآیه،لأنّ حقائق عالم القیامه لا یمکن فهمها و تصورها بشکل دقیق لمحدودیه عالمنا أمام ذلک العالم من جهه؟و لاختلاف القوانین و السنن التی تحکم ذلک العالم من جهه اخری..ثمّ،ما المانع فی تحرک کلّ من الجنّه و النّار فی ذلک الیوم؟ و

روی: لمّا نزلت هذه الآیه،تغیّر وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و عرف فی وجهه حتی اشتدّ علی أصحابه ما رأوا من حاله،و انطلق بعضهم إلی علی بن أبی طالب علیه السّلام فقالوا:یا علی لقد حدث أمر قد رأیناه فی نبیّ اللّه،فجاء علی علیه السّلام فاحتضنه ثمّ قال:«یا نبیّ اللّه بأبی أنت و أمی،ما الذی حدث الیوم؟».

قال:«جاء جبرائیل علیه السّلام فأقرأنی وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ .

قال:فقلت:کیف یجاء بهم؟ قال:یجیء بها سبعون ألف ملک یقودونها بسبعین ألف زمام،فتشرد شرده لو ترکت لأحرقت أهل الجمع،ثمّ أتعرض لجهنم،فتقول:ما لی و لک یا محمّد،فقد

۱- ۱) -سوره الشعراء،الآیه ۹۰.

حرّم اللّه لحمك عليّ،فلا يبقى أحد إلاّ قال:نفسى نفسى،و إنّ محمّدا يقول:ربّ أمّتى أمّتى» (1) .

نعم،فحينما يرى المذنب كلّ تلك الحوادث تهتز فرائصه و يتزلزل رعبا، فيستيقظ من غفلته و يعيش حاله الهمّ و الغمّ،و يتحسر على كلّ لحظه مرّت من حياته بعد ما يرى ما قدّمت يداه،و لكن.هل للحسره حينها من فائده؟! و كم سيتمنى المذنب لو تسنح له الفرصه ثانيه للرجوع إلى الدنيا و إصلاح ما أفسد،و لكنّه سيرى أبواب العوده مغلقه،و لا من مخرج!...

و يودّ التوبه..و هل للتوبه من معنى بعد غلق أبوابها؟! و يريد أن يعمل صالحا..و لكن أين؟فقد طويت صحائف الأعمال،و يومها يوم حساب بلا عمل!..

و عندها..بملإ يصرخ كيانه: يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيٰاتِي .

و فى قولته نكته لطيفه،فهو لا يقول قدّمت لآخرتى بل«لحياتى»،و كأنّ المعنى الحقيقى للحياه لا يتجسد إلاّ فى الآخره.

كما أشارت لهذه الآيه(64)من سوره العنكبوت: وَ مٰا هٰذِهِ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ .

نعم،ففى دنياهم:يسرقون أموال اليتامى،لم يطعموا المساكين،يأخذون من الإرث أكثر ممّا يستحقون و يحبّون المال حبّا جمّا.

و فى أخراهم،يقول كلّ منهم:يا ليتنى قدّمت لحياتى الحقيقيه الباقيه..و لكنّ التمنى ليس أكثر من رأس مال المفلسين.

و تشير الآيه التاليه إلى شدّه العذاب الإلهى: فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ .

نعم،فمن استخدم فى دنياه كلّ قدرته فى ارتكاب أسوء الجرائم و الذنوب،

1- 1) -مجمع البيان،ج 10،ص 483؛و عنه الميزان،ج 20،ص 415،و مثله فى تفسير الدّر المنثور.

فلا يجنى فى آخرته إلّا أشد العذاب...

فيما سينعم المحسنون و الصالحون فى أحسن الثواب،و يخلدون بحال ما لا عين رأت و لا اذن سمعت،فاللّه«أرحم الراحمين»لمن أخلص النيّه و عمل، و«أشدّ المعاقبين»لمن تجاوز حدود هدف خلقه.

و تكمل الآيه التاليه تصوير شدّه العذاب: وَ لاٰ يُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ .

فوثاقه ليس كوثاق الآخرين،و عذابه كذلك،كلّ ذلك بما كسبت يداه حينما أوثق المظلومين فى الدنيا بأشدّ الوثاق،و مارس معهم التعذيب بكلّ وحشيه، متجرد عن كلّ ما وهبه اللّه من إنسانيه.

ص :۱۹۶

الآيات [سوره الفجر (٨٩): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

اشاره

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ (٢٧) ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَهً مَرْضِيَّهً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبادِي (٢٩) وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

التّفسير

اشاره

الشّرف العظيم:

و تنتقل السّوره فى آخر مطافها إلى تلك النفوس المطمئنه ثقه باللّه و بهدف الخلق،بالرغم من معايشتها فى خضم صخب الحياه الدنيا،فتخاطبهم بكلّ لطف و لين و محبّه،حيث تقول: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ .. ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَهً مَرْضِيَّهً .. فَادْخُلِي فِي عِبادِي .. وَ ادْخُلِي جَنَّتِي .

فهل ثمّه أجمل و ألطف من هذا التعبير!...

تعبير يحكى دعوه اللّه سبحانه و تعالى لتلك النفوس المؤمنه،المخلصه، المحبّه و الواثقه بوعده جلّ شأنه..دعوتها لتعود إلى ربّها و مالكها و مصلحها الحقيقى...

دعوه مفعمه برضا الطرفين،رضا العاشق على معشوقه،و رضا المعشوق على عاشقه....

ص: ١٩٧

و تتوج تلك النفوس الطاهره بتاج العبوديه،لتدخل فى صف المقرّبين عند اللّه،و لتحصل على إذن دخول جنان الخلد،و ما قوله تعالى:«جنتى»إلاّ للإشاره إلى أنّ المضيف هو اللّه جلّ جلاله...فما أروعها من دعوه!و ما أعظمه و أكرمه من داع!و ما أسعده من مدعو! و يراد بالنفس هنا:الروح الإنسانيه.

«المطمئنه»:إشاره إلى الاطمئنان الحاصل من الإيمان،بدلاله الآيه(٢٨)من سوره الرعد: أَلاٰ بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ .

و يعود اطمئنان النفس،لاطمئنانها بالوعود الإلهيه من جهه،و لاطمئنانها لما اختارت من طريق..

و هى مطمئنه فى الدنيا سواء أقبلت عليها أم أدبرت،و مطمئنه عند أهوال حوادث يوم القيامه الرهيبه أيضا.

أمّا(الرجوع إلى اللّه)،فهو-على قول جمع من المفسّرين-رجوع إلى ثوابه و رحمته..

و لكنّ الأنسب أن يقال:إنّه رجوع إليه جلّ و علا،رجوع إلى جواره و قربه بمعناها الروحى المعنوى،و ليست بمعناها المكانى و الجسمانى.

و ثمّه سؤال يرد إلى الذهن..متى ستكون دعوته المباركه،هل ستكون بعد مفارقه الروح البدن،أم فى يوم القيامه؟؟ لو أخذنا بظاهر الآيات المباركه،فسياقها يرتبط بالقيامه،و إن كان تعبير الآيه ذو شموليه.

«راضيه»:لما ترى من تحقق الوعود الإلهيه بالثواب و النعيم بأكثر ممّا كانت تتصور،و شمول العبد برحمه و فضل اللّه سيدخل فى قلبه الرضا بكلّ ما يحمل الرضا من معان و أكثر.

«مرضيّه»:لرضا اللّه تبارك و تعالى عنها.

ص :١٩٨

فعبد بما ذكر من أوصاف،بلا شكّ مكانه الجنّه،و ذلك لأنّه عمل بكلّ ما يملك فى سبيل رضوان معبوده الأحد الصمد،و وصل فى عمله لمقام الرضا التام و التسليم الكامل لخالقه تبارك و تعالى،حتى نال و سام حقيقه العبوديه،و دخل طائعا و واثقا فى صف عباد اللّه الصالحين..

و قد خصّ بعض المفسّرين سبب نزول هذه الآيات فى(حمزه سيد الشهداء)، و لكن بلحاظ كون السّوره مكّيه،فيمكن اعتبار ذلك أحد تطبيقات(مصاديق) الآيات و ليس شأنا للنزول،كما هو الحال فى ما ذكرنا فى أوّل السّوره بشأن الإمام الحسين عليه السّلام.

روى أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام قد سأله قائلا:جعلت فداك يا ابن رسول اللّه،هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال:«لا و اللّه،إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك،فيقول له ملك الموت:يا ولىّ اللّه،لا تجزع،فو الذى بعث محمّدا لأنا أ برّبك و أشفق عليك من والد رحيم لو حضرك،افتح عينيك فانظر،قال:و يمثل له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمّه من ذريتهم عليهم السّلام،فيقال له:هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمّه عليهم السّلام رفقاؤك، قال:فيفتح عينيه فينظر،فينادى روحه مناد من قبل ربّ العزّه فيقول:«يا أيّتها النفس المطمئنه(إلى محمّد و أهل بيته)ارجعى إلى ربّك راضيه(بالولايه)مرضيّه (بالثواب)فادخلى فى عبادى(يعنى محمّدا و أهل بيته)و ادخلى جنّتى»،فما شىء أحبّ إليه من استلال روحه و اللحوق بالمنادى» (۱) .

اللّهمّ!اجعل نفوسنا مطمئنه ليشملنا خطابك الكريم..

اللّهمّ!و لا ينال ذلك إلّا بلطفك،فاغمرنا به..

ص: ۱۹۹

۱- ۱) -الكافى،ج ۳،ص ۱۲۷،باب إنّ المؤمن لا يكره على قبض روحه،الحديث ۲.

اللّهمّ!منّ علينا بكرمك الذى لا ينفد،و اجعلنا من النفوس المطمئنه..

اللّهمّ!لا يكون الاطمئنان إلّا بذكرك،فوفقنا إليه بفضلك..

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الفجر

ص:٢٠٠

سوره البلد

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها عشرون آیه

ص :۲۰۱

محتوى السّوره:

هذه السّوره المباركه على قصرها تحمل حقائق كبرى:

۱-فى بدايه هذه السّوره،بعد قسم ذى محتوى عميق،تقرّر الآيه أنّ حياه الإنسان فى هذه الدنيا مقرونه بمشاكل و أتعاب؛و بذلك تعدّ الإنسان من جهه ليصارع العقبات،و من جهه اخرى تبعده عن طلب الراحه المطلقه فى هذا العالم، فالراحه المطلقه و النعيم المطلق فى الحياه الآخره لا غيرها.

۲-فى مقطع آخر من هذه السّوره،إشاره إلى أهم النعم الإلهيه،ثمّ ذكر جحود الإنسان بهذه النعم.

۳-و فى آخر هذه السّوره تقسيم النّاس إلى:«أصحاب الميمنه»و«أصحاب المشئمه»،ثمّ يأتى ذكر جانب من أعمال المجموعه الأولى و صفاتها(المجموعه المؤمنه الصالحه)و ما ينتظرها من جزاء،ثمّ المجموعه الثّانيه،(و هى الكافره المجرمه)و ما تواجهه من مصير.

عبارات السّوره قاطعه قارعه،و الجمل قصيره ذات إيقاع قوى،و الألفاظ واضحه مؤثره معبّره،و شكل آياتها تدلّ على أنّها مكّيه.

فضيله السّوره:

روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأها أعطاه اللّه الأمن من غضبه يوم

القیامه» (۱) .

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام قال: «من کان قراءته فی فریضته«لا اقسم بهذا البلد»کان فی الدنیا معروفا أنّه من الصالحین،و کان فی الآخره معروفا أنّ له من اللّه مکانا،و کان یوم القیامه من رفقاء النّبیین و الشّهداء و الصّالحین» (۲) .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۹۰.

۲- ۲) -ثواب الأعمال،نقلا عن نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۷۸.

الآيات [سوره البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا اَلْبَلَدِ (١) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا اَلْبَلَدِ (٢) وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِی كَبَدٍ (۴) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (۵) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَداً (۶) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)

التّفسير

اشاره

لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ

(١)

فی مواضع كثيره يبدأ القرآن بالقسم عند تعرّضه للحقائق الهامه...بالقسم الذی يؤدی بدوره إلی حركه فی الفكر و العقل..بالقسم المرتبط ارتباطا خاصّا بالموضوع المطروح.

و فی هذا الموضع تبدأ الآيه بالقسم:قسما بهذه المدينه المقدسه مكّه: لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ لتقرر حقيقه من حقائق حياه الإنسان،هی إنّ هذه الحياه مقرونه

١- ١) -(لا):زائد للتأكيد،و قيل إنّها نافيه(لمزيد من التوضيح راجع مطلع سوره القيامه).

بالآلام و الأسقام.

وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ

لم يرد ذكر«مكّه»فی الآیه صریحا،لکن الدلالات تشیر إلی أن المقصود بالبلد مکّه،فالسّوره مکّیه،و أهمیّه هذه المدینه المقدّسه لا تبلغها مدینه، و المفسّرون مجمعون علی ذلک.

أرض مکّه مشرّفه و معظمه، لأنّ فیها أوّل مرکز للتوحید و لعباده اللّه سبحانه، و کان هذا المرکز مطاف أنبیاء اللّه العظام...و لذلک أقسم اللّه بها...و لکنّ السّوره تشیر إلی عامل آخر أضفی علی هذه المدینه شرفا و کرامه: وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ ...فالبلد استحق أن یقسم به اللّه لوجودک أنت أیّها النّبی الکریم فیه! فلا یتصورن کفار مکّه أنّ القرآن یقسم ببلدهم تکریما لهم و لأوثانهم،لا فهذا البلد مکرم لما یحمله من تاریخ الرسالات السماویه..و لما یحتضنه من رساله خاتمه،و نبی خاتم.

و فی الآیه تفسیر آخر یعتبر(لا)فی الآیه السابقه نافیه و یکون المعنی:«لا اقسم بهذا البلد المقدس حال کون حرمته قد هتکت و الأنفس و الأموال و الأعراض فیه قد أحلّت و أبیحت».

و یکون ذلک-علی هذا التّفسیر-توبیخا و تقریعا لکفار قریش و هم الذین یعتبرون أنفسهم خدمه الحرم و سدنته،و یکنّون له احتراما یفوق کلّ احترام حتی أن الرجل منهم یری قاتل أبیه فیه فلا یتعرّض له...بل حتی قیل إنّ الرجل یحمل معه شیئا من لحاء أشجار مکّه فلا یتعرّض له أحد.فلما ذا إذن لم تراعوا هذه الآداب و التقالید فی حقّ النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟! لما ذا تمادیتم فی إیذائه و إیذاء صحابته،حتی سولت لکم أنفسکم استباحه دمه؟! و قد ورد هذا التّفسیر فی حدیث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام

ص :۲۰۶

أيضا (۱) .

وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ

للمفسّرين آراء عديده عن المقصود بالوالد و الولد فى الآيه.

قيل:إنّ الوالد إبراهيم الخليل و الولد إسماعيل الذبيح.

و التّفسير هذا يتناسب مع القسم بمكّه...و نعلم أنّ إبراهيم و ابنه رفعا القواعد من البيت،و بذلك وضعا حجر أساس البلد الأمين.و العرب فى الجاهليه كانوا يجلّون إبراهيم و ابنه و يفخرون فى الانتساب إليهما.

و قيل:إنّ المقصود بالوالد و الولد آدم و ذرّيته.

و قيل:آدم و الأنبياء من ذرّيته.

و قيل:كلّ والد و ما ولد.متوالى الأجيال.

و تعاقبها بالولاده من أعجب بدائع الكون،و لذلك خصّها اللّه تعالى بالقسم و لا يستبعد الجمع بين هذه التفاسير و إن كان الأوّل أنسب.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِى كَبَدٍ

.

و هذا هو الهدف النهائى للقسم«الكبد»كما يقول الطبرسى فى مجمع البيان فى الأصل بمعنى«الشدّه»و لذا يقال للّبن إذا استغلظ«تكبّد اللّبن»و لكن كما يقول الراغب فى مفرداته أنّ«كبد»ألم يصيب الكبد،ثمّ اطلق على كلّ ألم و مشقّه.

نعم...الإنسان يمرّ فى دوره حياته بمراحل كلّها مشوبه بالألم و مقرونه بالعناء.منذ أن يستقرّ نطفه فى رحم امه حتى ولادته،ثمّ بعد ولادته فى مراحل طفولته و شبابه و شيخوخته يعانى من ألوان و المشاق و الآلام،هذه طبيعه الحياه، و من توقّع منها غير ذلك خيّبت ظنّه.يقول الشاعر:

طبعت على كدر و أنت تريدها

صفوا من الأكدار و الأقذار

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۳.

و مكلّف الأيّام ضد طباعها

متطلب فی الماء جذوه نار

و هذه الحاله تشمل كلّ أبناء البشر دونما استثناء،بمن فيهم أنبياء اللّه و أولياؤه الصالحون.

و إذا خيل إلينا أن ثمّه مجتمعات تبـدو بعيده عن الآلام و الأتعاب و تعيش فی دعه و رفاه،فذلك نتيجه نظره سـطحيه،و لو تعمقنا فی دراسه هذه المجتمعات، و نظرنا إليها عن كثب لتلمسـنا ما تعانيه من عميق الألم و شدّه النصب.. ثمّ إذا كان هناك استثناءات مكانيه و زمانيه محدوده من هذه الحاله العامه فلا ينتقض القانون العام للحياه أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . (۱)

فما يحيط بالإنسان من مكابـده يـدلّ على ضـعف قـدرته،هـذه الحقيقه تردّ على أولئك الـذين يمتطون مركب الغرور،و يخالون أنّهم فی مـأمن من العقـاب الإلـهی أو أنّهم مـانعتهم حصـونهم و مناصـبهم و ثرواتهم،فيرتكبون الـذنوب و يمـارسون العـدوان و يديرون ظهورهم لشريعه اللّه.

و يحتمل أنّ المقصود هم الأثرياء الـذين يتصورون أنّ لا أحد بإمكانه سـلب ثروتهم منهم...و قيل أنّ المراد من الآيه الأشـخاص الذين يتصورون بأنّه لا أحد يحاسبهم على أعمالهم.

و لكن مفهوم الآيه عام بإمكانه أن يستوعب جميع هذه التّفاسير.

و قيـل إنّ الآـيه أشارت إلى«أبی الأسـد بن كلـده»و هو رجل من«جمـح»كان قويا شديـد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظی فتجرّه عشره رجال من تحته فينقطع و لا يبرح من مكانه (۲) .

غير أن إشاره الآيه إلى فرد،أو أفراد مغرورين لا يمنع شموليه مفهومها.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَداً

.

۱- ۱) -«أن»فی الآيه مخففه من الثقيله و التقدير:أنّه لن يقدر عليه أحد.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۳.

إشاره إلى قول الـذين يطلب منهم أن ينفقوا أموالهم فى الخيرات،فيأبون و يقولون بغرور:إننـا أنفقنـا فى هـذا السبيـل كـثيرا من الأموال،بينما لم ينفق هؤلاء شيئا،و إنّ أعطوا لأحد شيئا فللرياء و لتحقيق هدف شخصى.

و قيل إنّها نزلت فى نفر أنفقوا الأموال الطائله فى معاده الرّسول و الرساله، و تباهوا بـذلك،يؤيـد ذلك قول«عمرو بن عبـدود»فى حرب الخندق حين عرض عليه على عليه السّلام الإسلام قال:فأين ما أنفقت فيكم مالا لبدا؟ (۱) أى أنفقت مالا كثيرا فى عداوه النّبى.

و قيـل إنّها نزلت فى بعض رجال قريش و هو«الحرث بن عامر»،و ذلك أنّه أذنب ذنبا،فسـتفتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فأمره أن يكفّر.فقال:لقد ذهب مالى فى الكفارات و النفقات،منذ دخولى دين محمّد (۲) .

و الجمع بين التّفاسير المذكوره جائز،و إن كان التّفسير الأوّل أكثر انسجاما مع سياق الآيات التاليه:

و الفعل«أهلكت»يوحى إباده الأموال و عدم الحصول على عائد منها.

و«لبد»:تعنى الشيء المتراكم،و هنا تعنى المال الوفير.

أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ

.

إنّه غافل عن هذه الحقيقه...حقيقه اطلاع البارى تعالى على كلّ الأمور و على ظواهر الأعمال،بل على ما يختلج فى أعماق النفس و القلب،و ما يدور فى الخلد و النّيه...و هل من المعقول أن لا يحيط المطلق الحق بكلّ شـيء؟!هؤلاء الغافلون دفعهم جهلهم لأن يروا أنفسهم بمعزل عن الرقابه الإلهيه.

نعم،اللّه سبحانه يعلم مصدر حصولهم على هذه الأموال،و يعلم السبيل الذى أنفقوها فيه.

ص:۲۰۹

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۸۰،الحديث ۱۰.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۳.

و

روى عن ابن عباس أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعه:عن عمره فيما أفناه،و عن ماله من اين جمعه،و فى ما ذا أنفقه،و عن عمله ماذا عمل به،و عن حبّنا أهل البيت» (۱) .

بعباره موجزه:كيف يعترى الإنسان الغرور و يدعى القدره و حياته ممزوجه بالآلام و الأكدار؟!و كيف يدعى أنّه أنفق مالا كثيرا فى سبيل اللّه بينما البارى سبحانه عليهم بنواياه،عليم بالطريق غير المشروع للحصول على هذه الأموال، و عليم بأهداف الرياء و الذاتيه فى إنفاق هذه الأموال.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۴،و بهذا المعنى أيضا ورد فى تفسير روح البيان،ج ۱۰،ص ۴۳۵.

الآیات [سوره البلد (۹۰): الآیات ۸ الی ۱۰]

اشاره

أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (۸) وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَيْنِ (۹) وَ هَدَيْنٰاهُ اَلنَّجْدَيْنِ (۱۰)

التّفسیر

اشاره

نعمه العین و اللسان و الهدایه:

استتباعا للآیات السابقه و ما دار فیها من حدیث عن الغرور و الغفله فی الطاغین،تذکر هذه الآیات الکریمه جانبا من أهم ما أنعم اللّه به علی الإنسان من نعم مادیه و معنویه...کی تکسر روح الغرور،و تدفع إلی التفکیر فی خالق هذه النعم،و لکی تحرّک روح الشکر فی نفس الکائن البشری و من ثمّ تسوقه إلی معرفه الخالق:

أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ؟ وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَيْنِ؟ وَ هَدَيْنٰاهُ النَّجْدَيْنِ

فی هذه العبارات القصیره إشاره إلی ثلاث نعم مادیه هامّه و نعمه معنویه کبری هی بمجموعها من أعظم النعم الإلهیه:نعمه العین و اللسان و الشفه من جانب،و نعمه الهدایه و معرفه الخیر و الشرّ من جانب آخر.

«النجد»فی الأصل یعنی المکان المرتفع،و یقابلها«تهامه»و هی الأرض

ص: ۲۱۱

المنخفضه،و هنا كنايه عن الخير و الشرّ و عن سير السعاده و الشقاء (۱) .

و يكفى أن نذكر فى النعم السابقه أنّ:

«العين»أهم وسيله لارتباط الإنسان بالعالم الخارجى،عجائب العين تدفع الإنسان حقّا إلى الخضوع أمام خالقه،الطبقات السبع للعين و هى المسماه بالقرنيه، و المشيميه،و العنبيه،و الجلديه،و الزلاليه،و الزجاجيه،و الشبكيه،لكلّ منها تركيب عجيب دقيق مدهش،روعيت فيها القوانين الفزيائيه و الكيمياويه المتعلقه بالنور و انعكاساته على أدق وجه،حتى إن أعقد أجهزه التصوير تعتبر تافهه مقارنه بهذا العضو.

لو لم يكن فى الكون سوى الإنسان،و لم يكن من وجود الإنسان سوى العين،لكانت مطالعه هذا العضو كافيه وحدها لمعرفه علم اللّه الواسع و قدرته الجبّاره جلّ و علا.

و أمّا«اللسان»،فهو أهم وسائل ارتباط الإنسان بغيره من أبناء جلدته،و نقل المعلومات و تبادلها بين أبناء البشر فى الجيل الواحد و فى الأجيال المتعاقبه، و بدون هذه الوسيله الهامّه من وسائل الارتباط ما كان بإمكان الإنسان إطلاقا أن يرتقى إلى ما ارتقى إليه فى العلم و المعرفه.

و«الشفتان»:تلعبان أوّلا دورا فى هامّا فى النطق،إذ أن الشفتين مخرج لكثير من الحروف،و الشفتان تقومان بدور أيضا فى هضم الطعام و المحافظه على رطوبه الفم،و شرب الماء،ترى لو انعدمت الشفتان فما ذا كان وضع الإنسان فى أكله و شربه و نطقه و المحافظه على ماء فمه و حتى جمال وجهه و شكله؟! إنّ درك الحقائق يتمّ أوّلا بالعين و اللسان...و لذلك تقدم ذكرهما فى

۱- ۱) -روى عن أمير المؤمنين على عليه السّلام أنّه قيل له:إنّ أناسا يقولون فى قوله(و هديناه النجدين)أنّهما الثديان(أى ثديا الأم) فقال:«لا،هما الخير و الشرّ»مجمع البيان،ذيل الآيات المذكوره،و ضمنا التعبير ب«نجد»على الخير من أجل عظمته و فى مورد الشرّ من باب التغليب.

السياق...ثمّ تبع ذلك ذكر الهداية،الهداية العقلية و الفطرية وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ، و يشمل التعبير أيضا«الهداية التشريعية»التي ينهض بمسؤوليتها الأنبياء و الأولياء.

نعم...لقد أنعم اللّه على الإنسان بالبصر و البصيرة،و أنعم عليه بهداية الإرشاد إلى الطريق و التحذير من مغبة الانحراف عنه،كي تكتمل الحجّة على الإنسان.

و مع كلّ هذه النعم،نعم الهداية،لو انحرف الإنسان عن جادة الحقّ،فلا يلومنّ إلاّ نفسه.

عبارة وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ إضافة لما لها من مدلول على مسألة الإختيار و حرية الإنسان،تدلّ أيضا على ما يتطلبه طريق الخير من جهد و عناء،لأنّ «النجد»مكان مرتفع و تسلق المكان المرتفع يتطلب كدا و سعيا و جهدا،غير أن طريق الشرّ له مشاكله و مصاعبه أيضا،فأولى بالإنسان أن يبذل الجهد و السعي على طريق الخير.

مع ذلك،فانتخاب الطريق بيد الإنسان...الإنسان هو الذي يتحكم في عينه و لسانه فيم يستعملها...في الحلال أو الحرام،و هو الذي يختار إحدى الجادتين «الخير»أو«الشر».

و

في الحديث القدسي أن اللّه سبحانه يخاطب أبناء آدم يقول: «يا ابن آدم إنّ نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق،و إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق...» (1) .

فاللّه سبحانه منح هذه النعم،و منح وسائل السيطرة عليها،و تلك من الألطاف الإلهية الكبرى.

و الملفت للنظر أنّ الآيات التي نحن بصددها أشارت إلى الشفتين بعد اللسان،

1- 1) -نور الثقلين،ج 5،ص 581.

و لكن لم تشر إلى الجفنين بعد ذكر العين،و لعل ذلك يعود إلى أهميه الشفتين في الكلام و الطعام و غيرها من الأمور أهميه تفوق بكثير أهميه الجفنين،و قد يعود أيضا إلى أن السيطره على اللسان أهم و أخطر بكثير من السيطره على العين.

بحوث

اشاره

۱-عجائب العين

العين يشبهونها عاده بآله التصوير(الكاميرا)،فهي تلتقط الصور من عدستها الدقيقه،بدلا من أن تعكسها على اللوح الحساس(الفيلم)كما تفعل الكاميرا، تعكس الصور على شبكيه العين،و من ثمّ تنتقل عن طريق الأعصاب البصريه إلى الدماغ.

آله التصوير الدقيقه الظريفه هذه قد تلتقط يوميا ملايين الصور،غير أنّها من جهات مختلفه لا يمكن مقارنتها حتى بأعقد و أحدث أجهزه التصوير،لأنّه:

۱-فتحه تنظيم النور(ديافراغم)في جهاز العين،و هو بؤبؤ العين،يعمل بشكل تلقائي أمام تغيير النور،فيتقلص أمام النور القوي،و يتسع أمام النور الضعيف،بينما أجهزه التصوير بحاجه إلى تنظيم بيد المصور.

۲-عدسه العين خلافا لأنواع عدسات أجهزه التصوير تتغير بتغير بعد الصوره عنها،فيكون قطرها حينا ۵،۱ ملم،و يصل أحيانا إلى ۸ ملم،و هذا التغيير يتمّ بواسطه عضلات تتقلص و تنبسط حسب بعد الصوره المرئيه،فعدسه العين تستطيع أن تعمل ما تعمله مئات العدسات الزجاجيه.

۳-العين تستطيع أن تتحرك في الجهات الأربع بمساعده العضلات و تلتقط الصور في الأنحاء المختلفه.

۴-و المهم،أن أجهزه التصوير بحاجه إلى تبديل أفلامها،فإذا انتهت حلقه

فیلم،فلا بدّ من فیلم آخر.لکن عین الإنسان تلتقط الصور طوال عمر الإنسان دون أن تحتاج إلی تعویض شیء،و یعود السبب إلی أن الشبکیه التی تنعکس علیها الصور تحتوی علی نوعین من الخلایا«المخروطیه»،و«الأسطوانیه»فیها ماده حساسه للغایه تجاه النور تتحلل بأقل شعاع من نور فی الشبکیه و تتحول إلی أمواج تنتقل إلی الدماغ،ثمّ یزول الأثر و تستعد الشبکیه لالتقاط صور جدیده.

۵-أجهزه التصویر مصنعه من مواد قویّه جدّا،لکن جهاز العین لطیف و ظریف إلی درجه کبیره،لذلک وضع فی محفظه عظیمه مستحکمه،و العین مع ظرافتها و لطافتها أکثر دواما بکثیر من الحدید و الفولاد.

۶-مسأله تنظیم النور ذات أهمیه فائقه للمصورین،و قد یطول الزمن بالمصور کی یستطیع تنظیم إضاءه الصوره،بینما تستطیع العین فی جمیع ظروف النور القوی و المتوسط و الضعیف بل حتی فی الظلام شریطه وجود بصیص من النور أن تلتقط الصور،و هذا من عجائب العین.

۷-حین ننتقل فجأه من النور إلی الظلمه،أو حین تنطفئ مصابیح الغرفه فی اللیل،لا تستطیع أعیننا فی البرهه الاولی أن تری شیئا،ثمّ بالتدریج تعتاد العین علی الظرف الجدید فتری ما حولها،و هذا التعوّد هو تعبیر بسیط عن التحول المعقد الذی یحدث فی العین،و یؤدی خلال لحظات بسیطه إلی الانسجام بین العین و الظروف الجدیده.

و عکس ذلک یحدث عند ما ننتقل من الظلام إلی النور،فالعین فی البدایه لا تتحمل النور القوی،و لکن بعد لحظات تتواءم مع الظرف الجدید،و مثل هذه الخصائص لا توجد إطلاقا فی أجهزه التصویر.

۸-أجهزه التصویر تستطیع أن تصور زاویه محدوده ممّا یقع أمامها،بینما عین الإنسان تستطیع أن تلتقط کلّ ما فی نصف الدائره الافقیه أیامها بزاویه مقدارها ۱۸۰ درجه تقریبا.

۹-من عجائب العينين أنّهما تلتقطان الصوره لتعكساها معا فى نقطه واحده، و إذا اختل هذه التنظيم تصاب العين بالحول و يرى الفرد الشيء الواحد شيئين.

۱۰-و من الطريف أن صوره الأجسام تنعكس على الشبكيه مقلوبه،بينما لا نرى نحن الأشياء مقلوبه.

۱۱-سطح العين يجب أن يبقى رطبا دائما،و إذا جفّ اضرّ بالعين كثيرا، و هذه الرطوبه تفرزها الغدد الدمعيّه،فتدخل العين من جانب و تخرج عن طريق قنوات دقيقه تقع فى جانب من العين إلى الأنف،فترطب الأنف أيضا.

و إذا جفت الغدد الدمعيه،تتعرض العين للخطر،و تتعذر حركه الأجفان،و إن زاد نشاط هذه الغدد أكثر من المطلوب يسيل الدمع باستمرار على الوجه،و إذا انسدّ طريق القنوات التى تدفع الدمع من العين إلى الأنف،فلا بدّ للفرد أن ينشغل دائما بتجفيف الماء المتصبب على وجهه.

۱۲-تركيب الدمع معقد فيه أكثر من عشره عناصر تشكل معا أفضل سائل للحفاظ على العيم.

بعباره موجزه عجائب العين من الكثره بحيث تتطلب كتابه المجلدات الضخام،و ليست هى أكثر من شحمه صغيره،و حقّا ما

قاله أمير المؤمنين على عليه السّلام:

«اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم و يتكلم بلحم،و يسمع بعظم،و يتنفس من خرم» (۱) .

۲-عجائب اللسان

اللسان بدوره من الأعضاء الهامه فى بدن الإنسان،و ينهض بأعباء هامّه فهو عامل مهم فى مضغ الطعام و بلعه،يدفع باللقمه إلى الأسنان و يلتقطها دون أن

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ۸.

يتعرض هو للقطع.

و قد يحدث نادرا أن يقع اللسان فى مصيده الأسنان أثناء الأكل،فنستغيث من الألم،و نفهم عندئذ مدى مهاره اللسان فى تجنب الانزلاق تحت الأسنان مع أنّه ملاصق لها!! و اللسان بعد ذلك ينظف جوف الفم و الأسنان من بقايا الطعام.

و أهم من ذلك،دور اللسان فى الكلام بتحركه السريع المتواصل المنظم فى الجهات الست،و هو دور عجيب،و الإمعان فيه يثير الدهشه و الحيره فقد يسرّ اللّه تعالى للإنسان وسيله سهله للتكلم و فى متناول الجميع فلا يصيبها تعب و لا نصب و لا ملل و لا تكلّف الإنسان خرجا!! و أعجب من ذلك موضوع استعداد الإنسان للكلام،و هذا الاستعداد أودعه اللّه فى الإنسان ليستطيع من خلال تكوين الجمل باشكال لا تعدّ و لا تحصى أن يبيّن ما لا نهايه له من الغايات.

و أهم من ذلك أيضا تنوّع اللغات و قابليه الإنسان على وضع لغات مختلفه، و تتّضح هذه الأهميه من خلال مطالعه مفردات آلاف اللغات المنتشره فى العالم...

حقّا«العظمه للّه الواحد القهار!».

٣-هدايه النجدين

«النجد»كما ذكرنا الارتفاع أو الأرض المرتفعه،و«النجدين»هنا طريق الخير و طريق الشر،و

ورد فى الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «يا أيّها النّاس! هما نجدان:نجد الخير و نجد الشرّ،فما جعل نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير». (١)

ص: ٢١٧

١- ١) -مجمع البيان،ج ١٠،ص ۴٩۴؛و تفسير القرطبى،ج ١٠،ص ٧١۵۵.

تحمـل«التكليف»و المسؤوليه غير ممكن دون شك،بغير المعرفه و الوعى و حسب هـذه الآيه فإنّ اللّه سـبحانه منـح الإنسان هـذه المعرفه.

و هـذه المعرفـه يحصـل عليهـا الإنسـان من ثلاـثه طرق:من الإدراكـات العقليه و الاسـتدلال،و من طريـق الفطره و الوجـدان دون الحاجه إلى الاسـتدلال،و من طريق الوحى و تعاليم الأنبياء و الأوصـياء عليهم السّلام،و كل ما يحتاجه البشر ليطوى مسيره تكامله قد بيّنه اللّه سبحانه له بواحد من هذه الطرق أو فى كثير من الحالات بالطرق الثلاثه معا.

و يلاحـظ أن الحـديث المـذكور يصـرّح بأن نجـد الشـرّ ليس أحبّ إلى طبع الإنسان من نجـد الخير،و هـذا يردّ على القائلين بأن الإنسان مطبوع على الشرّ و إن سلوك طريق الشرّ أيسر له و أسهل.

و من المؤكّد أن البيئه الاجتماعيه لو خلت من التربيه الخاطئه و الانحرافات لوفرت الأجواء لرغبه متزايده فى الإنسان نحو الخير،و لعل تعبير«نجـد»و هى الأرض المرتفعه لطريق الخير يعود إلى أن الأرض المرتفعه ذات هواء أنقى و جوّ أبهـج،و إنّما اطلق النجد للشرور أيضا من باب التغليب (۱) .

و قيل أيضا أنّ التعبير بالنجدين إشاره إلى ظهور طريقى الخير و الشرّ و بروزهما،كبروز و ظهور الأرض المرتفعه.

۱- ۱) -كما يقال للشمس و القمر:القمران.

الآیات [سوره البلد (۹۰): الآیات ۱۱ الی ۲۰]

اشاره

فَلاَ اِقْتَحَمَ اَلْعَقَبَهَ (۱۱) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلْعَقَبَهُ (۱۲) فَکُّ رَقَبَهٍ (۱۳) أَوْ إِطْعٰامٌ فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَهٍ (۱۴) یَتِیماً ذٰا مَقْرَبَهٍ (۱۵) أَوْ مِسْکِیناً ذٰا مَتْرَبَهٍ (۱۶) ثُمَّ کٰانَ مِنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْمَرْحَمَهِ (۱۷) أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلْمَیْمَنَهِ (۱۸) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِنٰا هُمْ أَصْحٰابُ اَلْمَشْأَمَهِ (۱۹) عَلَیْهِمْ نٰارٌ مُؤْصَدَهٌ (۲۰)

التّفسیر

اشاره

العقبه!

بعد ذکر النعم الکبیره فی الآیات السابقه،تنحی هذه الآیات باللائمه علی أولئک الذین یکفرون بهذه النعم،و لا یسخرونها علی طریق النجاه،یقول سبحانه:

فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ

(۱)

۱- ۱) -الظاهر أن(لا)فی الآیه«نافیه»و«خبریه»و نستبعد أن تکون علی وجه الدعاء علی ضمیر الفعل أو أن تکون

و ما المقصود من العقبه؟الآيات التاليه تفسّرها:

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْعَقَبَهُ؟ فَکُّ رَقَبَهٍ أَوْ إِطْعٰامٌ فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَهٍ یَتِیماً ذٰا مَقْرَبَهٍ أَوْ مِسْکِیناً ذٰا مَتْرَبَهٍ

.

من هنا فالعقبه التی لم یتهیأ الکافرون بأنعم اللّه لاجتیازها هی:فک رقبه عبد من الرقبه أی تحریره أو إطعام فی یوم الضائقه الاقتصادیه و المجاعه،یتیما ذا قربی أو فقیرا قد لصق بالتراب من شدّه فقره،العقبه هی مجموعه أعمال الخیر التی تتجه لخدمه النّاس و الأخذ بید الضعفاء و المعوزین،کما إنّها أیضا مجموعه من المعتقدات الصحیحه الخالصه تشیر إلیها الآیات التالیه.

نعم،إن اجتیاز هذه العقبه لیس بالأمر الیسیر لما لأغلب النّاس من التصاق بالمال و الثروه.

لیس الإسلام و الإیمان بالقول و الادعاء،بل أمام کلّ إنسان مسلم و مؤمن عقبات یجب أن یجتازها الواحده بعد الاخری، مستمدا العون من اللّه سبحانه و من روح الإیمان و الإخلاص.

بعضهم ذهب إلی أنّ«العقبه»هنا تعنی أهواء النفس التی حثّ الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی مقاومتها و مجاهدتها،و یسمی ذلک«الجهاد الأکبر»،و استنادا إلی هذا التّفسیر یکون فک الرقبه و إطعام المسکین من المصادیق البارزه لاجتیاز عقبه هوی النفس.

و من المفسّرین من قال إنّ«العقبه»هی الصراط الصعب یوم القیامه،کما جاء

فی حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

(۱)

استفهامیه،و الإشکال الوحید الذی یرد علی أنّها خبریه هو عدم تکرارها لأنّ(لا)النافیه حین تدخل علی الفعل الماضی تکرر عاده کقوله سبحانه: فَلاٰ صَدَّقَ وَ لاٰ صَلّٰی ،و لم تتکرر فی الآیه.و یذکر«الطبرسی»فی«مجمع البیان»مواضع من أقوال العرب لم تتکرر فیها(لا)النافیه مع دخولها علی الفعل الماضی،و إلی ذلک ذهب أیضا«الفخر الرازی»و«القرطبی»،و قیل إنّ(لا) إذا کانت بمعنی«لم»لا یلزم تکرارها و بعضهم احتمل التکرار فی التقدیر و المعنی:فلا اقتحم العقبه و لا فک رقبه،و لا أطعم فی یوم ذی مسغبه.

«إن أمامكم عقبه كؤودا لا يجوزها المثقلون،و أنا أريد أن أخفف عنكم لتلك العقبه» (۱) .

و هذا الحديث طبعا لا يمكن أن يكون تفسيرا للآيه،غير أن بعض المفسّرين فهموا منه ذلك،و هذا الفهم لا يتناسب مع التّفسير الصريح لكلمه«العقبه»فى الآيات التاليه،إلّا إذا اعتبرنا العقبه الكؤود يوم القيامه تجسيدا للطاعات الثقيله الصعبه فى هذا العالم،و اجتياز تلك العقبات فرع لاجتياز هذه الطاعات«تأمل بدقّه».

تعبير«اقتحم»فى الآيه أصله من«الاقتحام»و هو الدخول فى عمل صعب مخيف(مفردات الراغب)،أو الولوج و العبور بشدّه و مشقّه(تفسير الكشّاف)و هذا يعنى أن اجتياز هذه العقبه ليس بالأمر اليسير،كما أنّه تأكيد على ما ورد فى أوّل السّوره بشأن ما يكابد الإنسان فى حياته: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی کَبَدٍ .

و

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «إنّ الجنّه حفت بالمكاره و إنّ النّار حفت بالشهوات» (۲) .

ملاحظات

و هنا يلزم الالتفات إلى عدّه ملاحظات:

۱-المقصود من«فك رقبه»على الظاهر هو تحرير العبد و الرقيق.

روى أنّ أعرابيا جاء إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:يا رسول اللّه علمنى عملا يدخلنى الجنّه.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۵.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۷۶.

أجابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إن كنت أقصرت الخطبه لقد عرضت المسأله (۱) أعتق النسمه و فك الرقبه».

فقال الأعرابى:أو ليسا واحدا؟! قال:«لا،عتق النسمه أن تنفرد بعتقها،و فك الرقبه أن تعين فى ثمنها» ثمّ قال:«و الفىء على ذى الرحم الظالم،فإنّ لم يكن ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن و أمر بالمعروف و انه عن المنكر،فإنّ لم تطق ذلك،فكفّ لسانك إلّا من الخير» (۲) .

۲-قال بعض المفسّرين أن معنى«فك رقبه»تحرير الفرد رقبته من الذنوب بالتوبه،أو تحرير نفسه من العذاب الإلهى بتحمل الطاعات،غير أن ما جاء فى الآيات التاليه من توصيه باليتيم و المسكين يؤيد أن المقصود هو تحرير رقبه العبد.

۳-«المسغبه»من«سغب»على وزن«غضب»و هو الجوع،و«يوم ذى مسغبه»أى وقت المجاعه،و الجياع موجودون فى المجتمع عاده،و الآيه إنّما تؤكّد على إطعامهم فى زمان الجماعه لأهميه الموضوع،و إلّا فإنّ الجياع هو دائما من أفضل الأعمال.

و

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من أشبع جائعا فى يوم سغب داخله اللّه يوم القيامه من باب من أبواب الجنّه لا يدخلها إلّا من فعل مثل ما فعل» (۳) .

۴-«المقربه»بمعنى القرابه و الرحم،و التأكيد على الأقرباء من اليتامى فى الآيه إنّما هو لمراعاه الأولويه و للتأكيد على تصاعد المسؤوليه تجاههم،لا لحصر الإطعام بهذا القسم من اليتامى.

۱- ۱) -أى لقد طرحت بوضوح سؤالك،و إن كنت أجملت فى الكلام.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۸۳.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۵.

ثمّ إنّ غمط حقوق اليتامى فى ذلك العصر خاصه على يد الأقرباء استدعى التحذير من هذه العقبه بالذات.

و ذهب«أبو الفتوح الرازى»إلى أنّ«المقربه»ليست من القرابه،بـل من «القرب»إشـاره إلى التصاق بطون الجياع من شـدّه الجوع (۱) .و نستبعد كثيرا هذا المعنى فى تفسير الآيه.

۵-«المتربه»مصدر ميمى من«ترب»،و ساكن التراب من شدّه فقره هو ذو المتربه،و التأكيد على هذا النمط من المساكين لأولويتهم أيضا،إذ إطعام أى مسكين عمل مستحسن.

و

روى أنّ الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام إذا أكل أتى بصحفه فتوضع قرب مائدته،فيعمد إلى أطيب الطعام ممّا يؤتى به فيأخذ من كلّ شىء شيئا فيضع فى تلك الصفحه ثمّ يأمر بها للمساكين،ثمّ يتلو هذه الآيه: فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ثمّ يقول:«علم اللّه عزّ و جلّ أنّه ليس كلّ إنسان يقدر على عتق رقبه فجعل لهم السبيل إلى الجنّه» (۲) . م ثمّ تواصل الآيه التاليه بيان طبيعه هذه العقبه،و سبل اجتيازها فتقول: ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْمَرْحَمَهِ .

فالقادرون على اجتياز هذه العقبه متحلون بالإيمان و متواصون بالصبر و الاستقامه على الطريق،و متواصون بالرحمه و العطف.

و بهذا السياق القرآنى لبيان طبيعه العقبه نفهم أن القادرين على اجتيازها هم المتحلون بالإيمان و الخلق الكريم كالتواصى بالصبر و الرحمه،و ذوو أعمال البّر و الإحسان كتحرير العبيد و إطعام الأيتام و المساكين،إنّهم بعباره أولئك الذين يلجون ميادين الإيمان و الأخلاق و العمل و يخرجون منها ظافرين منتصرين.

۱- ۱) -تفسير أبى الفتوح الرازى،ج ۱۲،ص ۹۶.

۲- ۲) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۲۹۵،نقلا عن الكافى.

العطف بالحرف«ثمّ»لا يعنى دائما التأخير الزمنى،أى لا يعنى أن عمليه الإطعام و الإنفاق يجب أن تتقدم على الإيمان،بل إن هذا الحرف فى مثل هذه الموارد-كما صرّح بذلك جمع من المفسّرين-لبيان علو المرتبه،إذ من المؤكّد أنّ رتبه الإيمان و التوصيه بالصبر و المرحله أسمى و أعلى من مساعده المحتاجين، بل الأعمال الصالحه تنبثق من ذلك الإيمان و تلك الأخلاق،و كلّ ما يفعله الإنسان تجد جذوره فى معتقداته و أخلاقياته.

و احتمل بعضهم أن«ثمّ»تفيد هنا التأخير الزمنى،لأن أعمال الخير قد تكون منطلقا للتوجه نحو الإيمان،و هى بخاصه ذات تأثير فى ترسيخ دعائم الأخلاق، إذ أن أخلاق الإنسان تبدأ بشكل«فعل»ثمّ تتحول إلى«حاله»ثمّ تتحول إلى «عاده»ثمّ تصبح«ملكه».

و التعبير بكلمه«تواصوا»و تعنى تبادل التوصيه،لها دلاله اجتماعيه هامّه، هى إن عمليه التواصى بالسير على طريق الحق و بالاستقامه على طاعه اللّه و مكافحه جموح الأهواء النفسيه،و بالحبّ و الرحمه ليست عمليه فرديه بل يجب أن يتخذ طابعا اجتماعيا عامّا فى كلّ المجتمع الإيمانى،و كلّ الأفراد مسئولون أن يوصى بعضهم الآخر بحفظ هذه الأصول.و عن هذا الطريق أيضا تتعمق عرى التلاحم و الاجتماعى.

و قال بعضهم إنّ«الصبر»فى الآيه إشاره إلى توطين النفس على طاعه اللّه و الاهتمام بأوامره،و«المرحمه»إشاره إلى علاقه الودّ مع النّاس،و نعلم أن أساس الدين هو تنظيم هذه الرابطه بين العبد و ربّه،و بين الإنسان و أخيه الإنسان.

و فى خاتمه هذه الأوصاف تذكر السّوره مكانه المتحلين بها فتقول: أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَهِ .

فصحيفه أعمالهم تسلّم إليهم،فى محضر اللّه سبحانه و تعالى،بيدهم اليمنى.

و يحتمل أن تكون«الميمنه»من«اليمن»و البركه،أى إنّ أصحاب هذه

الصفات ذوو بركه لأنفسهم و لمجتمعهم.

ثمّ تتعرض الآيه لتصوير حاله الفاشلين فى اجتياز«العقبه»فتقول:

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَهِ

.

و«المشئمه»من«الشؤم»تقابل«الميمنه»من«اليمن»،أى إنّ هؤلاء الكافرين مشئومون لا يمن فيهم و لا بركه،بل هم عامل شقاء لأنفسهم و لمجتمعهم ثمّ إنّ علامه شؤم الفرد يوم القيامه تسلّمه صحيفه أعماله بيده اليسرى،و من هنا ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ«المشئمه»هى اليسار مقابل اليمين،أى إنّ الذين كفروا بآيات اللّه الذين يتسلمون صحائف أعمالهم بيدهم اليسرى خاصّه و أنّ ماده«شؤم»جاءت فى اللغه بمعنى اليسار أيضا (۱) .

و فى الآيه الأخيره من السّوره إشاره قصيره ذات دلاله عميقه إلى جزاء هذه الفئه الأخيره: عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَهٌ .

و«الإيصاد»إحكام الغلق،و واضح أنّ الإنسان-حين يكون فى غرفه حارّه الجوّ-يتوق إلى فتح أبوابها،ليهبّ عليه نسيم يلطف الهواء،فما بالك إذا كان فى محرقه جهنّم و الأبواب كلها موصده عليه؟! اللّهم!قنا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراما...

اللّهم!وفقنا لاجتياز ما يعترى طريقنا من عقبات..و لا توفيق إلاّ بك.

اللّهم!اجعلنا من أصحاب الميمنه:و احشرنا مع الصالحين و الأبرار.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره البلد

۱- ۱) -تفسير أبى الفتوح الرازى،ج ۱۲،ص ۹۷،و لسان العرب،ماده شأم.

سوره الشّمس

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها خمس عشره آیه

ص :۲۲۷

محتوى السّوره:

هـذه السّوره هی فی الواقع سوره تهـذیب النفس،و تطهیر القلوب من الأدران، و معانیها تـدور حول هـذا الهـدف،و فی مقـدمتها قسم بأحـد عشـر مظهرا من مظـاهر الخلیقه و بـذات البـاری سبحانه،من أجـل التأکیـد علی أن فلاـح الإنسـان یتوقف علی تزکیه نفسه،و السّوره فیها من القسم ما لم یجتمع فی سوره اخری.

و فی المقطع الأـخیر من السّوره ذکر لقوم«ثمود»باعتبـارهم نموذجـا من أقوام طغت و تمردت،و انحـدرت-بسـبب ترک تزکیه نفسها-إلی هاویه الشقاء الأبدی،و العقاب الإلهی الشدید.

و هذه السّوره القصـیره-فی الواقع-تکشف عن مسأله مصـیریه هامّه من مسائل البشـریه،و تبیّن نظام القیم فی الإسـلام بالنسبه إلی أفراد البشر.

فضیله السّوره:

یکفی فی تلاوه هذه السّوره أن نذکر

حدیثا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:

«من قرأهـا فکأنّما تصـدّق بکلّ شـیء طلعت علیه الشـمس و القمر» (۱) و من المؤکّـد أنّ هـذه الفضـیله الکبری لاـ ینالها إلاّ من استوعب محتواها بکلّ وجوده،و وضع مهمّه تهذیب النفس نصب عینیه دائما.

ص:۲۲۹

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۹۶.

الآیات [سوره الشمس (۹۱): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ وَ اَلشَّمْسِ وَ ضُحاها (۱) وَ اَلْقَمَرِ إِذا تَلاها (۲) وَ اَلنَّهارِ إِذا جَلاّها (۳) وَ اَللَّیْلِ إِذا یَغْشاها (۴) وَ اَلسَّماءِ وَ ما بَناها (۵) وَ اَلْأَرْضِ وَ ما طَحاها (۶) وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها (۷) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها (۸) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها (۹) وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها (۱۰)

التّفسیر

أکبر عـدد من القسم القرآنی تتضـمّنه هذه السّوره،هو فی حساب«أحد عشـر»،و فی حساب آخر«سـبعه»أقسام...و یبیّن أن السّوره تتعرض لموضوع خطیر هام...موضوع عظیم کعظمه السماء و الأرض و الشمس و القمر...موضوع حیاتی مصیری.

لنبدأ أولا بشرح ما جاء فی السّوره من قسم،لنتعرض بعد ذلک إلی الموضوع الآیه الاولی تقول: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها .

ص :۲۳۰

و لقد ذكرنا آنفا أن القسم فی القرآن یستهدف مقصدین:

الأوّل:بیان أهمیه ما جاء القسم من أجله.

و الثّانی:أهمیه ما أقسم به القرآن،لأنّ القسم عاده یکون بالمهم من الأمور من هنا تعمل هذه الأقسام علی تحریک الفکر فی الإنسان کی یمعن النظر فی هذه الموضوعات الهامّه من عالم الخلیقه،و لیتخذ منها سبیلا إلی اللّه سبحانه و تعالی.

«الشمس»ذات دور هام و بنّاء جدّا فی الموجودات الحیه علی ظهر البسیطه فهی إضافه إلی کونها مصدرا للنور و الحراره-و هما عاملان أساسیان فی حیاه الإنسان-تعتبر مصدرا لغیرهما من المظاهر الحیاتیه،حرکه الریاح،و هطول الأمطار،و نمو النباتات،و جریان الأنهر و الشلالات،بل حتی نشوء مصادر الطاقه مثل النفط و الفحم الحجری...کل واحد منها یرتبط-بنظره دقیقه-بنور الشمس.

و لو قدر لهذا المصباح الحیاتی أن ینطفئ یوما لساد الظلام و السکوت و الموت فی کل مکان.

«الضحی»فی الأصل انتشار نور الشمس،و هذا ما یحدث حین یرتفع قرص الشمس عن الأفق و یغمر النور کل مکان،ثمّ یطلق علی تلک البرهه من الیوم اسم «الضحی»،و القسم بالضحی لأهمیته،لأنّه وقت هیمنه نور الشمس علی الأرض.

و القسم الثّالث بالقمر: وَ الْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا .و هذا التعبیر-کما ذهب إلی ذلک جمع من المفسّرین-إشاره إلی القمر حین یکتمل و یکون بدرا کاملا فی لیله الرابع عشر من کلّ شهر،ففی هذه اللیله یطل القمر من أفق المشرق متزامنا مع غروب الشمس.فیسطع بجماله النّیر و یهیمن علی جوّ السماء،و لجماله و بهائه فی هذه اللیله أکثر من أیّه لیله اخری جاء القسم به فی الآیه الکریمه.

و احتمل بعضهم أن یکون فی تعبیر الآیه إشاره إلی تبعیه القمر بشکل دائم للشمس،و اکتساب النور من ذلک المصدر المشعّ،غیر أن عباره وَ الْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا تکون فی هذه الحاله قیدا توضیحیا.

و ثمّه احتمالات اخرى ذكرت فى تفسير الآيه لا تستحق الذكر.

و القسم الرابع بالنهار: وَ النَّهارِ إِذا جَلاّها .

و«التجليه»هى الإظهار و الإبراز.و اختلف المفسّرون فى مرجع الضمير فى «جلاّها»قال أكثرهم يعود إلى الأرض أو الدنيا،أى:قسما بالنهار إذا أظهر الأرض بضوئه.و ليس فى الآيات السابقه إشاره إلى الأرض،و لكنها تتّضح من قرينه المقام.

و بعضهم قال إن الضمير يعود إلى الشمس،و يكون القسم بالنهار حين يجلّى الشمس،صحيح أنّ الشمس تظهر النهار و لكن يمكن أن نقول مجازا إنّ النهار يجلّى الشمس.غير أنّ التّفسير الأوّل أنسب.

على كلّ حال،القسم بهذه الظاهره السماويه الهامّه،يبيّن أهميتها الكبرى فى حياه البشر و فى جميع الأحياء،فالنهار رمز الحركه و الحياه،و كلّ الفعاليات و النشاطات و مساعى الحياه تتمّ عاده فى ضوء النهار.

و القسم الخامس بالليل: وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (۱) .

بالليل بكلّ ما فيه من بركه و عطاء...إذ هو يخفّف من حراره شمس النهار،ثمّ هو مبعث راحه جميع الموجودات الحيه و استقرارها،و لو لا ظلام الليل لما كان هناك هدوء و استقرار،لأنّ استمرار سطوع الشمس يؤدى إلى ارتفاع فى درجه الحراره و تلف كلّ شىء،و نفس هذه المشكله تحدث لو اختل الوضع الحالى لنظام الليل و النهار،فعلى ظهر القمر،حيث ليله يعادل أسبوعين من كرتنا الارضيه و نهاره يعادل أيضا أسبوعين،ترتفع درجه الحراره إلى ما يقارب ثلاثمائه درجه

ص :۲۳۲

---

۱ – ۱) -و فى ضمير«يغشاها»ذهب المفسّرون إلى اتجاهين،منهم من قال:إنّه يعود إلى«الأرض»لأنّ الليل يسدل استاره على الأرض.و منهم من قال إلى«الشمس»إذ الليل يحجب وجه الشمس،و المعنى هذا مجازى طبعا،لأنّ الليل لا يحجب الشمس حقيقه،بل يظهر بعد غروب الشمس.و الواقع أنّ الضمير فى الآيه السابقه إن عاد إلى«الأرض»فهنا يعود إليها أيضا.و إن عاد إلى الشمس يعود إليها هنا أيضا.

مئويه فى وسط النهار،و معها لا- يبقى موجود حى نعرفه،على قيد الحياه،و فى وسط الليل تنخفض درجه الحراره كثيرا تحت الصفر بحيث يتجمد حتما أى موجود حىّ لو قدّر له أن يكون هناك.

و يلاحظ أن الأفعال المذكوره فى الآيات السابقه وردت بصيغه الماضى بينما وردت فى هذه الآيه بصيغه المضارع،و لعل هذا الاختلاف يشير إلى أنّ ظهور الليل و النهار من الحوادث التى لا تختص بزمان معين،بل تشمل الماضى و الحاضر.من هنا كانت الأفعال ماضيه تاره و مضارعه اخرى لبيان عموميه هذه الحوادث فى مجرى الزمان.

و فى القسمين السادس و السابع تحلّق بنا الآيه إلى السماوات و خالق السماوات: وَ السَّمٰاءِ وَ مٰا بَنٰاهٰا .

أصل خلقه السماوات بما فيها من عظمه مدهشه من أعظم عجائب الخليقه.

و بناء كلّ هذه الكواكب و الأجرام السماويه و ما يحكمها من أنظمه أعجوبه اخرى...و أهم من كلّ ذلك...خالق هذه السماوات.

و يلاحظ فى عباره «وَ مٰا بَنٰاهٰا» أنّ«ما»تستعمل فى العربيه لغير العاقل،و لا يصح استعمالها فى موضع الحديث عن البارى العليم الحكيم سبحانه.و لذا ذهب بعض إلى أنّها مصدريه لا- موصوله،و بذلك يكون معنى الآيه الكريمه:«و السماء و بنائها»غير أنّ الآيات التاليه: وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا ،لا يدع بما لا للشك أن«ما»موصوله،و تعود إلى اللّه سبحانه خالق السماوات،و ورد فى مواضع أخرى من القرآن الكريم استعمال«ما»للعاقل،كقوله سبحانه:

فَانْكِحُوا مٰا طٰابَ لَكُمْ مِنَ النِّسٰاءِ .

من المفسّرين من قال إنّ«ما»استعملت هنا لتطرح مسأله المبدأ بشكل مبهم كى يستطيع البشر بالدراسه و النظر أن يتوصلوا إلى علم بالمبدأ سبحانه و حكمته، ليتبدل بعد ذلك«ما»إلى«من»أى من الشىء المجهول الذى يعبّر عنه ب«ما»إلى

معلوم،غير أن التّفسير الأوّل أنسب.

القسم الثامن و التاسع بالأرض و خالق الأرض: وَ الْأَرْضِ وَ مٰا طَحٰاهٰا .

بالأرض التى تحتضن حياه الإنسان و جميع الموجودات الحيّه...الأرض بجميع عجائبها:بجبالها،و بحارها،و سهولها،و وديانها،و غاباتها،و عيونها،و أنهارها، و مناجمها،و ذخائرها...و بكلّ ما فيها من ظواهر يكفى كلّ واحد منها لأن يكون آيه من آيات اللّه و دلاله على عظمته.

و أعظم من الأرض و أسمى منها خالقها الذى«طحاها»و«الطحو»بمعنى البسط و الفرش،و بمعنى الذهاب بالشيء و إبعاده أيضا.و هنا بمعنى«البسط»،لأنّ الأرض كانت مغموره بالماء،ثمّ غاض الماء فى منخفضات الأرض،و برزت اليابسه،و انبسطت،و يعبّر عن ذلك أيضا بدحو الأرض،هذا أوّلا.

و ثانيا:كانت الأرض فى البدايه على شكل مرتفعات و منخفضات و منحدرات شديده غير قابله للسكن عليها.فهطلت أمطار مستمره سوّت بين هذه التعاريج، و تسطحت الأرض فكانت صالحه لمعيشه الإنسان و للزراعه.

يرى بعض المفسّرين أنّ فى الآيه إشاره عابره إلى حركه الأرض،لأنّ من معانى«الطحو»الدفع الذى يمكن أن يكون إشاره إلى حركه الأرض الانتقاليه حول الشمس،أو إلى حركتها الوضعيه حول نفسها،أو إلى الحركتين معا.

و أخيرا القسم الحادى عشر و القسم الثّانى عشر بالنفس الإنسانيه و بارئها:

وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا

.

قيل إنّ المراد بالنفس هنا روح الإنسان،و قيل إنّه جسمه و روحه معا.

و لو كان المراد من النفس الروح،«سواها»تعنى إذن نظمها و عدّل قواها ابتداء من الحواس الظاهره و حتى قوّه الإدراك،و الذاكره،و الانتقال،و التخيل، و الابتكار،و العشق،و الإراده،و العزم و نظائرها من الظواهر المندرجه فى إطار «علم النفس».

و لو كان المراد من النفس الروح و الجسم معا،فالتسويه تشـمل أيضا ما فى البدن من أنظمه و أجهزه يدرسها علم التشريح و علم الفسلجه.

و فى القرآن الكريم وردت«نفس»بكلا المعنيين، بمعنى الروح،كقـوله سـبحانه فى الآيه(۴۲)من سوره الزمر: اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهٰا...

و بمعنى الجسم،كقوله سبحانه فى الآيه(۳۳)من سوره القصص: قٰالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ .

و الأنسب هنا أن يكون معنى النفس هنا شاملا للمعنيين لأن قدره اللّه سبحانه تتجلى فى الإثنين معا.

و يلاحظ أن الآيه ذكرت كلمه«نفس»نكره و فى ذلـك إشاره إلى ما فى النفس من عظمه تفوق قـدره التصوّر و إلى ما يحيطها من إبهام،يجعلها موجودا مجهولا.

و هذا ما حدا ببعض العلماء المعاصرين أن يتحدث عن الإنسان فى كتابه تحت عنوان:«الإنسان ذلك المجهول».

الآيه التاليه تتناول أهم ظاهره فى الخليقه و تقول: فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا .

نعم،حين اكتملت خلقه الإنسان و تحقق وجوده،علّمه اللّه سـبحانه الواجبات و المحظورات.و بذلك أصبح كائنا مزيجا فى خلقته من«الحمأ المسنون»و«نفخه من روح اللّه»،و مزيجا فى تعليمه من«الفجور»و«التقوى».أصبح بالتالى كائنا يستطيع أن يتسلق سلّم الكمال الإنسانى ليفوق الملائكه،و من الممكن أن ينحط لينحدر عن مستوى الأنعام و يبلغ مرحله بَلْ هُمْ أَضَلُّ .و هـذا يرتبط بالمسير الذى يختاره الإنسان عن إراده.

«ألهمها»من الإلهام،و هو فى الأصل بمعنى البلع و الشرب،ثمّ استعمل فى إلقاء الشىء فى روع الإنسان من قبل اللّه تعالى،و كأن الإنسان يبتلع ذلك الشىء و يتشرّبه بجميع وجوده.

و جاء بمعنی«الوحی»أیضا.بعض المفسّرین یری أن الفرق بین«الإلهام» و«الوحی»،هو إنّ الفرد الملهم لا یدری من أین أتی بالشیء الذی ألهم به،و فی حاله الوحی یعلم بالمصدر و بطریقه وصول الشیء إلیه.

«الفجور»من ماده«فجر»و تعنی-کما ذکرنا سابقا-الشق الواسع و سمّی بیاض الصبح بالفجر لأنّه یشقّ ستار الظلام.و لما کانت الذنوب تهتک ستار الدین فإنّها سمّیت بالفجور.

المقصود بالفجور فی الآیه طبعا الأسباب و العوامل و الطرق المؤدیه إلی الذنوب.

و«التقوی»من الوقایه و هی الحفظ،و تعنی أنّ یصون الإنسان نفسه من القبائح و الآثام و السیئات و الذنوب.

و یلزم التأکید أنّ الآیه الکریمه: فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا لا تعنی أنّ اللّه سبحانه قد أودع عوامل الفجور و التقوی فی نفس الإنسان،کما تصوّر بعضهم، و استنتج من ذلک دلاله الآیه الکریمه علی وجود التضاد فی المحتوی الداخلی للإنسان!بل تعنی أنّ اللّه تعالی علّم الإنسان هاتین الحقیقتین و ألهمه إیّاهما،و بیّن له طریق السلامه و طریق الشرّ،و مثل هذا المفهوم ورد فی الآیه(۱۰)من سوره البلد: وَ هَدَیْنٰاهُ النَّجْدَیْنِ .

بعباره اخری،إنّ اللّه سبحانه قد منح الإنسان قدره التشخیص و العقل، و الضمیر الیقظ بحیث یستطیع أن یمیّز بین«الفجور»و«التقوی»عن طریق العقل و الفطره،لذلک ذهب بعض المفسّرین إلی أنّ الآیه تشیر فی الحقیقه إلی مسأله «الحسن و القبح العقلیین»و قدره الإنسان علی إدراکهما.

و من بین النعم الطائله التی أسبغها اللّه علی الإنسان ترکز هذه الآیه علی نعمه الهام الفجور و التقوی،و إدراک الحسن و القبح،لأنها من أهم المسائل المصیریه التی تواجه حیاه الإنسان.

بعد هذه الأقسام المهمّه المتتاليه يخلص السياق القرآنی إلی النتیجه فیقول:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاٰها

.

و التزکیه تعنی النمو،«و الزکاه»فی الأصل بمعنی النمو و البرکه،و

ورد عن علی علیه السّلام قوله: «المال تنقصه النفقه و العلم یزکو علی الإنفاق» (۱) .

ثمّ استعملت الکلمه بمعنی التطهیر،و قد یعود ذلک إلی أن التطهیر من الآثام یؤدی إلی النمو و البرکه،و الآیه الکریمه تحتمل المعنیین.

نعم،الفلاح لمن ربّی نفسه و نمّاها،و طهّرها من التلوّث بالخصائل الشیطانیه و بالذنوب و الکفر و العصیان.

و المسأله الأساسیه فی حیاه الإنسان هی هذه«التزکیه»،فإن حصلت سعد الإنسان و إلاّ شقی و کان من البائسین.

ثمّ یعرج السیاق القرآنی علی المجموعه المخالفه فیقول: وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا .

«خاب»:من الخیبه،و هی فوت الطلب،کما یقول الراغب فی المفردات و الحرمان و الخسران.

«دسّاها»من ماده«دس»و هی فی الأصل بمعنی إدخال الشیء قسرا،و جاء فی الآیه(۵۹)من سوره النحل قوله سبحانه: أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّرٰابِ ،إشاره إلی عاده الجاهلیین فی و أد البنات،أی إدخالهن فی التراب کرها و قسرا و منه «الدسیسه»التی تقال للأعمال الخفیه و الضاره.

و ما هی المناسبه بین معنی الدسّ،و قوله سبحانه: وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا .

قیل:إنّ هذا التعبیر کنایه عن الفسق و الذنوب،فأهل التقوی و الصلاح یظهرون أنفسهم،بینما المذنبون یخفونها،و یذکر أنّ العرب الکرماء جرت عادتهم

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکلمات القصار،الکلمه ۱۴۷.

على نصب خيـامهم على المرتفعـات،و إشـعال النيران قربها فى الليل،لتكون باديه للمارّه ليل نهار،بينما أهل البخل و اللؤم يقبعون فى المنخفضات كى لا يأتيهم أحد.

و قيل:إنّ المقصود اندساس المذنبين بين صفوف الصالحين.

و قيل:إنّ المذنب يدس نفسه أو هويته الإنسانيه فى المعاصى و الذنوب.

و قيل:إنّه يخفى المعاصى و الذنوب فى نفسه.

و التعبير-على كل حال-كنايه عن التلوث بالذنوب و المعاصى و الخصائل الشيطانيه،و بذلك يقع فى المنطقه المقابله للتزكيه.

و الآيه تحتمل فى مفهومها الواسع كلّ هذه المعانى.

و بهـذا المعيار يتمّ تمييز الفائزين عن الفاشـلين فى ساحه الحياه.«تزكيه النفس و تنميتها بروح التقوى و طاعه اللّه»أو«تلوثها بأنواع المعاصى و الذنوب».

الإمامان الباقر و الصادق عليهما السّلام قالا فى تفسير الآيه الكريمه: «قد أفلح من أطاع و خاب من عصى» (1) .

و

عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قـال حين تلا الآيه:«اللّهم آت نفسـى تقواها،أنت وليها و مولاها،و زكّها أنت خير من زكّاها» (2) .

و هـذا الحديث يدل على أن اجتياز تعاريج المسـيره الحياتيه و العبور من العقبه لا يتيسّـر حتى لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ بتوفيق اللّه تعالى،أى لا يتيسّر إلاّ بعزم العبد و تأييد البارى،و لذلك

ورد فى حـديث آخر عن الرسول الأـعظم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى تفسـير الآـيتين قوله:«أفلحت نفس زكّاها اللّه و خابت نفس خيبها اللّه من كلّ خير» (3) .

ص: ۲۳۸

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۹۸.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۵۷.

ملاحظات

اشاره

۱-ارتباط القسم القرآنی بجواب القسم

ما الارتباط بین هـذه الأقسام الأحد عشر المتتالیه فی السّوره،و بین الحقیقه التی جاءت الأقسام لتأکیدها؟ یظهر أنّ اللّه سبحانه و تعالی یرید أن یقول لعباده:إنّی و فرت لکم کلّ الوسائل المادیه و المعنویه لسعادتکم،فبنور الشمس و القمر أضأت لکم الحیاه و بارکتها و نظمت لکم اللیل و النهار و الحرکه و السکون،و مهدّت الأرض لحیاتکم.

و من جهه اخری،خلقت أنفسکم بکلّ الکفاءات اللازمه،و وهبتکم الضمیر الیقظ،و ألهمتکم معرفه حسن الأمور و قبحها،فلا ینقصکم شیء إذن لطیّ طریق السعاده،لماذا إذن-مع کلّ هذا-لا تزکون أنفسکم و تستسلمون للدسائس الشیطانیه؟

۲-دور الشمس فی عالم الحیاه

الحدیث عن الشمس-و هی مرکز المنظومه الشمسیه و أمیره کواکبها- یدور تاره حول عظمتها و هو ما تطرقنا إلیه سابقا،و تاره اخری حول برکاتها و آثارها، و هذا ما سنعرض له بتلخیص فی النقاط التالیه:

۱-حیاه البشر و جمیع الموجودات الحیه الأخری بحاجه فی الدرجه الاولی إلی الحراره و النور،و الحاجه إلی هذین الأمرین الحیاتیین تؤمنها بشکل کامل متعادل هذه الکره العظیمه المتوهجه.

۲-جمیع المواد الغذائیه یتمّ إعدادها بوسیله نور الشمس،حتی الأحیاء فی قاع البحار و المحیطات تتغذی علی النباتات التی تنمو علی سطح المحیطات أو فی خضمّ الأمواج مستفیده من نور الشمس ثمّ تترسب إلی القیعان.

۳-کل الألوان و مظاهر الجمال المشهوده فی الطبیعه ترتبط بشکل من

الأشكال بنور الشمس،و هذه مسأله علميه ثابته و خاصّه فى الفيزياء.

۴-الأمطار التى تحيى الأرض بعد موتها تهطل من الغيوم و الغيوم أبخره متصاعده من البحار و المحيطات نتيجه لسطوع الشمس عليها،مصادر المياه التى تتغذى من الأمطار بما فيها الأنهار و العيون و القنوات و الآبار العميقه هى إذن من بركات نور الشمس.

۵-الرياح التى تؤدى مهمّه تلطيف الجو،و تنقّل السحب،و تلقيح النبات، و نقل الحراره من المناطق الحاره على الكره الأرضيه إلى المناطق البارده،و نقل البروده من المناطق البارده إلى الحاره،إنّما تفعل ذلك بفضل سطوع نور الشمس، و تغيير درجه الحراره فى المناطق المختلفه من المعموره.

۶-مصادر الطاقه بما فيها الشلالات،و السدود العظيمه فى المناطق الجبليه، مصادر النفط و مناجم الفحم كلّها ترتبط بشكل من الأشكال بالشمس،و لولاها لما وجدت هذه المصادر،و لتبدلت الحركه على وجه الأرض إلى سكون.

۷-بقاء نظام المنظومه الشمسيه مدين للتعادل القائم بين قوى الجذب و الدفع الموجوده بين كره الشمس من جهه،و السيارات التى تدور حولها من جهه اخرى.

و بذلك تنهض الشمس بدور فعّال فى حفظ هذه السيارات فى مدارها.

من مجموع ما ذكرنا نفهم السبب فى بدء القسم فى هذه السّوره المباركه بالشمس.

و هكذا القمر و نور النهار و ظلام الليل،و الكره الأرضيه،لكلّ واحد منها دور هام فى حياه الإنسان و غير الإنسان،و لذلك جاء القسم بها جميعا،و أهم من كلّ ذلك الإنسان بروحه و جسمه فهو أعجب من الجميع و أشدّ غموضا و سرّا منها.

و سنعود إلى أهميه تهذيب النفس فى نهايه السّوره

ص :۲۴۰

الآيات [سوره الشمس (۹۱): الآيات ۱۱ الى ۱۵]

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰاهٰا (۱۱) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقٰاهٰا (۱۲) فَقٰالَ لَهُمْ رَسُولُ اَللّٰهِ نٰاقَةَ اَللّٰهِ وَ سُقْيٰاهٰا (۱۳) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهٰا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّٰاهٰا (۱۴) وَ لاٰ يَخٰافُ عُقْبٰاهٰا (۱۵)

التّفسير

اشاره

عاقبه مرّه للطغاه:

عقب التحذير الذى أطلقته الآيه السابقه بشأن عاقبه من ألقى بنفسه فى أو حال العصيان،قدمت هذه الآيات مصداقا تاريخيا واضحا لهذه السنّه الإلهيه، و تحدثت عن مصير قوم«ثمود»بعبارات قصيره قاطعه ذات مدلول عميق.

«الطغوى»و«الطغيان»بمعنى واحد و هو تجاوز الحد،و فى الآيه تجاوز الحدود الإلهيه و العصيان أمام أوامره (۱) .

«قوم ثمود»من أقدم الأقوام التى سكنت منطقه جبليه بين«الحجاز» و«الشام».كانت لهم حياه رغده مرفهه،و أرض خصبه،و قصور فخمه،غير أنّهم لم

۱- ۱) -ذكر بعض علماء اللغه أن«الطغوى»مشتقّه من ماده ناقص واوى(طغو)و«الطغيان»من ماده ناقص يائى(طغى).

یؤدوا شکر هذه النعم،بل طغوا و کذبوا نبیّهم صالحا،و استهزءوا بآیات اللّه،فکان عاقبه أمرهم أن أبیدوا بصاعقه سماویه.

ثمّ تستعرض السّوره مقطعا بارزا من طغیان القوم و تقول: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها .

و«أشقی»ثمود،هو الذی عقر الناقه التی ظهرت باعتبارها معجزه بین القوم، و کان قتلها بمثابه إعلان حرب علی النّبی صالح.

ذکر المفسّرون أنّ اسم هذا الشقی«قدار بن سالف» و

روی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لعلی بن أبی طالب علیه السّلام: من أشقی الأولین؟ قال:عاقر الناقه.

قال:صدقت،فمن أشقی الآخرین؟ قال:قلت لا أعلم یا رسول اللّه.

قال:الذی یضربک علی هذه،و أشار إلی یافوخه (۱)

فی الآیه التالیه تفاصیل أکثر عن طغیان قوم ثمود:

فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ناقَةَ اللّهِ وَ سُقْیاها

المقصود من«رسول اللّه»نبیّ قوم ثمود صالح علیه السّلام،و عباره«ناقه اللّه»إشاره إلی أنّ هذه الناقه لم تکن عادیه،بل کانت معجزه،تثبت صدق نبوه صالح،و من خصائصها-کما فی الرّوایه المشهوره أنّها خرجت من قلب صخره فی جبل لتکون حجه علی المنکرین.

«الناقه»منصوبه بفعل محذوف،و التقدیر«ذروا ناقه اللّه و سقیاها»،و یستفاد من مواضع اخری فی القرآن الکریم أنّ النّبی صالحا علیه السّلام کان قد أخبرهم أنّ ماء القریه یجب تقسیمه بینهم و بین الناقه،یوم لهم و یوم للناقه:

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۹۹،و وردت الروآیه باختصار فی تفسیر القرطبی،ج ۶،ص ۷۱۶۸.

وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ

(۱)

.

و حذّرهم من أن الإساءه إلى الناقه: وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۲) .

الآيه التاليه تقول: فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها ، و«العقر»-على وزن كفر-معناه الأساس و الأصل و الجذر،و«عقر الناقه»قطع أساسها و إهلاكها.

و قيل:«العقر»بتر أسافل أطراف الناقه،ممّا يؤدى إلى سقوطها و هلاكها.

و يلاحظ أنّ قاتل الناقه شخص واحد أشارت إليه الآيه بأشقاها،بينما نسب العقر إلى كلّ طغاه قوم ثمود:«فعقروها»،و هذا يعنى أنّ كلّ هؤلاء القوم كانوا مشاركين فى الجريمه،و ذلك أوّلا:لأنّ مثل هذه المؤامرات يخطط لها مجموعه ثمّ ينفذها فرد واحد أو أفراد.

و ثانيا:لأنّ هذه الجريمه تمّت برضا القوم فهم شركاء فى الجريمه بهذا الرضا، و

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «إنّما عقر ناقه ثمود رجل واحد فعمهم اللّه بالعذاب لما عموه بالرضى،فقال سبحانه: فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ » (۳) و عقب هذا التكذيب أنزل اللّه عليهم العقاب فلم يترك لهم أثرا: فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها .

«دمدم»تعنى أهلك،و تأتى أحيانا بمعنى عذّب و عاقب و أحيانا بمعنى سحق و استأصل،و بمعنى سخط أو أحاط (۴) .

و«سوّاها»من التسويه و هى تسويه الأبنيه بالأرض نتيجه صيحه عظيمه و صاعقه و زلزله،أو بمعنى إنهاء حاله هؤلاء القوم،أو تسويتهم جميعا فى العقاب

۱- ۱) -القمر،الآيه ۲۸.

۲- ۲) -الشعراء،الآيه ۱۵۶.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۰۱.

۴- ۴) -مفردات الراغب،و لسان العرب،و مجمع البيان.

و العذاب،حتى لم يسلم أحد منهم.

و من الممكن أيضا الجمع بين هذه المعانى.

الضمير فى«سوّاها»يعود إلى قبيله ثمود،و قد يعود إلى مدنهم و قراهم التى سوّاها ربّ العالمين مع الأرض.

و قيل إنّ الضمير يعود إلى مصدر«دمدم»أيّ إنّ اللّه سوّى غضبه و سخطه على القوم ليشملهم جميعا على حدّ سواء،و التّفسير الأوّل أنسب.

و من الآيه نستنتج بوضوح أنّ عقاب هؤلاء القوم كان نتيجه لذنوبهم و كان متناسبا مع تلك الذنوب،و هذا عين الحكمه و العداله.

فى تاريخ الأمم نرى غالبا بروز حاله الندم فيهم حين يرون آثار العذاب و لجوءهم إلى التوبه،أمّا قوم ثمود،فالغريب أنّهم حين رأوا علامات العذاب طفقوا يبحثون عن نبيّهم صالح ليقتلوه (1) .و هذا دليل على ارتكاسهم فى العصيان و الطغيان أمام اللّه و رسوله.لكن اللّه نجّا صالحا و أهلك قومه شرّ إهلاك.

و تختتم السّوره الحديث عن هؤلاء القوم بتحذير قارع لكل الذين يتجهون فى نفس هذه المسيره المنحرفه فتقول: وَ لاٰ يَخٰافُ عُقْبٰاهٰا .

كثيرون من الحكّام قادرون على إنزال العقاب لكنّهم يخشون من تبعات عملهم،و يخافون ردود الفعل التى قد تحدث نتيجه فعلهم،و لذلك يكفّون عن المعاقبه.قدرتهم-إذن-محفوفه بالضعف و علمهم ممزوج بالجهل.لا يعلمون مدى قدرتهم على مواجهه التبعات.بينما اللّه سبحانه قادر متعال،علمه محيط بكلّ الأمور و عواقبها،و قدرته على مواجهه النتائج لا يشوبها ضعف،فهو سبحانه و تعالى لا يخاف عقباها،و لذلك فإنّ مشيئته فى العقاب نافذه حازمه.

فالطغاه-إذن-عليهم أن يتنبّهوا و يحذروا غضب اللّه و سخطه و نقمته.

١- ١) -روح البيان،ج ٢٠،ص ۴۴۶.

و الضمير فی«عقباها» يعود إلی«الدمدمه»و الهلاک.

بحوث

اشاره

۱-ملخص حديث قوم ثمود

قـوم«ثمـود»-کمـا ذکرنـا-کـانوا يقطنون أرضـا بين الشـام و يـثرب تسـمی (وادی القری)...يعبـدون الأوثـان...و يمـارسون ألوان الآثـام.بعث اللّه سبحانه فيهم«صالحـا»عليه السّـلام يـدعوهم إلی طريقه الهـدايه و النجاه،لکنّهم أبوا إلّا أن يعکفوا علی أوثانهم و يمارسوا طغيانهم.

و عنـد مـا طلبوا من نبيّهم معجزه،أرسـل اللّه إليهم«ناقه»بطريق إعجازی من قلب جبل،و لکنّهم کلفوا بامتحان يتلخص فی تقسيم ماء المدينه بينهم و بين الناقه...يوم لها و يوم لهم.و فی الأثر أنّ القوم کانوا يسـتفيدون من لبن الناقه فی يوم منعهم من الماء،لکن المعجزه لم تخفف من غلواء لجـاجهم و عنـادهم، فخططوا لقتـل النـاقه و القتل صالـح أيضا لأنّهم رأوا فيه عقبه أمام شـهواتهم و ميولهم.

خطه«قتل الناقه»نفذت کما ذکرنا علی يد شقی قسیّ اسمه«قدار بن سالف»،و کان ذلک فی الحقيقه إعلان حرب علی اللّه،لأنّهم أرادوا بقتل هـذه الناقه التی کانت معجزه نبیّ اللّه صالـح أن يطفئوا نور الهـدايه،عندئـذ أنـذرهم صالح أن يتمتعوا فی بيوتهم بما شاؤوا من اللذات ثلاثه أيّام لينزل العذاب بعدها عليهم جميعا.(سوره هود-الآيه ۶۵).

هـذه الأيّام الثلاثه کانت فی الواقع فرصه لإعاده النظر،و آخر مهله للعوده و التوبه،لکنّهم أبوا إلّا طغيانا بل ازدادوا عتوّا،و هنا حلّ عليهم العذاب الإلهی،

و جاءت الصيحه السماويه (۱) لتدك أرضهم،و لتبيدهم فى دورهم: وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (۲) .

تفاصيل قصّه ثمود وردت فى المجلد السادس من هذا التّفسير.

۲-أشقى الأولين و أشقى الآخرين

جمع من علماء الشيعه و السنه منهم الثعلبى،و الواحدى،و ابن مردويه، و الخطيب البغدادى،و الموصلى،و أحمد بن حنبل،و غيرهم باسنادهم عن عمار بن ياسر،و جابر بن سمره،و عثمان بن صهيب،عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلى عليه السّلام: «يا على!أشقى الأولين عاقر الناقه،و أشقى الآخرين قاتلك، و فى روايه: من يخضب هذه من هذا(و أشار إلى لحيته و يافوخه)» (۳) .

و ثمّه تشابه فى الواقع بين قاتل ناقه صالح،قدار بن سالف،و قاتل أمير المؤمنين عليه السّلام،عبد الرحمن بن ملجم المرادى.لم يكن الاثنان يحملان عداء شخصيا،بل كان هدف الإثنين إطفاء نور اللّه و القضاء على معجزه و آيه من آيات اللّه،و كما إنّ العذاب الإلهى عمّ قوم ثمود بعد حادثه الناقه،كذلك عمّ المسلمين بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السّلام داهيه دهماء تمثلت فى التسلط الأموى المتجبّر الذى سام المسلمين سوء العذاب.

و يذكر أنّ الحاكم الحسكانى أورد روايات كثيره مستفيضه فى هذا المجال (۴)

ص: ۲۴۶

۱- ۱) -الصيحه السماويه أو الصاعقه،صوت عظيم تصحبه هزّه شديده و حرائق،و هى بالتعبير العلمى شراره كهربائيه كبرى تحدث نتيجه تفريغ كهربائى من الغيوم المحمله بشحنات موجبه إلى الأرض ذات الشحنات السلبيه.

۲- ۲) -هود،الآيه ۶۷.

۳- ۳) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۸۷.

۴- ۴) -شواهد التنزيل،ج ۲،ص ۳۳۵-۳۴۳.

۳-أهميه تهذيب النفس

كلما ازداد عـدد أقسام(جمع قسم)القرآن ازدادت أهميه الموضوع،و فی هـذه السّوره المبارکه أکبر عدد من الأقسام،خاصّه و أنّ القسـم بالـذات الإلـهيه المقـدسه تکرر ثلاـث مرات،ثـمّ جـاء الـترکيز علی أن النجـاح و الفلاـح فی تزکيـه النفس،و أن الخيبه و الخسران فی ترک التزکيه.

و هـذه فی الواقع أهم مسأله فی حياه الإنسان،و القرآن الکريم إذ يطرح هـذه الحقيقه إنّما يؤکّـد علی أنّ فلاح الإنسان لا يتوقف علی الأوهـام و لاـ علی جمـع المـال و المتـاع و نيـل المنصب و المقـام،و لاـ علی أعمـال أشـخاص آخرين(کمـا هو معروف فی المسيحيه بشأن ارتباط فلاح الإنسان بتضحيه السيد المسيح)...بل الفلاح يرتبط بتزکيه النفس و تطهيرها و سمّوها فی ظل الإيمان و العمل الصالح.

و شـقاء الإنسان ليس أيضا وليد قضاء و قدر و بالإجبار،و لا نتيجه مصـير مرسوم،و لا بسـبب فعل هذا و ذاک،بل هو فقط بسـبب التلوث بالذنوب و الانحراف عن مسير التقوی.

و فی الأثر أن زوج العزيز(زليخا)قالت ليوسف لما أصبح حاکم مصر:

«إنّ الحرص و الشـهوه تصـير الملوک عبيـدا،و أن الصبر و التقوی يصـير العبيـد ملوکـا،فقال يوسف:قال اللّه تعالی: إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » (۱) .

و عنها أيضا قالت لما رأت موکب يوسف مارا من أمامها:

«الحمد للّه الذی جعل الملوک بمعصيتهم عبيدا،و جعل العبيد بطاعتهم ملوکا» (۲) نعم،عباده النفس تؤدی إلی وقوع الإنسان فی أغلال الرقيه بينما تزکيه

۱- ۱) -المحجه البيضاء،ج ۵،ص ۱۱۶.

۲- ۲) -المحجه البيضاء،ج ۵،ص ۱۱۷.

نعم،عباده النفس تؤدی إلی وقوع الإنسان فی أغلال الرقیه بینما تزکیه النفس توفّر أسباب التحکم فی الکون.

ما أکثر الـذین وصـلوا بعبودیتهم للّه تعالی درجه جعلتهم أصـحاب ولایه تکوینیه،و مکنتهم بإذن اللّه أن یؤثروا فی حوادث هـذا العالم و أن تصدر منهم الکرامات و خوارق العادات!! إلهی!أعنّا علی أنفسنا و علی کبح جماح أهوائنا.

إلهی!لقد ألهمتنا«الفجور»و«التقوی»فوفقنا للاستفاده من هذا الإلهام.

إلهی!دسائس الشیطان خفیه غامضه فی نفس الإنسان،فوفقنا لمعرفتها.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الشّمس

ص :۲۴۸

سوره اللّیل

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها إحدی و عشرون آیه

ص: ۲۴۹

محتوی السّوره:

هـذه السّوره مکّیه تحمل کلّ خصائص السور المکّیه من قصـر فی الآیات، و حراره فی طرح المحتوی،و ترکز أساسا علی القیامه و علی ما فی ذلک الیوم من جزاء و عقاب.

بعد القسم بثلاث ظواهر فی بدایه السّوره یأتی تقسیم النّاس إلی منفقین متّقین،و بخلاء منکرین،و تذکر عاقبه کلّ مجموعه؛الیسر و السعاده و الهناء للمجموعه الاولی،و العسر و الضنک و الشقاء للمجموعه الثّانیه.

و فی مقطع آخر من السّوره إشاره إلی أنّ الهدایه من اللّه سبحانه لعباده هی إنذارهم من النّار یوم القیامه.

ثمّ تذکر السّوره فی نهایتها من یدخل هذه النّار و من ینجو منها،مع ذکر أوصاف الفریقین.

فضیله تلاوه السّوره:

ورد فی فضیله تلاوه هذه السّوره

عن النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ قال: «من قرأها أعطاه اللّه حتی یرضی،و عافاه من العسر و یسّر له الیسر» (۱) .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۹۹.

الآيات [سوره الليل (٩٢): الآيات ١ الی ١١]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ (١) وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّٰى (٢) وَ مٰا خَلَقَ اَلذَّكَرَ وَ اَلْأُنْثىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى (۴) فَأَمّٰا مَنْ أَعْطىٰ وَ اِتَّقىٰ (۵) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ (۶) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ (٧) وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اِسْتَغْنىٰ (٨) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ (١٠) وَ مٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى (١١)

سبب النّزول

روى عن ابن عباس فى نزول هـذه السّوره:«أنّ رجلا كـانت له نخله فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال،و كان الرجل إذا جاء فدخل الدار و صعد النخله ليأخذ منها التمر،فربّما سقطت التمره فيأخذها صبيان الفقير،فينزل الرجل من النخله حتى يأخذ التمر من أيديهم،فإنّ وجدها فى فىّ أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمره من فيه.فشكا ذلك الرجل إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و أخبره بما يلقى من صاحب النخله،فقال له النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:اذهب.و لقى رسول اللّه صاحب النخله فقال:

تعطينى نخلتك المائله التى فرعها فى دار فلان و لك بها نخله فى الجنّه؟فقال له

الرجل:إنّ لی نخلا کثیرا،و ما فیه نخله أعجب إلیّ تمره منها.

قـال:ثمّ ذهب الرجـل،فقـال رجل کان یسـمع الکلام من رسول اللّه:یا رسول اللّه:أ تعطینی ما أعطیت الرجل نخله فی الجنّه إن أنا أخذتها؟قال:نعم.

فذهب الرجل و لقی صاحب النخله فساومها منه فقال له:أشـعرت أنّ محمّدا أعطانی بها نخله فی الجنّه فقلت له یعجبنی تمرتها و إنّ لی نخلا کثیرا فما فیه نخله أعجب إلیّ ثمره منها؟ فقال له الآخر:أ ترید بیعها؟ فقال:لا إلّا أن أعطی ما لا أظنه أعطی.

قـال:فما منـاک؟ قـال:أربعـون نخله فقـال الرجـل:جئت بعظیم،تطلب بنخلتـک المـائله أربعین نخله؟! ثمّ سـکت عنه،فقـال له:أنا أعطیک أربعین نخله.

فقـال له:اشـهد إن کنت صادقـا،فمرّ إلی أنـاس فـدعاهم فأشـهد له بأربعین نخله، ثمّ ذهب إلی النّبی فقال:یا رسول اللّه إنّ النخله صارت فی ملکی،فهی لک.

فذهب رسول اللّه إلی صاحب الدار،فقال له:النخله لک و لعیالک،فأنزل اللّه تعالی: وَ اللَّیْلِ إِذٰا یَغْشیٰ السّوره و عن عطاء قال:اسم الرجل(أبو الدحداح)» (۱)

التّفسیر

اشاره

التقوی و الإمداد الإلهی:

هذه السّوره المبارکه أیضا تبتدئ بثلاثه أقسام تثیر التفکیر فی المخلوقات و فی الخالق.

تقول: وَ اللَّیْلِ إِذٰا یَغْشیٰ

ص: ۲۵۳

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۰۱.

فالقسم الأوّل بالليل حين يغطّى...يغطّى بظلامه نصف الكره الأرضيه... أو يغطّى قرص الشمس،و هذا القسم تأكيد على أهميه الليل و دوره الفاعل فى حياه الأفراد،من تعديله لحراره الشمس،و نشره السكينه على كل الموجودات الحيه، و توفير الجوّ لعباده المتهجّدين و مناجاه الصالحين.

و يستمر السياق القرآنى فى القسم بالقول: وَ النَّهارِ إِذا تَجَلّى (١) .

و النهار يبدأ من اللحظه التى يطلع فيها الفجر،فيشقّ قلب ظلام الليل،ثمّ يمتدّ ليملأ كلّ السماء،و يغمر كلّ شيء بالنور...بهذا النور الذى هو رمز الحركه و الحياه،و العامل على نمو كلّ الموجودات الحيه.

فى القرآن الكريم تركيز على مسأله نظام«النور»و«الظلمه»و دورهما فى حياه البشر،لأنّهما من نعم اللّه الكبرى و من آياته العظمى سبحانه.

ثمّ القسم الأخير فى السّوره بالخالق المتعال: وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى .

فوجود الجنسين فى عالم«الإنسان»و«الحيوان»و«النبات»...و المراحل التى تمرّ بها النطفه منذ انعقادها حتى الولاده...و الخصائص التى يمتاز بها كلّ جنس متناسبه مع دوره و نشاطه...و الأسرار العميقه المخبوءه فى مفهوم الجنسيه...كلّها من دلالات و آيات عالم الخليقه الكبير...و بها يمكن الوقوف على عظمه الخالق.

و التعبير ب«ما»عن الخالق سبحانه كنايه عن عظمه الذات الإلهيه،و ما يحيط بهذه الذات من غموض تجعله سبحانه فوق كلّ وهم و خيال و ظن و قياس.

قال بعضهم أن«ما»فى الآيه مصدريه،و معناها أقسم بخلق الذكر و الأنثى

١- ١) -يلاحظ فى السّوره المباركه أن الفعل«يغشى»بصيغه المضارع،أمّا«تجلّى»فبصيغه الماضى،قيل إنّ ذلك يعود إلى عصر نزول السّوره،حيث كانت الجاهليه فى بدايه الدعوه مخيّمه بظلامها على الأرض،و فى هذه الحاله سيكون القسم بظلام الجاهليه،و ليس ذلك بجيّد،و من الأفضل القول إن هذا الفعل الماضى يفيد معنى المضارع لوقوعه بعد«إذا»الشرطيه؛أو إنّ أصل الفعل«تتجلى»حذفت إحدى التائين،عندئذ سيكون الفعل مؤنثا،و لا يكون فاعله«نهار»بل سيكون التقدير:«إذا تتجلى الشمس فيه».

و هذا الاحتمال ضعيف فی معنی الآیه.

الحقیقه أنّ القسمین الأوّل و الثّانی یشیران إلی الآیات«الآفاقیه»،و القسم الثّالث إلی الآیات«الأنفسیه» (۱) .

ثمّ یأتی الهدف النهائی من کلّ هذه الأقسام بقوله سبحانه: إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتّٰی اتجاهات سعیکم مختلفه،و نتائجها مختلفه أیضا،هذا یعنی أن أفراد البشر لا یستقرون فی حیاتهم علی حال...بل هم فی سعی مستمر...و فی استثمار دائم للطاقه التی أودعها اللّه فی نفوسهم...فانظر أیّها الإنسان فی أی مسیر تبذل هذه الطاقه التی هی رأس مال وجودک...فی أیّ اتجاه...و فی سبیل أیّه غایه؟! حذار من تبدید کلّ هذه الطاقات فی سبیل نتیجه تافهه...و حذار من بیعها بثمن بخس! «شتی»جمع«شتیت»من ماده«شتّ»أیّ فرّق الجمع،و هنا بمعنی التفرق و التشعب فی المساعی من حیث الکیفیه و الهدف و النتیجه.

ثمّ یأتی تقسیم النّاس علی قسمین،و یبیّن خصائص کلّ قسم،یقول سبحانه:

فَأَمّٰا مَنْ أَعْطیٰ وَ اتَّقیٰ، وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنیٰ، فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْریٰ

.

المقصود من الإعطاء فی قوله:«أعطی»هو الإنفاق فی سبیل اللّه و مساعده المحتاجین.

و التأکید علی«التقوی»عقب الإعطاء قد یشیر إلی ضروره تنزیه النیه و إخلاص القصد عند الإنفاق،و إلی الحصول علی المال من طریق مشروع، و إنفاقه فی طریق مشروع أیضا،و إلی خلوه من المنّ و الأذی...فکلّ هذه الصفات تجتمع فی عنوان التقوی.

قال بعض إن«أعطی»إشاره إلی العبادات المالیه و«اتقی»إشاره إلی سائر

۱- ۱) -هذا التقسیم للآیات مستلهم من قوله سبحانه: سَنُرِیهِمْ آیٰاتِنٰا فِی الْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ .

العبادات العمليه من أداء الواجبات و ترک المحرمات،غير أن التّفسير الأوّل أنسب مع ظاهر الآيه،و مع سبب نزولها.

و«الحسنى»مؤنث«أحسن» إشاره إلى مثوبه اللّه و جزاءه الأوفى، و التصديق بالحسنى هو الإيمان بها،و فى سبب النزول ذكرنا أن«أبا الدحداح» أنفق أمواله لإيمانه بما سيعوضه اللّه فى الآخره.و الحسنى وردت بهذا المعنى أيضا فى قوله سبحانه: وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى (۱) .

قيل إن المقصود هو«الشريعه الحسنى»،و التصديق بالحسنى هو الإيمان بالإسلام،الذى هو أكمل الأديان.

و قيل إنّها كلمه«لا إله إلاّ اللّه»،و قيل:إنّها الشهادتان.

غير أنّ سياق الآيات و سبب النزول و ذكر«الحسنى»بمعنى«الجزاء الحسن» فى كثير من الآيات كلّه يرجح التّفسير الأوّل.

عباره فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى قد تكون إشاره إلى التوفيق الإلهى و إلى تيسير الطاعه لمثل هؤلاء الأفراد،أو فتح طريق الجنّه أمامهم و ما يقابلونه من استقبال الملائكه و تحيتهم،أو كلّ ذلک.

من المؤكّد أنّ الذين سلكوا طريق الإنفاق و التقوى،و اطمئنوا إلى جزاء اللّه و ثوابه فى الآخره،تتذلل أمامهم المشاكل و ينعمون فى الدنيا و الآخره بالسكينه و الاطمئنان.

أضف إلى ما سبق،قد يكون الإنفاق المالى شاقا و ثقيلا على طبع الإنسان فى البدايه،و لكن بتوطين النفس على ذلک و الاستمرار فيه،يتحول إلى أمر ميسور...

بل أمر فيه لذّه و ارتياح.

ما أكثر الأفراد الأسخياء الذين ينشرحون لحضور الضيف على مائدتهم،و لا

۱- ۱) -النساء،۹۵.

يرتاحون إذا خلت مائدتهم يوما من ضيف...و هذا نوع من تيسير الأمور لهؤلاء.

و لا يفوتنا أن نذكر أيضا أنّ الإيمان بالمعاد و بثواب الآخره يهون المشاكل و الصعاب،و يجعل بذل المال بل النفس ميسورا،و يخلق الدافع نحو طلب الشهاده فى ميادين الجهاد عن رغبه مقرونه باحساس باللذه و النشوه.

«اليسرى»من اليسر،و هى فى الأصل بمعنى إسراج الفرس و الجامها و إعدادها للركوب.ثمّ أطلقت الكلمه على كلّ عمل سهل ممهّد (۱) .

و فى الجهه المقابله تقف المجموعه الاخرى التى تتحدث عنها الآيات التاليه:

وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنىٰ، وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ

.

«من بخل»فى هذه المجموعه مقابل«من أعطى»فى تلك.

كلمه«استغنى»أىّ طلب الغنى،قد تكون إشاره إلى ذريعتهم لبخلهم، و وسيلتهم لاكتناز المال،أو قد تكون إشاره إلى ظنهم بأنّهم مستغنون عن ثواب الآخره،عكس الطائفه الاولى المنشده إلى مثوبه اللّه،أو قد تكون بمعنى الإحساس بالاستغناء عن طاعه اللّه و بالتالى التخبط المستمر فى الآثام.

من بين هذه التفاسير الثلاثه يبدو التّفسير الأوّل أنسب،و إن أمكن أيضا الجمع بين الثلاثه.

المقصود من التكذيب بالحسنى،هو إنكار ثواب الآخره،أو إنكار الدين الإلهى.

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ

...و التيسير للعسر بالنسبه لهذه المجموعه،يقابله التيسير لليسر للمجموعه الاولى التى يشملها اللّه بتوفيقه،و ييسر لها طريق الطاعه و الإنفاق،و بذلك تتذلل أمامها مشاكل الحياه...أمّا هذه المجموعه فتحرم التوفيق، و يتعسّر عليها شقّ الطريق و تواجه الضنک و النصب فى الدنيا و الآخره،و هؤلاء

ص:۲۵۷

۱- ۱) -تفسير الكشّاف،ج ۴،ص ۷۶۲.

البخلاء الخاوون من الإيمان يشقّ عليهم فعل الخير و خاصّه الإنفاق،بينما هو للمجموعه الاولى مقرون باللذه و الإنشراح. (1)

ثمّ يأتى التحذير لهؤلاء البخلاء المغفلين بالآيه: وَ مٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى .

لا يستطيع أن يصطحب ماله من هذه الدنيا،و لا يستطيع هذا المال-إذا اصطحبه-أن يقيه من السقوط فى نار جهنّم.

«ما»فى الآيه قد تكون نافيه، و قد تكون للاستفهام الإنكارى،أىّ ماذا يجديه المال إذا سقط فى حفره القبر أو فى هاويه جهنّم؟! «تردى»من(الردى)بمعنى الهلاك،و بمعنى السقوط من مكان مرتفع يؤدى إلى الهلاك،و قيل إن أصل الكلمه بمعنى السقوط:و لما كان السقوط من مكان مرتفع يؤدى إلى الهلاك،فقد أطلقت الكلمه و أريد بها الهلاك،و التردى فى الآيه قد يعنى السقوط فى القبر،أو فى جهنّم،أو بمعنى الهلاك الذى هو جزاء هؤلاء.

و بهذا...تحدثت الآيات الكريمات عن مجموعتين:الاولى:مؤمنه،تقيه، سخيه؛و الثّانيه:خاويه الإيمان،عديمه التقوى،بخيله و نموذج المجموعتين موجود فى سبب نزول الآيات بوضوح.

المجموعه الاولى،طوت طريقها بيسر بتوفيق اللّه،و اتجهت نحو الجنّه و نعيمها،بينما المجموعه الثّانيه،واجهت فى مسيرتها الحياتيه المشاكل المتفاقمه جمعت الأموال الطائله،و تركتها و ولت تجرّ أذيال الحسره و الهّم و الويال،و لم تنل سوى العقاب الإلهى.

١- ١) -«اليسرى»مؤنث أيسر،و«العسرى»مؤنث أعسر،إنّما جاءا بصيغه المؤنث إمّا لأنّهما صفتان للأعمال و التقدير:فسنيسره لأعمال يسرى...أو-لأعمال عسرى،أو صفتان لحوادث الحياه،و إن كان الموصوف مفردا فقد يكون«طريقه»أو«خله».

الآيات [سوره الليل (۹۲): الآيات ۱۲ الی ۲۱]

اشاره

إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى (۱۲) وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَهَ وَ اَلْأُولى (۱۳) فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظّى (۱۴) لا يَصْلاها إِلَّا اَلْأَشْقَى (۱۵) اَلَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلّى (۱۶) وَ سَيُجَنَّبُهَا اَلْأَتْقَى (۱۷) اَلَّذِى يُؤْتِى مالَهُ يَتَزَكّى (۱۸) وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزى (۱۹) إِلَّا اِبْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ اَلْأَعْلى (۲۰) وَ لَسَوْفَ يَرْضى (۲۱)

التّفسیر

اشاره

الإنفاق و النجاه من النّار:

عقب الآیات الکریمه السابقه التی قسمت النّاس علی مجموعتین:مؤمنه سخیه،و عدیمه الإیمان بخیله،و بیّنت مصیر کلّ منهما،تبدأ هذه الطائفه من الآیات بالتأکید أن علی اللّه الهدایه لا الإجبار و الإلزام،و یبقی الإنسان هو المسؤول عن اتخاذ القرار اللازم،و أن انتخاب الطریق المستقیم یعود بالنفع علی الإنسان نفسه و لا حاجه للّه سبحانه بعمل خیر یقدمه الفرد.یقول تعالی: إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى الهدی عن طریق التکوین(الفطره و العقل)أو عن طریق التشریع (الکتاب و السنه)...فقد بیّنا ما یلزم و أدینا الأمر حقّه.

و بعد وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولى (۱) فلا حاجه بنا لإيمانكم و طاعتكم،و لا طاعتكم تجدينا نفعا و لا معصيتكم تصيبنا ضرّا،و كلّ منهج الهدايه لصالحكم أنفسكم.

حسب هذا التّفسير الهدايه تعنى«اراءه الطريق».و يحتمل أن تكون الآيتان لتشجيع المؤمنين الأسخياء،و التأكيد على أنّ اللّه سبحانه سيشملهم بمزيد من الهدايه،و ييسر لهم الطريق فى هذه الدنيا و فى الآخره،فاللّه قادر على ذلك لأنّ له الآخره و الاولى.

صحيح أنّ الدنيا مقدمه على الآخره زمنيا،و لكن الآخره أهم و هى الهدف النهائى،و لذلك تقدم ذكرها على الدنيا فى الآيه الإنذار و التحذير من سبل الهدايه،و لذلك قال سبحانه: فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظّى .

«تلظى»من اللظى،و هو الشعله المتوهجه الخالصه و الشعله الخالصه من الدخان ذات حراره أكبر،و تطلق«لظى»أحيانا على جهنم . (۲)

ثمّ تشير الآيه إلى المجموعه التى ترد هذه النّار المتلظيه الحارقه و تقول:

لا يَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَى

.

و فى وصف الأشقى تقول الآيه: اَلَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّى .

معيار الشقاء و السعاده-إذن-هو الكفر و الإيمان و ما ينبثق عنهما من موقف عملى،إنّه لشقى حقّا هذا الذى يعرض عن كلّ معالم الهدايه و عن كلّ الإمكانات المتاحه للإيمان و التقوى...بل إنّه أشقى النّاس.

عباره اَلَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّى قد يكون التكذيب إشاره إلى الكفر،و التولى إشاره إلى ترك الأعمال الصالحه،إذ هو ملازم للكفر،و قد يشير الفعلان إلى ترك

۱- ۱) -«للام»فى(للآخره)و(للأولى)و كذلك فى(للهدى)لام تأكيد تدخل على خبر إنّ،و دخلت هنا على اسمها لتقدم الخبر.

۲- ۲) -تلظى أصلها تتلظى حذفت إحدى التائين للتخفيف.

الإیمان،و یکون التکذیب بنبیّ الإسلام،و التولی الإعراض عنه.

کثیر من المفسّرین یعالجون هنا مسأله ترتبط بما طرحته الآیه من اختصاص جهنم بالکافرین: لاٰ یَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَی... الَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی ،و هذا یتنافی مع آیات اخری و روایات تتحدث عن شمول عذاب جهنم للمؤمنین المذنبین أیضا.

و الآیتان استدل بهما المرجئه فی قولهم:لا تضرّ مع الإیمان معصیه!

و لتوضیح ما یبدو هنا من تعارض یجب الالتفات إلی مسألتین:الاولی- المقصود بصلی جهنم هنا الخلود فیها،و الخلود مختص بالکافرین،و القرینه علی هذا القول تلک الآیات التی تتحدث عن دخول غیر الکافرین أیضا جهنم.

و الاخری،أنّ الآیتین المذکورتین و ما بعدهما حیث یقول تعالی: وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی ترید بمجموعها أن تبیّن فقط حال مجموعتین:عدیمه الإیمان البخیله، و المؤمنه السخیه التقیه،و تذکر أنّ مصیر الاولی جهنم،و الثّانیه الجنّه،و لا تتطرق أساسا إلی المجموعه الثّالثه و هی المؤمنه المذنبه.

بعباره اخری الحصر هنا من النوع الإضافی،أی کأن الجنّه خلقت للمجموعه الثّانیه فقط،و جهنم للمجموعه الاولی فحسب،و بهذا البیان تتّضح الإجابه علی إشکال آخر بشأن التضاد بین الآیتین اللتین نحن بصددهما و ما یلی من آیات تحصر النجاه بالأتقی.

ثمّ تتحدث السّوره عن مجموعه قد جنّبت النّار و أبعدت عنها،تقول الآیه:

وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی

.

و من هو هذا الأتقی؟تقول الآیه الکریمه: اَلَّذِی یُؤْتِی مٰالَهُ یَتَزَکّٰی .

و عباره«یتزکی»تشیر إلی قصد القربه،و خلوص النیه،سواء أرید منها معنی النمو الروحی و المعنوی،أم قصد بها تطهیر الأموال،لأنّ التزکیه جاءت بمعنی «التنمیه»،و بمعنی«التطهیر».قال تعالی: خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وَ تُزَكِّيهِمْ بِهٰا،وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاٰتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

(۱)

،أی تربيهم و تنميهم بها.

و للتأكيد على خلوص النيّه فی إنفاقهم تقول الآيه: وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزىٰ فلا أحد قد أنعم على هذا«الأتقى»ليكون إنفاقه جزاء على هذه النعمه.

بل هدفه رضا اللّه لا غير: إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ .

بعباره اخرى:كثير من الإنفاق بين النّاس يتمّ ردّا على إنفاق مشابه سابق من الجانب الآخر،طبعا ردّ الإحسان بالإحسان عمل صالح،لكن حسابه يختلف عمّا يصدر عن الأتقياء من إنفاق مخلص.

الآيات المذكوره أعلاه تقول:إنفاق المؤمنين الأتقياء ليس رياء و لا ردّا على خدمات سابقه قدمت إليهم،بل دافعها رضا اللّه لا غير،و من هنا كان إنفاقهم ذا قيمه كبرى.

التعبير بكلمه«وجه»هنا يعنی«الذات»،أی رضا ذات الباری تقدست أسماؤه.

و عباره«ربّه الأعلى»تشير إلى أن هذا الإنفاق يتمّ عن معرفه كامله...عن معرفه بربوبيه الباری تعالى،و علم بمكانته الساميه العليا،و هذا الاستثناء ينفی أيضا كلّ نيه منحرفه،مثل الإنفاق من أجل السمعه و الوجاهه و أمثالها...و يجعله منحصرا فی طلب رضا اللّه سبحانه (۲) .

و فی خاتمه السّوره ذكر بعباره موجزه لما ينتظر هذه المجموعه من أجر عظيم تقول الآيه: وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ .

نعم،و لسوف يرضى،فهو قد عمل على كسب رضا اللّه،و اللّه سبحانه سوف

۱- ۱) -التوبه،الآيه ۱۰۳.

۲- ۲) -«ابتغاء»منصوبه على الاستثناء،و الاستثناء فی الآيه منقطع،أی إنّ المستثنى ليس من جنس المستثنى منه أی:ما لأحد عنده من نعمه إلاّ ابتغاء وجه ربّه،و يجوز أن يكون النصب على أنّ الكلمه مفعول له على المعنى،لأنّ معنى الكلام،لا يؤتی ماله إلاّ ابتغاء وجه ربّه.

يرضيه،إرضاء مطلقا غير مشروط إرضاء واسعا غير محدود...إرضاء عميق المعنى يستوعب كلّ النعم...إرضاء لا يمكننا اليوم حتى تصوّره...و أى نعمه أكبر من هذا الرضى! نعم،اللّه أعلى،و جزاؤه أعلى،و لا أعلى من رضا العبد رضا مطلقا.

احتمل بعض المفسّرين أن يكون الضمير فى«يرضى»عائدا إلى اللّه سبحانه أى إنّ اللّه سوف يرضى عن هذه المجموعه،و هذا الرضا أيضا نعمه ما بعدها نعمه.

نعمه رضا اللّه عن هذا العبد بشكل مطلق غير مشروط،و من المؤكّد أنّ هذا الرضا يتبعه رضا العبد الأتقى.

فالإثنان متلازمان،و قد جاء فى الآيه(٨)من سوره البينه قوله سبحانه:

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ و قوله تعالى فى الآيه(٢٨)من سوره الفجر:

رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً .لكنّ التّفسير الأوّل أنسب.

بحثان

اشاره

١-حول سبب نزول سوره الليل

يقول الفخر الرازى:اجمع المفسّرون منّا على أنّ المراد منه(أى من قوله تعالى: وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى أبو بكر(رض)،و اعلم أنّ الشيعه بأسرهم ينكرون هذه الرّوايه،و يقولون أنّها نزلت فى حقّ على بن أبى طالب عليه السّلام.

ثمّ يعرب الرازى عن وجهه نظره فى هذا المجال و يقول:و إنّما قلنا إنّه لا يمكن حملها على على بن أبى طالب لأنّه قال فى صفه هذا الأتقى وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ ،و هذا الوصف لا يصدق على على بن أبى طالب لأنّه كان فى تربيه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،لأنّه أخذه من أبيه،و كان يطعمه و يسقيه و يكسوه و يربيه، و كان الرّسول منعما عليه نعمه يجب جزاؤها،أمّا أبو بكر فلم يكن للنّبى عليه

الصلاه و السلام علیه نعمه دنیویه،بل أبو بکر کان ینفق علی الرّسول علیه السّلام (۱) .

نحن لا نتطرق عاده فی هـذا التّفسیر لمثل هـذه المسائل. لکن مثل هـذه المحاولات الرامیه إلی إثبات الأحکام الـذهنیه المسبقه بالاستناد إلی آیات قرآنیه یبلغ بها الأمر أن تنسب إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما لا یلیق بمقامه الشامخ (۲) ،ممّا یستدعینا أن نتوقف عندها قلیلا.

أوّلا:ما یقوله الفخر الرازی بشأن إجماع أهل السنه علی نزول السّوره فی أبی بکر منقوض بما أورده کثیر من مفسّری أهل السنه منهم القرطبی فی تفسیره عن ابن عباس بشأن نزول کلّ سوره«اللیل»فی«أبی الدحداح» (۳) .

و القرطبی حین یصل إلی تفسیر الآیه: وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی یعید القول أنّ المقصود به أبو الدحداح،و هـذا المفسّر یورد ما ذکره أکثر المفسّرین بشأن نزول السّوره فی أبی بکر،غیر أنّه لا یقبل هذا الرأی.

ثانیا:ما قیل بشأن اتفاق الشیعه علی نزول الآیه فی علیّ علیه السّلام غیر صحیح أیضا،إذ أورد کثیر من مفسّری الشیعه قصّه أبی الدحداح علی أنّها سبب نزول السّوره.

نعم،لقد روی عن الإمام الصادق علیه السّلام بأن«الأتقی»شیعه علی و أتباعه، و اَلَّذِی یُؤْتِی مٰالَهُ یَتَزَکّٰی هو أمیر المؤمنین علی علیه السّلام،لکن الظاهر أنّ هذه الرّوایات لا تتحدث عن سبب النزول،بل هی من قبیل ذکر المصادیق الواضحه و البارزه.

ص:۲۶۴

۱- ۱) -الفخر الرازی التّفسیر الکبیر،ج ۳۱،ص ۲۰۵.

۲- ۲) -المدرسه الأمویه کان لها أثرها بدرجه و اخری علی کثیر من العلماء علی مرّ التاریخ،و تقوم علی أساس الحطّ من شخصیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و نفی کلّ منقبه لعلی و اله علیهم السّلام«المترجم».

۳- ۳) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۱۸.

ثالثا:«الأتقى»فى السّوره ليست هنا بمعنى أتقى النّاس،بل بمعنى المتقى، و الشاهد على ذلك كلمه«الأشقى»التى هى لا تعنى أشقى النّاس،بل هم الكفار الذين يبخلون بأموالهم فلا ينفقونها،أضف إلى ذلك أنّ الآيه نزلت فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أ يصح أن يكون أبو بكر مقدّما فى التقوى على النّبى نفسه؟!لماذا نلجأ إلى إثبات أحكامنا الذهنيه المسبقه إلى كل وسيله حتى الحط من شخصيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

إنّه قيل أنّ للنّبى حسابا آخر،نقول:لماذا لم يكن للنّبى حساب آخر فى الآيه: وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزىٰ ؟ففى هذه الآيه يرفض الفخر الرازى أن تكون فى على،لأنّه مشمول بنعم النّبى الدنيويه.

رابعا:أى إنسان ليست لأحد نعمه عليه فى حياته،و لم يقدم له أحد هديه أو يدعوه لضيافه؟!هل كان أبو بكر كذلك فى حياته؟ألم يستجب لضيافه أو يقبل هديه أو خدمه دنيويه طوال حياته؟!هل هذا معقول؟المقصود من الآيه الكريمه:

وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزىٰ

ليس إذن أن يكون هذا الأتقى غير مشمول بأيه نعمه دنيويه من أحد.

بل المقصود إن إنفاقه ليس من أجل حق نعمه أغدقت عليه،أى أنّه حين ينفق،فإنّما ينفق فى سبيل اللّه لا فى سبيل خدمه أسديت إليه و يريد أن يجزى عليها.

خامسا:آيات سوره الليل تنبئ أنّ السّوره نزلت فى واقعه ذات قطبين:

«الأتقى»و«الأشقى»،و إنّ اعتبرنا قصه أبى الدحداح سببا للنزول،فالقطبان يتضحان،و إن قلنا إنّ الأتقى أبو بكر فيبقى السؤال عمن هو«الأشقى».

الشيعه لا يصرون على نزول الآيه فى على عليه السّلام ففى شأنه نزل كثير من القرآن، و لكن إن كان نزولها فى على،يتبيّن من جهه اخرى من هو«الأشقى»،إذ ورد فى تفسير الآيه(١٢)من سوره الشمس: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقٰاهٰا روايات كثيره بطرق

أهل السنه أن المقصود من الأشقى قاتل على بن أبى طالب عليه السّلام.(و هذه الرّوايات جمعها-كما ذكرنا-الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل).

بالاختصار،رأى الفخر الرازى فى هذه الآيه ضعيف غايه الضعف و ملىء بالاشتباه،و لذلك رفضه الآلوسى فى روح المعانى و قال:«...و استدل بذلك الإمام على أنّه(أبو بكر)أفضل الامّه و ذكر أنّ فى الآيات ما يأبى قول الشيعه أنّها فى على و أطال الكلام فى ذلك و أتى بما لا يخلو عن قيل و قال» (۱) .

۲-فضيله الإنفاق فى سبيل اللّه

الإنفاق فى سبيل اللّه،و مساعده المحرومين عن إخلاص نيّه و بدون منّه ممّا أكّد عليه القرآن الكريم فى مواضع عديده و اعتبره من علامات الإيمان.

و الرّوايات تؤكّد كثيرا على هذا المفهوم،و تعدّ الإنفاق المنطلق من دافع رضا اللّه و البعيد عن كل رياء و منّ و أذى من أفضل الأعمال.

و فى نهايه المطاف نورد بعض هذه الرّوايات:

-۱

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من الإيمان حسن الخلق،و إطعام الطعام:

و إراقه الدّماء» (۲) . (النحر فى سبيل اللّه).

-۲

عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام قال: «إنّ أحبّ الأعمال إلى اللّه إدخال السرور على المؤمن،شبعه مسلم أو قضاء دينه» (۳) -۳

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «ما أرى شيئا يعدل زياره المؤمن إلاّ إطعامه،و حقّ على اللّه أن يطعم من أطعم مؤمنا من طعام الجنّه» (۴) .

۱- ۱) -لا ننسى أنّ نذكر أنّ الآلوسى رجل متعصّب نسبيا للمدرسه الأمويه،لكنّه مع ذلك لم يوافق الفخر الرازى فى رأيه.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۷۴،ص ۳۶۵،ح ۳۸.

۳- ۳) -المصدر السابق،ح ۳۵.

۴- ۴) -اصول الکافی،ج ۲،باب إطعام المؤمن،ح ۱۷.

۴-و

سأل رجل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:أى الأعمال أفضل؟قال:«اطعام الطعام و اطياب الكلام» (۱) .

۵-و مسک الختام

حديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من عال أهل بيت من المسلمين يومهم و ليلتهم غفر اللّه ذنوبه» (۲) .

اللّهمّ!وفقنا لأن نكون من العاملين على هذا الطريق.

اللّهمّ!اجعل أعمالنا خالصه لوجهك الكريم.

اللّهمّ!إنا نتضرع إليك أن تشملنا بنعمتك و رحمتك حتى ننعم بالرضى و تكون عنّا راضيا.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره اللّيل

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۴،ص ۳۸۸،ح ۱۱۳.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۳۸۹،ح ۲.

سوره الضّحی

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها إحدی عشره آیه

ص: ۲۶۹

محتوى السّوره:

هـذه السّوره نزلت فی مکّه،و حسب بعض الرّوایات أنّها نزلت حین کان الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم متألما بسـبب تأخر نزول الوحی،و تقوّل الأعداء نتیجه هذا الانقطاع المؤقت،نزلت السّوره کغیث علی قلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و أمدته بطاقه جدیده،و قطعت ألسن الأعداء.

هذه السّوره تبدأ بقسمین،ثمّ تبشر النّبی بأن اللّه لا یترکه أبدا.

ثمّ تبشّـره بعطاء ربّانی تجعله راضـیا ثمّ تعرض له صورا من حیاته السابقه تتجسّـد فیها الرحمه الإلهیه التی کانت تشـمله دائما و تحمیه و تسنده فی أشدّ اللحظات.

و فی نهایه السّوره تتکرر الأوامر الإلهیه برعایه الیتیم و السائل،و بإظهار النعم الإلهیه(شکرا لهذه النعم).

فضیله السّوره:

و یکفی فی فضیله هذه السّوره ما

روی عن النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قال: «من قرأها کان ممن یرضاه اللّه،و لمحمّد أن یشـفع له،و له عشـر حسـنات بعدد کلّ یتیم وسائل» (۱) .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۰۳.

و فضیله التلاوه هذه هی طبعا من نصیب من یقرأ و یعمل بما یقرأ.

جدیر بالذکر أنّ الرّوایات تذکر هذه السّوره و السّوره التی تلیها: أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ علی أنّها سوره واحده،و لذلک لا بدّ من قرائتهما معا بعد سوره الحمد فی الصلاه(لوجوب قراءه سوره کامله بعد الحمد فی الصلاه حسب مذهب أهل البیت علیهم السّلام)،و نظیر ذلک فی سورتی«الفیل»و«لإیلاف».

و لو أمعنا النظر فی سورتی الضحی و الإنشراح لألفینا ارتباط موضوعاتهما ارتباطا وثیقا یحتّم أن تکون الثّانیه استمرارا للأولی و إنّ فصلت بینهما البسمله.

علماء الفقه(فی مدرسه أهل البیت)یجمعون علی عدم کفایه واحده من السّورتین بعد الحمد فی الصلاه،و لهم بحوث فی کتب الفقه بشأن وحدتهما و تلاوتهما.

ص: ۲۷۲

الآیات [سوره الضحی (۹۳): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ وَ اَلضُّحیٰ (۱) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا سَجیٰ (۲) مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ (۳) وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ اَلْأُولیٰ (۴) وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ (۵)

سبب النّزول

روی عن ابن عباس قال:احتبس الوحی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خمسه عشر یوما،فقال المشرکون إنّ محمّدا قد ودعه ربّه و قلاه،و لو کان أمره من اللّه تعالی لتتابع علیه،فنزلت السّوره و

روی أنّه لمّا نزلت السّوره قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لجبرائیل علیه السّلام:«ما جئت حتی اشتقت إلیک،فقال جبرائیل:و أنا کنت أشدّ إلیک شوقا و لکنّی عبد مأمور و ما نتنزل إلاّ بأمر ربّک».

و قیل:سألت الیهود رسول اللّه عن ذی القرنین و أصحاب الکهف و عن الروح،

فقال: سأخبرکم غدا، و لم یقل إن شاء اللّه،فاحتبس عنه الوحی هذه الأیّام،فاغتم لشماته الأعداء فنزلت السّوره تسلیه لقلبه،(و نستبعد هذه الرّوایه لأنّ اتصال الیهود بالنّبی و طرحهم الأسئله علیه کان فی المدینه لا فی مکّه عاده).

ص:۲۷۳

و قیل:إنّ المسلمین قالوا ما ینزل علیک الوحی یا رسول اللّه.فقال:و کیف ینزل علیّ الوحی و أنتم لا تنقون براجمکم(هی عقد الأصابع یجتمع فیها الوسخ) و لا تقلمون أظفارکم) (۱) .

و اختلفت الرّوایات فی مدّه انقطاع الوحی،قیل اثنا عشر یوما،و قیل خمسه عشر،و قیل تسعه عشر،و قیل خمسه و عشرون،و قیل أیضا أربعون.

و فی روایه إنّها لیلتان أو ثلاث.

التّفسیر

اشاره

یعطیک فترضی:

فی بدایه السّوره المبارکه قسمان:الأوّل بالنّور،و الثّانی بالظلمه،و یقول سبحانه:

وَ الضُّحیٰ

و هو قسم بالنهار-حین تغمر شمسه کلّ مکان.

وَ اللَّیْلِ إِذٰا سَجیٰ

أی إذا عمّت سکینته کلّ مکان.

«الضحی»یعنی أوائل النهار،أی حین یرتفع قرص الشمس فی کبد السماء، و یعم نورها الأرض،و هو فی الحقیقه أفضل ساعات النهار،لأنّه-علی حدّ تعبیر بعضهم-شباب النهار،و فیه لا یکون الجوّ حارا فی فصل الصیف، و یکون الدفء قد عمّ فی فصل الشتاء و تصبح خلاله روح الإنسان مستعده لممارسه النشاط.

«سجی»من السّجو أو السّجو،أی سکن و هدأ،و تأتی الکلمه أیضا بمعنی غطّی،و أقبل ظلامه.و المیت الملفوف بالکفن«مسجّی»،و فی الآیه بمعنی سکن و هدأ،و اللیله الخالیه من الریاح تسمی«لیله ساجیه»أی هادئه،و البحر حین

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۰۴.

يستقر و يخلو من الأمواج الصاخبه يسمى«بحر ساج».

و المهم فى الليل-على أى حال-هدوؤه و سكينته ممّا يضفى على روح الإنسان و أعصابه هدوء و ارتياحا،و يعدّه لممارسه نشاط يوم غد،و هو لذلك نعمه مهمّه استحقت القسم بها.

بين القسمين و محتوى السّوره تشابه كبير و ارتباط وثيق.النهار مثل نزول نور الوحى على قلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و الليل كانقطاع الوحى المؤقت،و هو أيضا ضرورى فى بعض المقاطع الزمنيه.

و بعد القسمين،يأتى جواب القسم،فيقول سبحانه: مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مٰا قَلىٰ .

«قلى»من«قلا»-على وزن صدا-و هو شدّه البغض،و من القلو أيضا بمعنى الرّمى.و كلا المعنيين يعودان إلى أصل واحد-فى رأى الراغب الأصفهانى- فكأن المقلّو هو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله.

على أى حال،فى هذا التعبير سكن لقلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تسلّ له،ليعلم أن التأخير فى نزول الوحى إنّما يحدث لمصلحه يعلمها اللّه تعالى،و ليست-كما يقول الأعداء-لترك اللّه نبيّه أو لسخطه عليه.فهو مشمول دائما بلطف اللّه و عنايته الخاصّه،و هو دائما فى كنف حمايه اللّه سبحانه.

وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ

.

أنت فى هذه الدنيا مشمول بالطاف اللّه تعالى،و فى الآخره أكثر و أفضل.أنت آمن من غضب اللّه فى الأمد القريب و البعيد.و باختصار أنت عزيز فى الدنيا و الآخره...فى الدنيا عزيز و فى الآخره أعزّ...

قيل إن«الآخره»و«الأولى»يشيران إلى بدايه عمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نهايته،أى إنّك ستستقبل فى عمرك نصرا و نجاحا أكثر ممّا استدبرت.و فى ذلك إشاره إلى اتساع رقعه انتشار الإسلام و انتصارات المسلمين المتلاحقه على الأعداء،

و فتوحهم فی الغزوات،و نموّ دوحه التوحید،و اندثار آثار الشرک و عباده الأوثان.

و لا مانع من الجمع بین التّفسیرین.

و تأتی البشری للنبی الکریم لتقول له:

وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ

،و هذا أعظم أکرام و أسمی احترام من ربّ العالمین لعبده المصطفی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.فالعطاء الرّبانی سیغدق علیه حتی یرضی...

حتی ینتصر علی الأعداء و یعّم نور الإسلام الخافقین،کما أنّه سیکون فی الآخره أیضا مشمولا بأعظم الهبات الإلهیه.

النّبی الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باعتباره خاتم الأنبیاء،و قائد البشریه،لا یمکن أن یتحقق رضاه فی نجاته فحسب،بل إنّه سیکون راضیا حین تقبل منه شفاعته فی أمته.و من هنا جاءت الرّوایات لتؤکد أن هذه الآیه أکثر آیات القرآن الکریم دلاله علی قبول الشفاعه منه علیه أفضل الصلاه و السلام.

و

فی حدیث رواه محمّد بن علی علیهما السّلام عن عمّه محمّد الحنفیه عن أبیه أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال:أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «أشفع لامّتی حتّی ینادینی ربّی:أرضیت یا محمّد؟فأقول:نعم یا ربّ رضیت»

ثمّ إنّ أمیر المؤمنین التفت إلی جماعه و قال:

«یا أهل العراق تزعمون أن أرجی آیه فی کتاب اللّه عزّ و جلّ: یٰا عِبٰادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ... الآیه،و إنّا أهل البیت نقول أرجی آیه فی کتاب اللّه: وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ و هی و اللّه الشفاعه لیعطیها فی أهل لا إله إلاّ اللّه حتی تقول:ربّ رضیت». (۱)

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: دخل رسول اللّه علی فاطمه علیها السّلام و علیها کساء من خله الإبل و هی تطحن بیدها و ترضع ولدها فدمعت عینا رسول اللّه لما

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۹۵،الحدیث رقم ۱۲،فی الأصل تفسیر أبو الفتوح الرازی،ج ۱۲،ص ۱۱۰.

أبصرها فقال:«يا بنتاه تعجلی مراره الدنيا بحلاوه الآخره فقد أنزل اللّه علیّ و لسوف يعطيك ربّك فترضی» (۱) .

بحث

اشاره

فلسفه انقطاع الوحی:

يتبيّن من الآيات الكريمه فی هذه السّوره أنّ النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يملك لنفسه شيئا إلاّ من عند اللّه...لم يكن له اختيار حتی فی نزول الوحی.متی ما شاء اللّه ينزل الوحی و متی ما شاء ينقطع،و لعل انقطاع الوحی كان ردّا علی أولئك الذين كانوا يطالبون النّبی بمعاجز مقترحه وفق أذواقهم،أو كانوا يقترحون عليه تغيير بعض الأحكام و النصوص،و كان صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يقول لهم: قُلْ مٰا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقٰاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّٰ مٰا يُوحیٰ إِلَيَّ... (۲) .

ص: ۲۷۷

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۷۶۵.

۲- ۲) -يونس،الآيه ۱۵.

الآيات [سوره الضحى (٩٣): الآيات ۶ الى ١١]

اشاره

أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ (۶) وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدىٰ (٧) وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنىٰ (٨) فَأَمَّا اَلْيَتِيمَ فَلاٰ تَقْهَرْ (٩) وَ أَمَّا اَلسّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ (١٠) وَ أَمّٰا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

التّفسير

اشاره

الشكر على كلّ هذه النعم الإلهيه:

ذكرنا أنّ هدف هذه السّوره المباركه تسليه قلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بيان الطاف اللّه التى شملته،و هذه الآيات المذكوره أعلاه تجسد للنّبى ثلاث هبات من الهبات الخاصّه التى أنعم اللّه بها على النّبى،ثمّ تأمره بثلاثه أوامر.

أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ

.

فقد كنت يا محمّد فى رحم امّك حين توفى والدك فآويتك إلى كنف جدّك عبد المطلب(سيد مكّه).

و كنت فى السادسه حين توفيت والدتك،فزاد يتمك،لكننى زدت حبّك فى قلب«عبد المطلب».

و كنت فى الثامنه حين رحل جدّك«عبد المطلب»،فسخرت لك عمّك«أبا

طالب»،و ليحافظ عليك كما يحافظ على روحه.

نعم،كنت يتيما فآويتك.

و قيلت فى معنى هـذه الآيه آراء اخرى تبتعـد عن ظاهرها.كقولهم إنّ اليتيم هو الفريـد فى فضائله و خصائله الحميـده،فتقول مثلا للجوهره الفريده«درّه يتيمه»...و يكون المعنى حينئذ أنّ اللّه وجدك فى فضائلك فريدا ليس لك نظير، و لذلك اختارك للنبوّه.

و كقولهم:إنّك كنت يوما يتيما،و أصبحت ملاذا للأيتام و قائدا للبشريه.

المعنى الأوّل دون شك أنسب و بظاهر الآيه الصق.

ثمّ يأتى ذكر النعمه الثّانيه:

وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ

.

نعم،لم تكن أيّها النّبى على علم بالنبوّه و الرساله،و نحن أنزلنا هذا النور على قلبك لتهدى به الإنسانيه،و هذا المعنى ورد فى قوله تعالى أيضا: مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتٰابُ وَ لاَ الْإِیمٰانُ وَ لٰکِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِنٰا . (۱)

واضح أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان فاقدا لهذا الفيض الإلهى قبل وصوله مقام النبوّه، فاللّه سبحانه أخذ بيده و هداه و بلغ به هذا المقام،و إلى هذا تشير الآيه(۳)من سوره يوسف: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمٰا أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغٰافِلِینَ .

من المؤكّد أنّه لو لا الهدايه الإلهيه و الإمداد الغيبى ما استطاع الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يهتدى المسير نحو الهدف المقصود.

من هنـا فـإنّ المقصود من الضـلاله فى كلمه«ضالا»فى الآيه ليس نفى الإيمـان و التوحيـد و الطهر و التقوى عن النّبى،بـل بقرينه الآيات التى أشرنا إليها تعنى نفى

ص:۲۷۹

۱- ۱) -الشورى،الآيه ۵۲.

العلم بأسرار النبوّه و بأحكام الإسلام،و تعنى عدم معرفه هذه الحقائق،كما أكّد على ذلك كثير من المفسّرين.لكنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد البعثه اهتدى إلى هذه الأمور بعون اللّه تعالى.(تأمل بدقّه).

فى الآيه(۲۸۲)من سوره البقره،عند ذكر الشهاده و سبب استشهاد أكثر من شاهده واحده فى كتابه عقود الدّين يقول سبحانه: أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰاهُمٰا فَتُذَكِّرَ إِحْدٰاهُمَا اَلْأُخْرىٰ .

و الضلاله فى هذه الآيه تعنى«النسيان»بقرينه قوله«فتذكر».

و فى الآيه تفاسير اخرى من ذلك.

إنّك كنت خامل الذكر غير معروف،و اللّه أنعم عليك من المواهب الفريده ممّا جعلك معروفا فى كلّ مكان.

و من هذه التفاسير،إنّك تهت و ضللت الطريق مرّات فى عهد الطفوله(مرّه فى شعاب مكّه حين كنت فى حمايه عبد المطلب،و مرّه حين كانت حليمه السعديه تأتى بك إلى مكّه لتسلمك إلى عبد المطلب فتهت فى الطريق.مرّه ثالثه حين كنت برفقه عمّك أبى طالب ضمن قافله متجهه إلى الشام فضللت الطريق فى ليله ظلماء و اللّه سبحانه هداك فى كلّ هذه المرات و أعادك إلى حضن جدّك أو عمّك).

و يذكر أنّ كلمه«ضال»تعنى«المفقود»و تعنى«التائه».ففى عباره:«الحكمه ضاله المؤمن»،الضاله تعنى الشىء المفقود.

و من ذلك جاءت هذه المفرده أيضا بمعنى المخفى و الغائب و لذا ورد فى الآيه(۱۰)من سوره السجده قوله تعالى على لسان منكرى المعاد: أَ إِذٰا ضَلَلْنٰا فِي اَلْأَرْضِ أَ إِنّٰا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ،أى ء إذا غبنا و اختفينا فى بطن الأرض.

و إذا كانت كلمه«ضالا»فى الآيه تعنى«المفقود»فلا يبرز إشكال فى الموضوع...و لكن إذا كانت بمعنى«التائه»فالمقصود منها عدم الاهتداء إلى طريق النبوّه و الرساله قبل البعثه،و بعباره اخرى لم يكن النّبى مالكا لشىء فى ذاته

الوجوديه،و ما كان عنده فمن اللّه،و بهذا المعنى يندفع كلّ إشكال أيضا.

وَ وَجَدَكَ عٰائِلاً فَأَغْنىٰ

(١)

.

لقد جعلناك تستأثر باهتمام«خديجه»هذه المرأه المخلصه الوفيه لتضع كلّ ثروتها تحت تصرفك و من أجل تحقيق أهدافك،و بعد ظهور الإسلام رزقك مغانم كثيره فى الحروب ساعدتك فى تحقيق أهدافك الرساليه الكبرى.

و

عن على بن موسى الرضا عليه السّلام فى تفسير هذه الآيات قال:

أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ

،قال:فردا لا مثيل فى المخلوقين،فآوى النّاس إليك. وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ أى ضاله فى قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك. وَ وَجَدَكَ عٰائِلاً ،تعول أقواما بالعلم فأغناهم بك» (٢) .

هذه الرّوايه تتحدث طبعا عن بطون الآيه،و إلاّ فإنّ ظاهرها هو ما ذكرناه.

و لا يتصورنّ أحد أنّ تفسير الآيات بظاهرها يحط من مكانه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أو يضفى عليه صفات سلبيه من قبل البارى تعالى،بل إنّها فى الواقع بيان ما أغدق اللّه على نبيه من ألطاف و إكرام و احترام،حين يتحدث المحبوب عن ألطافه بحق العاشق الواله،فإنّ حديثه هذا هو عين اللطف و المحبّه،و هو دليل على عنايته الخاصّه،و العاشق بسماعه هذه الألفاظ تسرى فى جسده روح جديده،و تصفو نفسه و يغمر قلبه سكينه و هدوء.

فى الآيات التاليه ثلاثه أوامر تصدر إلى الرسول باعتبارها نتيجه الآيات السابقه...و الخطاب،و إن كان متجها إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فإنّه يشمل أيضا كل المسلمين.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاٰ تَقْهَرْ

.

---

١ - ١) -«العائل»فى الأصل كثير العيال،و جاءت أيضا بمعنى الفقير،و هى فى الآيه بهذا المعنى،و يستفاد من كلام الراغب

أنّ(عـال) إذا كـانت أجوفـا يائيـا فهى بمعنى افتقر،و إن كـانت أجوفـا واويـا فبمعنى كثر عيـاله.(و لاـ نسـتبعد أن يكون المعنيـان متلازمين).

٢- ٢) -مجمع البيان،ج ١٠،ص ٥٠۶.

«تقهر»من القهر-كما يقول الراغب-الغلبه مع التحقير،و لكن تستعمل فى كل واحد من المعنيين،و معنى التحقير هنا هو المناسب.

و هـذا يـدل على أنّ هنـاك مسـأله أهم من الإطعـام و الإنفاق بشأن الأيتام،و هى اللطف بهم و العطف عليهم و إزاله إحساسـهم بالنقص العاطفى،و لذا

جاء فى الحديث المعروف عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعره تمرّ على يده نور يوم القيامه» (۱) .

كـأنّ اللّه يخـاطب نبيّه قائلاـ:لقـد كنت يتيمـا أيضـا و عـانيت من آلام اليتم،و الآن عليك أن تهتم بالأيتام كل اهتمام و أن تروى روحهم الظمأى بحبّك و عطفك.

وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ

.

«نهر»بمعنى ردّ بخشونه،و لا يستبعد أن تكون مشتركه فى المعنى مع«نهر» الماء،لأنّ النهر يدفع الماء بشدّه.

و فى معنى«السائل»عدّه تفاسير.

الأوّل:أنّه المتجه بالسؤال حول القضايا العلميه و العقائـديه و الـدينيه،و الدليل على ذلك هو أنّ هذا الأمر تفريع ممّا جاء فى الآيه السابقه: وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدىٰ ،فشـكر هـذه الهـدايه الإلهيه يقتضـى أن تسـعى أيّها النّبى فى هـدايه السائلين، و أن لا تطرد أى طالب للهدايه عنك.

و التّفسير الآخر:هو الفقير فى المال و المتاع،و الأمر يكون عندئذ ببذل الجهد فى هذا المجال،و بعدم ردّ هذا الفقير السائل يائسا.

و الثّـالث:أنّ المعنى يشـمل الفقير علميـا و الفقير ماديـا،و الأـمر بتلبيه احتياجـات السائـل فى المجـالين،و هـذا المعنى يتناسب مع الهدايه الإلهيه لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و مع إيوائه حين كان يتيما.

۱- ۱) -المصدر السابق.

و ذهب بعضهم إلى حصر معنى السائل فی طالب المعرفه العلميه،زاعما أنّ كلمه السائل لم ترد فی القرآن الكريم بمعنى طالب المال و المتاع (۱) ،بينما تكرر فی القرآن هذا المعنى كقوله تعالى: وَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (۲) و بهذا المعنى أيضا وردت فی المعارج-۲۵،و فی البقره-۷۷.

وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ

.

و الحديث عن النعمه قد يكون باللسان،و بتعابير تنمّ عن غايه الشكر و الامتنان،لا عن التفاخر و الغرور.و قد تكون بالعمل عن طريق الإنفاق من هذه النعمه فی سبيل اللّه،إنفاقا يبيّن مدى هذه النعمه.هذه هی خصله الإنسان السخی الكريم...يشكر اللّه على النعمه،و يقرن الشكر بالعمل،خلافا للسخفاء البخلاء الذين لا يكفون عن الشكوى و التأوه،و لا يكشفون عن نعمه و لو حصلوا على الدنيا و ما فيها،وجوههم يعلوها سيماء الفقر،و كلامهم مفعم بالتذمّر و الحسره، و عملهم يكشف عن فقر! بينما

روی عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إنّ اللّه تعالى إذا أنعم على عبد نعمه يحب أن يرى أثر النعمه عليه» (۳) من هنا يكون معنى الآيه:بيّن ما أغدق اللّه عليک من نعم بالقول و العمل، شكرا على ما أغناک اللّه إذ كنت عائلا.

بعض المفسّرين ذهب إلى أنّ النعمه فی الآيه هی النعمه المعنويه و منها النبوّه و القرآن،و الأمر للنبیّ بالإبلاغ و التبيين،و هذا هو المقصود من الحديث بالنعمه.

و يحتمل أيضا أن يكون المعنى شاملا للنعم الماديه و المعنويه،لذلک

ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فی تفسير هذه الآيه قوله:«حدث بما أعطاک

۱- ۱) -تفسير محمّد عبده،جزء عم،ص ۱۱۳.

۲- ۲) -الذاريات،الآيه ۱۹.

۳- ۳) -نهج الفصاحه،حديث ۶۸۳.

اللّه،و فضلک،و رزقک،و أحسن إلیک و هداک» (۱) .

و

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من اعطی خیرا فلم یر علیه،سمّی بغیض اللّه، معادیا لنعم اللّه» (۲) .

و

عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: «إنّ اللّه جمیل یحب الجمال، و یحب أن یری أثر النعمه علی عبده» (۳)

بحوث

اشاره

۱-القیاده المنطلقه من المعاناه و الآلام

الآیات الکریمه فی هذه السّوره،ضمن سردها النعم الإلهیه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،تعکس أیضا مسأله یتم النبیّ فی صباه،و ظروفه المادیه الصعبه التی عاناها،و الأتعاب و الآلام التی قاساها،و من بین هذه الآلام انطلق،و یجب أن یکون کذلک.

القائد الإلهی الإنسانی یجب أن یذوق مراره العیش،و یتلمس بنفسه الظروف القاسیه،و یشعر بکل وجوده الحرمان،کی یستطیع أن یتفهم صحیح ما تعانیه الفئات المحرومه،و یتحسّس آلام النّاس و معاناتهم فی معیشتهم.

یجب أن یفقد أباه فی صغره کی یشعر بآلام الأطفال الأیتام،و لا بدّ أن یبقی جائعا لأیّام و أن ینام عاصب البطن،کی یفهم بکل وجوده آلام الجیاع.

لذلک کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تغرورق عینه بالدموع حین یری یتیما،و کان یظمّ ذلک الیتیم

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۰۷.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۱۹۲،و قریب من هذا المعنی فی الکافی،ج ۶،کتاب الزی و التجمیل،حدیث ۲.

۳- ۳) -فروع الکافی،ج ۶،ص ۴۳۸.

إلى صدره و يداعبه بكل حراره.

يجب أن يتفهّم ما يعانيه مجتمعه من فقر ثقافى،كى يعتزّ بكل من يأتيه لطلب معرفه أو علم،و يستقبله بصدر رحب.

ليس النبىّ الخاتم وحده،بل قد يكون كلّ الأنبياء منطلقين من حياه المعاناه و الألم،و هكذا كلّ القاده الحقيقيين الناجحين كانوا كذلك...و يجب أن يكونوا كذلك.

من كان يرفل فى نعومه العيش،و فى الثراء و القصور،و كان ينال كلّ ما يريد، كيف يستطيع أن يدرك آلام المحرومين،و كيف يستطيع أن يتفهم معاناه الفقراء و البائسين ليهب لمساعدتهم؟!

فى حديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام: «ما بعث اللّه نبيّا قطّ حتى يسترعيه الغنم يعلّمه بذلك رعيه النّاس» (1) .

و فى رعى الغنم دروس فى تحمل الآلام،و فى الصبر أمام موجود ضعيف قليل الشعور،كما إنّه استلهام لدروس التوحيد و العرفان من خلال حياه الصحراء و العيش فى أحضان الطبيعه.

و فى روايه أنّ«موسى بن عمران»سأل ربّه عن سبب اختياره لمقام النبوّه، فجاءه الجواب:أتذكر يوما أنّ حملا قد فرّ من قطيع غنمك فتبعته حتى أخذته ثمّ قلت له:لماذا أتعبت نفسك،ثمّ حملته على كتفك،و جئت به إلى القطيع،و لذلك اخترتك راعيا لخلقى، و هذا يعنى أنّ اللّه تعالى رأى فى موسى قدره فائقه على التحمّل تجاه هذا الحيوان ممّا يدلّ على قوّه روحيه فائقه أهلته لهذه المنزله الكبيره.

1- 1) -بحار الأنوار،ج 11،ص 64:ح 7.

٢-الاهتمام بالأيتام

لا يخلو مجتمع من أيتام فقدوا الأب فى صغرهم،و هؤلاء الأطفال يجب أن يتمتعوا بحمايه من مختلف الجهات.

فمن الناحيه العاطفيه،يشعر هؤلاء بنقص،إذا لم يسدّ فإنّهم سيشبّون أفرادا غير سالمين،و كثيرا ما يكونون قساه مجرمين خطرين.و من الناحيه الإنسانيه يجب أن يعيش هؤلاء فى حمايه و رعايه كسائر أبناء المجتمع،أضف إلى ذلك يجب أن يشعر أفراد المجتمع بضمان مستقبل أبنائهم الذين قد يصابون باليتم فى يوم من الأيّام.

الأيتام قد يكونون أصحاب تركه ماليه يجب أن تصان بكلّ دقّه،و قد يكونون معدمين ماليا فيجب الاهتمام بهم من هذه الناحيه،و الآخرون يتحملون مسئوليه التعامل مع هؤلاء بكل اهتمام و رفق كى يزيلوا عنهم غبار عناء الوحده.

لذلك ركزت آيات القرآن الكريم و نصوص الشريعه الأخرى على هذه المسأله ذات البعد الأخلاقى و البعد الاجتماعى و الإنسانى.

و

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إنّ اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن، فيقول اللّه لملائكته يا ملائكتى من أبكى هذا اليتيم الذى غيب أبوه فى التراب؟ فتقول الملائكه:أنت أعلم،فيقول اللّه تعالى:«يا ملائكتى،فإنّى أشهدكم أن لمن أسكته و أرضاه أن أرضيه يوم القيامه» (١) .

و أكثر من ذلك

روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إذا بكى اليتيم وقعت دموعه فى كف الرحمن» (٢) .

و

روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنّه إذا اتقى اللّه عزّ و جلّ،

ص :٢٨۶

١- ١) -مجمع البيان،ج ١٠،ص ۵٠۶.

٢- ٢) -تفسير الفخر الرازى،ج ٣١،ص ٢١٩.

و أشار بالسبابه و الوسطى» (۱) .

و لأهميه هذه المسأله قرنها على أمير المؤمنين فى وصيته المعروفه بالصلاه و القرآن و

قال: «اللّه اللّه فى الأيتام فلا تغبّوا أفواههم و لا يضيعوا بحضرتكم» (۲) .

و

عن أحد الصحابه قال: كنّا جلوسا عند رسول اللّه فأتاه غلام فقال:غلام يتيم و أخت لى يتيمه،و أمّ لى أرمله،أطعمنا ممّا أطعمك اللّه، أعطاك اللّه ممّا عنده حتى ترضى،قال:ما أحسن ما قلت يا غلام،أذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحده و عشرين تمره،فقال:سبع لك و سبع لأختك و سبع لامّك،فقام إليه معاذ بن جبل فمسح رأسه و قال:جبر اللّه يتمك و جعلك خلفا من أبيك و كان من أبناء المهاجرين.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:رأيتك يا معاذ و ما صنعت.

قال:رحمته.

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لا يلى أحد منكم يتيما فيحسن ولايته،و وضع يده على رأسه إلاّ كتب اللّه له بكل شعره حسنه و محا عنه بكلّ شعره سيئه،و رفع له بكلّ شعره درجه» (۳) .

فى المجتمعات الكبيره مثل مجتمعاتنا اليوم،لا يمكن للمسلمين أن يكتفوا طبعا بالأعمال الفرديه،بل لا بدّ أن تتمركز القوى لرعايه الأيتام وفق برنامج اقتصادى و ثقافى و تعليمى مدروس،كى ينشأ هؤلاء الأيتام أفرادا لائقين للمجتمع الإسلامى.و هذا يتطلب تعاونا اجتماعيا عاما.

۳-التحدّث بالنعم

إظهار نعمه الربّ،حين يكون بدافع الشكر و الثناء،لا على سبيل التفاخر

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۹۷،ح ۲۳.

۲- ۲) -نهج البلاغه،قسم الرسائل،الرساله رقم ۴۷.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۰۶.

و الاستعلاء،يدفع الإنسان نحو التكامل على سلّم العبوديه،كما إنّ له أيضا آثارا اجتماعيه إيجابيه،و آثارا نفسيه تبعث على السكينه و الاستقرار.

الإنسان الذاكر لنعم ربّه لا يشتدّ عليه ضغط النواقص.إذا أصيب فى عضو من أعضاء بدنه يخفف عليه ألم الإصابه شكره على سلامه بقيه الأعضاء،و إذا فقد شيئا لا يجزع لأنّه شاكر على ما بقى عنده من امكانات.

هؤلاء الذاكرون لنعم اللّه لا يعتريهم يأس و قنوط فى الشدائد و الهزات،و لا يصيبهم قلق و اضطراب،قلوبهم هادئه و نفوسهم مطمئنه و قدرتهم على مواجهه المشاكل كبيره.

إلهى!نعمك أكثر من أن نحصيها و نتحدث بها،فلا تسلبها عنّا،بل زدها بكرمك.

ربّاه!نحن فى هذه الدنيا مغمورون ببحر كرمك فلا تحرمنا من عطائك يوم القيامه.

يا ربّ العالمين!وفقنا لأن نكون فى مساعده المحرومين مسارعين، و لحقوق الأيتام محافظين.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الضحى

سوره الشّرح

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ثمانی آیات

ص :۲۸۹

محتوى السّوره:

المعروف أنّ هذه السّوره نزلت بعد سوره«الضحى»و محتواها يؤيد ذلك، لأنّها تسرد أيضا قسما من الهبات الإلهيه لرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فى سوره«الضحى»عرض لثلاث هبات إلهيه بعضها ماديه و بعضها معنويه، و فى هذه السّوره ذكر لثلاث هبات أيضا غير أنّ جميعها معنويه،و تدور السّوره بشكل عام حول ثلاثه محاور.الأوّل:بيان النعم الثلاث،و الثّانى:تبشير النّبى بزوال العقبات أمام دعوته،و الثّالث:الترغيب فى عباده اللّه الواحد الأحد.

و لذلك ورد عن أهل البيت عليم السّلام ما يدلّ أنّ هاتين السّورتين سوره واحده كما ذكرنا،و وجب قراءتهما معا فى الصلاه لوجوب قراءه سوره كامله بعد الحمد.

و من أهل السنه من ذهب إلى ذلك أيضا،كما نقل الفخر الرازى عن طاوس و عمر بن عبد العزيز أنّهما يقرءانها معا فى الصلاه و يحذفان البسمله بينهما(حسب فتاوى فقهاء مذهب أهل البيت قراءه البسمله فى كليهما واجبه،و ما نقله المرحوم الطبرسى بشأن حذف بعض الفقهاء البسمله هنا لا يبدو صحيحا).

و الفخر الرازى بعد نقل آراء القائلين بوحده السّورتين،يرد عليهم مستدلا بالفرق الموجود بين السّورتين، ذلك لأن سوره و الضحى-فى رأيه-نزلت حين كان الرّسول متألما و مغتما لما ناله من أذى الكفار،بينما السّوره التاليه نزلت فى حاله انشراح الرّسول و ابتهاجه (1) .

١- ١) -تفسير الفخر الرازى،ج ٣٢،ص ٢.

و هـذا اسـتدلال غريب،فالسورتان كلاهما تتحدثان عمّا مضـى من حياه الرّسول،و كان ذلك حين تجاوز النّبى كثيرا من مشاكل الـدعوه،و حين أصـبح قلبه الطـاهر مفعمـا بالأمـل و السـرور.كلا السّورتين تتحـدثان عن الهبات الإلهيه و تـذكّران بأيّام المحن و الصعاب كى يكون ذلك تسليه لقلب الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تصعيدا للأمل فى نفسه.

على أى حال ارتباط محتوى السّورتين ارتباطا وثيقا أمر لا يقبل الشك، و هكذا الكلام فى سورتى الفيل و قريش كما سيأتى إن شاء اللّه.

بشأن مكان نزول السّوره،يتبيّن ممّا سبق أنّها نزلت فى مكّه،و لكن آيه:

وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ حدث بالبعض إلى الإعتقاد أنّها نزلت فى المدينه،حيث ارتفع ذكر النّبى و شاع صـيته فى كل مكان،و ليس هذا الدليل بقانع،لأنّ النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذاع صيته قبل الهجره رغم كل العقبات و المشاكل و كان الحديث عن دعوته على الألسن فى جميع المحافل،كما إنّ خبر الـدعوه انتشـر فى الحجاز عامّه و المـدينه خاصّه من خلال الوافـدين على مكّه فى موسم الحج.

فضيله السّوره:

ورد فى فضـيله هـذه السّوره عن النّبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنّه قال: «من قرأها أعطى من الأجر كمن لقى محمّـدا مغتما ففرّج عنه» (1) .

ص: ۲۹۲

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۰۷.

الآیات [سوره الشرح (۹۴): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (۱) وَ وَضَعْنٰا عَنْكَ وِزْرَكَ (۲) اَلَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (۳) وَ رَفَعْنٰا لَكَ ذِكْرَكَ (۴) فَإِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ يُسْراً (۵) إِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ يُسْراً (۶) فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (۷) وَ إِلىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (۸)

التّفسیر

اشاره

نعم إلهيه:

سياق الآيات ممزوج بالحب و الحنان و بألطاف ربّ العالمين لنبيّه الكريم.

أهم هبه إلهيه تشير إليها الآيه الاولى: أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ .

«الشرح»:فی الأصل-كما يقول الراغب-توسعه قطع اللحم بتحويلها إلى شرائح أرق.و«شرح الصدر»سعته بنور إلهی و بسكينه و اطمئنان من عند اللّه، و«شرح معضلات الحديث»التوسّع فيه و توضيح معانيه الخفيه،و«شرح الصدر» فی الآيه كنايه عن التوسعه فی فكر النّبی و روحه،و لهذه التوسعه مفهوم واسع،

ص :۲۹۳

تشـمل السـعه العلميه للنّبی عن طريق الوحی و الرساله،و تشمل أيضا توسعه قدره النّبی فی تحمله و استقامته أمام تعنت الأعداء و المعارضين.

و لذلک حين امر موسـی بن عمران عليه السّـلام بدعوه فرعون: اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ دعا ربّه و قال: رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی وَ يَسِّرْ لِی أَمْرِی (١) .

و فی موضع آخر يخـاطب اللّه نبيّه بقوله سبحانه: فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ وَ لاٰ تَکُنْ کَصٰاحِبِ الْحُوتِ (٢) أی لا تکن کيونس الذی ترک الصبر فوقع فی المشاکل و لاقی أنواع الإرهاق.

و شرح الصدر يقابله«ضيق الصدر»،کما فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ يَضِيقُ صَدْرُکَ بِمٰا يَقُولُونَ (٣) .

و لا يمکن أساسا لقائـد کبير أن يجابه العقبات دون سعه صـدر.و من کانت رسالته أعظم(کرساله النّبی الأکرم)کانت الضـروره لشـرح صـدره أکبر،..کی لاـ تزعزعه العواصف و لاـ تثنی عزمه الصـعاب و لا تبعث فی نفسه اليأس مکائـد الأعـداء،و لا يضـيق بالملتوی من الأسئله.و هذه کانت أعظم هبه إلهيه لرسول ربّ العالمين.

لذلک

روی عنه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: لقد سألت ربّی مسأله وددت أنّی لم أسأله.قلت:

أی ربّ إنّـه قـد کـان أنبياء قبلی منهـم مـن سـخرت لـه الريـح و منهـم مـن کـان يحی الموتی.قـال،فقـال:ألـم أجـدک يـتيما فآويتـک؟قـال:قلت:بلی. قـال:ألم أجـدک ضالا فهـديتک؟قال:قلت:بلی أی ربّ،قال:ألم أشـرح لک صـدرک و وضـعت عنک وزرک؟قال:قلت:بلی أی ربّ (۴) .

١- ١) -طه،الآيه ٢۵-٢۶.

٢- ٢) -القلم،الآيه ۴٨.

٣- ٣) -الحجر،الآيه ٩٧.

۴- ۴) -مجمع البيان،ج ١٠،ص ۵٠٨.

و هذا یعنی أنّ نعمه شرح الصدر تفوق معاجز الأنبیاء.و المتمعّن فی دراسه حیاه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و ما فیها من مظاهر تدل علی شرح عظیم لصدره تجاه الصعاب و المشاق یدرک بما لا یقبل الشک أن الأمر لم یتأت لرسول اللّه بشکل عادی،بل إنّه حتما تأیید إلهی ربّانی.

و قیل أنّ شرح الصدر إشاره لحادثه واجهت الرّسول فی طفولته حین نزلت علیه الملائکه فشقّت صدره و أخرجت قلبه و غسلته،و ملأته علما و حکمه و رأفه و رحمه. (۱)

المقصود طبعا من القلب فی هذه الرّوایه لیس القلب الجسمانی،بل إنّه کنایه و إشاره إلی الإمداد الإلهی من الجانب الروحی،و إلی تقویه إراده النّبی و تطهیره من کل نقص خلقی و وسوسه شیطانیه.

و لکن،علی أی حال،لا یتوفر عندنا دلیل علی أنّ الآیه الکریمه مختصه بالحادثه المذکوره،بل لها مفهوم واسع،و قد تکون هذه القصّه أحد مصادیقها.

و بسعه الصدر هذه اجتاز الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم العقبات و الحواجز و الصعاب علی أفضل وجه،و أدّی رسالته خیر أداء.

ثمّ یأتی ذکر الموهبه الثّانیه.

وَ وَضَعْنٰا عَنْکَ وِزْرَکَ

أی ألم نضع عنک الحمل الثقیل.

اَلَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ

.

«الوزر»بمعنی الثقل،و منها«الوزیر»الذی یحمل أعباء الدوله،و سمّیت الذنوب«وزرا»لأنّها تثقل کاهل صاحبها.

«انقض»من(النقض)أی حلّ عقده الحبل،أو فصل الأجزاء المتماسکه من البناء،و«الانتقاض»صوت انفصال اجزاء البناء عن بعضها،أو صوت فقرات

---

۱ – ۱) -تفسیر الدر المنثور(نقلا عن تفسیر المیزان،ج ۲۰،ص ۴۵۲)و تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۲،ص ۲.و هذه الرّوایه ذکرها البخاری و الترمذی و النسائی أیضا فی قصّه المعراج.

الظهر حين تنوء بعبء ثقيل.

و الكلمه تستعمل أيضا فى نكث العهود و عدم الالتزام بها،فيقال نقض عهده.

و الآيه تقول إذن،اللّه سبحانه وضع عنك أيّها النّبى ذلك الحمل الثقيل القاصم الظهر.

و أى حمل وضعه اللّه عن نبيّه؟القرائن فى الآيات تدل على أنّه مشاكل الرساله و النّبوّه و الدعوه إلى التوحيد و تطهير المجتمع من ألوان الفساد،و ليس نبىّ الإسلام وحده بل كلّ الأنبياء فى بدايه الدعوه واجهوا مثل هذه المشاكل الكبرى، و تغلبوا عليها بالإمداد الإلهى وحده،مع فارق فى الظروف،فبيئه الدعوه الإسلاميه كانت ذات عقبات أكبر و مشاكل...نزوله.

و قيل أيضا:أنّ«الوزر»يعنى ثقل«الوحى»فى بدايه نزوله.

و قيل:إنّه عناد المشركين و تعنتهم.

و قيل:إنّه أذاهم.

و قيل:إنّه الحزن الذى ألمّ بالنّبى لوفاه عمّه أبى طالب و زوجه خديجه.

و قيل:أيضا إنّه العصمه و إذهاب الرجس.

و الظاهر أنّ التّفسير الأوّل أنسب من غيره و التفاسير الأخرى تفريع من التّفسير الأوّل.

و فى الموهبه الثّالثه يقول سبحانه.

وَ رَفَعْنٰا لَكَ ذِكْرَكَ

فاسمك مع اسم الإسلام و القرآن قد ملأ الآفاق،و أكثر من ذلك اقترن اسمك باسم اللّه سبحانه فى الأذان يرفع صباح مساء على المآذن.و الشهاده برسالتك لا تنفك عن الشهاده بتوحيد اللّه فى الإقرار بالإسلام و قبول الدين الحنيف.

و أى فخر أكبر من هذا؟و أى منزله أسمى من هذه المنزله.

و

روى عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسير هذه الآيه قال: «قال لى جبرائيل قال اللّه

عزّ و جلّ:إذا ذكرت ذكرت معى». (و كفى بذلك منزله).

و التعبير بكلمه(لك)تأكيد على رفعه ذكر النبىّ رغم كل عداء المعادين و موانع الصّادين.

و قد ذكرنا أنّ هذه السّوره مكيّه،بينما الآيه الكريمه تتحدث عن انتشار الإسلام،و تجاوز عقبات الدعوه،و إزاله الأعباء التى كانت تثقل كاهل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ارتفاع ذكر النّبى فى الآفاق...و هذا ما حدث فى المدينه لا فى مكّه.

قيل:إنّ السّوره تبشّر النّبى بما سيلقاه فى المستقبل،و كان ذلك سببا لزوال الحزن و الهم من قلبه،و قيل أيضا:إنّ الفعل الماضى هنا يعنى المستقبل.

و لكن الحق أنّ قسما من هذه الأمور قد تحقق فى مكّه خاصّه فى أواخر السنين الثلاث عشره الاولى من الدعوه قبل الهجره،تغلغل الإيمان فى قلوب كثير من النّاس و خفّت وطأه المشاكل،و ذاع صيت النّبى فى كلّ مكان،و تهيأت الأجواء لانتصارات أكبر فى المستقبل.

شاعر النّبى«حسان بن ثابت»ضمّن معنى الآيه الكريمه فى أبيات جميله، و قال:

و ضمّ الإله اسم النّبى إلى اسمه

إذ قال فى الخمس المؤذن أشهد

و شقّ له من اسمه ليجلّه

فذو العرش«محمود»و هذا«محمّد»

الآيه التاليه تبشّر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأعظم بشرى،و تقول:

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

و يأتى التأكيد الآخر:

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

لا تغتمّ أيّها النّبى،فالمشاكل و العقبات لا تبقى على هذه الحاله،و دسائس الأعداء لن تستمر،و شظف العيش و فقر المسلمين سوف لا يظلّ على هذا المنوال.

الـذی یتحمـل الصـعاب،و یقـاوم العواصف سوف ینال یوما ثمار جهوده، و سـتخمد عربـده الأعـداء،و تحبط دسائسـهم،و یتمهّد طریق التقدم و التکامل و یتذلل طریق الحق.

بعض المفسّـرین ذهب إلی أنّ هـذه الآیـات تشـیر إلی فقر المسـلمین فی معیشـتهم خلال الفتره الاولی من الـدعوه،لکن المفهوم الواسع للآیـات یسـتوعب کـلّ ألوان المشاکل.أسـلوب الآیتین یجعلهما لا تختصان بشـخص النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و بزمـانه،بل بصوره قاعـده عامّه مسـتنبطه ممّا سـبق.و تبشّـر کلّ البشـریه المؤمنه المخلصه الکادحه،و تقول لها:کلّ عسـر إلی جانبه یسر،و لم ترد فی الآیه کلمه «بعد»بل«مع»للدلاله علی الاقتران.

نعم،کلّ معضله ممزوجه بالانفراج،و کلّ صعوبه بالیسر،و الاقتران قائم بین الإثنین أبدا.

و هذا الوعد الإلهی یغمر القلب نورا و صفاء.و یبعث فیه الأمل بالنصر،و یزیل غبار الیأس عن روح الإنسان (۱) .

و

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «و اعلم أنّ مع العسر یسرا،و أنّ مع الصبر النصر، و أنّ الفرج مع الکرب...». (۲)

و

روی أنّ امرأه شـکت زوجها لأمیر المؤمنین علی علیه السّلام،لعدم إنفاقه علیها، و کان الزوج معسرا فأبی علی أن یسجن الزوج و قال للمرأه:إنّ مع العسر یسرا (و دعاها إلی الصبر) (۳) .

فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ

أی إذا انتهیت من أداء أمر مهم فابدأ بمهمّه اخری،فلا

ص: ۲۹۸

۱- ۱) -ممّا ذکرنا یتّضـح أنّ الألف و اللام فی(العسـر)للجنس لا للعهد،و(یسـرا)وردت نکره،لکنّها تعنی الجنس أیضا،و تنکیرها فی مثل هذه المواضع للتعظیم.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۰۴،حدیث ۱۱،۱۳.

۳- ۳) -المصدر السابق.

مجال للبطاله و العطل.کن دائما فی سعی مستمر و مجاهده دائمه،و اجعل نهایه أیه مهمّه بدایه لمهمّه اخری.

وَ إِلیٰ رَبِّکَ فَارْغَبْ

،أی فاعتمد علی اللّه فی کلّ الأحوال.

اطلب رضاه،واسع لقربه.

الآیتان-حسب ما ذکرناه-لهما مفهوم واسع عام یقضـی بالبـدء بمهمّه جدیده بعد الفراغ من کلّ مهمّه.و بالتوجه نحو اللّه فی کلّ المساعی و الجهود،لکن أغلب المفسّرین ذکروا معانی محدده لهما یمکن أن یکون کلّ واحد منها مصداقا للآیتین.

قال جمع منهم:المقصود،إنّک إذا فرغت من فریضه الصلاه فادع اللّه و اطلب منه ما ترید.

أو:عند فراغک من الفرائض انهض لنافله اللیل.

أو:عند فراغک من امور الدنیا ابدأ بأمور الآخره و الصلاه و عباده الربّ.

أو:عند فراغک من الواجبات توجه إلی المستحبات التی حثّ علیها اللّه.

أو:عند فراغک من جهاد الأعداء انهض إلی العباده.

أو:عند فراغک من جهاد الأعداء ابدأ بجهاد النفس.

أو:عند انتهائک من أداء الرساله انهض لطلب الشفاعه.

الحاکم الحسکانی-عالم أهل السنه المعروف-روی عن الإمام الصادق علیه السّلام فی«شواهد التنزیل»فی تفسیر الآیه إنّها تعنی:«إذا فرغت فانصب علیّا بالولایه» (۱) .

القرطبی فی تفسیره روی عن بعضهم أنّ معنی الآیه:«إذا فرغت فانصب إماما یخلفک».(لکنّه ردّ هذا المعنی) (۲) .

۱- ۱) -شواهد التنزیل:ج ۲،ص ۳۴۹،الأحادیث ۱۱۱۶ إلی ۱۱۱۹.

۲- ۲) -القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۱۹۹.

موضوع«الفراغ»فی الآیه لم یذکر،و کلمه«فانصب»من النصب أی التعب و المشقّه،و لذلک فالآیه تبیّن أصلا عاما شاملا.و هدفها أن تحث النّبی باعتباره القدوه-علی عدم الخلود إلی الراحه بعد انتهائه من أمر هام.و تدعوه إلی السعی المستمر.

انطلاقا من هذا المعنی یتّضح أنّ التفاسیر المذکوره للآیه کلّها صحیحه،و لکن کل واحد منها یقتصر علی مصداق معین من هذا المعنی العام.

و ما أعظم العطاء التربوی لهذا الحثّ،و کم فیه من معانی التکامل و الإنتصار!! البطاله و الفراغ من عوامل الملل و الخمول و التقاعس و الاضمحلال.بل من عوامل الفساد و السقوط فی أنواع الذنوب غالبا.

و حسب الإحصائیات،مستوی الفساد عند عطله المؤسسات التعلیمیه یرتفع إلی سبعه أضعاف أحیانا.

و بإیجاز،هذه السّوره تبیّن بمجموعها عنایه ربّ العالمین الخاصّه للنّبی الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و تسلیه قلبه أمام المشاکل،و وعده بالنصر أمام عقبات الدعوه، و هی فی الوقت ذاته تحیی الأمل و الحرکه و الحیاه فی جمیع البشریه المهتدیه بهدی القرآن.

ملاحظتان

۱-الآیه الکریمه فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ تعنی-کما جاء فی روایات عدیده- نصب أمیر المؤمنین علی بالخلافه بعد الانتهاء من أمر الرساله(کمصداق من المفهوم العام للآیه).

«الآلوسی»فی«روح المعانی»بعد أن ینقل عن بعض«الإمامیه»هذا التّفسیر یقول:هؤلاء قرءوا«فانصب»بکسر الصاد.وهب أن قراءتها کذلک فلا تنهض أنّ

تکـون دلیلاـ علی نصب علی بـن أبی طـالب.ثمّ ینقــل عـن الزمخشـری فی الکشّـاف قـوله:لـو أمکـن للشـیعه مثـل هــذا التّفسیر،فالنواصب(أعداء علی)یمکنهم أن یفسّروا الآیه علی أنّها أمر بالنصب(ببغض علی) (۱) .

تری هل أنّ الشیعه بحاجه إلی تغییر قراءه الآیه کی یستدلوا بها علی ولایه علی؟!لا طبعا،بل هذه القراءه المعروفه تکفی للتفسیر المـذکور.لأنّها تقـول:إذا فرغـت مـن مهمّـه مثـل مهمّـه الرسـاله فابـدأ بمهمّه أخری کمهمّه الولاـیه،و هـذا مقبـول باعتبـاره أحد مصادیق.و نعلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-حسب حدیث الغدیر المعروف و أحادیث أخری منتشره فی الصحاح و المسانید-کان فی سعی مستمر هی هذا المجال.

و لکن المؤسف جدّا أنّ یدفع التعصب برجل عالم مثل«الزمخشـری»لأنّ یجیز لنفسه القول أنّ النواصب یمکنهم أن یفسّـروا الآیه أیضا علی أنّها أمر ببغض علی!! أی تعبیر رکیک هذا فی حق شـخص یؤمن به الزمخشری علی أنّه الخلیفه الرابع للمسلمین! حقّا إنّ مزالـق التعصب سیئه! ۲-العـالم المعتزلی المعروف«ابن أبی الحدیـد»یروی فی«شـرح نهـج البلاـغه»عن«الزبیر بن بکـار»و هو رجـل-کمـا یقول ابن أبی الحدیـد-غیر شـیعی و غیر خصم لمعـاویه،بل فارق علیّا و التحق بمعارضـیه-و الزبیر هنا یروی عن ابن «المغیره بن شـعبه»یقول:دخلت مع أبی علی معاویه،فکان أبی یأتیه،فیتحـدث معه،ثمّ ینصـرف إلیّ فیذکر معاویه و عقله،و یعجب بمـا یری منه،إذ جـاء ذات لیله، فأمسـک عن العشـاء،و رأیته مغتمّـا فـانتظر ساعه،و ظننت أنّه لأمر حـدث فینا، فقلت:ما لی أراک مغتمّا منذ اللیله؟فقال:یا بنی،جئت من عند أکفر النّاس

۱- ۱) -روح المعانی،ج ۳۰،ص ۱۷۲؛تفسیر الکشاف،ج ۴،ص ۷۷۲.

و أخبثهم،قلت:و ما ذاک؟قال:قلت له(لمعاویه)و قد خلوت به:إنّک قد بلغت سنایا أمیر المؤمنین،فلو أظهرت عدلا،و بسطت خیرا فإنّک قد کبرت،و لو نظرت إلی إخوتک من بنی هاشم،فوصلت أرحامهم،فو اللّه ما عندهم الیوم شیء تخافه، و إنّ ذلک ممّا یبقی لک ذکره و ثوابه،فقال:هیهات هیهات!أیّ ذکر أرجو بقاءه! ملک أخو تیم(أبو بکر)فعدل و فعل ما فعل،فما عدا أن هلک حتی هلک ذکره؛إلاّ أنّ یقول قائل:أبو بکر؛ثمّ ملک أخو عدیّ،فاجتهد و شمّر عشر سنین،فما عدا أن هلک حتی هلک ذکره؛إلاّ أن یقول قائل:عمر؛و إنّ ابن أبی کبشه(رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم) لیصاح به کلّ یوم خمس مرات:«أشهد أنّ محمّدا رسول اللّه»،فأیّ عمل یبقی؛ و أی ذکر یدوم بعد هذا لا أبا لک!لا و اللّه دفنا دفنا» (۱) .

لو أمعنا النظر فی هذه الرّوایه لعلمنا مدی المأساه التی حلّت بالمسلمین حتی تولی أمرهم البیت الأموی...و إنّا للّه و أنّا الیه راجعون.

إلهی!خلصنا من حبّ الذات،و اغمر قلوبنا بحبّک.

یا ربّ!لقد وعدت بالیسر حین یشتد العسر...فیسّر علی المسلمین و هم یعانون مؤامرات الأعداء و دسائس الطامعین یا اللّه!زد نعمک علینا و وفقنا لأن نکون من الشاکرین.

أمین یا ربّ العالمین نهایه سوره ألم نشرح

۱- ۱) -ابن أبی الحدید،شرح نهج البلاغه،ج ۵،ص ۱۲۹.

سوره التّین

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ثمانی آیات

ص :۳۰۳

محتوى السّوره و فضيلتها:

هـذه السّوره تـدور آياتهـا حول حسن خلقه الإنسان و مراحل تكامله و نموّه و انحطاطه.و تبـدأ بقسم عميق المعنى،تـذكر عوامل انتصار الإنسان و نجاته و تنتهى بالتأكيد على مسأله المعاد و حاكميه اللّه المطلقه.

و

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأها أعطاه اللّه خصلتين:العافيه و اليقين ما دام فى دار الدنيا،فإذا مات أعطاه اللّه من الأجر بعدد من قرأ هذه السّوره صيام يوم» (۱) .

هذه السّوره نزلت مكّه،و الآيه:(و هذا البلد الأمين)قسم بمكّه و دليل على مكّيه السّوره لاستعمال اسم الإشاره للقريب.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۱۰.

الآيات [سوره التين (۹۵): الآيات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلتِّينِ وَ اَلزَّيْتُونِ (۱) وَ طُورِ سِينِينَ (۲) وَ هٰذَا اَلْبَلَدِ اَلْأَمِينِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴) ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِينَ (۵) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمٰا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (۷) أَ لَيْسَ اَللّٰهُ بِأَحْكَمِ اَلْحٰاكِمِينَ (۸)

التّفسیر

تبدأ السّوره بالقسم أربع مرّات لبیان أمر مهم:

وَ التِّينِ،وَ الزَّيْتُونِ

.

وَ طُورِ سِينِينَ

(۱)

.

وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ

.

ص :۳۰۶

۱- ۱) -قیل إنّ«سینین»جمع«سینه»و هی شجره:و لما کان«طور»اسم جبل،فیکون القسم بالجبل المغطی بالأشجار،و قیل إن سینین اسم الأرض التی یرسو علیها ذلک الجبل.و قیل إنّه یعنی کثیر الخیر و البرکه،و جمیل،بلسان أهل الحبشه(روح المعانی، ج ۳۰،ص ۱۷۳).

اَلتِّینِ

و اَلزَّیْتُونِ ثمرتان معروفتان،و اختلف المفسّرون فی المقصود بالتین و بالزیتون،هل هما الفاکهتان المعروفتان أم شیء آخر.

بعضهم ذهب إلی أنّهما الفاکهتان بما لهما من خواص غذائیه و علاجیه کبیره.

و بعض آخر قال:المقصود منهما جبلان واقعان فی مدینتی«دمشق»و«بیت المقدس»لأنّ المکانین منبثق کثیر من الرسل و الأنبیاء...و بذلک ینسجم هذان القسمان مع ما یلیهما من قسمین بأراض مقدّسه.

و قال آخرون:إنّ تسمیه الجبلین بالتین و الزیتون یعود إلی وجود أشجار التین علی أحدهما و الزیتون علی الآخر.

و قال بعضهم:إنّ التین إشاره إلی عهد آدم،إذ أنّ آدم و حواء طفقا یضعان علی عوراتهما من ورق التین فی الجنّه،و الزیتون إشاره إلی عهد نوح لأنّه اطلق فی آخر مراحل الطوفان حمامه فعادت و هی تحمل غصن الزیتون،ففهم نوح علیه السّلام أن الأرض بدأت تبتلع ماءها و ظهرت الیابسه.(لذلک اتخذ غصن الزیتون رمزا للسلام).

و قیل:إنّ التین إشاره إلی مسجد نوح الذی بنی فوق جبل الجودی. و الزیتون إشاره إلی بیت المقدّس.

ظاهر الآیه یدلّ علی أنّ المقصود هو الفاکهتان المعروفتان،و لکن القسمین التالیین یجعلان تفسیر التین و الزیتون بالجبلین أو المرکزین المقدسین أنسب.

طُورِ سِینِینَ

قیل هو:طور سیناء،و هو الجبل المعروف فی صحراء سیناء حیث أشجار الزیتون المثمره،و حیث ذهب موسی لمناجاه ربّه،و«سیناء»تعنی المبارک،أو کثیر الأشجار،أو الجمیل.

و قیل:إنّه جبل قرب الکوفه فی أرض النجف.

و قیل:إنّ سینین و سیناء بمعنی واحد و هو کثیر البرکه.

وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ

(۱)

،و البلد الأمين مكّه،الأرض التی كانت فی عصر الجاهليه أيضا بلدا آمنا و حرما إليها،و لا يحق لأحد فيها أن يتعرض لأحد، المجرمون و القتله كانوا فی أمان إن وصلوا إليها أيضا.

هذه الأرض لها فی الإسلام أهميه عظمی،الحيوانات و النباتات و الطيور فيها آمنه فما بالك بالإنسان.

و يذكر أنّ كلمه«التين»وردت فی هذا الموضع من القرآن فقط،بينما كلمه الزيتون تكررت فی سته مواضع باللفظ و فی موضع بالإشاره حيث يقول سبحانه:

وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنٰاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ

(۲)

و هی شجره الزيتون.

إذا حملنا كلمتی«التين»و«الزيتون»علی معناهما الظاهر الابتدائی،فالقسم بها ذو دلاله عميقه أيضا.

«التين»فاكهه ذات مواد غذائيه ثرّه،و لقمه مغذيه و مقويه لمختلف الأعمار، و خاليه من القشر و النواه و الزوائد.

علماء الأغذيه يقولون:

يمكن الاستفاده من التين كسكّر طبيعی للأطفال و يمكن للرياضيين و لمن يعانون ضعف الشيخوخه أن يستفيدوا من التين للتغذيه.

يقال إنّ أفلاطون كان يحبّ التين إلی درجه اطلق بعضهم علی هذه الفاكهه اسم محبوب الفلاسفه،و سقراط كان يری فی التين عاملا علی جذب المواد النافعه و رفع المواد الضاره.

جالينوس كان قد وضع نظام تغذيه خاص للأبطال من التين،و كان الرومان و اليونان القدماء يغذون أبطالهم بالتين.

۱- ۱) -«الأمين»علی وزن فعيل بمعنی فاعل أی«ذو الأمانه»أو بمعنی مفعول أی الأرض المأمونه لسكنتها.

۲- ۲) -المؤمنون،الآيه ۲۰.

علماء التغذيه يقولون:التين ملیء بالفيتامينات المختلفه و السكر،و يمكن الاستفاده منه لعلاج كثير من الأمراض،و حين تخلط نسب متساويه من التين و العسل يكون الخليط مفيدا لقرحه المعده،و تناول التين اليابس يقوى الفكر، و بإيجاز التين،لما فيه من عناصر معدنيه تؤدى إلى تعادل قوى البدن و الدم،يعتبر غذاء لمختلف الأعمار و الظروف.

و

روى عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام قال: «التين يذهب بالبخر و يشدّ الفم و العظم،و ينبت الشعر،و يذهب بالداء،و لا يحتاج معه إلى دواء».

و

قال عليه السّلام: «التين أشبه شیء بنبات الجنّه» (۱) .

و حول الزيتون،فإنّ العلماء الذين قضوا عمرهم فی دراسه خواص النباتات يعيرون أهميه بالغه للزيتون و زيته.و يعتقدون أنّ الفرد إن أراد أن يعيش فی سلامه دائمه فلا بدّ له أن يستفيد من هذا الأكسير الحياتی.

زيت الزيتون صديق حميم لكبد الإنسان،و له تأثير فعّال فی معالجه عوارض الكلی، و حصی الصفراء،و التشنجات الكليويه و الكبديه،و إزاله الإمساك.

و لذلك ورد ذكر شجره الزيتون فی القرآن الكريم بعباره: شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ .

و زيت الزيتون مفعم أيضا بأنواع الفيتامينات و فيه الفوسفور و الكبريت و الكلسيوم و الحديد و البوتاسيوم و المنغنيز.

الضمادات التی تحضّر من زيت الزيتون و الثوم مفيده لأنواع الآلام الروماتيسميه،و حصی كيس الصفراء تزول بتناول زيت الزيتون (۲) .

و

روى عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «ما أفقر بيت يأتدمون بالخل و الزيت

ص :۳۰۹

۱- ۱) -الكافی،ج ۶،ص ۳۵۸.و أورده العلّامه المجلسی فی بحار الأنوار،ج ۶۶،ص ۱۸۴ روايات متعدده فی حقل خواص التين، و المعلومات العلميه عن هذه الفاكهه منقوله عن كتاب«أوّل جامعه و آخر رسول»(فارسى)،ج ۹،ص ۹۰ و ما بعدها.
۲- ۲) -أول جامعه و آخر رسول،ج ۹،ص ۱۳۰ و ما بعدها.

و ذلک أدام الأنبیاء» (۱) ، و الزیت هو زیت الزیتون.

و

عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام قال: «نعم الطعام الزیت،یطیب النکهه، و یذهب بالبلغم،و یصفی اللون،و یشدّ العصب،و یذهب بالوصب(المرض و الألم و الضعف)و یطفئ الغضب». (۲)

و مسک الختام

حدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی هذا المجال قال: «کلوا الزیت و ادهنوا به فإنّه من شجره مبارکه» (۳) .

ثمّ یأتی جواب القسم.

لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ

.

«تقویم»یعنی تسویه الشیء بصوره مناسبه،و نظام معتدل و کیفیه لائقه،و سعه مفهوم الآیه یشیر إلی أنّ اللّه سبحانه خلق الإنسان بشکل متوازن لائق من کلّ الجهات،الجسمیه و الروحیه و العقلیه،إذ جعل فیه ألوان الکفاءات،و أعدّه لتسلق سلّم السموّ،و هو-و إن کان جرما صغیرا-وضع فیه العالم الأکبر،و منحه من الکفاءات و الطاقات ما جعله لائقا لوسام: وَ لَقَدْ کَرَّمْنٰا بَنِی آدَمَ (۴) ،و هذا الإنسان هو الذی یقول فیه اللّه سبحانه بعد ذکر انتهاء خلقته: فَتَبٰارَکَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِینَ و هذا الإنسان بکل ما فیه من امتیازات،یهبط حین ینحرف عن مسیره اللّه إلی«أسفل سافلین».

لذلک تقول الآیه التالیه:

ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِینَ

.

یقال إن قمم الجبال الشماء إلی جانبها دائما و دیان عمیقه.و إزاء منحنیات

ص: ۳۱۰

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۶۶،ص ۱۸۰،حدیث ۶.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۱۸۳،حدیث ۲۲.

۳- ۳) -المصدر السابق،ج ۱۸۲،حدیث ۱۶.

۴- ۴) -الإسراء،الآیه ۷۰.

الصعود فی التکامل الإنسانی توجد منحنیات نزول فظیعه،و لم لا یکون کذلک و هو الموجود الملیء بالکفاءات الثرّه التی إن سخرها علی طریق الصلاح یبلغ أسمی قمم الفخر و إن استعملها علی طریق الفساد یخلق أکبر مفسده،و ینزلق طبعا إلی«أسفل سافلین».

و لکن الآیه التالیه تقول:

إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ

.

«ممنون»:من«المن»و تعنی هنا القطع أو النقص،من هنا فالأجر غیر مقطوع و لا منقوص،و قیل:إنّه خال من المنّه،لکن المعنی الأوّل أنسب.

قیل:إنّ قوله: ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِینَ تعنی ضعف الجسم و الذاکره فی شیخوخه الإنسان،و لکن هذا التّفسیر لا ینسجم مع الاستثناء المذکور فی الآیه التالیه،و لذلک نختار التّفسیر الأوّل.

الآیه التالیه تخاطب هذا الإنسان الکافر بأنعم ربّه و المعرض عن دلائل المعاد و تقول له: فَما یُکَذِّبُکَ بَعْدُ بِالدِّینِ .

ترکیب وجودک من جهه،و بنیان هذا العالم الواسع من جهه اخری یؤکّدان أن هذه الحیاه الخاطفه لا یمکن أن تکون الهدف النهائی من خلقتک و خلقه هذا العالم الکبیر.

هذه کلّها مقدمات لعالم أوسع و أکمل،و بالتعبیر القرآنی،هذه«النشأه» الاولی»تنبئ عن«النشأه الاخری»،فلم لا یتذکر الإنسان؟! وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولی فَلَوْ لا تَذَکَّرُونَ . (۱)

عالم النبات کلّ عام یجسّد مشهد الموت و البعث أمام عین الإنسان،و تطور الجنین خلقا بعد خلق،إنّما هو فی کلّ خلق معاد و حیاه جدیده،فکیف-مع کلّ

۱- ۱) -راجع أدله المعاد فی تفسیر سوره الواقعه.

هذا-ينكر يوم الجزاء؟! ممّا تقدم يتّضح أنّ المخاطب فی الآیه هذا النوع من الأفراد.

و قیل:إنّ المخاطب شخص النّبی،و المقصود من الآیه هو:مع وجود أدله المعاد،أی شخص أو أی شیء یستطیع تکذیبک،و هذا التّفسیر یبدو بعیدا.

و اتضح أیضا أنّ المقصود من«الدین»لیس هو الشریعه بل هو یوم الجزاء، الآیه التالیه تؤید ذلک.

أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمِ الْحٰاكِمِينَ

.

هذا سؤال یستهدف حثّ الإنسان علی الاعتراف بأنّه سبحانه أحکم الحاکمین فی صنائعه و أفعاله،فکیف یترک هذه الخلائق فلا یجازیهم.

و

روی عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه حین کان یقرأ سوره التین،و یتلو قوله سبحانه:

أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمِ الْحٰاكِمِينَ

یقول:«بلی و أنا علی ذلک من الشاهدین» (۱) .

یا ربّ!نشهد نحن أیضا أنّک أحکم الحاکمین.

ربّنا!لقد خلقتنا فی أحسن تقویم،فوفقنا لأن تکون أعمالنا و أخلاقنا فی أحسن وجه.

إلهنا!یسّر لنا طریق الإیمان و الصالح بلطفک و رحمتک.

أمین یا ربّ العالمین نهایه سوره التین

ص :۳۱۲

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۱۲.

سوره العلق

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها تسع عشره آیه

ص :۳۱۳

محتوى السّوره:

المشـهور بين المفسّرين أنّها أوّل ما نزل من القرآن،و محتواها يؤيد ذلك أيضا،و قال آخرون إنّ أوّل ما نزل سوره«الحمّد»و قيل سوره«المدثر»و هو خلاف المشهور.

هذه السّوره تبدأ بأن تأمر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقراءه.ثمّ تتحدث عن خلقه الإنسان بكل عظمته من قطعه دم تافهه.

و فى المرحله التاليه تتحدث السّوره عن تكامل الإنسان فى ظل لطف اللّه و كرمه،و عن تعليمه و تمكينه من القلم.

ثمّ تتطرق إلى طغيان الإنسان رغم كلّ ما توفرت له من هبات إلهيه و إكرام ربّانى.

و تشير بعد ذلك إلى ما ينتظر أولئك الصادين عن طريق الهدايه و المانعين لأعمال الخير من عقاب.

و فى ختام السّوره أمر بالسجود و الاقتراب من ربّ العالمين.

فضيله السّوره:

روى فى فضيله هذه السّوره عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «من

قرأ فی یومه أو لیلته اقرأ باسم ربّک ثمّ مات فی یومه أو لیلته مات شـهیدا و بعثه اللّه شـهیدا،و أحیاه کمن ضرب بسیفه فی سبیل اللّه مع رسول اللّه».

هذه السّوره المبارکه سمّیت سوره«العلق»و«اقرأ»و«القلم»لمناسبه هذه الکلمات فیها (۱) .

ص: ۳۱۶

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۷۸.

الآيات [سوره العلق (۹۶): الآيات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ اَلَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ اَلْأَکْرَمُ (۳) اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ اَلْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ یَعْلَمْ (۵)

سبب النّزول

ذکرنا أنّ أکثر المفسّرین یذهبون إلی أنّ هذه السّوره أوّل ما نزل من القرآن، و قیل إنّ المفسّرین یجمعون علی نزول الآیات الخمس الأوائل فی بدایه نزول الوحی علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و مضمون الآیات یؤید ذلک.

و جاء فی الرّوایات أن محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان فی غار حراء حین نزل علیه جبرائیل و قال له:اقرأ یا محمّد.قال:ما أنا بقارئ،فاحتضنه جبرائیل و ضغطه و قال له:اقرأ یا محمّد و تکرر الجواب.ثمّ أعاد جبرائیل عمله ثانیه و سمع نفس الجواب.و فی المرّه الثّالثه قال: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ... إلی آخر الآیات الخمس الأوّل من السّوره.

قال ذلک و اختفی عن أنظار النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

رسول اللّه أحسّ بتعب شدید بعد هبوط أولی أشعه الوحی علیه فذهب إلی

خدیجه و

قال: «زملونی و دثرونی» (۱) .

«الطبرسی»فی مجمع البیان یروی عن الحاکم النیسابوری قصّه أوّل نزول الوحی ما ینبئ أنّ سوره الحمد کانت أوّل ما نزل علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول:إنّ رسول اللّه قال لخدیجه إنّی إذا خلوت وحدی سمعت نداء.فقالت:ما یفعل اللّه بک إلاّ خیرا، فو اللّه إنّک لتؤدی الأمانه و تصل الرحم و تصدق الحدیث،قالت خدیجه:

فانطلقنا إلی ورقه بن نوفل و هو ابن عمّ خدیجه فأخبره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بما رأی، فقال له ورقه:إذا أتاک فاثبت له حتی تسمع ما یقول ثمّ ایتنی فأخبرنی،فلمّا خلا ناداه یا محمّد:قل بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ، اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ... حتی بلغ و لا الضّالین،قل لا إله إلاّ اللّه،فأتی ورقه فذکر له ذلک،فقال له:أبشر ثمّ أبشر،فأنا أشهد أنّک الذی بشر به ابن مریم،و إنّک علی مثل ناموس موسی،و إنّک نبیّ مرسل، و إنّک سوف تؤمر بالجهاد بعد یومک هذا،و لئن أدرکنی ذلک لأجاهدنّ معک،فلمّا توفی ورقه،قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«لقد رأیت القس فی الجنّه علیه ثیاب الحریر لأنّه آمن بی و صدّقنی» (۲) .

جدیر بالذکر أنّ فی بعض کتب التّفسیر و التاریخ کلاما حول حیاه الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فی هذه البرهه الزمنیه لا تتناسب أبدا مع شخصیه النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و تستند حتما إلی أحادیث مختلفه أو إلی إسرائیلیات،من ذلک أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اغتم کثیرا لدی نزول الوحی علیه أوّل مرّه،و خشی أن یکون إلقاءات شیطانیه!و من ذلک أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم همّ مرّات أن یلقی بنفسه من أعلی الجبل!و أمثال هذه الخزعبلات التی لا تنسجم إطلاقا مع ما ذکرته کتب السیره حول ما یتمتع به الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من رجاحه فی العقل، و ضبط کبیر فی النفس،و صبر وسعه صدر،و ثقه بالدور الکبیر

۱- ۱) -التّفسیر الکبیر،ج ۱۲،ص ۹۶(بتلخیص قلیل)،و هذا المعنی أورده کثیر من المفسّرین بإضافات و زوائد لا یمکن قبول بعضها.

۲- ۲) -تفسیر مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۱۴.

الذی ینتظره.

و یبدو أنّ أعداء الإسلام دسّوا هذه الرّوایات للطعن فی الإسلام و للحط من شخصیه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

التّفسیر

اشاره

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ

الآیه الاولی فیها خطاب للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تقول له:

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ

(۱)

،قیل إنّ مفعول اقرأ محذوف و تقدیره:اقرأ القرآن باسم ربّک،و استدلّ بعضهم بهذه الآیه علی أنّ البسمله جزء من سور القرآن (۲) .

و قیل:إنّ الباء هنا زائده،أی اقرأ اسم ربّک،و هذا بعید لأنّ المناسب و هذه الحاله أن یقال اذکر اسم ربّک لا اقرأ...

و یلاحظ هنا قبل کلّ شیء الترکیز علی مسأله الربوبیه،و نعلم أنّ«الربّ» یعنی«المالک المصلح»،أی الشخص الذی یملک شیئا،و یتعهد إصلاحه و تربیته أیضا.

و لإثبات ربوبیه اللّه جاء ذکر الخلقه... خلقه الکون،إذ إن أفضل دلیل علی ربوبیته خالقیته،فالذی یدبّر العالم هو خالقه.

و هذا فی الحقیقه ردّ علی مشرکی العرب الذین قبلوا خالقیه اللّه،و أو کلوا الربوبیه و التدبیر إلی الأوثان،ثمّ إنّ ربوبیه اللّه و تدبیره لنظام الکون أفضل دلیل علی إثبات ذاته المقدسه.

۱- ۱) -الراغب فی المفردات یقول:إنّ القراءه تعنی ضم الحروف و الکلمات إلی بعضها.و لذلک لا یقال لنطق الحرف قراءه.

۲- ۲) -الباء فی هذه الحاله للملابسه.

ثمّ اختارت الآيه التاليه«الإنسان»باعتباره أهم مظاهر الخليقه و قالت:

خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ

.

«العلق»فى الأصل الالتصاق بشىء،و لذلك سمّى الدم المنعقد المتلاصق، و هكذا الحيوان الذى يلتصق بالجسم لمصّ الدم،ب«العلق»و النطفه بعد أن تطوى المراحل الجنينيه الاولى تتحول إلى قطعه دم متلاصقه هى العلق،و هى مع تفاهتها الظاهريه تعتبر مبدأ خلقه الإنسان،و الآيه تركز على هذه الظاهره لتبيّن قدره الرّب العظيمه على خلق هذا الإنسان العجيب من هذه العلقه التافهه.

و قيل:إنّ العلق فى الآيه يعنى الطين الذى خلق منه آدم،و هو أيضا ماده متلاصقه،و بديهى أنّ الرّب الذى خلق آدم من طين لازب يستحق كلّ تمجيد و ثناء.

و قيل أيضا:أنّ العلق يعنى«صاحب العلاقه»،و فيه إشاره إلى الروح الاجتماعيه للإنسان،و العلاقه الموجوده بين أفراد البشر هى فى الواقع أساس تكامل البشر و تطور الحضارات.

و قال آخرون:إنّ العلق إشاره إلى نطفه الرجل(الحيمن)،و هى تشبه دوده العلق إلى حدّ كبير،و هذا الموجود المجهرى يسبح فى ماء النطفه،و يتجه إلى بويضه المرأه فى الرحم،و يلقحها و يكون منها النطفه الكامله للإنسان.

و القرآن الكريم بطرحه هذه المسأله يسجل معجزه علميه اخرى من معاجزه، إذ لم تكن هذه الأمور معروفه أبدا فى عصر نزوله.

و من بين التفاسير الأربعه،يبدو أنّ التّفسير الأوّل أوضح،و إن كان الجمع بين التّفاسير الأربعه ممكن أيضا.

ممّا تقدم نفهم أنّ«الإنسان»فى الآيه هو آدم حسب أحد التّفاسير و هو مطلق الإنسان حسب التفاسير الثلاثه الاخرى.

و للتأكيد،تقول الآيه مرّه اخرى:

اِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ

(١)

.

قيل:إنّ«اقرأ»فى هذه الآيه تأكيد لإقرأ فى الآيه السابقه،و قيل:إنّها تختلف عن الآيه الاولى،فالاولى قراءه النبىّ لنفسه،و فى الثّانيه القراءه للناس غير أنّ الرأى الأوّل أنسب،إذ لا يوجد دليل على اختلاف الإثنين.

و هذه الآيه فى الواقع جواب على

قول الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لجبرائيل: ما أنا بقارئ، و هذه الآيه تقول:إنّك قادر على القراءه بكرم الرّب و فضله و منّه.

ثمّ تصف الآيتان التاليتان الربّ الأكرم:

اَلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

.

عَلَّمَ الْإِنْسانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ

.

و هاتان الآيتان أيضا تتجهان إلى الجواب على

قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما أنا بقارئ، أى إنّ اللّه الذى علم البشر بالقلم و كشف لهم المجاهيل،قادر على أن يعلم عبده الأمين القراءه و التلاوه.

جمله اَلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ تحتمل معنيين.

الأوّل:أنّ اللّه علم الإنسان الكتابه،و أعطاه هذه القدره العظيمه التى هى منبثق تاريخ البشر،و منطلق جميع العلوم و الفنون و الحضارات.

و الثّانى:المقصود أنّ اللّه علم الإنسان جميع العلوم عن طريق القلم و بوسيله الكتابه.

و بإيجاز إمّا أن يكون التعليم،تعليم الكتابه،أو تعليم العلوم عن طريق الكتابه.

و هو-على أى حال-تعبير عميق المعنى فى تلك اللحظات الحساسه من

ص:۳۲۱

۱- ۱) -جمله«و ربّک الأکرم»جمله استئنافيه مکونه من مبتدأ و خبر.

بدایه نزول الوحی

بحثان

اشاره

۱-بدایه نزول الوحی مقرون ببدایه حرکه علمیه

هـذه الآیـات کمـا ذکرنـا هی أوّل مـا نزل علی رسـول اللّـه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم علی مـا ذهب إلیه أغلب المفسّرین أو جمیعهم،و بـذلک بـدأ فصـل جدیـد فی تاریـخ البشـریه،و أضـحت الإنسانیه مشـموله بأعظم الألطاف الإلهیه و بأکمل الأدیان و خاتمها.و استمرّ نزول الوحی حتی اکتمل التشریع الإلهی بمصداق قوله سبحانه:

اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلاٰمَ دِیناً

(۱)

،و بذلک أتمّ اللّه نعمته علی الأجیال البشریه المتعاقبه حتی یرث اللّه الأرض و من علیها.

و المهـمّ فی الأـمر أنّ هـذه الآیـات نزلـت علی نـبیّ امی لـم یتعلم القراءه و الکتـابه و فی بیئه اجتمـاعیه تسودهـا الاـمیه و الجهل لتتحـدث أوّل مـا تتحـدث عـن العلـم و عـن القلـم مباشـره بعـد ذکر نعمـه الخلـق! هـذه الآیـات تتحـدث فی الواقـع أوّلاـ عن تکامل«جسم»الإنسان من موجود تافه هو«العلقه»،ثمّ عن تکامل«روحه»بواسطه التعلیم و التعلّم خاصّه عن طریق القلم.

حین نزلت هذه الآیات لم تکن بیئه الحجاز وحدها بل کان العالم المتحضر فی ذلک العصر أیضا لا یعیر أهمیه تذکر للقلم.

۱- ۱) -المائده،الآیه ۳.

أمّا اليوم فإنّنا نعلم أنّ القلم محور كل الحضارات و العلوم،و كلّ تقدم فى أى مجال من المجالات،و نعلم تفوق أهميه«مداد العلماء»على«دماء الشهداء»،لأنّ هذا المداد هو الذى يكون الأساس القويم لدماء الشهداء و السند المتين له.

و لا نكون مغالين إذا قلنا أنّ مصير المجتمعات البشريه مرتبط بما تفرزه الأقلام.

إصلاح المجتمعات البشريه يبدأ من الأقلام الملتزمه المؤمنه،و فساد المجتمعات أيضا ينطلق من الأقلام المسمومه.

و لأهميه القلم يقسم القرآن به و بما يفرزه، أى بآله الكتابه و بمحصولها: ن وَ الْقَلَمِ وَ مٰا يَسْطُرُونَ (١) .

نعلم أنّ حياه البشريه تقسم على مرحلتين:

عصر التاريخ.

و عصر ما قبل التاريخ.

و عصر التاريخ يبدأ من استعمال القلم و الكتابه و القراءه...من زمن اقتدار الإنسان على أن يكتب بالقلم،و أن يخلف تراثا للأجيال،من هنا فتاريخ البشريه مقرون بتاريخ ظهور القلم و الخط.

و حول دور القلم فى حياه البشريه كان لنا وقفه طويله فى بدايه تفسير سوره القلم.

من هنا فإنّ أساس الإسلام أقيم منذ البدايه على أساس العلم و القلم...و لذلك استطاع قوم متخلفون أن يتقدموا فى العلم و المعرفه حتى تأهّلوا-باعتراف الأعداء و الأصدقاء-لتصدير علومهم إلى العالم!إن علم المسلمين و معارفهم هو الذى مزّق ظلام القرون الوسطى فى أوروبا و أدخلها عصر الحضاره.و هذا ما

١- ١) -القلم،الآيه ١.

يعترف به علماء أوروبا أنفسهم فيما كتبوه فى حقل تاريخ الحضاره الإسلاميه و فى تراث الإسلام.

و ما أبشع و أفظع أن تكون أخلاق أمّه كتلك تمتلك بين ظهرانيها دينا كهذا متخلفه فى ميادين العلم و المعرفه و محتاجه إلى الآخرين بل و تابعه لهم!!

۲-باسم اللّه فى كلّ حال

بدأت دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باسم اللّه و ذكره: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ .

و استمرت حياه الرّسول مقرونه فى كلّ حال بذكر اللّه...اقترن الذكر بأنفاسه...بقيامه...بجلوسه...بنومه...بمشيه...بركوبه...بترجله...بتوقفه...كان كلّه باسم اللّه.

عند ما كان يستيقظ يقول:«الحمد للّه الذى أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور».

يقول ابن عباس: بتّ ليله مع النّبى،و عند ما استيقظ رفع رأسه إلى السماء، و تلا الآيات العشر الأخيره من سوره آل عمران: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ... ثمّ قال:«اللّهم لك الحمد أنت نور السماوات و الأرض و من فيهنّ...اللّهم لك أسلمت و بك آمنت و عليك توكلت و إليك أنبت...».

حين كان يخرج من البيت يقول:«بسم اللّه،توكلت على اللّه،اللّهم إنّى أعوذ بك أن أضلّ،أو أضل،أو أزل،أو أظلم أو أظلم،أو أجهل،أو يجهل علىّ».

و حين يرد المسجد يقول:«أعوذ باللّه العظيم و بوجهه الكريم و سلطانه القديم من الشيطان الرجيم».

و حين يرتدى لباسا جديدا يقول:«اللّهم لك الحمد أنت كسوتنيه،أسألك خيره و خير ما صنع له و أعوذ بك من شرّه و شرّ ما صنع له».

ص :۳۲۴

و حین یعود إلی المنزل یقول:«الحمد للّه الذی کفانی و أوانی،و الحمد للّه الذی أطعمنی و سقانی».

و بذلک فإنّ حیاه الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بکل مرافقها کانت مقرونه بذکر اللّه و اسمه الکریم. (۱)

۱- ۱) -فی ظلال القرآن،ج ۸،ص ۶۱۹ و ما یلیها بتلخیص.

الآیات [سوره العلق (٩۶): الآیات ۶ الی ١۴]

اشاره

کَلاّ إِنَّ اَلْإِنْسانَ لَیَطْغی (۶) أَنْ رَآهُ اِسْتَغْنی (٧) إِنَّ إِلی رَبِّکَ اَلرُّجْعی (٨) أَ رَأَیْتَ اَلَّذِی یَنْهی (٩) عَبْداً إِذا صَلّی (١٠) أَ رَأَیْتَ إِنْ کانَ عَلَی اَلْهُدی (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوی (١٢) أَ رَأَیْتَ إِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّی (١٣) أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اَللّهَ یَری (١۴)

التّفسیر

اشاره

سبب الطغیان:

استتباعا للآیات السابقه التی تحدثت عن النعم المادیه و المعنویه الإلهیه علی الإنسان...و النعم التی تستلزم شکر الإنسان و تسلیمه أمام اللّه،هذه الآیات تبدأ بالقول:لیست نعم اللّه تحیی روح الشکر فی الإنسان دائما،بل إنّه یطغی:

کَلاّ إِنَّ اَلْإِنْسانَ لَیَطْغی

(١)

و متی یکون ذلک؟فیما لو رأی نفسه مستغنیا و غیر محتاج.

ص:٣٢۶

١- ١) -حسب المعنی الذی ذکرناه للآیه(کلا)هنا للردع بالنسبه لما یستلزمه مضمون الآیات السابقه و قیل أیضا أنّها بمعنی«حقّا» للتأکید.

أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی

(۱)

.

هـذه طـبيعه أغلب أفراد البشـر...الأفراد الـذين لم يـتربوا فی مـدرسه العقـل و الوحی،حين يرون أنفسـهم مسـتغنين غير محتـاجين يعمدون إلی الطغيان، و ينسلخون من عبوديه اللّه،و يرفضون الاعتراف بأحكامه،و يصمّون أذانهم عن ندائه،و لا يراعون حقّا و لا عدلا.

لا الإنسان و لا أی مخلوق آخر قادر علی أن يستغنی،بل كلّ الموجودات الممكنه بحاجه إلی لطف اللّه و نعمه،و إذا انقطع فيضه سبحـانه عنهـا لحظه واحـده، ففی هـذه اللحظه بالـذات تفنی بأجمعهـا،غير أنّ الإنسان يحسّ خطأ أحيانا أنّه مسـتغن غير محتاج.و القرآن يشير إلی هذا الإحساس بعباره دقيقه يقول: أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی لم يقل أن استغنی.

قيـل:إنّ المقصود بالإنسـان فی الآـيه أبو جهـل الـذی كـان يطغی أمـام الـدعوه لكن مفهوم الإنسـان هنـا عـام،و أمثـال أبی جهل مصاديق له.

يبدو أنّ الهدف من الآيه الفات نظر الرّسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بمنعطفات الطبيعه البشـريه كی لا يتوقع قولا سـريعا من النّاس لدعوته،و ليعدّ نفسه لإنكار المنكرين و معارضه الطغاه المستكبرين،و ليعلم أنّ الطريق أمامه وعر ملیء بالمصاعب.

ثمّ يأتی التهديد لهؤلاء الطغاه المستكبرين و تقول الآيه التاليه:

إِنَّ إِلی رَبِّكَ الرُّجْعی

و هو الـذی يعـاقب الطغـاه علی ما اقترفوه،و كما إنّ رجوع كلّ شـیء إليه،و ميراث السـماوات و الأرض له سـبحانه: وَ لِلّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (۲) فكل شیء فی البدايه منه،و لا مبرّر للإنسان أن يشعر بالاستغناء و يطغی.

۱- ۱) -جمله«أن رآه استغنی»مفعول لأجله،و التقدير:لأنّ...و الرؤيه هنا بمعنی العلم و لذا نصبت مفعولين،و يحتمل أيضا أن تكون الرؤيه هنا حسّيه.و«استغنی»تكون عندئذ بمثابه الحال.

۲- ۲) -آل عمران،الآيه ۱۸۰.

ثمّ تتحدث الآيات التاليه عن بعض أعمال الطغاه المغرورين،مثل صدّهم عباد اللّه عن السير فی طریق الحقّ.

أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهیٰ

.

عَبْداً إِذٰا صَلّٰی

؟! ألا یستحق مثل هؤلاء عذابا سحیقا؟! و فی الحدیث أن أبا جهل قال:«هل یعفّر محمّد وجهه بین أظهرکم(أی هل یسجد محمّد بینکم)قالوا:نعم،قال:فبالذی یحلف به لئن رأیته یفعل ذلک لأطأنّ علی رقبته.فقیل له:ها هو ذاک یصلّی،فانطلق لیطأ علی رقبته،فما فاجأهم إلاّ و هو ینکص علی عقبیه،و یتقی بیدیه.فقالوا:مالک یا أبا الحکم؟!اقال:إنّ بینی و بینه خندقا من نار،و هؤلاء،و أجنحه.و

قال نبیّ اللّه: و الذی نفسی بیده لو دنا منّی لاختطفته الملائکه عضوا عضوا. فأنزل اللّه سبحانه: أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهیٰ إلی آخر السّوره» (۱) حسب هذه الرّوایه:الآیات التی نحن بصددها لم تنزل فی بدایه البعثه،بل نزلت حین أعلنت الدعوه،و لذلک قیل إنّ الآیات الخمس الاولی هی التی کانت أوّل ما نزل من الوحی و الباقی بعد ذلک بمدّه.

علی أی حال،سبب نزول الآیات لا یمنع من سعه مفهومها.

الآیات التالیه تأکید علی نفس المفاهیم.

أَ رَأَیْتَ إِنْ کٰانَ عَلَی الْهُدیٰ

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْویٰ

.

أی أ رأیت إن کان هذا العبد المصلّی علی الهدی أو أمر بالتقوی فهل یصح نهیه؟ألا یستحق من ینهاه النّار؟

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۱۵.

أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّى

و لو كذّب هذا الطاغيه بالحق و تولى و أعرض عنه فما ذا سيكون مصيره؟ أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ يَرى و يثبت كلّ شيء ليوم الجزاء و الحساب.

و التعبير بالقضيه الشرطيه فى الآيتين إشاره إلى أن هذا الطاغى المغرور ينبغى أن يحتمل-على الأقل-أنّ النّبى على طريق الهدايه و دعوته تتجه إلى التقوى...و هذا الاحتمال وحده كاف لصده عن الطغيان.

من هنا فمفهوم الآيات ليس فيه ترديد فى هدايه النّبى و دعوته إلى التقوى، بل ينطوى على إشاره دقيقه إلى المعنى المذكور.

بعض المفسّرين أرجع الضمير فى«كان»و«أمر»إلى الشخص الطاغى الناهى،مثل أبى جهل،و يكون المعنى عندئذ:أ رأيت إن قبل هذا هدايه الإسلام، و أمر بالتقوى بدلا من نهيه عن الصلاه،فما أنفع ذلك له! لكن التّفسير الأوّل أنسب!

ملاحظه

اشاره

عالم الوجود محضر اللّه:

حين يؤمن الإنسان بأنّه فى كلّ حركاته و سكناته بين يدى اللّه،و أنّ عالم الوجود محضر اللّه سبحانه و تعالى،لا يخفى عليه شيء من عمل الفرد بل من نواياه،فإنّ ذلك سيؤثر على منهج هذا الإنسان فى الحياه تأثيرا بالغا،و يصدّه عن الانحراف،إذا كان إيمانه-طبعا-متوغلا فى قلبه،و كان اعتقاده قطعى لا تردد فيه.

جاء فى الحديث:«اعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».

ص :۳۲۹

يقال أنّ عارفا تاب بعد ذنب،و كان بعد ذلك يبكى كثيرا قيل له:لم هذا البكاء؟ألا تعلم أنّ اللّه تعالى غفور؟قال:بلى،قد يعفو سبحانه.و لكن كيف أبعد عن نفسى الإحساس بالخجل،و قد رآنى أذنب؟!

ص:٣٣٠

الآيات [سوره العلق (٩۶): الآيات ١۵ الی ١٩]

اشاره

كَلاّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّاصِيَهِ (١۵) ناصِيَهٍ كاذِبَهٍ خاطِئَهٍ (١۶) فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبانِيَهَ (١٨) كَلاّ لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ (١٩)

التّفسير

اشاره

السجود و التقرب:

بعد الحديث فی الآيات السابقه عن الطغاه الكافرين الصادين عن سبيل اللّه، توجّه هذه الآيات أشدّ التهديد لهم و تقول: كَلاّ لا يكون ما يتصور(لأنّه تصور أن يصدّ عن عباده اللّه بوضعه قدمه على رقبه النّبی).

كَلاّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّاصِيَهِ

نعم،إذا لم ينته من إثمه و طغيانه سنجرّه بالقوّه من شعر مقدمه رأسه(و هی الناصيه)،و ثمّ وصف الناصيه هذه بأنّها كاذبه خاطئه و هو وصف لصاحبها ناصِيَهٍ كاذِبَهٍ خاطِئَهٍ .

«لنسفعا»:من السفع،و ذكر له المفسّرون معانی متعدده:الجرّ بالشدّه،الصفع على الوجه،تسويد الوجه(الأثافی الثلاثه التی يوضع عليها القدر تسمى«سفع»

لأنّها تسوّد بالدخان)،و وضع العلامه و الإذلال (۱) .

و الأنسب المعنى الأوّل،و إن كانت الآيه تحتمل معانى اخرى أيضا.

و هل حدوث هذا السفع بالناصيه فى يوم القيامه،حيث يسحب أبو جهل و أمثاله من مقدمه شعر الرأس إلى جهنم،أم فى الدنيا،أم فى كليهما؟لا يستبعد أن يكون فى كليهما،و الشاهد على ذلك الرّوايه التاليه:

«لمّا نزلت سوره الرحمن،علم القرآن...قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأصحابه:من يقرؤها منكم على رؤوساء قريش؟فتثاقلوا مخافه أذيتهم،فقام ابن مسعود و قال:

أنا يا رسول اللّه،فأجلسه عليه السلام،ثمّ قال:من يقرأها عليهم؟فلم يقم إلاّ ابن مسعود،ثمّ ثالثا كذلك إلى أن أذن له، و كان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه و صغر جثته.ثمّ إنّه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبه،فافتتح قراءه السّوره،فقام أبو جهل فلطمه فشقّ أذنه و أدماه،فانصرف و عيناه تدمع.فلمّا رآه النّبى عليه السلام رق قلبه و أطرق رأسه مغموما،فإذا جبريل عليه السلام يجيء ضاحكا مستبشرا،فقال:يا جبريل تضحك و ابن مسعود يبكى!فقال:ستعلم.

فلمّا ظهر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى المجاهدين،فأخذ يطالع القتلى:فإذا أبو جهل مصروع يخور...فصعد على صدره، فلمّا رآه أبو جهل قال:يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا.فقال ابن مسعود:

الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.

فقال أبو جهل:بلغ صاحبك أنّه لم يكن أحد أبغض إلىّ منه فى حياتى،و لا أحد أبغض إلىّ منه فى حال مماتى.

روى أنّه عليه السلام لما سمع ذلك قال:«فرعونى أشدّ من فرعون موسى

۱- ۱) -التّفسير الكبير،ج ۳۲،ص ۲۳.

فإنّه قال آمنت و هو قد زاد عتوا».

ثمّ قال أبو جهل لابن مسعود:اقطع رأسي بسيفي هذا، لأنّه أحدّ و أقطع.فلمّا قطع رأسه لم يقدر على حمله،فراح يجرّه على ناصيته إلى رسول اللّه،(و بذلك تحقق قوله سبحانه:(لنسفعن بالناصيه)في هذه الدنيا أيضا» (۱) .

«الناصيه»:شعر مقدم الرأس،و(السفع بالناصيه)يراد به الإذلال و الإرغام، لأنّ أخذ الشخص بناصيته يفقده كلّ حركه و يجبره على الاستسلام.

«الناصيه»تستعمل لمقدمه رأس الأفراد،و للجزء النفيس من الشيء كأن نقول«ناصيه البيت».

و وصف الناصيه بأنّها«كاذبه خاطئه»يعني أنّ صاحبها كاذب في أقواله و خاطئ في أعماله،كما كان أبو جهل.

و لقد وردت بعض الرّوايات الصحيحه بأنّ السّوره-عدا المقطع الأوّل منها- قد نزلت في أبي جهل إذ مرّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يصلي عند المقام فقال(يا محمّد ألم أنهك عن هذا؟و توعده فأغلظ له رسول اللّه و انتهره...)و لعلها هي التي أخذ فيها رسول اللّه بخناقه و قال له:(أولى لك ثمّ أولى)فقال:يا محمّد بأي شيء تهددني؟أما و اللّه و إنّي لأكثر هذا الوادي ناديا) (۲) .

و هنا نزلت الآيه التاليه تقول لأبي جهل:فليدع هذا الجاهل المغرور كل قومه و عشيرته و ليستنجد بهم.

فَلْيَدْعُ نادِيَهُ

.

و نحن سندع أيضا زبانيه جهنم:

سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ

ليعلم هذا الجاهل الغافل أنّه عاجز عن فعل أي شيء و إنّه

۱- ۱) -الفخر الرازي،ج ۳۲،ص ۲۳.

۲- ۲) -تفسير في ظلال القرآن،ج ۶،ص ۳۹۴۲ ذيل الآيه.

فی قبضه خزنه جهنم کقشه فی مهبّ الریح.

«النادیه»من ماده(ندا)و هو المکان الذی یجتمع فیه القوم،و تاره یطلق علی مرکز التفریح،لأنّ القوم فیه ینادی بعضهم بعضا،أو من«النّدا»بمعنی الکرم،لأنّ الأفراد یکرم فیه بعضهم بعضا.و منه أیضا«الندوه»و هی مکان یتشاور فیه الجماعه.و«دار الندوه»مقر معروف لتشاور قریش.

و«النادی»فی الآیه یقصد به القوم الذین یجتمعون فی النادی.و أرادت منه الآیه أولئک الذین یستند إلیهم أمثال أبی جهل من أهل و عشیر و أصحاب.

و«الزبانیه»جمع«زبنیه»و هو فی الأصل بمعنی الشرطه من ماده «زبن»-علی زنه متن-و هو الدفع و الردع و الإبعاد.و هنا بمعنی ملائکه العذاب و خزنه جهنم.

و فی آخر آیه من السّوره و هی آیه السجده یقول سبحانه: کَلّا أی لیس الأمر کما یتصور بأنّه قادر علی أن یمنع سجودک: لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ فأبو جهل أقل من أن یستطیع منع سجودک أو الوقوف بوجه دینک،فتوکل علی اللّه و أعبده و اسجد له،و بذلک تقترب منه سبحانه علی هذا المسیر أکثر فأکثر.

و یستفاد ضمنیا من هذه الآیه أن«السجود»عامل اقتراب من اللّه،و لذا

ورد فی الحدیث: «أقرب ما یکون العبد من اللّه إذا کان ساجدا».

و فی روایات أهل البیت علیهم السّلام أنّ القرآن یتضمّن أربعه مواضع فیها سجود واجب و هی فی«ألم السجده»و«فصلت»و«النجم»و فی هذه السّوره«العلق» و بقیه المواضع السجده فیها مستحبه.

ص :۳۳۴

ملاحظه

اشاره

الطغيان و الإحساس بالاستغناء:

أغلب مفاسد العالم مصدرها الفئات المرفهه و المستكبره فى المجتمع.و هذه الفئات كانت دائما فى مقدمه أعداء دعوه الأنبياء.و هؤلاء يطلق عليهم القرآن أحيانا: اَلْمَلَأُ (۱) و أحيانا المترفين (۲) و أحيانا اَلْمُسْتَكْبِرِينَ (۳) .

المجموعه الاولى:هم الأشراف المنتفشون فى الظاهر،الفارغون فى الداخل.

و الثّانيه:هم الغارفون فى الرخاء و يعيشون فى سكره و غرور بمعزل عن الآم الآخرين.

و الثّالثه:هم الراكبون رؤوسهم كبرا و غرورا و الغافلون عن اللّه و عن الخلق.

و دافع كلّ أولئك إحساسهم بالاستغناء،و هذه طبيعه أفراد أفق تفكيرهم ضيق،تسكرهم النعمه،و يزلزل توازنهم المال و المقام،فيغطون فى شعور بالاستغناء ينسيهم ذكر اللّه،بينما نعلم أنّ نسمه من الهواء قادره على أن تطوى سجل أيّامهم،و أنّ حادثه كسيل أو زلزال أو صاعقه قادره على أن تبيد أموالهم...

و أنّ شرقه بالماء قادره على أن تخطف أرواحهم.

أيه غفله هذه تصيب جماعه تجعلهم يشعرون بالاستغناء،و تدفعهم إلى امتطاء مركب الغرور ليصولوا و يجولوا فى الساحه الاجتماعيه!!نستجير باللّه من هذا الجهل و من هذه الغفله و الطغيان! و للتغلب على هذه الحاله يكفى أن يلتفت الإنسان قليلا إلى ضعفه الشديد و إلى قدره اللّه المطلقه،و أن يتصفح تاريخ السابقين ليرى مصير أقوام أكثر منه قوّه و مكنه.

۱- ۱) -الأعراف،الآيه ۶۰.

۲- ۲) -سبأ،الآيه ۳۴.

۳- ۳) -المؤمنون،الآيه ۶۷.

اللّهم احفظنا من الكبر و الغرور فهما أساس الابتعاد عنك.

ربّنا!لا تكلنا إلى أنفسنا طرفه عين فى الدنيا و الآخره يا ربّ العالمين!وفقنا لأن نمرّغ فى التراب انوف هؤلاء المستكبرين المغرورين الذين يصدون عن سبيلك،و أن نحبط مخططاتهم و مؤامراتهم.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره العلق

ص :٣٣۶

سوره القدر

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها خمس آیات

ص :۳۳۷

محتوى السّوره:

محتوى السّوره كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن الكريم فى ليله القدر،و بيان أهميه هذه الليله و بركاتها.

و حول مكان نزولها فى مكّه أو المدينه،المشهور بين المفسّرين أنّها مكيّه، و احتمل بعضهم أنّها مدنيه،لما روى أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رأى فى منامه«بنى اميه» يتسلقون منبره،فصعب ذلك على النّبى و آله،فنزلت سوره القدر تسلّيه(لذلك قيل إن ألف شهر فى السّوره هى مدّه حكم بنى اميه).و نعلم أنّ منبر النّبى أقيم فى مسجد المدينه لا فى مكّه (۱) .

لكن المشهور-كما قلنا-أنّها مكيّه،و قد تكون الرّوايه من قبيل التطبيق لا سببا للنزول.

فضيله السّوره:

و يكفى فى فضيله السّوره تلاوتها ما

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأها أعطى من الأجر كمن صام رمضان و أحيا ليله القدر» (۲) .

و

عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام قال: «من قرأ إنّا أنزلناه بجهر كان كشاهر سيفه فى سبيل اللّه،و من قرأها سرّا كان كالمتشحط بدمه فى سبيل

ص :۳۳۹

۱- ۱) -روح المعانى:ج ۳۰،ص ۱۸۸،و الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۷۱.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۱۶.

اللّه» (۱) .

و واضح إنّ كل هذه الفضائل فى التلاوه لا تعود على من يقرأها دون أن يدرك حقيقتها،بل إنّها نصيب من يقرأها و يفهمها و يعمل بها...من يقدر القرآن حقّ قدره و يطبق آياته فى حياته.

ص: ۳۴۰

۱- ۱) -المصدر السابق.

الآيات [سوره القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَهِ اَلْقَدْرِ (١) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا لَيْلَهُ اَلْقَدْرِ (٢) لَيْلَهُ اَلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ اَلرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (۴) سَلاٰمٌ هِيَ حَتّٰى مَطْلَعِ اَلْفَجْرِ (۵)

التّفسير

اشاره

ليله القدر ليله نزول القرآن:

يستفاد من آيات الذكر الحكيم أنّ القرآن نزل فى شهر رمضان: شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (١) ،و ظاهر الآيه يدل على أن كل القرآن نزل فى هذا الشهر.

و الآيه الاولى من سوره القدر تقول:

إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ

.

اسم القرآن لم يذكر صريحا فى هذه الآيه،و لكن الضمير فى«أنزلناه»يعود إلى القرآن قطعا.و الإبهام الظاهرى فى ذكر اسم القرآن إنّما هو لبيان عظمته

١- ١) -البقره،الآيه ١٨۵.

و أهميته.

عباره إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فيها إشاره اخرى إلى عظمه هذا الكتاب السماوى.فقد نسب اللّه نزوله إليه،و بصيغه المتكلم مع الغير أيضا،و هى صيغه لها مفهوم جمعى و تدل على العظمه.

نزول القرآن فى ليله«القدر»و هى الليله التى يقدر فيها مصير البشر و تعين بها مقدراتهم،دليل آخر على الأهميه المصيريه لهذا الكتاب السماوى.

لو جمعنا بين هذه الآيه و آيه سوره البقره لاستنتجنا أنّ«ليله القدر»هى إحدى ليالى شهر رمضان،و لكنّها أيه ليله؟القرآن لا يبيّن لنا ذلك،و لكن الرّوايات تتناول هذا الموضوع بإسهاب.و سنتناولها فى نهايه تفسير هذه السّوره إن شاء اللّه.

و هنا يطرح سؤال له طابع تاريخى و له ارتباط بما رافق أحداث حياه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من نزول القرآن.من المؤكّد أنّ القرآن الكريم نزل تدريجيا خلال (۲۳)عاما.فكيف نوفق بين هذا النزول التدريجى و ما جاء فى الآيات السابقه بشأن نزول القرآن فى شهر رمضان و فى ليله القدر؟ الجواب على هذا السؤال كما ذكره المحققون يتلخص فى أنّ للقرآن نزولين:

النزول الدفعى،و هو نزول القرآن بأجمعه على قلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو على البيت المعمور،أو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

و النزول التدريجى،و هو ما تمّ خلال(۲۳)سنه من عصر النبوّه(ذكرنا شرح ذلك فى تفسير الآيه ۳ من سوره الدخان).

و قال بعضهم إن ابتداء نزول القرآن كان فى ليله القدر لا كلّه،و لكن هذا خلاف ظاهر الآيه التى تقول: إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ .

و يذكر أنّ تعبير الآيات عن نزول القرآن يكون مرّه بكلمه«إنزال»و مرّه أخرى بكلمه«تنزيل».و يستفاد من كتب اللغه أن التنزيل للنزول التدريجى،

و الإنزال له مفهوم واسع يشمل النزول الدفعي أيضا (۱) .و هذا التفاوت في التعبير القرآني قد يكون إشاره إلى النزولين المذكورين.

في الآيتين التاليتين يبيّن اللّه تعالى عظمه ليله القدر و يقول سبحانه:

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَيْلَهُ الْقَدْرِ

.

لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

.

و التعبير هذا يوضح أنّ عظمه ليله القدر كبيره إلى درجه خفيت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا قبل نزول هذه الآيات،مع ما له من علم واسع.

و«ألف شهر»تعني أكثر من ثمانين عاما،حقّا ما أعظم هذه الليله التي تساوي قيمتها عمرا طويلا مباركا.

و جاء في بعض التفاسير أنّ النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل اللّه ألف شهر،فعجب المسلمون من ذلك فأنزل اللّه إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَهِ الْقَدْرِ وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَيْلَهُ الْقَدْرِ لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ،التي لبس فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل اللّه ألف شهر (۲) .

و روي أنّ أربعه أشخاص من بني إسرائيل عبدو اللّه تعالى ثمانين سنه من دون ذنب،فتمنى الصحابه ذلك التوفيق لهم،فنزلت الآيه المذكوره.

و هل العدد(ألف)في الآيه للعدّ أو التكثير؟:قيل إنّه للتكثير،و قيمه ليله القدر خير من آلاف الأشهر أيضا،و لكن الرّوايات أعلاه تبيّن أنّ العدد المذكور للعدّ، و العدد عاده للعد إلاّ إذا توفرت قرينه واضحه تصرفه إلى التكثير.

و لمزيد من وصف هذه الليله تقول الآيه التاليه:

تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ

.

و«تنزل»فعل مضارع يدل على الاستمرار(و الأصل تتنزل)ممّا يدل على أنّ

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده نزل.

۲- ۲) -الدر المنثور،ج ۸،ص ۵۶۸.

لیله القدر لم تکن خاصّه بزمن النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و بنزول القرآن،بل هی لیله تتکرر فی کل عام باستمرار.

و ما المقصود ب«الروح»؟قیل:إنّه جبرائیل الأمین،و یسمّیٰ أیضا الروح الأمین.و قیل:إنّ الروح بمعنی الوحی بقرینه قوله تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۱) .

و للروح تفسیر آخر یبدو أنّه أقرب،هو أنّ الروح مخلوق عظیم یفوق الملائکه.

و

روی أنّ الإمام الصادق علیه السّلام سئل عن الروح و هل هو جبرائیل،قال:

«جبرائیل من الملائکه،و الروح أعظم من الملائکه،ألیس أنّ اللّه عزّ و جلّ یقول:

تنزل الملائکه و الروح»؟ (۲) فالإثنان متفاوتان بقرینه المقابله.و ذکرت تفاسیر اخری للروح هنا نعرض عنها لافتقادها الدلیل.

مِنْ کُلِّ أَمْرٍ

أی لکل تقدیر و تعیین للمصائر،و لکل خیر و برکه.فالهدف من نزول الملائکه فی هذه اللیله إذن هو لهذه الأمور.

أو بمعنی بکل خیر و تقدیر،فالملائکه تنزل فی لیله القدر و معها کل هذه الأمور (۳) .

و قیل:المقصود أنّ الملائکه تنزل بأمر اللّه،لکن المعنی الأوّل أنسب.

عباره«ربّهم»ترکز علی معنی الربوبیه و تدبیر العالم،و تتناسب مع عمل الملائکه فی تلک اللیله حیث تنزل لتدبیر الأمور و تقدیرها،و بذلک یکون عملها جزء من ربوبیه الخالق.

۱- ۱) -الشوری،الآیه ۵۲.

۲- ۲) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۸۱.

۳- ۳) -حسب التّفسیر الأوّل(من)هنا بمعنی لام التعلیل أی لأجل کلّ أمر.و بناء علی التّفسیر الثّانی(من)تعنی باء المصاحبه.

بإيجاز الآيه الكريمه تقول:الملائكه و الروح تتنزل فی هذه الليله بأمر ربّهم لتقدير كلّ أمر من الأمور.

سَلاٰمٌ هِيَ حَتّٰى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

و الآيه الأخيره هذه تصف الليله بأنّها مفعمه بالخير و السلامه و الرحمه حتى الصباح.

القرآن نزل فيها،و عبادتها تعادل عباده ألف شهر،و فيها تنزل الخيرات و البركات،و بها يحظى العباد برحمه خاصّه،كما إنّ الملائكه و الروح تتنزل فيها...

فهی إذن ليله مفعمه بالسلامه من بدايتها حتى مطلع فجرها. و الرّوايات تذكر أنّ الشيطان يكبل بالسلاسل هذه الليله فهی ليله سالمه مقرونه بالسلامه.

و إطلاق كلمه«سلام»على هذه الليله بمعنى«سلامه»(بدلا من سالمه)هو نوع من التأكيد كأن نقول فلان عدل،للتأكيد على أنه عادل.

و قيل:إنّ إطلاق كلمه(سلام)على تلك الليله يعنی أنّ الملائكه تسلّم باستمرار على بعضها أو على المؤمنين،أو أنّها تأتی إلى النّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خليفته المعصوم،تسلّم عليه.

و من الممكن أيضا الجمع بين هذه التفاسير.

إنّها على أی حال ليله ملؤها النور و الرحمه و الخير و البركه و السلامه و السعاده من كلّ الجهات.

و

سئل الإمام محمّد بن علی الباقر عليه السّلام عمّا إذا كان يعرف ليله القدر،قال:

«كيف لا نعرف و الملائكه تطوف بنا فيها».

و جاء فی قصّه إبراهيم عليه السّلام أنّ عددا من الملائكه جاءت إليه و بشرته بالولد و سلمت عليه(هود-۶۹)و فی الرّوايه أنّ إبراهيم أحسّ بلذه من سلام الملائكه لا تعدلها لذّه،إذن،فأيه لذّه و بركه و لطف فی سلام الملائكه على المؤمنين و هی تتنزل فی ليله القدر!! و حين القی إبراهيم عليه السّلام فی نار نمرود،جاءت إليه الملائكه و سلمت عليه

فتحولت النّار إلی جنینه.ألا تتحول نار جهنم ببرکه سلام الملائکه علی المؤمنین فی لیله القدر إلی برد و سلام.

نعم هذه کرامه لامّه محمّد و تعظیم لها حیث تنزل الملائکه هناک علی الخلیل علیه السّلام و تنزل هنا علی امّه الإسلام (۱)

بحوث

اشاره

۱-ما هی الأمور التی تقدّر فی لیله القدر؟

فی سبب تسمیه هذه اللیله بلیله القدر قیل الکثیر من ذلک:

۱-لأنّها اللیله التی تعیّن فیها مقدرات العباد لسنه کامله،یشهد علی ذلک قوله تعالی: إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ إِنّا کُنّا مُنْذِرِینَ، فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ (۲) هذه الآیه الکریمه تنسجم مع ما جاء من الرّوایات تقول:فی هذه اللیله تعیّن مقدرات النّاس لسنه کامله،و هکذا أرزاقهم،و نهایه أعمارهم،و أمور أخری تفرق و تبیّن فی تلک اللیله المبارکه.

هذه المسأله طبعا لا تتنافی مع حریه إراده الإنسان و مسأله الإختیار،لأنّ التقدیر الإلهی عن طریق الملائکه إنّما یتمّ حسب لیاقه الأفراد و میزان إیمانهم و تقواهم و طهر نیّتهم و أعمالهم.

أی یقدر کلّ فرد ما یلیق له؛و بعباره اخری،أرضیه التقدیر یوفرها الإنسان نفسه،و هذا لا یتنافی مع الإختیار بل یؤکّده.

۲-و قال بعض إنّها سمّیت بالقدر لما لها من قدر عظیم و شرف کبیر(فی

۱- ۱) -تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۲،ص ۳۶.

۲- ۲) -الدخان،الآیه ۳-۴.

القرآن جاء قوله سبحانه: مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ (۱) .

۳-و قيل لأنّ القرآن بكل قدره و منزلته نزل على رسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بواسطه الملك العظيم فى هذه الليله.

۴-إنّها الليله التى قدّر فيها نزول القرآن.

۵-إنّها الليله التى من أحياها نال قدرا و منزله.

۶-و قيل أيضا لأنّها الليله التى تنزل فيها الملائكه حتى تضيق بهم الأرض لكثرتهم.لأنّ القدر جاء بمعنى الضيق أيضا كقوله تعالى: وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ (۲) .

كل هذه التفاسير يستوعبها المفهوم الواسع لليله القدر مع أنّ التّفسير الأوّل أنسب و أشهر.

۲-أيه ليله هى ليله القدر؟

لا شك أنّ ليله القدر من ليالى شهر رمضان،لأنّ الجمع بين آيات القرآن يقتضى ذلك.فالقرآن نزل فى شهر رمضان من جهه(البقره-۱۸۵)،و من جهه اخرى تقول آيات السّوره التى نحن بصددها أنّه نزل فى ليله القدر.

و لكن،آيه ليله من شهر رمضان؟قيل فى ذلك كثير،و ذكرت تفاسير عديده من ذلك:أنّها أوّل ليله من شهر رمضان المبارك،الليله السابعه عشره،الليله التاسعه عشره،الليله الحاديه و العشرون،الليله الثّالثه و العشرون،الليله السابعه و العشرون،و الليله التاسعه و العشرون.

و المشهور فى الرّوايات أنّها فى العشر الأخيره من شهر رمضان،و فى الليلتين الحاديه و العشرين أو الثّالثه و العشرين.لذلك ورد فى الرّوايات أنّ

۱- ۱) -الحج،الآيه ۷۴.

۲- ۲) -الطلاق،الآيه ۷.

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یحیی کل اللیالی العشر الأخیره من الشهر المبارک بالعباده.

و روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّها اللیله الحادیه و العشرون أو الثّالثه و العشرون.و عند ما أصر علیه أحدهم فی تعیین واحده بین اللیلتین لم یزد الإمام علی أن

یقول: «ما أیسر لیلتین فیما تطلب!!» (۱) .

ثمّه روایات متعدده عن أهل البیت علیهم السّلام ترکز علی اللیله الثّالثه و العشرین.

بینما روایات أهل السنه ترکز علی اللیله السابعه و العشرین.

و

روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام قال: «التقدیر فی لیله القدر تسعه عشر،و الإبرام فی لیله إحدی و عشرین،و الإمضاء فی لیله ثلاث و عشرین» (۲) .

لیله القدر إذن محاطه بهاله من الإبهام سنذکر سببه فیما یلی.

۳-لماذا خفیت لیله القدر؟

الإعتقاد السائد أنّ اختفاء لیله القدر بین لیالی السنه،أو بین لیالی شهر رمضان المبارک یعود إلی توجیه النّاس إلی الاهتمام بجمیع هذه اللیالی؛مثلما أخفی رضاه بین أنواع الطاعات کی یتجه النّاس إلی جمیع الطاعات،و أخفی غضبه بین المعاصی،کی یتجنب العباد جمیعها،و أخفی أحباءه بین النّاس کی یحترم کلّ النّاس،و أخفی الإجابه بین الأدعیه لتقرأ کل الأدعیه،و أخفی الاسم الأعظم بین أسمائه کی تعظم کل أسمائه،و أخفی وقت الموت کی یکون النّاس دائما علی استعداد.

و یبدو أن هذا دلیل مقبول:

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۲۵،الحدیث ۵۸.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحدیث ۶۲۶.

۴-هل كانت ليله القدر معروفه بين الأمم السابقه؟

من ظاهر آيات هذه السّوره نفهم أنّ ليله القدر ليست خاصّه بزمان نزول القرآن و عصـر الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،بل تتكرر كلّ سنه حين يرث اللّه الأرض و من عليها.

التعبير بالفعل المضارع«تنزل»الـدال على الاسـتمرار،و هكـذا التعبير بالجمله الاسـميه سَـلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ الداله أيضا على الدوام يؤيد ذلك.

مضافا إلى ذلك الرّوايات التى ربّما بلغت حدّ التواتر فى تأييد هذه المسأله.

و لكن هل كانت هذه الليله فى الأمم السابقه؟ روايات متعدده تصرّح أنّ هذه الليله من المواهب الإلهيه على هذه الامّه، و

عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إنّ اللّه وهب لامّتى ليله القدر لم يعطها من كان قبلهم».

و فى تفسير الآيات التى نحن بصددها روايات تؤيد ذلك أيضا.

۵-ليله القدر خير من ألف شهر

لماذا كانت خيرا من ألف شـهر...الظاهر لأهميه العباده و الإحياء فيها.و ما جاء من روايات بشأن فضـيله ليله القدر و فضيله العباده فيها فى كتب الشيعه و أهل السنه كثير،و يؤيد هذا المعنى.

أضف إلى ذلك،فإنّ نزول القرآن فى هذه الليله،و نزول البركات و الرحمه الإلهيه فيها يجعلها خيرا من ألف شهر.

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال:لعلى بن أبى حمزه الثمالى:

«فاطلبها(أى ليله القدر)فى ليله إحدى و عشـرين و ثلاث و عشـرين و صل فى كل واحده منهما مائه ركعه و أحيهما إن استطعت إلى النور،و اغتسل فيهما» قال:قلت:فإن لم أقدر على ذلك و أنا قائم؟ قال:فصلّ و أنت جالس.

قال:قلت:فإن لم أستطع؟

ص: ۳۴۹

قال:فعلی فراشک،لا علیک أن تکتحل أوّل اللیل بشیء من النوم إنّ أبواب السماء تفتح فی رمضان و تصفد(تقیّد)الشیاطین،و تقبل أعمال المؤمنین..نعم الشهر رمضان!» (۱) .

۶-لما ذا انزل القرآن فی لیله القدر؟

لیله القدر-کما علمنا-لیله تقدیر مصائر البشر لسنه کامله حسب ما یلیق بکلّ فرد.فینبغی أن یکون الإنسان فیها مستیقظا و فی حاله تقرب إلی اللّه و تکامل علی طریق بناء الشخصیه الإسلامیه لیرفع من مستوی لیاقته لمزید من رحمه اللّه.

نعم،فی اللحظات التی یتقرر فیها مصیرنا ینبغی أن لا نکون غافلین،و إلاّ فسیواجهنا المصیر المؤلم.

و القرآن...باعتباره الکتاب القادر علی أن یرسم للبشریه مستقبلها و مصیرها و یهدیها إلی طریق سعادتها و هدایتها،یجب أن ینزل فی لیله القدر...لیله تعیین المصیر...و ما أجمل هذه العلاقه بین«القرآن»و«لیله القدر»،و ما أعمق معنی الارتباط بین الإثنین!!

۷-هل لیله القدر واحده فی المعموره؟

نعم أن بدء الشهر القمری لیس واحدا فی جمیع البلدان.و قد یکون یومنا هذا أوّل الشهر فی بلد و یکون الثّانی فی بلد آخر.من هنا لا یمکن أن تکون لیله القدر لیله معینه فی السنه.علی سبیل المثال قد تکون لیله الثّالث و العشرین فی الحجاز هی لیله الثّانی و العشرین فی ایران و العراق.و بهذا یکون لکل بلد لیله قدر!و هل هذا ینسجم مع ما جاء فی الرّوایات المؤکّده علی أنّ لیله القدر لیله

ص: ۳۵۰

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۲۶،مقطع من الحدیث ۵۸.

معینه؟ الجواب یتّضح بالالتفات إلی ما یلی:

اللیـل هو ظـل نصف الکره الأرضـیه علی النصف الآـخر من هـذه الکره،و نعلم أن هـذا الظل یتحرک بتحرک الکره الأرضـیه،و یدور دوره کامله فی أربع و عشـرین ساعه من هنا یمکن أن تکون لیله القدر دوره کامله للیل حول الأرض،أی تکون هذه اللیله مدّه أربع و عشرین ساعه من دوران الظلام حول الکره الأرضیه بأجمعها، تبدأ من نقطه و تنتهی عند نقطه اخری.(تأمل بدقّه).

اللّهم!منّ علینا بیقظه و وعی کی نتزوّد من فضیله لیله القدر.

ربّنا!آمالنا منشدّه إلی لطفک و کرمک،فقدّر لنا وفق ما نأمله فیک.

یا ربّ العالمین!لا تجعلنا من محرومی هذا الشهر فما بعد هذا الحرمان حرمان.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره القدر

ص :۳۵۱

سوره البيّنه

اشاره

مدنيّه و عدد آياتها ثماني آيات

ص :۳۵۳

محتوى السّوره:

المشهور أنّ هذه السّوره نزلت في المدينه،و محتواها يؤيد ذلك،إذ تحدثت في مواضع متعدده عن أهل الكتاب،و المسلمون واجهوا أهل الكتاب في المدينه غالبا.

أضف إلى ذلك أنّ السّوره تحدثت عن الصلاه و الزكاه،و الزكاه-و إن شرعت في مكّه-اتخذت طابعها الرسمي الواسع في المدينه.

هذه السّوره تناولت رساله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما فيها من دلائل بيّنه،هذه الرساله التي كان أهل الكتاب ينتظرونها،حين ظهرت أعرض عنها فريق منهم لما وجدوا فيها من خطر على مصالحهم الشخصيه.

و السّوره تقرر حقيقه وجود الإيمان و التوحيد و الصلاه و الصيام في كل الأديان و دعوات الأنبياء باعتبارها أصولا ثابته خالده.

و في مقطع آخر من السّوره بيان عن مواقف أهل الكتاب و المشركين تجاه الإسلام...بعضهم آمن و عمل صالحا فهو خير المخلوقات،و بعضهم كفر و أشرك فهو شرّ البريّه.

هذه السّوره أطلق عليها لمناسبه ألفاظها اسماء متعدده أشهرها:«البينه»و«لم يكن»و«القيمه».

فضیله السّوره:

روی فی فضـیله تلاـوه هـذه السّوره عن النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أنّه قال: «لو یعلم النّاس ما فی(لم یکن)لعطلوا الأهل و المال و تعلموها».

فقـال رجـل من خزاعه:ما فیها من الأجر یا رسول اللّه؟ فقال:«لا یقرأها منافق أبـدا و لا عبـد فی قلبه شکّ فی اللّه عزّ و جلّ،و اللّه إنّ الملاـئکه المقربین لیقرؤونهـا منـذ خلق اللّه السـماوات و الأرض لا یفترون عن قراءتها،و ما من عبـد یقرؤها بلیل إلاّ بعث اللّه ملائکه یحفظونه فی دینه و دنیاه و یدعون له بالمغفره و الرحمه،فإن قرأها نهارا اعطی علیها من الثواب مثل ما أضاء علیه النهار و أظلم علیه اللیل» (۱) .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۲۱.

الآیات [سوره البینه (۹۸): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ لَمْ يَكُنِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ اَلْبَيِّنَهُ (۱) رَسُولٌ مِنَ اَللّٰهِ يَتْلُوا
صُحُفاً مُطَهَّرَهً (۲) فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَهٌ (۳) وَ مٰا تَفَرَّقَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَيِّنَهُ (۴) وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ يُؤْتُوا اَلزَّكٰاهَ وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَهِ (۵)

التّفسیر

اشاره

ذلک دین القیّمه:

فی بدایه السّوره ذکر لأهل الکتاب(الیهود و النصاری)و مشرکی العرب قبل ظهور الإسلام،فهؤلاء کانوا یدّعون أنّهم غیر منفکین عن دینهم إلاّ بدلیل واضح قاطع.

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَهُ

.

و«البیّنه»التی أرادوها:رسول من اللّه یتلو علیهم کتابا مطهّرا من ربّ

العالمين:

رَسُولٌ مِنَ اللّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً

.

و هذه الصحف فيها من الكتابه ما هو صحيح و ثابت و ذو قيمه.

فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ

.

كان هذا ادعاؤهم قبل ظهور الإسلام،و حينما ظهر و نزلت آياته تغيّر هؤلاء، و اختلفوا و تفرقوا.و ما تفرقوا إلّا بعد أن جاءهم الدليل الواضح و النبىّ الصادح بالحق.

وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ

.

ممّا تقدم،الآيات الاولى لهذه السّوره المباركه تتحدث عن أهل الكتاب و المشركين الذين كانوا يدعون أنّهم سوف يقبلون الدعوه إنّ جاءهم نبىّ بالدلائل الساطعه.

لكنّهم أعرضوا حين ظهر،و جابهوه،إلّا فريق منهم آمن و اهتدى.

و هذا المعنى يشبه ما جاء فى قوله تعالى: وَ لَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (۱) .

نعلم أنّ أهل الكتاب كانوا ينتظرون مثل هذا الظهور،و لا بدّ أن يكون مشركو العرب مشاركين لأهل الكتاب فى هذا الانتظار لما كانوا يرون فيهم من علم و معرفه،و لكن حين تحققت آمالهم غيّروا مسيرهم و التحقوا بأعداء الدعوه.

جمع من المفسّرين لهم رأى آخر فى تفسير الآيه،يقولون:مقصود الآيه هو أنّ أهل الكتاب و المشركين لم يكونوا منفكّين عن دينهم حقيقه-لا ادعاء-حتى تأتيهم البيّنه.

۱- ۱) -البقره،الآيه ۸۹.

و هـذا يعنى أنّ هؤلاء آمنوا بعـد مـا جـاءتهم البيّنه،لكن الآيـات التاليه تـدل على غير ذلك،اللّهم إلّا إذا قيل أنّ المقصود إيمان مجموعه منهم و إن كانت قليله و تكون المسأله من قبيل ما يسمى فى المنطق«موجبه جزئيه».

و لكن على أى حال نستبعد هذا التّفسير،و يبدو أنّ الفخر الرازى لهذا السبب وصف الآيه الاولى من هذه السّوره بأنّها أعقد آيه فى القرآن لتعارضها مع الآيات التاليه،و لحل هذا التعارض ذكر طرقا متعدده أفضلها هو الذى ذكرناه أعلاه.

ثمّه تفسير ثـالث للآيه هو أنّ اللّه لا يترك أهل الكتاب و المشركين لحالهم حتى يتمّ الحجّه عليهم و يرسل إليهم البيّنه و يبيّن لهم الطريق.و لذلك أرسل إليهم نبىّ الإسلام لهدايتهم.

بناء على هذا التّفسير،هذه الآيه تشير إلى قاعده اللطف التى يتناولها علم الكلام و تقرر أن اللّه يبعث إلى كلّ قوم دلائل واضحه ليتمّ الحجّه عليهم (۱) .

على أى حال،«البيّنه»فى الآيه هى الدليل الواضح،و مصداقها حسب الآيه الثّانيه شخص«رسول اللّه»و هو يتلو عليهم القرآن.

«صحف»جمع«صحيفه»،و تعنى مـا يكتب عليه من الورق،و المقصود بهـا هنـا محتوى هـذه الأوراق،إذ نعلم أنّ الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن يتلو شيئا عليهم من الأوراق.

و«مطهرّه»أى طاهره من كلّ ألوان الشرك و الكذب و الباطل.و من تلاعب شياطين الجن و الإنس.كما جاء أيضا فى قوله تعالى: لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ (۲) جمله فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ إشاره إلى أنّ ما فى هذه الصحف السماويه خال من

۱- ۱) -يجب ملاحظه أن«منفكين»جمع(منفک)يمكن أن تكون اسم فاعل أو اسم مفعول،فعلى التّفسيرين الأوّل و الثّانى تعطى معنى اسم الفاعل،و على التّفسير الثّالث معنى اسم المفعول،فلاحظ.

۲- ۲) -فصلت،الآيه ۴۲.

الانحراف و الاعوجاج.من هنا فإنّ هذه«الكتب»تعنى المكتوبات،أو تعنى الأحكام و التشريعات المنصوصه من اللّه،لأنّ الكتابه جاءت بمعنى تعيين الحكم أيضا،كقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيٰامُ كَمٰا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ (١) .

و بهذا يكون معنى«قيمه»السويّه و المستقيمه،أو الثابته و المستحكمه،أو ذات قيمه،أو كل هذه المعانى مجتمعه.

و يحتمل أيضا أن يكون المعنى هو أن القرآن فيه الكتب السماويه القيّمه السابقه لأنّه يضم جميع محتوياتها و زياده.

و يلفت النظر تقدم ذكر أهل الكتاب على المشركين فى الآيه الاولى، و الاقتصار على ذكر أهل الكتاب فى الآيه الرابعه دون ذكر المشركين،بينما الآيه تريد الإثنين.

و هذا يعود ظاهرا إلى أنّ أهل الكتاب كانوا هم الروّاد فى هذه المواقف،و كان المشركون تابعين لهم.أو لأنّ أهل الكتاب كانوا أهلا لذم أكثر لما عندهم من علماء كثيرين،و بذلك كانوا ذا مستوى أرفع من المشركين.معارضتهم-إذن- أفظع و أبشع و تستحق مزيدا من التقريع.

ثمّ يتوالى التقريع لأهل الكتاب،و من بعدهم للمشركين،لأنّهم اختلفوا فى الدين الجديد،منهم مؤمن و منهم كافر،بينما: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكٰاةَ (٢) .

ثمّ تضيف الآيه القول:

وَ ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَهِ

.

١- ١) -البقره،الآيه ١٨٣.

٢- ٢) -جمله«و ما أمروا»قد تكون حاليه أو استئنافيه.و اللام فى«ليعبدوا»لام الغرض،و المقصود هنا الغرض الذى يعود على العباد،لا الغرض الذى يعود على اللّه كما تصور بعض المفسّرين و أدى بهم هذا التصور إلى إنكار«لام الغرض»فى مثل هذه المواضع.كل أفعال اللّه معلله بالأغراض،لكنّها أغراض تعود على العباد.بعضهم اعتبر اللام هنا بمعنى«أن»كما فى قوله تعالى: يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ النساء،الآيه ٢۶.

قیل فی معنی«و ما أمروا...»أن المقصود هو:إنّ التوحید و الصلاه و الزکاه من المسائل الثابته فی دین أهل الکتاب،لکنّهم لم یبقوا أو فیاء لهذه التعالیم.

و قیل:المقصود هو إنّ دین الإسلام لیس فیه سوی التوحید الخالص و الصلاه و الزکاه و أمثالها من التعالیم. و هذه امور معروفه فلما ذا یعرضون عنها؟.

یبدو أنّ المعنی الثّانی أقرب.لأنّ الآیه السابقه تتحدث عن الاختلاف فی قبول الدین الجدید،و المناسب هنا أن یکون المراد فی«أمروا...»هو الدین الجدید أیضا.

أضف إلی ذلک أنّ المعنی الأوّل یصدق علی أهل الکتاب وحدهم،بینما المعنی الثّانی یشمل المشرکین أیضا.

المقصود ب«الدین»فی عباره مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ حُنَفٰاءَ قد یکون«العباده».

و عباره«إلاّ لیعبدوا اللّه»فی الآیه تؤکّد هذا المعنی.

و یحتمل أیضا أن یکون المقصود مجموع الدین و الشریعه،أی أنّهم أمروا أن یعبدوا اللّه و أن یخلصوا له الدین و التشریع فی جمیع المجالات.و هذا المعنی یتناسب أکثر مع المفهوم الواسع للدین.و جمله وَ ذٰلِکَ دِینُ الْقَیِّمَهِ تؤید هذا المعنی لأنّها طرحت الدین بمفهومه الواسع.

«حنفاء»جمع«حنیف»،من الفعل الثّلاثی حنف،أی عدل عن الضلال إلی الطریق المستقیم،کما یقول الراغب فی المفردات.و العرب تسمی کلّ من حج أو ختن«حنیفا»إشاره إلی أنّه علی دین إبراهیم.

و«الأحنف»من کانت رجله عوجاء.و یبدو أنّ الکلمه کانت فی الأصل تستعمل للانحراف و الاعوجاج،و النصوص الإسلامیّه استعملتها بمعنی الانحراف عن الشرک إلی التوحید و الهدایه.

و من الممکن أن تکون المجتمعات الوثنیه قد أطلقت علی من یترک الأوثان و یتجه إلی التوحید اسم«حنیف»،أی منحرف.ثمّ أصبحت الکلمه بالتدریج اسما

لسالکی طریق التوحید و من مستلزمات الکلمه الإخلاص فی التوحید و الاعتدال التام و اجتناب أی إفراط أو تفریط؛غیر أنّ هذه معان ثانویه للکلمه.

جمله وَ ذٰلِکَ دِینُ الْقَیِّمَهِ (۱) إشاره إلی أنّ الأصول المذکوره فی الآیه و هی:التوحید الخالص،و الصلاه(الارتباط باللّه)و الزکاه(الارتباط بالنّاس)من الأصول الثابته الخالده فی جمیع الأدیان،بل إنّها قائمه فی أعماق فطره الإنسان.

ذلک لأنّ مصیر الإنسان یرتبط بالتوحید،و فطرته تدعوه إلی معرفه المنعم و شکره،ثمّ إنّ الروح الاجتماعیه المدنیه للإنسان تدعوه إلی مساعده المحرومین.

من هنا،هذه التعالیم لها جذور فی أعماق الفطره،و هی لذلک کانت فی تعالیم کلّ الأنبیاء السابقین و تعالیم خاتم النبیین صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ص: ۳۶۲

۱- ۱) -دین القیمه،مضاف مضاف إلیه،و لیس صفه و موصوف و مفهومها أنّه دین ورد فی الکتب السابقه مستقیم و ذو قیمه أو أنّه دین فیه احکام و تعلیمات ذات قیمه،فعلی هذا جاءت الکلمه بصیغه المؤنث لأنّها صفه للکتب أو المله و الشریعه.

الآيات [سوره البينه (٩٨): الآيات ۶ الی ٨]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ فِی نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ اَلْبَرِيَّهِ (۶) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ اَلْبَرِيَّهِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِیَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ (٨)

التّفسير

اشاره

خير البريّه و شرّها:

الآيات السابقه تحدثت عن انتظار أهل الكتاب و المشركين لبيّنه تأتيهم من اللّه،لكنّهم تفرقوا من بعد ما جاءتهم البيّنه.

هـذه الآيات تـذكر مجموعتين من النّاس مختلفتين فی موقفهما من الدعوه «كافره»و«مؤمنه»تذكر الكافرين أوّلا بالقول: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِی نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّهِ .

و إنّما قال«كفروا»لكفرهم بالدين المبين،و إلاّ فإنّ كفرهم ليس بجديد.

و عباره أَولٰئِکَ هُمْ شَرُّ الْبَرِیَّهِ عباره قارعه مثیره،تعنی أنّه لا یوجد بین الأحیاء و غیر الأحیاء موجود أضل و اسوأ من الذین ترکوا الطریق المستقیم بعد وضوح الحق و إتمام الحجّه،و ساروا فی طریق الضلال،مثل هذا المعنی ورد أیضا فی قوله تعالی: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُکْمُ الَّذِینَ لا یَعْقِلُونَ (۱) .

و فی قوله سبحانه یصف أهل النّار: أُولٰئِکَ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِکَ هُمُ الْغٰافِلُونَ (۲) .

و هذه الآیه التی نحن بصددها تذهب فی وصف هؤلاء المعاندین إلی أبعد ممّا تذهب إلیه غیرها،لأنّها تصفهم بأنّهم شرّ المخلوقات،و هذا بمثابه بیان الدلیل علی خلودهم فی نار جهنم.

و لم لا یکونون شرّ المخلوقات و قد فتحت أمامهم جمیع أبواب السعاده فاعرضوا عنها کبرا و غرورا و عنادا.

تقدیم ذکر«أهل الکتاب»علی«المشرکین»فی هذه الآیه أیضا،قد یعود إلی ما عندهم من کتاب سماوی و علماء و من صفات صریحه لنبیّ الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی کتبهم،لذلک کانت معارضتهم أفظع و أسوأ.

الآیه التالیه تذکر المجموعه الثّانیه،و هم المؤمنون و تقول: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ .

و الآیه التالیه تذکر جزاء هؤلاء المؤمنین،و ما لهم عند اللّه من مثوبه:

جَزٰاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً، رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ، ذٰلِکَ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ

.

یلاحظ أنّ الحدیث عن المؤمنین مقرون بذکر الأعمال الصالحه،باعتبارها ثمره دوحه الإیمان.و فی ذلک إشاره إلی أن ادعاء الإیمان وحده لا یکفی،بل

۱- ۱) -الأنفال،الآیه ۲۲.

۲- ۲) -الأعراف.الآیه ۱۷۹.

لا بدّ أن تشـهد عليه الأعمال الصالحه.لكن الكفر وحده-و إن لم يقترن بالأعمال السـيئه-مبعث السـقوط و الشـقاء.أضف إلى أن الكفر عاده منطلق لانواع الذنوب و الجرائم و الانحرافات.

عباره أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ تبيّن بجلاء أن الإنسان المؤمن ذا الأعمال الصالحه أفضل من الملائكه،فعباره الآيه مطلقه و ليس فيها استثناء و الآيات الاخرى تشهد على ذلك أيضا،مثل آيه سجود الملائكه لآدم،و مثل قوله سبحانه:

وَ لَقَدْ كَرَّمْنٰا بَنِی آدَمَ

(۱)

.

هذه الآيه تحدثت عن الجزاء المادى الذى ينتظر المؤمنين،و عن الجزاء المعنوى الروحى لهم،و هو رضا اللّه عنهم و رضاهم عنه.

إنّهم راضون عن اللّه لأنّ اللّه أعطاهم ما أرادوه،و اللّه راض عنهم لأنّهم أدّوا ما أراده منهم،و إنّ كانت هناك زله فقد غفرها بلطفه و كرمه.و أيه لذه أعظم من أن يشعر الإنسان أنّه نال رضا المحبوب و وصاله و لقاءه.

نعم،نعيم جسد الإنسان جنات الخلد،و نعيم روحه رضا اللّه و لقاؤه.

جمله ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ تدل على أن كل هذه البركات تنطلق من «خشيه اللّه».لأنّ هذه الخشيه دافع للحركه صوب كلّ طاعه و تقوى و عمل صالح.

بعض المفسّرين قرن هذه الآيه،بالآيه(۲۸)من سوره فاطر حيث يقول سبحانه: إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ و خرج بنتيجه هى أنّ الجنّه للعلماء طبعا لا بدّ أن نأخذ بنظر الإعتبار وجود مراتب و مراحل للخشيه و هكذا مراتب للعلم.

قيل أيضا أن«الخشيه»أسمى من«الخوف»،لأنّها خوف مقرون بالتعظيم و الاحترام.

۱- ۱) -الاسراء،الآيه ۷۰.

بحوث

اشاره

۱-علی علیه السّلام و شیعته خیر البریّه

ثمّه روایات کثیره بطرق أهل السنه فی مصادرهم الحدیثیه المعروفه،و هکذا فی المصادر الشیعیه،فسّرت الآیه: أُولٰئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ بأنهم علی و شیعته.

«الحاکم الحسکانی النیسابوری»عالم أهل السنه المعروف فی القرن الخامس الهجری نقل هذه الرّوایات فی کتابه المشهور«شواهد التنزیل»بطرق مختلفه،و یزید عدد هذه الرّوایات علی العشرین نذکر منها علی سبیل المثال ما یلی:

-۱

عن ابن عباس قال: عند ما نزلت آیه: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحٰاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ قال رسول اللّه لعلی: «هو أنت و شیعتک تأتی أنت و شیعتک یوم القیامه راضین مرضیین و یأتی عدوک غضبانا مقحمین» (۱) .

۲-و

عن أبی برزه قال: حینما تلا رسول اللّه هذه الآیه قال:«هم أنت و شیعتک یا علی،و میعاد ما بینی و بینک الحوض» (۲) .

۳-و

عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری قال: کنّا جالسین عند النبیّ جوار الکعبه،فاقدم علینا علی،و حین رآه النبیّ قال:«قد أتاکم أخی»،ثمّ التفت إلی الکعبه،و قال:«و ربّ هذه البیّنه!إنّ هذا و شیعته هم الفائزون یوم القیامه».

ثمّ التفت إلینا و قال:«أما و اللّه إنّه أوّلکم إیمانا باللّه،و أقومکم بأمر اللّه، و أوفاکم بعهد اللّه،و أقضاکم بحکم اللّه،و أقسمکم بالسویه،و أعدلکم فی الرعیه و أعظمکم عند اللّه مزیه» قال جابر:فأنزل اللّه: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحٰاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ فکان علی إذا أقبل قال أصحاب محمّد قد أتاکم خیر البریه بعد رسول

۱- ۱) -شواهد التنزیل،ج ۲،ص ۳۵۷،الحدیث ۱۱۲۶.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۳۵۹،الحدیث ۱۱۳۰.

اللّه (۱) .

نزول هـذه الآـيه جوار الكعبه لا يتنافى مع مـدنيه السّوره.إذ من الممكن أن تكون من قبيل النزول المجـدد،أو التطبيق،أضف إلى ذلـك أنّ نزول هـذه الآيـات لاـ يسـتبعد أن يكون خلاـل أسـفار النّبى إلى مكّه من المـدينه،خاصّه أنّ الراوى(جابر بن عبـد اللّه الأنصارى)قد التحق بالنّبى فى المدينه.

بعض هذه الأحاديث رواها ابن حجر فى الصواعق،و محمّد الشبلنجى فى نور الأبصار (۲) .

و جلال الدين السيوطى نقل القسم الأعظم من الرّوايه الأخيره عن ابن عساكر عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى (۳) .

-۴

فى«الـدر المنثور»عن ابن عبـاس قـال: «حين نزلت آيه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ .قال رسول اللّه لعلى:«هو أنت و شيعتك يوم القيامه راضين مرضيين».

-۵و

فى الدر المنثور أيضا عن ابن مردويه عن على عليه السّلام قال:«قال لى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ألم تسمع قول اللّه إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ ؟أنت و شيعتك و موعـدى و موعدكم الحوض،إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّا محجلين» (۴) .

كـثير من علمـاء السنه،سوى من ذكرنـا،نقلوا مثـل هـذه الرّوايـات فى كتبهم منهم:الخطيب الخـوارزمى فى المنـاقب،و أبو نعيم الأصفهانى فى كفايه الخصام، و العلاّمه الطبرى فى تفسيره،و ابن صباغ المالكى فى الفصول المهمّه،و العلاّمه

۱- ۱) -المصدر السابق،ص ۳۶۲،الحديث ۱۱۳۹.

۲- ۲) -الصواعق المحرقه،ص ۹۶؛و نور الأبصار،ص ۷۰ و ۱۰۱.

۳- ۳) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۷۹.

۴- ۴) -المصدر السابق.

الشوكانی فی فتح الغدیر،و الشیخ سلیمان القندوزی فی ینابیع الموده،و الآلوسی فی روح المعانی.

باختصار هذا الحدیث من الأحادیث المعروفه المشهوره المقبوله لدی أکثر علماء الإسلام،و فیه بیان لفضیله کبری من فضائل علی و أتباعه.

و هذه الرّوایات تدل ضمنا أنّ کلمه«الشیعه» باعتبارها اسما لأتباع علی علیه السّلام کانت قد شاعت منذ عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بین المسلمین علی لسان الرّسول نفسه.

و أولئک الذین یخالون أنّ الکلمه هذه ظهرت فی عصور متأخره فی خطأ کبیر.

۲-ضروره إخلاص النیّه فی العباده

بعض علماء اصول الفقه استدلوا بالآیه: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِیَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ علی لزوم«قصد القربه»فی العبادات،و أن الأصل فی الأوامر أنّها تعبدیه لا توصلیه.و هذا یتوقف علی کون«الدین»فی الآیه بمعنی العباده کی یصحّ الاستدلال بها علی لزوم الإخلاص فی العبادات...و یتوقف علی أن یکون(الأمر) فی الآیه بشکل مطلق کی یکون مفهومها لزوم قصد القربه فی کل الأوامر(عداما خرج منها بدلیل).غیر أنّ مفهوم الآیه لیس کذلک علی الظاهر.فالمقصود إثبات التوحید مقابل الشرک،أی إنّ هؤلاء لم یؤمروا إلاّ بالتوحید،و بهذا لا ترتبط المسأله بالأحکام الفرعیه.

۳-منحنی الصعود و السقوط

من آیات هذه السّوره المبارکه یستفاد أنّ الإنسان فرید بین مخلوقات الکون فی البون الشاسع الذی یفصل بین منحنی ارتفاعه و سمّوه و بین منحنی سقوطه و هبوطه.لو کان من الذین آمنوا و عملوا الصالحات(عباره«عملوا الصالحات»تشمل کلّ الأعمال الصالحه لا بعضها)فهو أفضل خلق اللّه؛و إنّ سلک

طریق الکفر و الضلاله و العناد هبط إلی هوه سحیقه و کان شرّ خلق اللّه.

هـذا البون الشـاسع بین الاتجاهین- رغم خطورته و حساسیته-له دلاله کبیره علی مکانه النوع البشری و قابلیته للتکامل.و طبیعی أن یکون إلی جانب هذه القابلیه العظیمه إمکان عظیم للهبوط و السقوط.

ربّنا!نسـتمد العون من فضلک و إحسانک لبلوغ درجه«خیر البریه» ربّنا!اجعلنا من شیعه ذلک الرجل الصالح الذی کان أجدر من نال هذه الدرجه.

ربّنا!منّ علینا بإخلاص یجعلنا متفانین فی حبّک و عبادتک.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره البیّنه

سوره الزّلزله

اشاره

مدنيّه و عدد آياتها ثمانى آيات

ص :۳۷۱

«سوره الزلزله»

محتوى السّوره:

اختلف المفسّرون فی مکّیه هذه السّوره أو مدنیتها.کثیرون ذهبوا إلی أنّها مدنیه.بینما ذهب بعض إلی أنّها مکّیه لما تتناوله آیاتها من حدیث حول«المعاد» و«أشراط الساعه»(علامات یوم القیامه)...و هی موضوعات الآیات المکّیه عاده.و لکنّ ثمّه روایه عن«أبی سعید الخدری»أنّه سأل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین نزول هذه السّوره عن آیه: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ... و أبو سعید انضم إلی المسلمین فی المدینه (۱) .

و لا تأثیر لمکیتها أو مدنیتها علی مفاهیمها التی تدور حول ثلاثه محاور رئیسیه:تتحدث أوّلا عن علامات البعث و یوم القیامه...ثمّ عن شهاده الأرض علی جمیع أعمال العباد...و بعد ذلک تقسم النّاس إلی مجموعتین صالحه و طالحه و تبیّن أنّ کلّ مجموعه تری ثمار عملها.

فضیله السّوره:

وردت فی فضیله هذه السّوره نصوص تحمل إشارات هامّه من ذلک ما

روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأها فکأنّما قرأ البقره و أعطی من الأجر کمن قرأ ربع القرآن» (۲) .

۱- ۱) -روح المعانی،ج ۳۰،ص ۳۰۸.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۲۴.

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام قال:

«لا تملوا من قراءه» إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا فإنّه من کانت قراءته بها فی نوافله لم یصبه اللّه عزّ و جلّ بزلزله أبدا،و لم یمت بها و لا بصاعقه و لا بآفه من آفات الدنیا حتی یموت» (۱) .

ص: ۳۷۴

۱- ۱) -اصول الکافی علی ما فی نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۴۷،ح ۴.

الآيات [سوره الزلزله (۹۹): الآيات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِذٰا زُلْزِلَتِ اَلْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا (۱) وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا (۲) وَ قٰالَ اَلْإِنْسٰانُ مٰا لَهٰا (۳) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا (۴) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهٰا (۵) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ اَلنّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ (۶) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (۷) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (۸)

التّفسير

اشاره

يوم يرى النّاس أعمالهم:

هذه السّوره تبدأ-كما ذكرنا فى محتواها-ببيان صور من الأحداث الهائله المفزعه التى ترافق نهايه هذا العالم و بدء البعث و النشور.تقول:

إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا

(۱)

.

وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا

.

۱- ۱) -إذا شرطيه،يحتمل أن يكون جزاء شرطها«يومئذ تحدث أخبارها»أو«يومئذ يصدر النّاس أشتاتا»،أو أنّ الجزاء محذوف و الجمله جاءت جوابا لسؤال:متى الساعه؟و التقدير:إذا زلزلت الأرض زلزالها تقوم الساعه.

عباره«زلزلها»تعنی أنّ الأرض بأجمعها تهتز فی ذلک الیوم(خلافا للزلازل العادیه الموضعیه عاده)أو أنّها إشاره إلی الزلزله المعهوده،أی زلزله یوم القیامه (۱) .

و«الأثقال»ذکر لها المفسّرون معانی متعدده.قیل إنّها البشر الذین یخرجون من أجداثهم علی أثر الزلزال.کما جاء فی قوله سبحانه: وَ أَلْقَتْ مٰا فِیهٰا وَ تَخَلَّتْ (۲) .

و قیل إنّها الکنوز المخبوءه التی ترتمی إلی الخارج،و تبعث الحسره فی قلوب عبّاد الدنیا (۳) .

و یحتمل أیضا أن یکون المقصود إخراج المواد الثقیله الذائبه فی باطن الأرض،و هو ما یحدث أثناء البراکین و الزلازل،فإنّ الأرض فی نهایه عمرها تدفع ما فی أعماقها إلی الخارج علی أثر ذلک الزلزال العظیم.

یمکن الجمع بین هذه التفاسیر.

فی ذلک الجو الملیء بالرهبه و الفزع،تصیب الإنسان دهشه ما بعدها دهشه فیقول فی ذعر:ما لهذه الأرض تتزلزل و تلقی ما فی باطنها؟ وَ قٰالَ الْإِنْسٰانُ مٰا لَهٰا .

و ذهب بعض المفسّرین إلی أنّ الإنسان فی الآیه هو الکافر الذی کان شاکا فی المعاد و البعث،و لکن الظاهر أنّ الإنسان هنا له معنی عام یشمل کل أفراد البشر.فالدهشه من وضع الأرض فی ذلک الیوم لا یختص بالکافرین.

و هل هذا السؤال التعجبی یرتبط بالنفخه الاولی أو الثّانیه؟أی هل یرتبط

۱- ۱) -بالمعنی الأوّل الإضافه لها معنی العموم،و فی الحاله الثانیه معنی العهد.ثمّ إنّ الزلزال بکسر الزای مصدر،و الزلزال بفتح الزای اسم مصدر،و هذه القاعده جاریه فی الفعل الرباعی المضاعف مثل(صلصال)و(وسواس).

۲- ۲) -الإنشقاق،الآیه ۴.

۳- ۳) -«أثقال»جمع ثقل-علی وزن فکر-بمعنی الحمل،و قیل إنّه جمع ثقل،علی وزن عمل،و هو متاع البیت أو المسافر. و المعنی الأوّل أنسب.

بنهایه الأرض أم بالبعث؟ الظاهر أنّها النفخه الاولی حیث تحدث الزلزله الکبری و ینتهی فیها هذا العالم.

و یحتمل أیضا أن تکون نفخه البعث و النشور،و إخراج النّاس من الأجداث و الآیات التالیه ترتبط بالنفخه الثّانیه.

و لما کان القرآن یتحدث فی مواضع مختلفه عن أحداث النفختین معا، فالتّفسیر الأوّل أنسب لما ورد من ذکر الزلزال المرعب فی نهایه العالم.و فی هذه الحاله یکون المقصود من أثقال الأرض معادنها و کنوزها و المواد المذابه فیها.

و أهم من ذلک أنّ الأرض:

یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا

.

تحدّث بالصالح و الطالح،و بأعمال الخیر و الشر،ممّا وقع علی ظهرها.و هذه الأرض واحد من أهم الشهود علی أعمال الإنسان فی ذلک الیوم.و هی إذن رقیبه علی ما نفعله علیها.

و

فی حدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «أ تدرون ما أخبارها»؟قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:«أخبارها أن تشهد علی کل عبد و أمه بما عملوا علی ظهرها.

تقول عمل کذا و کذا،یوم کذا،فهذا أخبارها» (1) .

و

فی حدیث آخر عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «حافظوا علی الوضوء و خیر أعمالکم الصلاه،فتحفظوا من الأرض فإنّها امّکم،و لیس فیها أحد یعمل خیرا أو شرّا إلاّ و هی مخبره به» (2) .

و

عن أبی سعید الخدری قال: متی کنت فی بیداء فارفع صوتک بالأذان لأنّی

1- 1) -نور الثقلین،ج 5،ص 649.

2- 2) -مجمع البیان،ج 10،ص 526.

سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«لا يسمعه جن و لا إنس و لا حجر إلاّ يشهد له» (۱) .

و هل إن تحديث الأرض يعنى أنّها تتكلم فى ذلک اليوم بأمر اللّه،أم إن المقصود ظهور آثار أعمال الإنسان على ظهر الأرض؟ واضح أنّ كل عمل يقوم به الإنسان يترک آثاره حتما على ما حوله،و إن خفيت علينا هذه الآثار اليوم،تماما مثل آثار أصابع اليد التى تبقى على مقبض الباب،و فى ذلک اليوم تظهر كل هذه الآثار،و حديث الأرض ليس سوى هذا الظهور الكبير؛تماما كما نقول لشخص نعسان:عينک تقول إنّک كنت سهرانا أمس.

أى إنّ آثار السهر عليها واضحه.

و ليس هذا الموضوع بغريب اليوم بعد الاكتشافات العلميه و الاختراعات القادره فى كلّ مكان و فى لحظه أن تسجل صوت الإنسان و تصور أعماله و حركاته فى أشرطه يمكن طرحها فى المحكمه كوثائق إدانه لا تقبل الإنكار.

لو كانت شهاده الأرض فيما مضى عجيبه،فليست اليوم بعجيبه و نحن نرى شريطا رقيقا يمكن أن يكون بحجم أزرار اللباس قادرا على أن يحتفظ بكثير من الأعمال و الأقوال.

و

فى حديث عن على عليه السّلام قال: «صلوا المساجد فى بقاع مختلفه،فإنّ كلّ بقعه تشهد للمصلّى عليها يوم القيامه» (۲) .

و

عنه عليه السّلام أيضا حينما كان يفرغ من تقسيم بيت المال يصلى ركعتين و يقول:

«اشهدى أنّى ملأتک بحق و فرغتک بحق» (۳) .

بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحىٰ لَهٰا

(۴)

.

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -لئالئ الأخبار،ج ۵،ص ۷۹(الطبعه الجديده).

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -الباء فى(بأنّ)للسببيه و اللام فى(لها)بمعنى إلى كما ورد فى قوله تعالى: وَ أَوْحىٰ رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ (النحل،الآيه ۶۸).

فما فعلته الأرض إنّما كان بوحى ربّها،و هى لا تتوانى فى تنفيذ أمر الرّب.

و عباره«اوحى»إنّما هى لبيان أنّ حديث الأرض خلاف طبيعتها،و لا يتيسر ذلك سوى عن طريق الوحى الإلهى.

قيل:إنّ المقصود هو أنّ اللّه يوحى للأرض أن تخرج أثقالها.

و التّفسير الأوّل أصح و أنسب، يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ .

«أشتات»جمع«شتّ»-على وزن شط-و هو المتفرق و المبعثر.أى إنّ النّاس يردون ساحه المحشر متفرقين مبعثرين.و قد يكون التفرق و التبعثر لورود أهل كلّ دين منفصلين عن الآخرين.

أو قد يكون لورود أهل كلّ نقطه من نقاط الأرض بشكل منفصل.

أو قد يكون لورود جماعه بأشكال جميله مستبشره،و جماعه بوجوه عبوسه مكفهره إلى المحشر.

أو إن كلّ أمّه ترد مع إمامها و قائدها كما فى قوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ (۱) .

أو أنّ يحشر المؤمنون مع المؤمنين و الكافرون مع الكافرين.

الجمع بين هذه التفاسير ممكن تماما لأنّ مفهوم الآيه واسع.

«يصدر»من الصدور،و هو خروج الإبل من بركه الماء مجتمعه هائجه و عكسه الورود.و هى هنا كنايه عن خروج الأقوام من القبور و ورودهم على المحشر للحساب.

و يحتمل أيضا أن يكون صدور النّاس فى الآيه من المحشر و التوجه نحو مستقرهم فى الجنّه أو النّار.

المعنى الأوّل أكثر تناسبا مع الآيات السابقه.

۱- ۱) -الاسراء الآيه ۷۱.

المقصود من عباره لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ هل هو:ليروا جزاء أعمالهم.

أو ليروا صحيفه أعمالهم و ما سجل فيها من حسنات و سيئات أو المشاهده الباطنيه،بمعنى المعرفه بكيفيه الأعمال.

أو أنّها تعنى«تجسم الأعمال»و رؤيه الأعمال نفسها؟! التّفسير الأخير أنسب مع ظاهر الآيه.و هذه الآيه أوضح الآيات الداله على تجسم الأعمال.حيث تتخذ الأعمال فى ذلك اليوم أشكالا تتناسب مع طبيعتها و تنتصب أمام صاحبها.و تكون رفقتها سرورا و انشراحا أو عذابا و بلاء.

ثمّ ينتقل الحديث إلى جزاء أعمال المجموعتين المؤمنه و الكافره،الصالحه و الطالحه.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ

.

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

.

و هنا أيضا تفسيرات مختلفه لرؤيه الأعمال هل هى رؤيه جزاء الأعمال،أم صحيفه الأعمال،أو العمل نفسه.

ظاهر الآيه يدل أيضا على مسأله«تجسم الأعمال»و مشاهده العمل نفسه، صالحا أم سيئا،يوم القيامه.حتى إذا عمل ما وزنه ذره من الذرات يره مجسما يوم القيامه.

«مثقال»فى اللغه بمعنى الثقل،و بمعنى الميزان الذى يقاس به الثقل و المعنى الأوّل هو المقصود فى الآيه.

و«الذره»ذكروا لها معانى متعدده من ذلك،النمله الصغيره،و الغبار الذى يلصق باليد عند وضعها على الأرض،و ذرات الغبار العالقه فى الجو التى تتّضح عند ما تدخل حزمه ضوء من ثقب داخل غرفه مظلمه.

و الذره تطلق اليوم على أصغر جزء من أجزاء الماده و التى منها تصنع«القنبله الذريه»،مع احتفاظه بخواص الماده الأصليه.و لا ترى بأقوى المجاهر،و تشاهد

آثارها فقط،و تعرف خواصها بالمحاسبات العلميه..

مهما كان مفهوم الذره فهو هنا أصغر وزن.

هـذه الآيه على أى حال تهزّ كيان الإنسان الواعى من الأعماق،و تشير إلى أنّ حساب اللّه فى ذلك اليوم دقيق و حساس للغايه.و ميزان أعمال النّاس دقيق إلى درجه يحصى أقلّ أعمال الإنسان.

بحوث

اشاره

١-الدقّه فى تحرى الأعمال

الآيتـان المـذكورتان و آيـات اخرى مشـابهه تـدلّ دلالـه واضــحه على الـدقّه المتنـاهيه فى تحرّى الأعمـال و فى المحاسـبه يـوم القيامه،كقوله سبحانه: يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَکُ مِثْقَالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَهٍ أَوْ فِی السَّمَاوَاتِ أَوْ فِی الْأَرْضِ یَأْتِ بِهَا اللّهُ إِنَّ اللّهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ (١) .

و«الخردل»بذر صغير جدّا لنبات معروف يضرب به المثل لصغره.

هـذه التعـابير القرآنيه تـدلّ على أنّ أصـغر الأعمـال يحـاسب عليهـا فى تلـك المحاسـبه الكبرى،و هـذه الآيـات تحـذر أيضا من استصغار الذنوب الصغيره،أو التهاون فى أعمال الخير و الصغيره.فما يحاسب عليه اللّه سبحانه-مهما كان- ليس بقليل الأهميه.

لـذلك قال بعض المفسّرين إنّ هـذه الآيات نزلت حين كان بعض الصـحابه يتهاون فى إنفاق الأموال القليله،و كانوا يقولون:إنّ الأجر يتوقف على إنفاق ما نحبّ،و الأشياء الصغيره لا نحبها.و هكذا كانوا يستهينون بالذنوب الصغيره.

١- ١) -لقمان،الآيه ١۶.

فنزلت الآيات و حثتهم على فعل الخيرات مهما قلت و نهتهم عن الذنوب مهما صغرت.

۲-جواب على سؤال

يطرح هنا سؤال بشأن ما تحدثت عنه الآيات و هو أنّ الإنسان يرى كلّ أعماله صالحه أم طالحه،صغيره أم كبيره.فكيف ينسجم ذلك مع الآيات التى تطرح مفاهيم«الإحباط»و«التكفير»و«العفو»و«التوبه»؟ فآيات«الإحباط»تقرر أنّ بعض السيئات مثل الكفر يذهبن الحسنات: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ (۱) .

و آيات«التكفير»تقول: إِنَّ الْحَسَنٰاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئٰاتِ (۲) و آيات«العفو و التوبه»توضح محو الذنوب بتوبه العبد و عفو الرب.

فكيف تنسجم هذه المفاهيم مع رؤيه كلّ أعمال الخير و السوء؟ و الجواب:أنّ الآيات المذكوره أعلاه و التى تنص على رؤيه أعمال الخير و أعمال السوء يوم القيامه هو أصل كلى و قانون عام.و كلّ قانون قد يكون له استثناءات.و آيات العفو و التوبه و الإحباط و التكفير هى من هذه الاستثناءات.

و ثمّه جواب آخر هو إنّه فى حاله الإحباط و التكفير تحدث فى الواقع موازنه و كسر و انكسار تماما مثل«المطالبات»و«القروض»التى يقل بعضها على حساب بعض،و حينما يرى الإنسان نتيجه هذه الموازنه فإنّما رأى فى الواقع كلّ أعماله الصالحه و الطالحه.و مثل هذا يصدق أيضا على«العفو»و«التوبه»لأنّ العفو لا يتمّ دون لياقه،و التوبه هى بنفسها من الأعمال الصالحه.

بعضهم ذكر هنا جوابا لا يبدو صحيحا،و هو أنّ الكفار يرون نتيجه أعمالهم

۱- ۱) -الزمر،الآيه ۶۵.

۲- ۲) -هود،الآيه ۱۱۴.

الصالحه فی هذه الدنیا،و هکذا المؤمنون ینالون جزاء أعمالهم السیئه فی هذا العالم.

و الظاهر أنّ الآیات التی نحن بصددها ترتبط بالقیامه لا بالدنیا،أضف إلی ذلک لیست هناک قاعده کلیّه تقضی أن یری کل مؤمن و کافر نتیجه أعماله فی هذه الدنیا.

۳-الآیه الجامعه

روی عن عبد اللّه بن مسعود قال:إنّ أحکم آیه فی القرآن: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ .و

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یسمیها «الجامعه» (۱) . و حقّا،لو تدبر الإنسان فی محتوی هذه الآیه تکفیه دافعا إلی طریق الخیر و ناهیا عن طریق الفساد و الانحراف.

لذا ورد أنّ رجلا جاء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال له:علمنی ممّا علمک اللّه.

فأوکله النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی أحد أصحابه لیعلمه القرآن،فعلمه: إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ إلی آخر السّوره.فنهض الرجل و قال:هذه تکفینی...و فی روایه قال:

تکفینی هذه الآیه.

عن زید بن أسلم(رض) أنّ رجلا جاء إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال:علمنی ما علمک اللّه،فدفعه إلی رجل یعلمه القرآن فعلمه إذا زلزلت الأرض حتی بلغ فمن یعمل إلخ...قال الرجل:حسبی.فأخبر بذلک النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال:«دعه فقد فقه الرجل» (۲) و

عن أبی سعید الخدری قال: لما أنزلت هذه الآیه فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ، وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ قلت:یا رسول اللّه إنّی لراء عملی؟قال:نعم.

قلت:الکبار الکبار.قال:نعم.قلت:الصغار الصغار.قال:نعم.قلت وا ثکلی امی،

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۶۴.

۲- ۲) -تفسیر روح البیان،ج ۱۰،ص ۴۹۵.

قال:ابشر یا أبا سعید فإنّ الحسنه بعشر أمثالها یعنی إلی سبعمائه ضعف،و اللّه یضاعف لمن یشاء و السیئه بمثلها أو یعفو اللّه،و لن ینجو أحد بعمله.قلت:و لا أنت یا نبیّ اللّه؟قال:و لا أنا إلاّ أن یتغمدنی اللّه منه بالرحمه (۱) .

ربّنا!عند ما لا یکون فی ذلک الیوم لرسولک العظیم ملاذ سوی عفوک و رحمتک،فکیف بنا و کیف حالنا...

إلهنا!إذا کانت أعمالنا هی الأصل فی نجاتنا فالویل لنا،و إن اسعفنا کرمک فهنیئا لنا..

اللّهمّ!لیس لنا فی ذلک الیوم الذی تتجسد فیه الأعمال صغیرها و کبیرها إلاّ لطفک العمیم و رحمتک الواسعه.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الزلزله

۱- ۱) -الدر المنثور،ج ۸،ص ۵۹۴

سوره العادیات

اشاره

مدنیّه و عدد آیاتها إحدی عشره آیه

ص :۳۸۵

محتوى السّوره:

اختلف المفسّرون كثيرا فى مكان نزول هذه السّوره،كثير منهم اعتبرها مكّيه،و جمع منهم قال إنّها مدنيه.

قصر مقاطع الآيات،و استنادها إلى القسم،و تناولها موضوع المعاد قرائن تدل على مكيتها.

لكن مضمون القسم فى السّوره و ارتباطه بمسائل الجهاد-كما سيتضح- و هكذا الرّوايه القائله بنزول هذه السّوره بعد غزوه(ذات السلاسل) (١) دلائل على مدنيه السّوره.حتى لو فسرنا مضمون القسم فى السّوره بحركه الحجاج نحو منى و المشعر فهو دليل على أنّها مدنيه أيضا.

صحيح أن مراسم الحج بأكثر مناسكه كانت شائعه بين عرب الجاهليه بتأثير من سنه إبراهيم.لكنّها كانت ممزوجه بالخرافات ممّا يجعل قسم القرآن بها مستبعدا.

من مجموع كل ذلك نرجح أن تكون السّوره مدنيه.

ممّا تقدم يتّضح أيضا محتوى السّوره،فهى تبدأ بالقسم بأمور محفّزه محركه.

ثمّ تتناول بعض مظاهر الضعف البشرى كالكفر و البخل و حب الدّنيا.ثمّ تشير السّوره إشاره قصيره معبّره إلى مسأله المعاد و إحاطه اللّه بعباده.

١- ١) -واقعه حدثت فى السنه الثامنه للهجره،و فيها أسر عدد كبير من الكفار،فشدوا بالحبال مكبلين و لذا سميت الواقعه بذات السلاسل،و سيأتى شرحها فى الآيات.

فضيله السّوره:

ورد فى فضـيله هذه السّوره عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات،بعدد من بات بالمزدلفه،و شهد جمعا» (۱) .

و

عن الإمـام جعفر بن محمّـد الصـادق عليه السّـلام قـال: «من قرأ و العاديـات و أدمن قراءتها بعثه اللّه مع أمير المؤمنين يوم القيامه خاصّه،و كان فى حجره و رفقائه» (۲) .

و فى بعض الرّوايات أن سوره«و العاديات»تعادل نصف القرآن (۳) .

و من الواضح أن كل هذه الفضيله إنّما هى نصيب من جعل السّوره منهاجا لحياته و آمن بكل محتواها و عمل بها.

۱- ۱) -«جمع»من اسماء المشعر الحرام،لاجتماع النّاس فيه،أو لجمع صلاه المغرب و العشاء فيه.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۲۷.

۳- ۳) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۸۳.

الآیات [سوره العادیات (۱۰۰): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً (۱) فَالْمُورِيٰاتِ قَدْحاً (۲) فَالْمُغِيرٰاتِ صُبْحاً (۳) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (۴) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (۵) إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (۶) وَ إِنَّهُ عَلىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ (۷) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ اَلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (۸) أَ فَلاٰ يَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِي اَلْقُبُورِ (۹) وَ حُصِّلَ مٰا فِي اَلصُّدُورِ (۱۰) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (۱۱)

سبب النّزول

روی أن هذه السّوره نزلت بعد واقعه ذات السلاسل و کانت الحادثه علی النحو التالی:

فی السنه الثامنه للهجره بلغ الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نبأ تجمّع اثنی عشر ألف راکب فی أرض«یابس»تعاهدوا علی أن لا یقرّ لهم قرار حتی یقتلوا الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علیّا علیه السّلام و یبیدوا الجماعه المسلمه.

و بعث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جمعا من أصحابه إلیهم فکلّموهم،و لکن دون جدوی.

فأرسل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا علیه السّلام مع جمع غفیر من المهاجرین و الأنصار

لمحاربتهم.فحثوا الخطى إلى منطقه العدو و طووا الطريق فى الليل،فحاصـروا العدوّ،و عرضوا عليهم الإسلام أوّلا،و حين أبوا شنوا هجومهم و الجوّ لمّا يزل فى ظلام،و دحروهم،فقتلوا جماعه و أسروا النساء و الأطفال و غنموا أموالا كثيره.

و نزلت سوره«و العاديات»،و جيوش الإسـلام لم تصل إلى المـدينه بعد،و فى ذات اليوم صـلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنّاس الغداه و قرأ«و العاديات»،فلما فرغ من صلاته قال أصحابه هذه سوره لم نعرفها،

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «نعم إن عليّا ظفر بأعداء اللّه و بشرنى بذلك جبرائيل عليه السّلام فى هذه الليله.فقدم على بعد أيّام بالغنائم و الأسارى (۱) .

و قيل:إن هذه الواقعه من المصاديق البارزه للآيه و ليست سببا لنزولها.

التّفسير

اشاره

قسما بالمجاهدين الواعين:

قلنـا إن هـذه السّوره تبـدأ بـالقسم بـأمور محفّزه متبّهه.تقسم أولاـ بالخيول الجاريه المنـدفعه(إلى ميـدان الجهاد)و هى تحمحم و تتنفس بشدّه:

وَ اَلْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً

(۲) .

و يمكن أن يكون القسم هـذا بإبـل الحجاج المتجهه من عرفات إلى المشـعر الحرام،و من المشـعر الحرام إلى منى و هى تتنفس بشدّه.

«العاديات»جمع عاديه،من«العدو»،و هو المغادره و الابتعاد بالقلب.

فتكون«العـداوه»أو بـالحركه الخـارجيه فيكون(العـدو)و هو الركض،أو بالمعاملاـت فيسـمى(العـدوان).و«العاديـات»فى الآـيه هى الجاريات بسرعه،

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۲۱،ص ۶۶ و ما بعدها.و«مجمع البيان»ج ۱۰،ص ۵۲۸.و بعض كتب التاريخ الأخرى.

۲- ۲) -القاعـده أن تكون:و العاديات عـدوا،و لكن«الضـبح»لملازمته العـدو ناب عنه،فكانت و العاديات ضـبحا.و قيل إن ضـبحا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره:و العاديات يضبحن ضبحا.

«الضبح»صوت الخيل و هى تتنفس بشدّه عند الجرى.

كما ذكرنا من قبل لهذه الآيه تفسيران:

الأوّل:أنّ المقسوم به فى الآيه الخيل السريعه الجرى نحو ميدان الجهاد.

و لما كان الجهاد أمرا مقدسا،فهذه الحيوانات فى جريها فى هذا المسير المقدس تنال من المكانه و اللياقه ما تستحق أن يقسم بها.

الثّانى:أنّ المقسوم به الإبل الجاريه فى موسم الحج بين المواقف المشرفه و هى تنقل الحجاج.لذلك كانت ذا قداسه تستحق القسم بها.

روى عن ابن عباس قال: بينما أنا جالس فى حجر إسماعيل إذ أتانى رجل فسأل عن«العاديات ضبحا»فقلت له:الخيل حين تغير فى سبيل اللّه ثمّ تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم و يورون نارهم.فانفتل عنّى و ذهب إلى على بن أبى طالب عليه السّلام و هو تحت سقايه زمزم.فسأله عن العاديات ضبحا،فقال:سألت عنها أحدا قبلى؟قال:نعم،سألت عنها ابن عباس فقال:الخيل حين تغير فى سبيل اللّه.

قال:فاذهب فادعه لى فلمّا وقف على رأسه قال:تفتى النّاس بما لا علم لك به؟! و اللّه إن كانت لأوّل غزوه فى الإسلام بدر،و ما كانت معنا إلا فرسان.فرس للزبير و فرس للمقداد بن الأسود،فكيف تكون العاديات الخيل،بل العاديات ضبحا الإبل من عرفه إلى مزدلفه و من مزدلفه إلى منى.قال ابن عباس فرغبت عن قولى و رجعت إلى الذى قاله على عليه السّلام. (۱)

و يحتمل أيضا أن يكون«للعاديات»هنا معنى واسع يشمل خيول المجاهدين و إبل الحجاج.و يكون معنى روايه ابن عباس أنّه لا ينحصر المعنى بالخيول إذ لا يصدق هذا المعنى فى كل مكان.و من مصاديقه هو إبل الحجاج.

هذا التّفسير أنسب من عدّه جهات.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۲۹،و أورد القرطبى هذه الرّوايه فى تفسيره،ج ۱۰،ص ۷۲۴۵.

ثمّ يأتی القسم التالی بهذه العاديات التی تورى النيران بحوافرها:

فَالْمُورِيٰاتِ قَدْحاً

.

و هی خيل المجاهدين التی تجری بسرعه فائقه فی ميدان القتال،بحيث تنقدح النّار من تحت أرجلها جرّاء احتكاك حوافرها بصخور الأرض.

أو هی الإبل التی تجری بين مواقف الحج،فتتطاير الحصى و الحجاره من تحت أرجلها و ترتطم بحصى و حجاره أخرى فتنقدح النيران.

أو مجاميع الحجيج التی تورى النّار فی المواقف للطعام.

أو كنايه عن الذين يضرمون نيران الحرب و الجهاد.

أو الألسن التی تشعل النّار فی قلب الأعداء ببيانها القامع.

أو إنّها-كما يقول بعض المفسّرين-المجموعه الساعيه فی رفع حاجات النّاس،مؤديه أهدافها.و يقال للمنجح فی حاجته:ورى زنده.

ظاهر الآيه يؤيد التّفسيرين الأولين،و بقيه التفاسير يبدو أنّها بعيده.

«الموريات»جمع«موريه»،و الإيراء يعنی إضرام النّار،و«القدح»ضرب الحجاره أو الخشب أو الحديد بما يشبهه لتوليد النّار.

و القسم الثّالث بالتی تغير صباحا على الأعداء:

فَالْمُغِيرٰاتِ صُبْحاً

.

و كانت العرب-كما يقول الطبرسی فی مجمع البيان-تقترب ليلا من منطقه العدو و تكمن له،و تشّن غارتها فی الصباح.

و فی سبب نزول الآيه(أو أحد مصاديقها الواضحه)رأينا أن جيوش المسلمين بقياده علی عليه السّلام استفادت من ظلام الليل،و اتجهت نحو معسكر الأعداء، و كمنت له،ثمّ شنت غارتها فی الصباح كالصاعقه.و دحرت العدوّ قبل أن يبدی مقاومه.

و لو اعتبرنا القسم بإبل الحجاج،فالمغيرات فی الآيه هی قوافل الإبل فی

صباح العيد من المشعر إلى منى.

«المغيرات»جمع«مغيره».و الإغاره:الهجوم على العدو،و قيل إن الكلمه تتضمّن معنى الهجوم بالخيل،و لكن موارد استعمالها يبيّن أن هذا القيد-إن كان موجودا فى الأصل-فقد حذف بالتدريج.

و ما أورده بعضهم من احتمال أن تكون«المغيرات»هى القبائل المهاجمه المتجهه إلى ميدان القتال،أو المسرعه إلى منى،فبعيد،لأن الآيه: وَ الْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً هى بالتأكيد وصف للخيل أو الإبل،لا أصحابها.و هذه الآيه استمرار لتلك.

ثمّ تشير الآيه التاليه إلى سرعه هذه العاديات فى هجومها،و ذلك بإثارتها الغبار فى كل جانب:

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً

(۱)

.

أو أنّ الغبار يثور من كل صوب نتيجه هجوم إبل الحجاج من المشعر الحرام على منى.

«أثرن»من الإثاره،و هى نشر الغبار و الدخان فى الجو.و قد تأتى بمعنى الهياج،أو انتشار أمواج الصوت فى الفضاء.

«النقع»هو الغبار،و أصل الكلمه انغماس الماء أو الانغماس فى الماء و الانغماس فى التراب يشبهه،و لذلك اتخذ نفس الاسم.و«النقيع»الماء الراكد.

و فى آخر خصائص هذه«المغيرات»تذكر الآيه أنّها ظهرت بين الإعداء فى الفجر:

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً

(۲)

.

هجومها كان مباغتا خاطفا بحيث استطاعت خلال لحظات أن تشق صفوف

۱- ۱) -الضمير فى(به)يعود إلى العدو المذكور فى(و العاديات ضبحا)فهى باء السببيه،أى بسبب هذا العدو يثور الغبار و يملأ الجو،و احتمل بعضهم أن يكون مرجع الضمير زمان أو مكان ذلك الهجوم.و تكون الباء عندئذ ظرفيه.و الصحيح المعنى الأوّل.

۲- ۲) -مرجع الضمير فى(به)و معنى الباء هو نفسه الذى ذكرناه فى الآيه السابقه.

العدوّ و تشن حملتها فی قلبه،و تشّتت جمعه.و هذا نتیجه ما تتحلّی به من سرعه و یقظه و استعداد و شهامه و شجاعه.

أو إنّها إشاره إلی ورود الحجاج من المشعر إلی قلب منی.

و قیل إنّ المقصود محاصره الأعداء.و هذا یصحّ لو کان الفعل«فوسّطن» بتشدید السین،و القراءه المشهوره لیست کذلک.فالصحیح هو المعنی الأوّل.

نستخلص ممّا سبق أن القسم فی الآیات بهذه الخیول التی هی أولا تسرع إلی میدان الجهاد بنفس شدید،ثمّ تزید سرعتها حتی یتطایر الشرر من تحت حوافرها فیشقّ عتمه اللیل...و بعدها تقترب من منطقه العدو،فتباغته،و عند انبلاج عتمه اللیل تشنّ هجوما شدیدا یثیر الغبار فی کل جانب،ثمّ تتوغل إلی قلب العدوّ و تشتت صفوفه.

القسم إذن-بهذه الخیول المقتدره!...بفرسانها الشجعان!...بأنفاس مرکب المجاهدین!...بشرارات النیران المتطایره من تحت حوافرها!...بذلک الهجوم المباغت!...بذرات الغبار المنتشره فی الفضاء!...بدخولها قلب صفوف الأعداء و تحقیق النصر الحاسم علیهم! هذه التعابیر-و إن لم ترد کلها صراحه فی الآیات-فهی مجموعه کلها فی الدلالات الضمنیه للکلام.

من هنا یتّضح أن الجهاد له منزله عظیمه حتی أن أنفاس خیل المجاهدین استحقت أن یقسم بها...و هکذا الشرر المتطایر من حوافر هذه الخیول...و الغبار الذی تثیره فی الجو...نعم حتی غبار ساحه الجهاد له قیمه و عظمه.

و قیل:أنّ المقصود بهذه الأقسام قد یکون النفوس التی تستطیع أن تنقل کمالها إلی الآخرین،و تقدح شراره العلم بأفکارها،و تهجم علی أهوائها النفسیه، و تثیر الشوق الإلهی فی نفسها و نفوس الآخرین،و تستقر أخیرا فی قلب سکنه

العليين. (۱)

واضح أن هذا لا يمكن أن يعتبر تفسيرا للآيات،بل هو تشبيهات تخطر فی الذهن لمناسبه تفسیر الآیه.

ثمّ یأتی جواب القسم،و يقول سبحانه:

إِنَّ الْإِنْسٰانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ

.

نعم،الإنسان البعید عن التربیه الصحیحه...و الذی لم تشرق فی قلبه أنوار المعارف الإلهیه و تعالیم الأنبیاء...الإنسان الخاضع لأهوائه و شهواته الجامحه هو حتما كفور بالنعمه و بخیل...إنّه لكنود.

و«كنود»اسم للأرض التی لا تنبت،و تطلق علی الإنسان الكفور و البخیل أیضا.

المفسّرون ذكر و الكلمه«كنود»معانی كثیره،منهم«أبو الفتوح الرازی»نقل ما یقارب من خمسه عشر معنی،و لكنّها غالبا فروع للمعنی الأصلی الذی ذكرناه، من ذلك:

۱-الكنود،الذی یهوّل من مصائبه و ینسی النعم.

۲-هو الذی یأكل نعم اللّه وحده،و یمنعها عن الآخرین.و

ورد عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: أ تدرون من الكنود؟قیل:اللّه و رسوله أعلم.قال:الكنود الذی یأكل وحده و یمنع رفده،و یضرب عبده (۲) .

۳-الكنود،الذی لا یواسی اخوته فی مشاكلهم و مصائبهم.

۴-من كان خیره شحیح.

۵-من یمنع نعمته عن الآخرین و یجزع فی المشاكل و المصائب.

۶-من ینفق النعم الإلهیه فی المعاصی.

۱- ۱) -تفسیر البیضاوی،ص ۴۶۵.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۳۰.

۷-من ینکر نعمه اللّه.

و هذه المعانی-کما ذکرنا-مصادیق و تفریعات لمعنی الکفران و البخل.

کلمه(الإنسان)فی مثل هذه الاستعمالات القرآنیه تعنی الأفراد المتطبعین علی الشر و الشهوات الجامحه و الطغیان،و قیل:إنّه الإنسان الکافر.

فهذه الصفه لا یمکن إطلاقها علی مطلق الإنسان.فثمّه أفراد لیسوا بقلیلین من امتزج الشکر و العطاء بدمائهم،و رفضوا البخل و الکفران،و استطاعوا بفضل الإیمان باللّه أن یتحرروا من الذاتیه و الأهواء الدنیئه و یحلقوا فی أجواء معرفه اسماء اللّه و صفاته و التخلق بالأخلاق الإلهیه.

وَ إِنَّهُ عَلیٰ ذٰلِکَ لَشَهِیدٌ

.

فهو بصیر بنفسه،و أن استطاع أن یخفی سریرته فلا یستطیع أن یخفیها عن اللّه و عن ضمیره،اعتراف بهذه الحقیقه أم لم یعترف.

قیل:إن الضمیر فی(إنّه)یعود إلی اللّه،أی إن اللّه شهید علی وجود صفه الکنود فی الإنسان.

و لکن الآیات السابقه و اللاحقه تحمل ضمائر تعود علی الإنسان.و بذا نستبعد هذا الاحتمال،و إن رجحه کثیر من المفسّرین.

و احتمل بعضهم أن یکون المعنی شهاده الإنسان علی عیوبه و ذنوبه یوم القیامه کما ورد فی مواضع متعدده من القرآن.

و هذا التّفسیر لا یقوم علی دلیل،لأنّ مفهوم الآیه واسع یشغل شهاده الإنسان علی کنوده فی هذه الدنیا أیضا.

صحیح أن الإنسان یعجز أحیانا عن معرفه نفسه،و بذلک یخدع ضمیره، و تصبح الصفات الذمیمه-بتسویل الشیطان و تزیینه-حسنه ممدوحه لدیه.و لکن صفه الکنود و هی الکفران و البخل واضحه إلی درجه لا یستطیع أن یخدع ضمیره و أن یغطی علیها.

وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ

.

أى إنه شديد الحبّ للمال و المتاع. (۱)

و هذا الانشداد المفرط بالمال و الثروه هو سبب هذا البخل و الكفران.

كلمه(الخير)لها معنى واسع يشمل كل نعمه.كثير من النعم مثل العلم و المعرفه و التقوى و الجنّه و السعاده ليست مذمومه،و لا ينكر عليها القرآن.لذلك فسر الخير فى الآيه بأنه(المال).يدل على ذلك قرينه المقام و الآيه السابقه،و آيات أخرى كقوله سبحانه: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذٰا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوٰالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ (۲) .

إطلاق«الخير»على المال فى الآيه يعود إلى أن المال فى حد ذاته شيء حسن،و يستطيع أن يكون وسيله لأنواع الخيرات.لكن الإنسان الكنود يصرفه عن هدفه الأصلى،و ينفقه فى طريق ذاتياته و أهوائه.

و فى استفهام استنكارى يقول سبحانه:

أَ فَلاٰ يَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِي الْقُبُورِ

.

وَ حُصِّلَ مٰا فِي الصُّدُورِ

و انكشف ما فى نفسه من كفر و ايمان،و رياء و إخلاص و غرور و تواضع و سائر نيات الخير و الشر.

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ

.نعم،فهو عليهم أعمالهم و نياتهم و سيجازيهم وفقها.

«بعثر»من«البعثره»و هى البعث و الإثاره و الإخراج و بعثره ما فى القبور:

بعث الموتى و إخراجهم من القبور.

«ما»اسم موصول لغير العاقل عاده،و إنّما قال سبحانه:

---

۱ - ۱) -اللام فى«لحبّ الخير»قد تكون لام التعديه أو لام العله،إن كانت للتعديه فيكون المعنى هو الذى ذكرناه،و إن كانت

للتعليل يكون المعنى:إنّ الإنسان بسبب حبّه للمال بخيل.و الأوّل أنسب.

٢- ٢) -البقره،الآيه ١٨٠.

مٰا فِي الْقُبُورِ

إمّا لكون الأفراد أمواتا،أو لأنّهم لا يزالون فی حاله إبهام بالنسبه لهويتهم.

و التعبير بـالقبور لاـ يتنـافی مع عـدم وجود قـبر لبعض الأـفراد،كالـذين يغرقون فی البحر،أو المنـدرسه قبورهم، و المتفرق تراب رفاتهم.لأـن أغلب النّاس لهم قبور،أضف إلى ذلـك أن القبر يمكن أن يكون له معنى واسع يشـمل كـل محـل فيه تراب جسـد الإنسان،و إن لم يكن بشكل قبر اعتيادی.

«حصّـل»من التحصـيل،و هو فی الأصل يعنی إخراج اللب من القشـر،و كـذلك تصـفيه المعادن،و اسـتخراج الـذهب و أمثاله من الخامات.ثمّ استعملت لمطلق الاستخراج و الفصل.و الكلمه فی الآيه تعنی فصل الخير عن الشر فی القلوب...

الإيمان عن الكفر،أو الصـفات الحسـنه عن الصـفات السـيئه...أو النوايا الحسـنه عن الخبيثه...تفصل فی ذلك اليوم و تظهر،و ينال كل فرد حسب ذلك جزاؤه.كما قال سبحانه فی موضع آخر: يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ (۱) .

و التعبير بكلمه«يومئذ»يعنی أن اللّه(فی ذلك اليوم)خبير بأعمال العباد و سرائرهم.

و نعلم أنّ اللّه سـبحانه عليم دائمـا بـذات الصـدور.فالتعبير«يومئـذ»هو لأـن ذلـك اليوم يوم الجزاء،و اللّه يجازيهم على أعمالهم و عقائدهم.

هذا التعبير-كما قال بعض المفسّرين-يشبه قول الذی يهدد شخصا فيقول:

سأعرف ماذا دهاك،فهو يعرف أمره الآن أيضا،و القصد أنه سيريه نتيجه ذلك.

نعم،اللّه سـبحانه عليم و خبير بأسـرارنا و ما تنطوی عليه نفوسنا كاملا.لكن أثر هذا العلم سيكون أظهر و أوضح عند الجزاء.و هذا التحذير لو دخل دائره إيمان البشر لكان سدا منيعا بينهم و بين الذنوب العلنيه و الخفيه،و الخارجيه و الباطنيه،

۱- ۱) -الطارق،الآيه ۹.

و لا يخفى على أحد ما لهذا الإعتقاد من آثار تربويه.

مسائل:

اشاره

۱-ارتباط قسم هذه السّوره بأهدافها

من الأسئله التى تطرح حول هذه السّوره سؤال حول الارتباط بين ما فى هذه السّوره من قسم بخيول المجاهدين،و قوله سبحانه:«إن الإنسان لربه لكنود».

فمواضع القسم فى القرآن يشاهد فيها ارتباط بين القسم و المقسم به.

و فصاحه القرآن و بلاغته تقتضى ذلك.

قد يكون الارتباط فى هذه السّوره أن القرآن يقول:ثمه أفراد من بنى الإنسان يضحّون على طريق الجهاد و يبذلون النفس و النفيس فى سبيل اللّه، فكيف و الحال هذه يستولى على بعض النّاس البخل و الكفران،فلا يؤدّون فريضه شكر النعم و لا يبذلون فى سبيل اللّه؟! صحيح أن القسم فى الآيات بالخيل،لكن الخيل إنّما اكتسبت أهميتها لأنها مركب المجاهدين.فالقسم إذن بجهاد المجاهدين.(و هكذا الأمر إذا كان القسم بإبل الحجاج).

و قيل أيضا أن الارتباط المذكور يحصل بأن هذه الحيوانات تجرى على طريق رضا اللّه،فلما ذا لا تخضع أنت أيّها الإنسان له، و أنت أشرف المخلوقات و أحق من غيرك؟! و المناسبه الأولى أوضح.

۲-هل الإنسان كنود بطبيعته؟

قد يستفاد من قوله سبحانه: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ أن البخل و الكفران

صفه لازمه لطبیعه الإنسان،فکیف یتناسب هذا مع ما یمتلکه الإنسان من ضمیر یقظ و شعور فطری یدعوه إلی شکر المنعم و إلی التضحیه؟ مثل هذا السؤال یطرح فی المواضع التی تتحدث عن صفه بارزه من صفات الضعف الإنسانی کقوله سبحانه عن الإنسان بأنه ظلوم و جهول (۱) و إنّه هلوع (۲) و إنّه یؤوس و کفور (۳) و إنّه لیطغی (۴) .

فهل نقاط الضعف هذه قائمه فی طبیعه الکائن البشری؟کیف یمکن أن یکون هذا و القرآن یقول: وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً (۵) جواب هذا السؤال یتّضح لو عرفنا أن الإنسان له بعدان وجودیان.و لذلک یستطیع فی منحناه الصعودی أن یرتقی إلی أعلی علیین،و فی منحناه النزولی إلی أسفل سافلین.

إذا خضع للتربیه الإلهیه و استلهم نداء العقل، و بنی نفسه کان مصداقا لقوله سبحانه: وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً .

و إذا أعرض عن الإیمان و التقوی،و خرج عن خط أولیاء اللّه کان موجودا ظلوما کفارا و یؤوسا و کفورا و هلوعا و کنودا.

من هنا فلا تناقض بین هذه الآیات،و کل منها یشیر إلی واحد من بعدی وجود الإنسان.

نعم،فی داخل فطره الإنسان تمتد جذور کل الحسنات و المفاخر و الفضائل، کما إن فیه استعدادا لما یقابل هذه الفضائل.

ص :۴۰۰

۱- ۱) -الأحزاب،الآیه ۷۲.

۲- ۲) -المعارج،الآیه ۱۹.

۳- ۳) -هود،الآیه ۹.

۴- ۴) -العلق،الآیه ۶.

۵- ۵) -الإسراء،الآیه ۷۰.

و لذلک لا یوجد فی عالم الخلقه موجود یفصل بین قوسه الصعودی و قوسه النزولی هذا القدر من البون الشاسع.(تأمل بدقّه).

۳-عظمه الجهاد

القرآن تعرض للحدیث عن مسأله الجهاد و عظمه المجاهدین فی سبیل اللّه فی مواضع عدیده.و لکن الحدیث فی هذه السّوره فرید فی تعظیمه للجهاد إذ عدّ حتی أنفاس خیل المجاهدین و شرر حوافرها و الغبار الذی تثیره عظیمه استحقت أن یقسم بها.

و رکزت الآیات بشکل خاص علی السرعه و العمل الخاطف للمجاهدین باعتباره أحد عوامل النصر فی الحروب،و علی المباغته باعتبارها عاملا آخر من عوامل الإنتصار فی الحرب.

و کلّ هذه تعالیم فی منهج الجهاد.

و یلفت النظر فی سبب نزول الآیه أنّ علیّا علیه السّلام أمر أن تسرج الخیل فی ظلام اللیل و أن تعدّ إعدادا کاملا،و حینما انفلق الفجر و زالت العتمه صلی بالنّاس الصبح،و شنّ هجومه مباشره،و ما أن انتبه العدوّ حتی وجد نفسه تحت وطأه خیل جیش الإسلام.

هذه الحمله السریعه المباغته جعلت إصابات المسلمین أقلّ ما یمکن، و حسمت الحرب خلال ساعات،و هذه المسائل انعکست جمیعا فی آیات هذه السّوره بشکل دقیق رائع.

واضح أنّ محور التکریم فی هذه السّوره لیس الخیل أو شراره حوافرها أو الغبار المتصاعد من تحت أرجلها بل هو«الجهاد»،ثمّ«عدّته»التی تشمل کلّ أنواع أجهزه الحرب فی أی زمان...تشمل کلّ أنواع«القوّه»المذکوره بشکل عام مطلق إلی جانب ذکر«رباط الخیل»فی الآیه(۶۰)من سوره الأنفال.

ربّنا!وفقنا للجهاد و التضحيه فی سبيل رضاک.

إلهنا!النفس الجامحه تجنح إلی الكفران...فاحفظنا من أخطارها.

اللّهم!أنت عليم بسرائرنا و خبير بأعمالنا ما ظهر منها و ما بطن فارفق بنا بلطفک و فضلک يا أرحم الراحمين.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره و العاديات

ص :۴۰۲

سوره القارعه

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها إحدى عشره آیه

ص :۴۰۳

محتوى السّوره:

تتنـاول هـذه السّوره بشـكل عـام المعاد،و مقـدماته،بتعابير حادّه،و بيان مؤثر، و إنـذار صـريح و واضـح،حيث تصـنّف النّاس يوم القيامه،إلى صنفين أو جماعتين:

الجمـاعه التى تكون أعمالهـا ثقيله فى ميزان العـدل الإلهى،فتحظى جزاء بـذلك، حياه راضـيه سـعيده فى جوار الرحمه الإلهيه،و جماعه أعمالها خفيفه الوزن، فتعيش فى نار جهنم الحارّه المحرقه.

و قد أشتقّ اسم هذه السّوره،أى(القارعه)من الآيه الاولى فيها.

فضيله السّوره:

يكفى فى فضيله هذه السّوره أن نقرأ الحديث الشريف

المروى عن الإمـام الباقر عليه السّـلام: «من قرأ القارعه آمنه اللّه من فتنه الـدّجال أن يؤمن به،و من قيـح جهنم يوم القيامه إن شاء اللّه» (1) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۳۰.

الآيات [سوره القارعه (۱۰۱): الآيات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ اَلْقٰارِعَةُ (۱) مَا اَلْقٰارِعَةُ (۲) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا اَلْقٰارِعَةُ (۳) يَوْمَ يَكُونُ اَلنّٰاسُ كَالْفَرٰاشِ اَلْمَبْثُوثِ (۴) وَ تَكُونُ اَلْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ اَلْمَنْفُوشِ (۵) فَأَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ (۶) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ (۷) وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ (۸) فَأُمُّهُ هٰاوِيَةٌ (۹) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا هِيَهْ (۱۰) نٰارٌ حٰامِيَةٌ (۱۱)

التّفسير

اشاره

الحادثه القارعه:

هذه الآيات تصف القيامه و تقول:

اَلْقٰارِعَةُ... مَا الْقٰارِعَةُ

؟! «القارعه»من القرع،و هو طرق الشيء بالشيء مع إحداث صوت شديد.

و سمّيت العصا و المطرقه بالمقرعه لهذه المناسبه.بل سمّيت كلّ حادثه هامّه صعبه بالقارعه.(تاء التأنيث قد تكون إشاره للتأكيد).

الآيه الثّالثه تخاطب حتى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تقول له: وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا الْقٰارِعَةُ

ص:۴۰۶

و هذا يدل على أنّ عظمه هذه الحادثه القارعه إلى درجه لا تخطر على فكر أحد.

على أى حال،أكثر المفسّرين ذكروا أنّ«القارعه»أحد أسماء القيامه،و لكن لم يوضحوا هل أنّه اسم لمقدمات القيامه إذ تقرع هذه الدنيا،و ينطفئ نور الشمس و القمر،و تغور البحار،إذا كانت القارعه هذه فوجه تسميتها واضح.

أو إنّه اسم للمرحله التاليه..أى مرحله احياء الموتى،و ظهور عالم جديد، و تسميتها«القارعه»-فى هذه الحاله-لما تبعثه من خوف و ذعر فى القلوب..

الآيات التاليه بعضها يتناسب مع حادثه انهدام العالم،و بعضها مع إحياء الموتى،و لكن الاحتمال الأوّل أنسب،و إن ذكرت الحادثتان كلاهما فى هذه الآيات متتابعتين.(مثل كثير من المواضع القرآنيه الاخرى التى تخبر عن يوم القيامه) و فى وصف ذلك اليوم العجيب يقول سبحانه:

يَوْمَ يَكُونُ النّٰاسُ كَالْفَرٰاشِ الْمَبْثُوثِ

.

«الفراش»جمع فراشه،و هى الحشره المعروفه ذات الألوان الزاهيه،و قيل إنّها الجراد.و يبدو أنّ هذا المعنى مستلهم من قوله تعالى حيث يصف النّاس يوم القيامه كَأَنَّهُمْ جَرٰادٌ مُنْتَشِرٌ (۱) ،لكن المعنى اللغوى للكلمه هو الحشره المعروفه.

و التشبيه بالفراش قد يكون لأن هذه الحشرات تلقى بنفسها بشكل جنونى فى النّار،و هذا ما يفعله أهل السيئات إذ يلقون بأنفسهم فى جهنّم.

و يحتمل أن يكون التشبيه لما يصيب جميع النّاس فى ذلك اليوم من حيره.

و إن كان الفراش بمعنى الجراد فوجه التشبيه هو إنّ الجراد-خلافا لكل الحيوانات التى تطير بشكل جماعى-ليس لها مسير مشخص فى حركتها،و كل

۱- ۱) -القمر،الآيه ۷.

منها يطير فى اتجاه.

و يطرح هنا السؤال أيضا بشأن مشاهد الحيره و التشتت و الفزع و الاضطراب، هل هى من أثر الحوادث المرعبه المرافقه لنهايه العالم،أم حوادث بدء القيامه و الحشر و النشر؟جواب السؤال يتّضح ممّا ذكرناه أعلاه.

ثمّ تذكر الآيه التاليه وصفا آخر لذلك اليوم و تقول:

وَ تَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ

.

و«العهن»هو الصوف المصبوغ.

و«المنفوش»هو المنشور و يتمّ ذلك عاده بآله الحلج الخاصّه.

سبق أن ذكرنا أنّ القرآن الكريم فى مواضع متعدده يتحدث عن الجبال عند قيام القيامه بأنّها تتحرك أوّلا،ثمّ تدكّ و تتلاشى و أخيرا تصبح بشكل غبار متطاير فى السماء.و هذه الحاله الأخيره تشبهها الآيه بالصوف الملون المحلوج...

الصوف المتطاير فى مهبّ الريح،لم يبق منه إلاّ ألوان...و هذه آخر مراحل انهدام الجبال.

هذا التعبير(العهن المنفوش)قد يكون إشاره إلى الألوان المختلفه للجبال، فإنّ لها ألوان شتّى.

هذه العباره تدل على أنّ الآيات أعلاه،تتحدث عن المرحله الاولى للقيامه و هى مرحله العالم و نهايته.ثمّ تتطرق الآيات التاليه إلى الحشر و النشر و إحياء الموتى و تقسيمهم إلى مجموعتين:

فَأَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ

أى إن ميزان عمله ثقيل.

فَهُوَ فِي عِيشَهٍ رٰاضِيَهٍ، وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ، فَأُمُّهُ هٰاوِيَهٌ، وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا هِيَهْ (۱) نٰارٌ حٰامِيَهٌ

.

ص :۴۰۸

۱- ۱) -«ماهيه»،أصلها«ما هى»،و الهاء ألحقت بها للسكت.

«موازين»جمع ميزان،و هو وسيله للوزن،تستعمل فى وزن الأجسام،ثمّ استعملت فى المعايير المعنويه.

و ذهب بعضهم إلى أنّ أعمال الإنسان تتجسم فى ذلك اليوم،و تصبح قابله للوزن،و توزن حقيقه بميزان الأعمال.

و قيل أيضا أنّ صحيفه أعمال الفرد هى التى توزن،فإن كانت تحمل صالحا ثقلت،و إلاّ خفت أو انعدم وزنها.

و فى الواقع،ليس من الضرورى أن يكون الميزان هو الآله المعروفه ذات الكفتين،بل هو كلّ وسيله لتقويم الوزن،كما

ورد فى الحديث: «إنّ أمير المؤمنين و الأئمّه من ذريّته عليهم السّلام هم الموازين» (۱) .

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام حين سئل عن معنى الميزان قال: «الميزان العدل» (۲) .

و بهذا نفهم أنّ أولياء اللّه و قوانين العدل الإلهى هى موازين يعرض عليها النّاس و أعمالهم و يتمّ قياس الوزن على مقدار الشبه و المطابقه.

واضح أنّ المقصود بثقل الموازين و خفتها هو ثقل الأشياء التى توزن بها و خفه تلك الأشياء.

و التعبير بكلمه(موازين)بصيغه الجمع يعود إلى أن كل واحد من أولياء اللّه و كل قانون من القوانين الإلهيه إنّما هو ميزان.أضف إلى ذلك أن تنوع مواصفات الكائن البشرى و أعماله يحتاج إلى تنوع فى الموازين.

الراغب فى المفردات يقول:

و ذكر فى مواضع الميزان بلفظ الواحد اعتبارا بالمحاسب(بكسر السين)و فى

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷،ص ۲۵۱.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۲،ص ۵.

مواضع الجمع اعتبارا بالمحاسبين (۱) (بفتح السين).

بعض المفسّرين قال:إنّ الموازين جمع الموزون،أی العمل الذی یوزن فثقل الموازین و خفتها إذن هو ثقل نفس الأعمال و خفتها.لا ثقل المیزان و خفته (۲) .

نتیجه الإثنین طبعا واحده،و لکن من طریقین مختلفین.

فی هذا الموضوع شرح أکثر فصلناه فی تفسیر الآیتین ۸ و ۹ من سوره الأعراف، و الآیه(۱۰۵)من سوره الکهف،و الآیه(۱۰۲)من سوره المؤمنون.

وصف العیشه بأنّها«راضیه»وصف رائع عن حیاه ملؤها النعمه و رغد العیش لأهل الجنّه فی القیامه.الرضا فی تلک الحیاه عمیق إلی درجه قال إنّها«عیشه راضیه»،و لم یقل«مرضیه».أی استعمل بدل اسم المفعول اسم الفاعل لمزید من التأکید (۳) .

هذه میزه الحیاه الآخره بشکل خاص.لأنّ الحیاه الدنیا-مهما کان فیها من رفاه و نعمه و رغد عیش و رضا-لا تخلو من المکدرات.الحیاه الأخری هی وحدها الملیئه بالرضا و الأمن و السلام و هدوء البال.

کلمه«أم»فی قوله: فَأُمُّهُ هٰاوِیَهٌ تعنی المأوی و الملجأ،لأنّ«الأم»هی مأوی ابنائها و ملاذهم،و یکون معنی الآیه:إنّ هؤلاء المذنبین الذین خفت موازینهم لا ملاذ لهم سوی جهنم،و ویل لمن کان ملجؤه جهنم.

و قیل:«أم»تعنی«الدماغ»،لأنّ العرب تطلق علی الدماغ اسم«أم الرأس» و یکون معنی الآیه أنّ رؤوس هؤلاء هاویه فی جهنم،بعباره اخری إنّ هؤلاء یلقون علی رؤوسهم فی نار جهنم.و نستبعد هذا الاحتمال،لعدم انسجامه مع الآیه

۱- ۱) -المفردات،ص ۵۲۲.

۲- ۲) -هذا الاحتمال ذکره الزمخشری فی الکشّاف،و الفخر الرازی فی التّفسیر الکبیر،و أبو الفتوح الرازی فی تفسیره.

۳- ۳) -قیل أیضا أنّ«راضیه»بمعنی(ذات رضا).أو قدروا محذوفا کأن تکون عیشه مرضیه لأصحابها.و التّفسیر المذکور أعلاه أنسب من غیره.

التاليه: وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا هِیَهْ ؟.

«هاویه»من(هوی)،أی سقط،و الهاویه اسم لجهنّم لأنّها محل سقوط المذنبین.و هی إشاره أیضا إلی عمق نار جهنم.

و إذا اعتبرنا(أم)بمعنی دماغ فتکون هاویه بمعنی ساقطه.و التّفسیر الأوّل أصح و أنسب.

«حامیه»من(حمی)-علی وزن نفی-و هو شدّه الحراره.و«حامیه»هنا إشاره إلی قدره نار جهنم علی الإحراق.

و قوله سبحانه: وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا هِیَهْ، نٰارٌ حٰامِیَهٌ تأکید علی شدّه عذاب نار جهنم و علی أنّها فوق تصور کلّ البشر.

بحث

اشاره

سبب ثقل میزان الأعمال:

الأعمال الصالحات هی دون شک متفاوته فی قیمتها و وزنها.من هنا فالنصوص الإسلامیه رکزت علی بعض الأعمال أکثر من غیرها و اعتبرتها سببا لثقل میزان الأعمال یوم القیامه.

من ذلک

حدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال فی تفسیر لا إله إلاّ اللّه:«یعنی بوحدانیته،لا یقبل اللّه الأعمال إلاّ بها،و هی کلمه التقوی،یثقل اللّه بها الموازین یوم القیامه» (۱) .

و

عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام قال حول الشهادتین: «خف میزان ترفعان منه،و ثقل میزان توضعان فیه» (۲) .

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۵۹ الحدیث ۸ و ۱۲.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحدیث ۷،ج ۵،ص ۶۵۹،ح ۷.

و

عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السّلام: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاه على محمّد و آل محمّد»... ثمّ يقول في ذيل الرّوايه:و إن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيخرج الصلاه فيضعها في ميزانه فيرجح. (۱)

و

عن الامام الباقر عليه السّلام قال: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه» (۲) .

و نختتم هذه الرّوايات بقول لسلمان الفارسي تلميذ مدرسه الوحي جوابا لرجل استهدف اهانته و قال له:من أنت،و ما قيمتك!فقال:«أمّا أولى و أولك فنطفه قذره،و أمّا أخرى و أخرك فجيفه منتنه،فإذا كان يوم القيامه،و نصبت الموازين،فمن ثقلت موازينه فهو الكريم،و من خفت موازينه فهو اللئيم» (۳) .

اللّهمّ!اجعل ميزان عملنا ثقيلا بحبّ محمّد و آل محمّد.

ربّنا!ما بوسعنا أن نصل إلى«عيشه راضيه»إلاّ بلطفك و كرمك...فأعنّا بفضلك على هذا الطريق.

إلهنا!نار جهنّم حاميه...و لا طاقه لنا بها فأطفئ لظاها لنا بماء رحمتك و كرمك.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره القارعه

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۶۶۰،الحديث ۱۳.

۳- ۳) -المصدر السابق،الحديث ۱۴.

سوره التّكاثر

اشاره

مكيّه و عدد آياتها ثماني آيات

ص :۴۱۳

«سوره التّكاثر»

محتوى السّوره:

يعتقد كثير من المفسّرين أنّ هذه السّوره نزلت في مكّه،و ما فيها من ذكر للتفاخر و التكاثر إنّما يرتبط بقبائل قريش التي كانت تتباهى على بعضها بأمور وهميّه.

و بعضهم-كالمرحوم الطبرسي في مجمع البيان-يرى أنّها مدنيه،و ما فيها من ذكر للتفاخر قد ورد بشأن اليهود أو طائفتين من الأنصار،لكن مكيتها أصح لشبهها الكبير بالسور المكّيه.

هذه السّوره تتناول في مجموعها تفاخر الأفراد على بعضهم استنادا إلى مسائل موهومه،و تذم ذلك و تلوم عليه،ثمّ تحذرهم من حساب المعاد و عذاب جهنم و ممّا سيسألون يوم ذاك عن النعم التي منّ اللّه بها عليهم.

اسم السّوره مستل من الآيه الأولى فيها.

فضيله السّوره:

ورد في فضيله هذه السّوره

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأها لم يحاسبه اللّه بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا،و أعطى من الأجر كأنّما قرأ ألف آيه» (۱) .

ص: ۴۱۵

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۳۲.

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام قال: «قراءه هذه السّوره فی الفریضه و النافله یعادل ثواب شهاده شهید» (1) .

واضح أنّ کلّ هذا الثواب إنّما هو لمن یقرأها و لمن یطبقها فی برنامج حیاته و یتفاعل معها روحیا و نفسیا.

۱- ۱) -المصدر السابق،بتلخیص.

الآيات [سوره التكاثر (۱۰۲): الآيات ۱ الى ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ أَلْهٰاكُمُ اَلتَّكٰاثُرُ (۱) حَتّٰى زُرْتُمُ اَلْمَقٰابِرَ (۲) كَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳) ثُمَّ كَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۴) كَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ (۵) لَتَرَوُنَّ اَلْجَحِيمَ (۶) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَيْنَ اَلْيَقِينِ (۷) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ (۸)

سبب النّزول

المفسّرون-كما أشرنا-يعتقدون أنّ السّوره نزلت فى قبائل كانت تتفاخر على بعضها بكثره الأموال و الأنفس حتى أنّها كانت تذهب إلى المقابر و تعدّ موتاها لترفع احصائيه أفراد القبيله.

بعضهم قال:إنّ المقصود قبيلتان من قريش فى مكّه،و بعضهم قال إنّهما قبيلتان من قبائل الأنصار فى المدينه،و قيل:إنّه إشاره إلى تفاخر اليهود على غيرهم،و يبدو أن الأوّل أصح لمكان مكّيه هذه السّوره.

سبب النزول-مهما كان-فهو لا يحد قطعا معنى الآيه.

ص: ۴۱۷

التّفسير

اشاره

بلاء التكاثر و التفاخر:

الآيات الاولى توجّه اللوم إلى المتكاثرين المتفاخرين و تقول:

أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ

فى الأنفس و الأموال.

حتى إنّكم ذهبتم إلى المقابر لتستكثروا أفراد قبيلتكم: حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ .

و احتمل بعض المفسّرين فى تفسير الآيه أنّ المعنى هو:إنّكم انشغلتم بالتكاثر و التفاخر حتى لحظه موتكم و ورودكم إلى المقابر.

لكن المعنى الأوّل أكثر انسجاما مع عباره حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ و مع سبب النزول،و خطبه نهج البلاغه كما سنشير إلى ذلك.

«ألهاكم»من«اللهو»و هو الانشغال بالأعمال الصغيره و الانصراف عن المهام الكبيره.و الراغب يفسّر اللهو بالعمل الذى يشغل الإنسان و يصرفه عن مقاصده و أهدافه.

«التكاثر»يعنى التفاخر و المباهاه «زرتم»من الزياره و«زور»(على وزن قول)فى الأصل بمعنى أعلى الصدر، ثمّ استعمل للقاء و المواجهه.و «زور»(على وزن قمر)بمعنى انحراف أعلى الصدر،و الكذب لانحرافه عن الحق سمّى(زورا)-على وزن نور-.

«المقابر»جمع مقبره،و هى مكان دفن الميت.و زياره المقابر إمّا أن تكون كنايه عن الموت.أو بمعنى الذهاب إلى المقابر و إحصاء الموتى بهدف التكاثر فى الأنفس و التفاخر بالعدد(حسب التّفسير المشهور).

و ذكرنا أن المعنى الثّانى أصح.و أحد شواهده

كلام لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام، بعد أن تلا: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ قال:

«يا له أمر ما أبعده!و زورا ما أغفله!و خطرا ما أفظعه!لقد استخلوا منهم أى مدّكر و تناوشوهم من مكان بعيد.أ فبمصارع آبائهم يفخرون؟!أو بعديد الهلكى

يتكاثرون؟!يرتجعون منهم أجسادا خوت،و حركات سكنت،و لأن يكونوا عبرا أحق من أن يكونوا مفتخرا!!» (۱) .

هذه الخطبه قسم من خطبه عظيمه يقول عنها ابن أبی الحدید المعتزلی:

«و أقسم بمن تقسم الأمم كلّها به؛لقد قرأت هذه الخطبه منذ خمسین سنه و إلی الآن أكثر من ألف مرّه،ما قرأتها قط إلاّ و أحدثت عندی روعه و خوفا و عظه، و أثرت فی قلبی وجیبا،و فی أعضائی رعده،و لا تأملتها إلاّ و ذكرت الموتی من أهلی و أقاربی،و أرباب ودی،و خیلت فی نفسی أنّی أنّا ذلک الشخص الذی وصف علیه السلام حاله.

و كم قد قال الواعظون و الخطباء و الفصحاء فی هذا المعنی!و كم وقفت علی ما قالوه و تكرر وقوفی علیه!فلم أجد لشیء منه مثل تأثیر هذا الكلام فی نفسی؛ فإمّا أن یكون ذلک لعقیدتی فی قائله،أو كانت نیه القائل صالحه،و یقینه كان ثابتا، و إخلاصه كان محضا خالصا،فكان تأثیر قوله فی النفوس أعظم و سریان موعظته فی القلوب أبلغ» (۲) .

و یقول فی مكان آخر:«ینبغی لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه فی مجلس و تلی علیهم أن یسجدوا»ثمّ یشیر إلی قول معاویه حول فصاحه الإمام علی علیه السّلام:

«و اللّه ما سنّ الفصاحه لقریش غیره».

الآیات التالیه فیها تهدید شدید لهؤلاء المتكاثرین،تقول: كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ فلیس الأمر كما ترون،و به تتفاخرون.بل سوف تعلمون عاجلا نتیجه هذا التكاثر الموهوم.

لمزید من التأكید یقول سبحانه: ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

جمع من المفسّرین ذهبوا إلی أنّ الآیتین تكرار لموضوع واحد و تأكید علیه.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۱.

۲- ۲) -شرح نهج البلاغه،ج ۱۱،ص ۱۵۳.

و كلتاهما تشيران إلى العذاب الذى ينتظر هؤلاء المتكاثرين المتفاخرين.

و بعضهم قال:إنّ الأولى إشاره إلى عذاب القبر و البرزخ و الثّانيه إلى عذاب القيامه.

و

روى عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ألهاكم التكاثر،إلى قوله:كلا سوف تعلمون،يريد فى القبر،ثمّ كلا سوف تعلمون،بعد البعث» (۱) .

فى التّفسير الكبير للفخر الرازى عن زر بن حبيش أحد أصحاب الإمام على عليه السّلام قال:كنّا فى شك فى عذاب القبر حتى سألنا عليّا فأخبرنا أن هذه الآيه دليل على عذاب القبر.

كَلّٰا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ

.كلا-ليس الأمر كما تظنون أيّها المتفاخرون المتكاثرون.فلو إنّكم تعلمون الآخره علم اليقين،لما اتجهتم إلى التفاخر و المباهاه بهذه المسائل الباطله.

و لمزيد من التأكيد و الإنذار تقول لهم الآيات التاليه:

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

فى ذلك اليوم عليكم أن توضحوا كيف أنفقتم تلك النعم الإلهيه.و هل استخدمتموها فى طاعه اللّه أم فى معصيته،أم أنّكم ضيعتم النعمه و لم تؤدّوا حقّها؟

بحوث

اشاره

۱-منبع التفاخر و التكاثر

من آيات السّوره يتبيّن أنّ أحد العوامل الأساسيه للتفاخر و التكاثر و المباهات هو الجهل بجزاء الآخره و عدم الإيمان بالمعاد.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۳۴.

كمـا إنّ جهل الإنسان بضـعفه و مسـكنته...ببدايته و نهايته...من العوامل الاخرى الباعثه على الكبر و الغرور و التفاخر.و لهـذا فإنّ القرآن الكريم بهـدف كسـر روح التفـاخر و التكـاثر فى الأفـراد،يقصّ علينـا فى مواضع كثيره مصـير الأقوام السالفه،و كيف إنّها كانت تمتلك كلّ وسائل القوّه و المنعه،لكنّها أبيـدت بوسائل بسيطه...بالريح...بالصاعقه...بالزلزال...بالسـيل...بعباره اخرى بالماء و الهواء و التراب..و أحيانا بالسـجّيل و بطير أبابيل!! فلم-و الحال هذه-كلّ هذا التفاخر و الغرور؟! ثمّ عامل آخر لهذه الظاهره هو الإحسـاس بالضـعف و عقـده الحقـاره الناتجه عن الفشل.و الأفراد الفاشـلون من أجل أن يغطوا على فشـلهم يلجأون إلى الفخر و المباهات و لذلك

ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «ما من رجل تكبر أو تجبّر إلاّ لذله وجدها فى نفسه» (۱) .

و

عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام قال:

«ثلاثه من عمل الجاهليه:الفخر بالأنساب،و الطعن بالأحساب و الاستسقاء بالأنواء(طلب الماء بواسطه النجوم)» (۲) .

و

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «أهلك النّاس اثنان:خوف الفقر،و طلب الفخر» (۳) .

و الحق أنّ أهم عوامل الحرص و البخل و الخلود إلى الـدنيا و المنافسات المخربه،و كثير من المفاسد الاجتماعيه هو هذا الخوف الوهمى من الفقر و التفاخر و التعالى بين الأفراد و الأمم و القبائل.

و لذا

ورد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «ما أخشى عليكم الفقر و لكن أخشى

۱- ۱) -اصول الكافى،ج ۲،ص ۲۳۶:باب الكبر،الحديث ۱۷.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۷۳،ص ۲۹۱.

۳- ۳) -بحار الأنوار،ج ۷۳،ص ۲۹۰،الحديث ۱۲.

علیکم التکاثر» (۱) .

«التکاثر»کما أشرنا یعنی فی الأصل التفاخر،و لکنّه یعنی أحیانا حبّ الاستزاده من المال و جمعه،کما

ورد فی الحدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:

«التکاثر فی الأموال:جمعها من غیر حقّها،و منعها من حقها،و شدّها فی الأوعیه» (۲) .

هذا البحث الموسّع نختمه

بحدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی تفسیر أَلْهٰاکُمُ التَّکٰاثُرُ قال:

«یقول ابن آدم:مالی مالی؛و ما لک من مالک إلاّ ما أکلت فأفنیت،أو لبست فأبلیت،أو تصدقت فأمضیت» (۳) .

نعم،حقّا لا یعود علی الإنسان شیء من ماله الذی جمعه و عدده،و تساهل -أحیانا-فی حلاله و حرامه،إلاّ ما یأکل و یشرب و یلبس،أو ما ینفقه فی سبیل اللّه و ما ینفقه علی الاحتیاجات الشخصیه قلیل،فما أفضل أن یزید حظه من ماله بالإنفاق!

۲-الیقین و مراحله

«الیقین»یقابل«الشک»،کما إنّ«العلم»یقابل«الجهل»،و الیقین یعنی وضوح الشیء و ثبوته.و یستفاد من الرّوایات أنّ الیقین هو أعلی مراحل الإیمان.

الإمام محمّد بن علی الباقر علیه السّلام یجعل الإیمان أعلی من الإسلام درجه،و التقوی أعلی من الإیمان درجه،و الیقین أعلی من التقوی درجه ثمّ

یقول: «و لم یقسم بین النّاس شیء أقل من الیقین».

۱- ۱) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۸۷.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۶۲،الحدیث ۸.

۳- ۳) -صحیح مسلم،نقلا عن مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۳۴.

و

يسأل الراوی:ما هو اليقين؟يقول:«التوكل على اللّه،و التسليم للّه،و الرضا بقضاء اللّه،و التفويض إلى اللّه!» (۱) .

علوّ مقام اليقين على مقام التقوى و الإيمان و الإسلام أكدت عليه روايات أخرى (۲) .

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «من صحه يقين المرء المسلم أن لا يرضى النّاس بسخط اللّه،و لا يلومهم على ما لم يؤته اللّه...إنّ اللّه بعدله و قسطه جعل الروح و الراحه فی اليقين و الرضا،و جعل الهم و الحزن فی الشک و السخط».

و من هذه النصوص و أمثالها نفهم جيدا أنّ الإنسان-حين يصل إلى مقام اليقين-تغمر قلبه و روحه طمأنينه خاصّه.

و مع هذا،فلليقين مراتب،أشارت إليها الآيه أعلاه و الآيه(۹۵)من سوره الواقعه: إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ،و هی ثلاثه:

۱-علم اليقين:و هو الذی يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفه، كأن يشاهد دخانا فيعلم علم اليقين أن هناک نارا.

۲-عين اليقين:و هو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجه المشاهده كأن يرى بعينه مثلا النّار.

۳-حقّ اليقين:و هو كأن يدخل الإنسان النّار بنفسه و يحسّ بحرقتها، و يتصف بصفاتها.و هذه أعلى مراحل اليقين.

يقول المحقق الطوسی:اليقين اعتقاد جازم مطابق ثابت،لا يمكن زواله،و هو فی الحقيقه مؤلف من علمين،العلم بالمعلوم و العلم بأن خلاف ذلک العلم محال،

ص: ۴۲۳

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۰،ص ۱۴۳.

۲- ۲) -الميزان،ج ۶،ص ۱۸۷.

و له مراتب:علم اليقين،و عين اليقين،و حقّ اليقين (۱) .

إنّه ذكر عند النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّ بعض أصحاب عيسى عليه السّلام كان يمشى على الماء

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لو كان يقينه أشدّ من ذلك لمشى على الهواء» فالحديث-كما ترى-يومئ إلى أنّ الأمر يدور مدار اليقين باللّه سبحانه و محو الأسباب الكونيه عن الاستقلال فى التأثير،فإلى أى مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدره المطلقه الإلهيه انقادت له الأشياء على قدره (۲) .

۳-الجميع يرى جهنم

الآيه الكريمه: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ لها تفسيران:

الأوّل:إنّها تتحدث عن مشاهده الجحيم فى الآخره،و هو خاص بالكفّار،أو لعامه الجن و الإنس،إذ تنص بعض الآيات على أنّه ما من أحد إلّا وارد جهنّم.

الثّانى:إنّها تتحدث عن الشهود القلبى فى عالم الدنيا.و فى هذه الحاله تكون الآيه جوابا لقضيه شرطيه هى:لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم(فى هذه الدنيا بعين بصيرتكم).لأنّ الجنّه و جهنّم مخلوقان،و لهما الآن وجود خارجى.

و لكن-كما ذكرنا-التّفسير الأوّل أنسب مع الآيات التاليه التى تتحدث عن يوم القيامه.من هنا،فالقضيه قطعيه و ليست شرطيه.

۴-أىّ نعيم يسأل عنه يوم القيامه؟

الآيه الأخيره من السّوره تقول: ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .قيل إنّ النعيم المسؤول عنه هو نعمه السلامه،و فراغ البال،و قيل:إنّه الصحه و السلامه و الأمن،

ص:۴۲۴

۱- ۱) -على ما فى بحار الأنوار،ج ۷۰،ص ۱۴۳.

۲- ۲) -الميزان،ج ۶،ص ۲۰۰«ذيل الآيه ۱۰۵ من سوره المائده».

و قيل:الآيه تشمل كل هذه النعم.

و

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال: «النعيم:الرّطب،و الماء البارد».

و روى أنّ أبا حنيفه سأل الإمام جعفر بن محمّد الصادق عن تفسير هذه الآيه قال الإمام:«ما النعيم عندك يا نعمان»قال:القوت من الطعام و الماء البارد، فقال عليه السّلام«لئن أوقفك اللّه يوم القيامه بين يديه حتى يسألك عن كلّ أكله أكلتها و شربه شربتها ليطولن وقوفك بين يديه».قال:فما النعيم جعلت فداك؟قال الامام:«نحن أهل البيت النعيم الذى أنعم اللّه بنا على العباد و بنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين و بنا ألّف اللّه بين قلوبهم و جعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء و بنا هداهم اللّه للإسلام و هى النعمه التى لا تنقطع و اللّه سائلهم عن حقّ النعيم الذى أنعم اللّه به عليهم و هو النّبى و عترته» (1) .

من كلّ هذه الرّوايات-التى يبدو أنّها مختلفه فى ظاهرها-نفهم أنّ النعيم له معنى واسع جدّا يشمل كلّ المواهب الإلهيه المعنويه منها مثل:الدين و الإيمان و الإسلام و القرآن و الولايه،و أنواع النعم الماديه الفرديه منها و الاجتماعيه.بيد أن النعم التى لها أهميّه أكبر مثل:نعمه«الإيمان و الولايه»يسأل عنها أكثر.هل أدّى الإنسان حقّها أم لا؟و الرّوايات التى تنفى شمول الآيه للنعم الماديه يظهر أنّها تريد أن تقول:لا ينبغى أن نترك المصاديق الأهم للآيه و نتمسك بالمصاديق الأصغر.إنّه تحذير-فى الواقع-إلى النّاس بشأن سلسله مراتب المواهب و النعم الإلهيه،و بأنّهم يتحملون إزاءها مسئوليه ثقيله.

و كيف يمكن أن لا يسأل عن هذه النعم؟و هى ثروه كبيره و هبت للبشريه يجب أن تقدر كل واحده منها حقّ قدرها و أن يؤدّى شكرها،و أن يستثمر كل منها

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۳۵.

فی موضعها.

اللّهمّ!أدم علینا نعمک التی لا تحصی،خاصّه نعمه الإیمان و الولایه.

ربّنا!وفقنا لأداء حق کل هذه النعم.

إلهنا!زد علینا من نعمک الکبری،و لا تسلبها منا أبدا.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره التکاثر

سوره العصر

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ثلاث آیات

ص :۴۲۷

محتوى السّوره:

المعروف أنّ هذه السّوره مكّيه،و احتمل بعضهم أنّها مدنيه.و يشهد على مكّيتها لحنها و مقاطعها القصيره.

شموليه هـذه السّوره تبلغ درجه حـدت ببعض المفسّرين إلى أن يرى فيها خلاصه كل مفاهيم القرآن و أهدافه.بعباره اخرى:هذه السّوره-رغم قصرها- تقدم المنهج الجامع و الكامل لسعاده الإنسان.

تبـدأ السّوره من قسم عميق المحتوى بالعصـر.و سيأتى تفسيره.ثمّ تتحـدث عن خسـران كـلّ أبناء البشـر خسـرانا قائما فى طبيعه حياتهم التدريجيه.ثمّ تستثنى مجموعه واحده من هذا الأصل العام،و هى التى لها منهج ذو أربع مواد:

الإيمان،و العمل الصالـح،و التواصـى بالحق،و التواصـى بالصبر،و هـذه الأصول الأربعه هى فى الواقع المنهـج العقائـدى و العملى الفردى و الاجتماعى للإسلام.

فضيله السّوره:

ورد فى فضـيله هـذه السّوره عـن الإمـام الصـادق عليـه السّلام قـال: «مـن قرأ«و العصـر» فى نـوافله بعثـه اللّه يـوم القيـامه مشـرقا وجهه،ضاحكا سنّه،قريره عينه،حتى

یدخل الجنّه» (۱) .

و واضح أنّ کل هذه الفضیله و هذه البشری نصیب من طبق الأصول الأربعه المذکوره فی حیاته،لا أن یقنع فقط بقراءتها.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۴۵.

الآیات [سوره العصر (۱۰۳): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ وَ اَلْعَصْرِ (۱) إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَفِی خُسْرٍ (۲) إِلاَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ (۳)

التّفسیر

اشاره

طریق النجاه الوحید:

فی بدایه هذه السّوره نواجه قسما قرآنیا جدیدا،یقول سبحانه:

وَ الْعَصْرِ

.

کلمه(العصر)فی الأصل الضغط،و إنّما اطلق علی وقت معین من النهار لأنّ الأعمال فیه مضغوطه.ثمّ أطلقت الکلمه علی مطلق الزمان و مراحل تاریخ البشریه،أو مقطع زمانی معین،کأن نقول عصر صدر الإسلام.و لذلک ذکر المفسّرون فی معنی العصر احتمالات کثیره:

۱-قیل:إنّه وقت العصر من النهار،بقرینه وجود مواضع اخری أقسم اللّه فیها بأوّل النهار کقوله تعالی: وَ الضُّحیٰ (۱) أو وَ الصُّبْحِ إِذٰا أَسْفَرَ (۲) .

۱- ۱) -و الضحی،الآیه ۱.

۲- ۲) -المدثر،الآیه ۳۴.

و إنّما أقسم بالعصر لأهميته،إذ هو فى وقت من النهار يحدث فيه تغيير فى نظام المعيشه و حياه البشر،الأعمال اليوميه تنتهى،و الطيور تعود إلى أوكارها، و قرص الشمس يميل إلى الغروب،و يتجه الجو إلى أن يكون مظلما بالتدريج.

هذا التغيير يلفت نظر الإنسان إلى قدره اللّه المطلقه فى نظام الكون،و هو فى الواقع أحد علامات التوحيد،و أيه من آيات اللّه تستحق أن يقسم بها.

٢-قيل:إنّه كلّ الزمان و تاريخ البشريه المملوء بدروس العبره،و الأحداث الجسيمه.و هو لذلك عظيم يستحق القسم الإلهى.

٣-بعضهم قال:إنّه مقطع خاص من الزمان مثل عصر البعثه النبويه المباركه، أو عصر قيام المهدى المنتظر عليه السّلام،و هى مقاطع زمنيه ذات خصائص متميزه و عظمه فائقه فى تاريخ البشر.و القسم فى الآيه إنّما هو بتلك الأزمنه الخاصّه (١) .

٤-بعضهم عاد إلى الأصل اللغوى للكلمه،و قال إنّ القسم فى الآيه بأنواع الضغوط و المشاكل التى تواجه الإنسان فى حياته،و تبعث فيه الصحوه و توقظه من رقاده،و تذكره باللّه سبحانه،و تربّى فيه روح الاستقامه.

٥-قيل:إنّها إشاره إلى«الإنسان الكامل»الذى هو فى الواقع عصاره عالم الوجود و الخليقه.

٦-و أخيرا قيل إنّ الكلمه يراد بها صلاه العصر،لأهميتها الخاصّه بين بقيه الصلوات،لأنّها(الصلاه الوسطى)التى أمر اللّه أن يحافظ عليها خاصّه.

مع أنّ التفاسير أعلاه غير متضاده،و يمكن أن تجتمع كلّها فى معنى الآيه، و يكون القسم بكل هذه الأمور الهامّه،و لكن الأنسب فيها هو القسم بالزمان و تاريخ البشريه.لأنّ القسم القرآني-كما ذكرنا مرارا-يتناسب مع الموضوع الذى أقسم اللّه من أجله و من المؤكّد أن خسران الإنسان فى الحياه ناتج عن

١- ١) -عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال فى تفسير آيه: وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ :العصر عصر خروج القائم (أى خروج الإمام المهدى المنتظر سلام اللّه عليه).نور الثقلين،ج ۵،ص ۶۶۶،الحديث ۵.

تصـرّم عمرهم،أو أنّه عصـر بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،لأنّ المنهج ذا المواد الأربع فى ذيل هذه السّوره نزل فى هذا العصر.

تتّضـح ممّـا سبق عظمه آيـات القرآن و سـعه مفاهيمهـا. فكلمه واحـده تحمـل من المعـانى العميقه ما يجعلها صالحه لكل هـذه التفاسير المتنوعه.

الآيه التاليه تحمل الموضوع الذى جاء القسم من أجله،يقول سبحانه:

إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ

الإنسان يخسـر ثروته الوجوديه شاء أم أبى،.تمرّ الساعات و الأيّام و الأشهر و الأعوام من عمر الإنسان بسرعه،تضعف قواه الماديه و المعنويه،تتناقص قدرته باستمرار.

نعم،إنّه كشخص عنده ثروه عظيمه،و هذه الثروه يؤخذ منها كلّ يوم شىء باستمرار رغم إرادته،هذه طبيعه الحياه الدنيويه...طبيعه الخسـران المسـتمر! القلـب لـه قـدره معينـه على الضـربان،و حيـن تنفـد هـذه القـدره يتوقـف القلب تلقائيـا دون علّه من عيب أو مرض.هذا إذا لم يكن توقف الضربان نتيجه مرض.

و هكذا سائر الأجهزه الوجوديه للإنسان،و ثروات قدراته المختلفه.

«خسـر»و خسـران،كما يقول الراغب،انتقاص رأس المال،و ينسب ذلك إلى الإنسان،فيقال خسـر فلان،و إلى الفعل فيقال:خسرت تجارته.قـال تعـالى: تِلْكَ إِذاً كَرَّهٌ خاسِرَهٌ .و يسـتعمل ذلك فى المقتنيات الخارجيه كالمال و الجاه فى الـدنيا و هو الأكثر،و فى المقتنيـات النفسـيه كالصـحه و السـلامه و العقـل و الإيمان و الثواب، و هو الـذى جعله اللّه تعالى الخسـران المبين،و قال:«الـذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامه،ألا ذلك هو الخسران المبين» (۱) .

الفخر الرازى فى تفسير هذه الآيه ينقل عن أحد الصالحين ما ملخصه أنّه

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده خسر.

تعلم معنى هـذه الآـيه الكريمه من بائع ثلـج كان يصـيح و يقول:ارحموا من يـذوب رأس ماله،ارحموا من يـذوب رأس ماله (۱) على أى حال،الدنيا فى المنظور الإسلامى سوق تجاره.كما

يقول الإمام على بن محمّد الهادى عليه السّـلام: «الدنيا سوق ربح فيها قوم و خسـر آخرون» (۲) الآيه الكريمه التى نحن بصددها تقول:كلّ النّاس فى هذه السوق الكبرى خاسرون إلاّ مجموعه تسير على المنهج الذى تبيّنه الآيه التاليه.

نعم،هناک طريق واحد لا غير لتفادى هذا الخسران العظيم القهرى الإجبارى،و هو الذى تبيّنه آخر آيات هذه السّوره.

إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ

بعباره اخرى:ما يستطيع أن يحول دون هـذا الخسـران الكبير،و أن يبـدله إلى منفعه كبيره و ربح عظيم هو أنّه مقابل فقدان رأس المال،يحصل على رأس مال أغلى و أثمن،يسـتطيع أن يسدّ مسدّ رأس المال المفقود،بل أن يكون أفضل و أكثر منه عشـرات،بل مئات،بل آلاف المرات.

كلّ نفس من أنفاس الإنسان يقربه خطوه نحو الموت،

أمير المؤمنين على عليه السّلام يقول: «نفس المرء خطاء إلى أجله» (۳) .

و هكـذا كـلّ ضـربه من ضـربات القلب تقرب الإنسـان من الموت من هنـا لاـ بـدّ من المبادره إلى ملء الفراغ الـذى يولـده هـذا الخسران الحتمى.

هناک من ينفق رأس مال عمره و حياته مقابل الحصول على مال قليل أو كثير،على بيت صغير أو فخم.

هناک من ينفق كل رأس المال هذا من أجل الوصول إلى منصب أو مقام.

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۲،ص ۸۵.

۲- ۲) -تحف العقول،ص ۳۶۱،كلمات الإمام الهادى عليه السّلام.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،الكلمه ۷۴.

و هناک من ینفقه فی سبیل أهوائه و ملذاته.

لیس أی واحد من هذه الأمور-دون شک-یمکن أن یکون ثمنا لتلک الثروه العظیمه...ثروه العمر...ثمنها الوحید رضا اللّه سبحانه و مقام قربه لا غیر.

قال أمیر المؤمنین علی علیه السّلام: «إنّه لیس لأنفسکم ثمن إلاّ الجنّه فلا تبیعوها إلاّ بها» (۱) .

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام فی دعاء شهر رجب: «خاب الوافدون علی غیرک و خسر المتعرضون إلاّ لک».

و من هنا کان أحد أسماء یوم القیامه«یوم التغابن»کما جاء فی قوله سبحانه:

ذٰلِکَ یَوْمُ التَّغٰابُنِ

(۲)

.أی ذلک الیوم الذی یظهر من هو المغبون و الخاسر.

إنّه لتنظیم رائع فی علاقه العبد بربّه.فهو سبحانه من جهه یشتری رأس مال وجود الإنسان: إِنَّ اللّٰهَ اشْتَریٰ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ... (۳) .

و من جهه أخری یشتری سبحانه رأس المال القلیل: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ (۴) .

و من جانب آخر یدفع مقابل ذلک ثمنا عظیما یبلغ أحیانا عشره أضعاف و أحیانا سبعمائه ضعف،و أحیانا أکثر: فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ،وَ اللّٰهُ یُضٰاعِفُ لِمَنْ یَشٰاءُ (۵) .

و کما

ورد فی الدعاء: «یا من یقبل الیسیر و یعفو عن الکثیر».

و من جهه رابعه،فإنّ کلّ رؤوس أموال الإنسان و ثرواته قد وهبها اللّه إیّاه...

و اللّه بفضله و منّه و لطفه یعود لیشتری هذه الثروات نفسها بأغلی الأثمان!

۱- ۱) -المصدر السابق،الکلمه ۴۵۶.

۲- ۲) -التغابن،الآیه ۹.

۳- ۳) -التوبه،الآیه ۱۱۱.

۴- ۴) -الزلزال،الآیه ۷.

۵- ۵) -البقره الآیه ۲۶۱.

بحث

اشاره

منهج السعاده ذو المواد الأربع:

من المهم أن نقف و لو قليلاـ عند المنهج الذى وضعه القرآن الكريم للنجاه من ذلك الخسران...إنّه منهج يتكون من أربعه أصول هى:

الأصل الأوّل:«الإيمان»و هو البناء التحتى لكلّ نشاطات الإنسان،لأنّ فعاليات الإنسان العمليه تنطلق من أسس فكره و اعتقاده،لا كالحيوانات المدفوعه فى حركاتها بدافع غريزى.

بعباره اخرى،أعمال الإنسان بلوره لعقائده و أفكاره،و من هنا فإن جميع الأنبياء بدأوا قبل كلّ شىء بإصلاح الاسس الاعتقاديه للأمم و الشعوب.و حاربوا الشرك بشكل خاص باعتباره أساس أنواع الرذائل و الشقاوه و التمزق الاجتماعى.

و الآيه الكريمه قالت: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا فذكرت الإيمان بمعناه المطلق ليشمل الإيمان بكلّ المقدسات،ابتداء من الإيمان باللّه و صفاته،حتى الإيمان بالقيامه و الحساب و الجزاء و الكتب السماويه و أنبياء اللّه و أوصيائهم.

الأصل الثّانى:«العمل الصالح»،و هو ثمره دوحه الإيمان.تقول الآيه:

...وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ

لا العبادات فحسب،و لا الإنفاق فى سبيل اللّه وحده،و لا الجهاد فى سبيل اللّه فقط،و لا الاكتفاء بطلب العلم...بل كلّ الصالحات التى من شأنها أن تدفع إلى تكامل النفوس و تربيه الأخلاق و القرب من اللّه، و تقدم المجتمع الإنسانى.

هذا التعبير يشمل الأعمال الصغيره،كرفع الحجر من طريق النّاس و الأعمال الجسام مثل إنقاذ ملايين النّاس من الضلاله و الانحراف و نشر الرساله الحقه و العداله فى أرجاء العالم.

و ما ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فى تفسير وَ عَمِلُوا

ص: ۴۳۶

بأنّه المواساه و المساواه للأخوه فی اللّه،إنّما هو من قبیل بیان المصداق الواضح للآیه.

قد تصدر الأعمال الصالحه من أفراد غیر مؤمنین،لکنّها غیر متجذره و غیر ثابته و غیر واسعه.لأنّها لا تنطلق من دافع إلهی عمیق،و لا تحمل صفه الشمولیه.

القرآن ذکر«الصالحات»هنا بصیغه الجمع مقرونه بالألف و اللام لتدل علی معنی العموم و الشمول.و لتبیّن أن طریق تفادی الخسران الطبیعی الحتمی بعد الإیمان،هو أداء الأعمال الصالحه جمیعا،و عدم الاکتفاء بعمل واحد أو بضع أعمال صالحات حقّا،لو رسخ الإیمان فی النفس،لظهرت علی الفرد مثل هذه الآثار.

الإیمان لیس فکره جامده قابعه فی زوایا الذهن،و لیس اعتقادا خالیا من التأثیر.الإیمان یصوغ کلّ وجود الإنسان وفق منهج معین.

الإیمان مثل مصباح منیر مضیء فی غرفه.فهو لا یضیء الغرفه فحسب،بل إن أشعته تسطع من کلّ نوافذ الغرفه إلی الخارج بحیث یری کل مار نوره بوضوح.

و هکذا،حین یسطع مصباح الإیمان فی قلب إنسان،فإنّ نوره ینعکس من لسان الإنسان و عینه و أذنه و یدیه و رجلیه.حرکات کلّ واحده من هذه الجوارح تشهد علی وجود نور فی القلب تسطع أشعته إلی الخارج.

و من هنا اقترن ذکر الصالح فی أغلب مواضع القرآن بذکر الإیمان باعتبارها لازما و ملزوما.فقال سبحانه: مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثیٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیٰاةً طَیِّبَةً (۱) .و یقول تعالی عن أولئک الذین ترکوا الدنیا دون عمل صالح،إنّهم یصرون علی العوده إلی الدنیا و یقولون: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً فِیمٰا تَرَکْتُ (۲) .

۱- ۱) -النحل،الآیه ۹۷.

۲- ۲) -المؤمنون،الآیه ۱۰۰.

و يقول سبحانه لرسله: يٰا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبٰاتِ وَ اعْمَلُوا صٰالِحاً (۱) .

و لما كـان الإيمـان و العمـل الصالـح لاـ يكتب لهما البقاء إلاّ في ظلّ حركه اجتماعيه تستهدف الـدعوه إلى الحق و معرفته من جهه،و الدعوه إلى الصبر و الاستقامه على طريق النهوض بأعباء الرساله،فإنّ هذين الأصلين تبعهما أصلان آخران هما في الحقيقه ضمان لتنفيذ أصلي«الإيمان»و«العمل الصالح».

الأصل الثّالث:«التواصي بالحق»،أي الدعوه العامّه إلى الحق،ليميز كلّ أفراد المجتمع الحق من الباطل،و يضعوه نصب أعينهم،و لا ينحرفون عنه في مسيرتهم الحياتيه.

«تواصوا»كما يقول الراغب تعني أن يوصي بعضهم إلى بعض.

و«الحق»في الأصـل الموافقه و المطـابقه للواقع.و ذكر للكلمه معـاني قرآنيه متعـدده من ذلـك،و القرآن،و الإسـلام،و التوحيـد،و العدل،و الصدق،و الوضوح، و الوجوب و أمثالها من المعاني التي ترجع إلى نفس المعنى الأصلي الذي ذكرناه.

عباره تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ تحمل على أي حال معنى واسعا يشـمل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يشـمل أيضا تعليم الجاهل و إرشاده،و تنبيه الغافل، و الدعوه إلى الإيمان و العمل الصالح.

واضح أن المتواصين بالحق يجب أن يكونوا بدورهم من العاملين به، و المدافعين عنه.

الأصـل الرّابع:«التواصـي بـالصبر»،و الاسـتقامه،إذ بعـد الإيمان و الحركه في المسـيره الإيمانيه تبرز في الطريق العوائق و الموانع و السرور.و بدون الاستقامه و الصبر لا يمكن المواصله في إحقاق الحقّ و العمل الصالح و الثبات على الإيمان.

۱- ۱) -المؤمنون،الآيه ۵۱.

نعم،إحقاق الحق فى المجتمع لا ـ يمكن من دون حركه عامّه و عزم اجتماعى، و من دون الاستقامه و الوقوف بوجه ألوان التحديات.

«الصبر»هنا يحمل مفهوما واسعا يشمل الصبر على الطاعه،و الصبر على دوافع المعصيه،و الصبر إزاء المصائب و الحوادث المرّه،و فقدان الإمكانات و الثروه و الثمرات (۱) .

ممّا تقدم نفهم أنّ الأصول الأربعه التى ذكرتها هذه السّوره المباركه تشكل المنهج الجامع لحياه الإنسان و سعادته.و لذلك ورد فى الرّوايات أنّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانوا إذا اجتمعوا لا يفترقون إلّا بعد تلاوه سوره«و العصر» و يتذاكروا فى مضامينها (۲) .

و المسلمون اليوم إذا طبقوا هذه الأصول الأربعه فى حياتهم الفرديه و الاجتماعيه لتغلبوا على كل ما يعانون منه من مشاكل و تدهور و تخلف،و لبدلوا ضعفهم و هزيمتهم انتصارا،و لاقتلعوا شرّ الأشرار من على ظهر الأرض.

ربّنا!تفضّل علينا بالصبر و الاستقامه و التواصى بالحق و التواصى بالصبر.

إلهنا!كلّنا فى خسران،و لا يمكن أن نجبر هذا الخسر إلّا بلطفك.

اللّهمّ!إنا نسألك توفيق العمل بالمواد الأربع التى ذكرتها فى هذه السّوره من كتابك.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره العصر

۱- ۱) -حول حقيقه الصبر و مراحله و شعبه،فصلنا الحديث فى تفسير الآيه(۱۵۳)من سوره البقره.

۲- ۲) -الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۹۲.

سوره الهمزه

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها تسع آیات

ص :441

«سوره الهمزه»

محتوى السّوره:

هـذه السّوره و هى من السور المكّيه،تتحـدث عن أنـاس كرسوا كـلّ همهم لجمع المال،و حصـروا كلّ قيم الإنسان الوجوديه فى هذا الجمع.ثمّ هم يسخرون من الذين لا يملكون المال و بهم يستهزئون.

هؤلاـء الأثريـاء المسـتكبرون و المغرورون المحتـالون أسـكرهم الطغيـان فراحـوا يسـتهينون بالآـخرين و يعيبونهم،و يتلـذذون بما يفعلون من غيبه و استهزاء.

السّوره تتحـدث فى النهـايه عن المصـير المؤلم الـذى ينتظر هؤلاـء،و كيف أنّهم يلقون فى جهنّم صـاغرين،و أنّ نـار جهنّم تتجه بلظاها أوّلا إلى قلوبهم المليئه بالكبر و الغرور،و تحرقها بالنّار،بنار مستمره.

فضيله السّوره:

ورد فى فضيله هذه السّوره

عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره الهمزه اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمّد و أصحابه» (۱) .

و

عن الإمـام الصـادق عليه السّـلام قـال: «من قرأ ويل لكلّ همزه فى فريضه من فرائضه، نفت عنه الفقر و جلبت عليه الرزق و تـدفع عنه ميته السوء» (۲) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۳۶.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآیات [سوره الهمزه (۱۰۴): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ (۱) اَلَّذِی جَمَعَ مالاً وَ عَدَّدَهُ (۲) یَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ (۳) کَلاّ لَیُنْبَذَنَّ فِی اَلْحُطَمَهِ (۴) وَ ما أَدْراکَ مَا اَلْحُطَمَهُ (۵) نارُ اَللّهِ اَلْمُوقَدَهُ (۶) اَلَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی اَلْأَفْئِدَهِ (۷) إِنَّها عَلَیْهِمْ مُؤْصَدَهٌ (۸) فِی عَمَدٍ مُمَدَّدَهٍ (۹)

سبب النّزول

قال جمع من المفسّرین إنّ آیات هذه السّوره نزلت فی(الولید بن المغیره) الذی کان یغتاب النّبی و یطعن فیه و یستهزئ به.

و قیل إنّها نزلت فی أفراد آخرین من رؤوس المشرکین و أعداء الإسلام مثل (الأخنس بن شریق)و(امیه بن خلف)و(العاص بن وائل).

و لکن،إنّ قبلنا أسباب النزول هذه فلا ینفی ذلک شمولیه مفاهیم الآیات،بل إنّها تستوعب کلّ الذین یحملون هذه الصفات.

ص :۴۴۴

التّفسير

اشاره

الويل للهمّازين و اللمّازين:

تبدأ هذه السّوره بتهديد قارع و تقول:

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ

...لكلّ من يستهزئ بالآخرين،و يعيبهم،و يغتابهم، و يطعن بهم،بلسانه و حركاته و بيده،و عينه و حاجبه.

«الهمزه»و«اللمزه»صيغتا مبالغه،الاولى من الهمز،و هى فى الأصل الكسر.

العائبون المغتابون يكسرون شخصيه الآخرين،و لذلك اطلق عليهم اسم(الهمزه).

و«اللمزه»من اللمز،و هو اغتياب الآخرين،و الصاق العيوب بهم.

للمفسّرين آراء متعدده فى معانى هاتين الكلمتين،هل معناهما واحد،و هو المغتابون النّاس العائبون عليهم،أو إنّ معناهما مختلف.قال بعضهم إنّ معناهما واحد،و ذكرهما معا للتأكيد.

و قيل:الهمزه هو المغتاب،و اللمزه:العائب.

و قيل:الهمزه هم العائبون بإشاره اليد و الرأس. و اللمزه من يعيب بلسانه.

و قيل:الاولى إشاره إلى العائب فى حضور الشخص،و الثّانيه للعائب فى الغيبه.

و قيل:الاولى تعنى العائب فى العلن،و الثّانيه للعائب فى الخفاء،و بإشاره العين و الحاجب.

و قيل:إنّ الاثنتين بمعنى الذى ينبز النّاس بألقاب قبيحه مستهجنه.

و عن ابن عباس فى تفسير الكلمتين قال:«هم المشاؤون بالنميمه،المفرقون بين الأحبه،الناعتون للناس بالعيب» (۱) .

يبدو أن ابن عباس استلهم هذا التّفسير من

كلام لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث يقول:

١- ١) -تفسير الفخر الرازى،ج ٣٢،ص ٩٢.

«ألا أنبئكم بشراركم؟قالوا:بلی یا رسول اللّه.قال:المشاؤون بالنمیمه،المفرقون بین الأحبّه،الباغون للبرآء المعایب» (1) .

من مجموع آراء اللغویین فی الکلمتین یستفاد أنّهما بمعنی واحد.و لهما مفهوم واسع یشمل کلّ ألوان إلصاق العیوب بالنّاس و غیبتهم و الطعن و الاستهزاء بهم،باللسان و الإشاره و النمیمه و الذم.

التعبیر بکلمه(ویل)یحمل تهدیدا شدیدا لهذه الفئه.و القرآن یتشدّد تجاه هؤلاء الأفراد و یذکرهم بعبارات لا نظیر لها فی ذکر سائر المذنبین.فحین یذکر المنافقین الذین یسخرون من المؤمنین یتهددهم بعذاب ألیم و یقول: اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاٰ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِینَ مَرَّةً فَلَنْ یَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ (2) .

مثل ذلک ذکره القرآن بشأن المنافقین المستهزئین بالنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الآیه(5) من سوره(المنافقون).

الإسلام،أساسا،ینظر إلی شخصیه الإنسان و کرامته باحترام بالغ،و یعدّ أی عمل یؤدّی إلی إهانه الآخرین ذنبا کبیرا،و

ورد عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «أذل النّاس من أهان النّاس» (3) .

فی هذا المجال ذکرنا شرحا أوفی فی تفسیر الآیتین(11 و 12 من سوره الحجرات.

ثمّ تذکر الآیه التالیه منبع ظاهره اللمز و الهمز فی الأفراد،و تری أنّها تنشأ غالبا من کبر و غرور ناشئین بدورهما من تراکم الثروه لدی هؤلاء الأفراد، و تقول: اَلَّذِی جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ بطریق مشروع أو غیر مشروع.

فهو انشدّ بالمال انشدادا جعله منشغلا دائما بعدّ المال و الالتذاذ ببریق

1- 1) -اصول الکافی،ج 2،باب النمیمه،الحدیث 1.

2- 2) -التوبه،الآیه 80.

3- 3) -بحار الأنوار،ج 75،ص 142.

الدرهم و الدينار.

تحول الدرهم و الدينار عنده إلى وثن و يرى فيه شخصيته و ينظر من خلاله أيضا إلى شخصيه الآخرين.و من الطبيعى أن يكون تعامل مثل هذا الإنسان الضال الأبله بالسخريه و الاستهزاء مع المؤمنين الفقراء.

«عدده»من(عدّ)بمعنى حسب.و قيل من(العدّه)بمعنى تجهيز الأموال ليوم الشدّه.

و قيل:أنّها تعنى أمسكه و حفظه.

و المعنى الأوّل أظهر.

على أى حال،هذه الآيه تقصد الذين يدخّرون الأموال و لا ينظرون إليها باعتبارها وسيله بل هدفا،و لا يحدهم قيد أو شرط فى جمعها،حتى و لو كان من طريق الحرام و الاعتداء على حقوق الآخرين و ارتكاب كلّ دنيئه و رذيله، و يعتبرون ذلك دليلا على عظمتهم و شخصيتهم.

هؤلاء لا يريدون المال لسد حاجاتهم الحياتيه،و لذلك يزداد حرصهم على جمع المال كلّما كثرت أموالهم.و إلاّ فإن المال فى الحدود المعقوله و من الطرق المشروعه ليس بمذموم،بل إنّ القرآن الكريم عبّر عنه فى موضع بأنّه«فضل اللّه» حيث يقول تعالى: وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ .

و فى موضع آخر يسميه خيرا،كقوله سبحانه: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّهُ .

مثل هذا المال ليس بالتأكيد مبعث طغيان،و لا وسيله تفاخر،و لا دافع سخريه بالآخرين.لكن المال الذى يصبح معبودا و هدفا نهائيا،و يدعو أصحابه من أمثال «قارون»إلى الطغيان،هو العار و الذله و المأساه و مبعث البعد عن اللّه و الخلود فى

(۳

-الجمعه،الآيه ۱۰.

النّار.

و مثل هذا المال لا يمكن جمعه و عدّه إلاّ بالسقوط فی أو حال الحرام.لذلک

ورد عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام قال: «لا یجتمع المال إلاّ بخمس خصال:

بخل شدید،و أمل طویل،و حرص غالب،و قطیعه رحم،و إیثار الدنیا علی الآخره» (۱) .

لأنّ الأفراد الأسخیاء البعیدین عن الآمال الوهمیه الطویله یهتمون بحلال أموالهم و حرامها،و یساعدون الأقربین،و لا تتراکم الثروه عندهم غالبا،و إن زادت عائداتهم.

فی الآیه التالیه یقول سبحانه:

یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ

(۲)

.

«أخلده»جاء فی الآیه بصیغه الماضی،و یعنی أن هذا الهمزه اللمزه یحسب أنّ ماله قد صیّر منه موجودا خالدا،لا یستطیع الموت أن یصل إلیه،و لا عوامل المرض و الحوادث قادره أن تنال منه،فالمال فی نظره هو المفتاح الوحید لحل کلّ مشکله،و هو یملک هذا المفتاح.

ما أتفه هذا التفکیر!!قارون بکل ما کان یملکه من کنوز لا تستطیع العصبه أولو القوّه أن تحمل مفاتحها،لم یستطیع أن یستخدم أمواله لتأخیر مصیره الأسود ساعه واحده: فَخَسَفْنٰا بِهِ وَ بِدٰارِهِ الْأَرْضَ (۳) .

الأموال التی کان یمتلکها الفراعنه: ...مِنْ جَنّٰاتٍ وَ عُیُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقٰامٍ کَرِیمٍ وَ نَعْمَهٍ کٰانُوا فِیهٰا فٰاکِهِینَ (۴) ،تحولت فی ساعه إلی غیرهم:

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۶۸،الحدیث ۷.

۲- ۲) -«ماله»یمکن أن تکون مکونه من(مال)مضاف إلی ضمیر الغائب.و یمکن أن تکون(ما)موصوله،و بعدها صلتها.جمله (أخلده)فعل ماض یتحمل معنی المضارع،أو بمعنی موجبات الخلود.

۳- ۳) -القصص،الآیه ۸۱.

۴- ۴) -الدخان،الآیه ۲۵-۲۷.

كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا قَوْماً آخَرِينَ

(۱)

.

لذلک فإنّ هؤلاء اللاهین بأموالهم،حین تزول من أمام أعینهم الحجب و الأستار یوم القیامه یرفعون عقیرتهم بالقول: مٰا أَغْنیٰ عَنِّی مٰالِیَهْ، هَلَکَ عَنِّی سُلْطٰانِیَهْ (۲) .

الإنسان-أساسا-یهرب من الفناء و العدم و یمیل إلی الخلود،و هذه الرغبه الداخلیه هی من أدله المعاد و أنّ الإنسان مخلوق للخلود،و إلاّ ما کانت فیه غریزه حبّ الخلود.

لکنّ الإنسان المغرور الأنانی الدنیوی یخال خلوده کامنا فی أشیاء هی ذاتها عامل فنائه و انعدامه.علی سبیل المثال:المال و المقام اللذان هما غالبا من أعداء بقائه یحسبهما وسیله لخلوده.

من هنا یتبیّن أنّ الظنّ بقدره المال علی الإخلاد،هو الذی یدفع إلی جمع المال،و جمع المال أیضا عامل علی الاستهزاء و السخریه بالآخرین عند هؤلاء الغافلین.

القرآن الکریم یردّ علی هؤلاء و یقول:

کَلاّٰ لَیُنْبَذَنَّ فِی الْحُطَمَهِ

کلاّ،لیس الأمر کما یتصور،فسرعان ما یقذف باحتقار و ذلّه فی نار محطّمه وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْحُطَمَهُ، نٰارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَهُ، الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَهِ .

«لینبذنّ»من نبذ،أی-کما یقول الراغب فی مفرداته-رمی الشیء لتفاهه قیمته.

أی إنّ اللّه سبحانه یرمی هؤلاء المغرورین المتعالین یوم القیامه فی نار جهنّم کموجودات تافهه لا قیمه لها لیروا نتیجه کبرهم و غرورهم.

ص :۴۴۹

۱- ۱) -الدخان،الآیه ۲۸.

۲- ۲) -الحاقه،الآیه ۲۸-۲۹.

«الحطمه»صيغه مبالغه من«حطّم»أى هشّم.و هذا يعنى أنّ نار جهنّم تهشّم أعضاء هؤلاء.و يستفاد من بعض الرّوايات أن«الحطمه»ليست كلّ نار جهنّم، بل هى طبقه رهيبه فى حرارتها. (۱)

مفهوم تهشّم الأعضاء بدل احتراقها فى نار جهنّم،ربّما صعب فهمه فى الماضى.و لكن المسأله اليوم ليست بعجيبه بعد أن اتضحت شدّه تأثير أمواج الإنفجار،و تبيّن أن الأمواج الناتجه عن انفجار كبير قادره على تهشيم الإنسان، بل تهشيم العمارات الضخمه بأعمدتها الحديديه المستحكمه.

عباره«نار اللّه»دليل على عظمه هذه النّار،و«الموقده»تعنى استعارها المستمر.

و العجيب أنّ هذه النّار ليست مثل نار الدنيا التى تحرق الجلد أوّلا ثمّ تنفذ إلى الداخل،بل هى تبعث بلهبها أوّلا إلى القلب،و تحرق الداخل و تبدأ أوّلا بالقلب ثمّ بما يحيطه،ثمّ تنفذ إلى الخارج.

ما هذه النّار التى تبعث بشررها إلى قلب الإنسان أوّلا؟!ما هذه النّار التى تحرق الداخل قبل الخارج؟!كلّ شىء فى القيامه عجيب،و مختلف كثيرا عن هذا العالم،حتّى إحراق نارها.

لما ذا لا تكون كذلك،و قلوب هؤلاء الطاغين مركز للكفر و الكبر و الغرور، و بؤره حبّ الدنيا و الثروه و المال؟! لما ذا لا تسيطر نار الغضب الإلهى على قلوب هؤلاء قبل أى شىء آخروهم فى هذه الدنيا احرقوا قلوب المؤمنين بسخريتهم و همزهم و لمزهم؟!العداله الإلهيه تقتضى أن يرى هؤلاء جزاء يشبه أعمالهم.

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۱۷ و ۱۹،الحديث ۶۰ و ۶۴.

الآيات الأخيره من السّوره تقول:

إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَهٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَهٍ

.

و«مؤصده»من الإيصاد،بمعنى الأحكام فى غلق الباب.و لذلك تسمى الغرف الكائنه فى داخل الجبال المخصصه لجمع الأموال«الوصيد».

هؤلاء فى الحقيقه يقبعون فى غرف تعذيب مغلقه الأبواب لا طريق للخلاص منها،كما كانوا يجمعون أموالهم فى الخزانات المغلقه الموصده.

و«العمد»جمع عمود و«ممدده»تعنى طويله.

جمع من المفسّرين قال إنّها الأوتاد الحديديه العظيمه التى تغلق بها أبواب جهنّم حتى لم يعد هناك طريق للخروج منها أبدا،و هى بذلك تأكيد على الآيه السابقه التى تقول: إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَهٌ .

و قيل إنّها إشاره إلى نوع من وسائل التعذيب و الجزاء تشبه تلك التى يغلّ بها الشخص فى رجله فيفقد قدره الحركه و هذا جزاء ما كانوا يمارسونه من تعذيب للناس الأبرياء فى هذه الدنيا.

و بعضهم أضاف تفسيرا ثالثا استمده من الاكتشافات العلميه،و هو أن شعله من نيران جهنّم تسلّط على هؤلاء مثل أعمده طويله.يقولون:إنّ الاكتشافات الأخيره أثبتت أنّ أشعه اكس الخاصّه(اشعه رونتجن)تختلف عن سائر الأشعه الاخرى التى تنتشر بشكل مخروطى،و ذلك أنّها تنتشر بشكل عمودى،و قادره على النفوذ فى جميع الأجزاء الداخليه للإنسان بما فى ذلك القلب.و لذلك يستفاد منها فى تصوير الأعضاء الداخليه.و الأشعه التى تخرج من نار جهنّم شبيهه بالأشعه المذكوره (1) .

1- 1) -نور الثقلين،ج 5،ص 667،الحديث 5.

و من بین هذه التفاسیر،التّفسیر الأوّل أنسب.(و استنادا إلی بعض التفاسیر عباره فِی عَمَدٍ مُمَدَّدَهٍ تبیّن حاله جهنّم،و بعضها الآخر یری أنّها بیان لحاله أهل جهنّم).

بحثان

اشاره

۱-الکبر و الغرور أساس الذنوب الکبیره

الاستعلاء و التکبر علی الآخرین بلاء عظیم یصیب الإنسان فیدفعه إلی ارتکاب أنواع المعاصی،الغفله عن اللّه،و الکفران بالنعم،و الانغماس فی الأهواء و الشهوات،و الاستهانه بالآخرین،و الاستهزاء بالمؤمنین...کلّها من الآثار المشؤومه لهذه الصفه الدنیئه،الأفراد الذین یعانون من عقد النقص ما أن تتوفر لهم مکنه حتی یستفحل فیهم الکبر و الغرور بحیث لا یقیمون للآخرین وزنا،و یودی ذلک إلی انفصالهم عن المجتمع و انفصال المجتمع عنهم.

یغرقون فی عالم و همی،و یرون أنفسهم موجودا متمیزا،حتی یبلغ الأمر بهم أن یروا أنفسهم من المقربین إلی اللّه.و هذا یدفعهم إلی الاستهانه بأرواح الآخرین و أعراضهم و أموالهم،و ینشغلون بالهمز و اللمز،و یخالون أنّهم بإلصاق العیب بالآخرین و ذمهم یزیدون من عظمتهم و شخصیتهم.

و فی بعض الرّوایات شبه هؤلاء الأفراد بالعقرب اللاسعه.(و إذا کان لسع العقرب عن طبیعه فیها،فلسع هؤلاء عن حقد و ضغینه).

و

جاء فی حدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «رأیت لیله الإسراء قوما یقطع اللحم من جنوبهم ثمّ یلقمونه،و یقال:کلوا ما کنتم تأکلون من لحم أخیکم،فقلت:یا

جبرائيل من هؤلاء؟فقال:هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون» (۱) .

كما أشرنا من قبل،كان لنا وقفه أطول فى هذا المجال عند تفسير سوره الحجرات.

۲-الحرص على جمع المال

بشأن المال و الثروه،اختلفت و جهات نظر النّاس بين أفراط و تفريط،بعضهم أسبغ على المال أهميه فائقه فجعله مفتاح حلّ كلّ المشاكل.و إلى ذلك ذهب الشاعر فى قوله:

فصاحه سبحان و خط ابن مقله

و حكمه لقمان و زهد ابن أدهم

إذا اجتمعت فى المرء و المرء مفلس

فليس له قدر بمقدار درهم

و لذلك فإنّ دأب هؤلاء الأفراد جمع المال،و لا يدخرون وسعا على هذا الطريق و لا يتقيدون بقيد،و لا يهتمون بحلال أو حرام و مقابل هذه المجموعه هناك من لا يعير أيه أهميه للمال و الثروه،يمتدحون الفقر و يشيدون به،و يرون فى المال عائقا للتقوى و للقرب الإلهى.

و إزاء ذاك الإفراط و هذا التفريط،تقف النصوص الإسلاميه لتبيّن أنّ المال مطلوب،و لكن بشروط،أوّلها أن يكون وسيله لا غايه.

و الآخر،أن لا يكون الإنسان له أسيرا،بل أن يكون عليه أميرا.

و الثّالث:أن يأتى بالطرق المشروعه و أن ينفق فى سبيل رضا اللّه.

الرغبه فى مثل هذا المال ليس دليلا على حبّ الدنيا،بل هو دليل على الانشداد بالآخره.و لذلك

ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه لعن الذهب و الفضه، فتعجب أحد أصحابه و سأل الإمام فأجابه:«ليس حيث تذهب إليه إنّما الذهب

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۶۶۷،الحديث ۵.

الذی ذهب بالدین،و الفضه التی أفاضت الکفر» (۱) .

و

عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام قال: «السکر أربع سکرات:سکر الشراب، و سکر المال،و سکر النوم،و سکر الملک» (۲) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «إن کان الحساب حقّا فالجمع لماذا؟و إن کان الخلف من اللّه عزّ و جلّ حقّا فالبخل لماذا؟» (۳) .

کثیرون هم الذین ینشغلون حتی آخر حیاتهم بجمع المال،ثمّ یترکونه للآخرین.هم مسئولون عن حسابه،و الآخرون ینالون ثماره،

سئل أمیر المؤمنین علی علیه السّلام:من أعظم النّاس حسره؟ قال:«من رأی ماله فی میزان غیره،و أدخله به النّار،و أدخل وارثه به الجنّه» (۴) .

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام فی تفسیر قوله تعالی: کَذٰلِکَ یُرِیهِمُ اللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَیْهِمْ قال:«هو الرجل یدع المال لا ینفقه فی طاعه اللّه بخلا ثمّ یموت فیدعه لمن یعمل به فی طاعه اللّه أو فی معصیته».

ثمّ قال الإمام:«فإن عمل به فی طاعه اللّه رآه فی میزان فزاده حسره،و قد کان المال له أو عمل به فی معصیه اللّه فهو قوّاه بذلک المال حتی عمل به فی معاصی اللّه» (۵) .

نعم،رؤیه الإنسان للمال قد تصیر من المال و ثنا خطرا،و قد تجعل منه وسیله لسعاده کبری.

نختتم هذه الوقفه بما ورد عن ابن عباس عن کلام عمیق الدلاله قال:«إنّ أوّل

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۳،ص ۱۴۱،الحدیث ۱۷.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۱۴۲.

۳- ۳) -التوحید للصدوق،نقلا عن نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۶۸،الحدیث ۸.

۴- ۴) -بحار الأنوار،ج ۷۳،ص ۱۴۲.

۵- ۵) -المصدر السابق،الحدیث ۲۰.

درهم و دينار ضربا فى الأرض نظر إليهما إبليس فلما عاينهما أخذهما فوضعهما على عينيه،ثمّ ضمهما إلى صدره،ثمّ صرخ صرخه،ثمّ ضمهما إلى صدره،ثمّ قال:

أنتما قرّه عينى!و ثمره فؤادى،ما ابالى من بنى آدم إذا أحبّوكما أن لا يعبدوا!وثنا! حسبى من بنى آدم أن يحبّوكما» (1) .

اللّهمّ!احفظنا من سكره المال و المقام و الدنيا و الشهوات.

ربّنا!نجنا من سيطره الشيطان و عبوديه الدرهم و الدينار.

إلهنا!لا نجاه لنا من«الحطمه»المهشمه إلاّ بفضلك فار أف بنا يا كريم.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الهمزه

ص: ۴۵۵

۱- ۱) -المصدر السابق،ص ۱۳۷،الحديث ۳.

سوره الفيل

اشاره

مكيّه و عدد آياتها خمس آيات

ص :۴۵۷

«سوره الفيل»

محتوى السّوره:

هـذه السّوره-كما يظهر من اسـمها-تشير إلى الحادثه التاريخيه التى اقترنت بولاده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و فيها نجّى اللّه سبحانه الكعبه من شرّ جيش كافر كبير تجهّز من اليمن ممتطيا الفيل.

هـذه السّوره تـذكّر النّاس بتلك القصّه العجيبه الـتى كـان كـثير من أهـل مكّه يحفظون أحـداثها فى ذاكرتهم لأنّهـا وقعت فى الماضى القريب.

التذكير بهذه القصّه فيه تحذير للكفّار المغرورين المعاندين،كى يفهموا ضعفهم تجاه قدره اللّه تعالى الذى أباد جيشا عظيما بطير أبابيل تحمل حجاره من سجّيل،و هو سبحانه إذن قادر على أن يعاقب هؤلاء المستكبرين المعاندين.

فلا قدرتهم أعظم من قدره أبرهه،و لا عدد أفرادهم يبلغ عدد ذلك الجيش السّوره المباركه تقول لكفّار قريش:

إنّكم رأيتم الواقعه بأعينكم فلما ذا لا تترجلون من مطيه غروركم.

فضيله السّوره:

ورد فى فضيله هذه السّوره عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال:

«من قرأ فى الفريضه أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰابِ الْفِيلِ شهد له يوم القيامه كلّ سهل و جبل و مدر بأنّه كان من المصلين و ينادى يوم القيامه مناد:

صدقتم على عبدى،قبلت شهادتكم له أو عليه،ادخلوا عبدى الجنّه و لا تحاسبوه

ص :۴۵۹

فإنّه ممن أحبّه و أحبّ عمله» (۱) .

واضح أنّ كلّ هذه الفضـيله و هذا الثواب لمن كانت قراءته باعثا على انكسار روح الغرور فى نفسه،و على السـير فى طريق رضـا اللّه سبحانه.

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۶۶۸،الحديث ۱.

الآیات [سوره الفیل (۱۰۵): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحٰابِ اَلْفِیلِ (۱) أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ (۲) وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبٰابِیلَ (۳) تَرْمِیهِمْ بِحِجٰارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ (۴) فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ (۵)

سبب النّزول

اشاره

ورد عن الإمام علی بن الحسین علیه السّلام أنّه قال: کان أبو طالب یضرب عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بسیفه إلی أن قال:فقال أبو طالب:یا بن أخ إلی النّاس کافه أرسلت أم إلی قومک خاصّه؟قال:لا بل إلی النّاس أرسلت کافه الأبیض و الأسود و العربی و العجمی و الذی نفسی بیده لأدعون إلی هذا الأمر الأبیض و الأسود و من علی رؤوس الجبال و من فی لجج البحار،و لأدعون السنه فارس و الروم فحیرت قریش و استکبرت و قالت:أما تسمع إلی ابن أخیک و ما یقول و اللّه لو سمعت بهذا فارس و الروم لاختطفتنا من أرضنا و لقلعت الکعبه حجرا حجرا،فأنزل اللّه تبارک و تعالی: وَ قٰالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدیٰ مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبیٰ إِلَیْهِ ثَمَرٰاتُ کُلِّ شَیْءٍ إلی آخر الآیه و أنزل فی قولهم لقلعت الکعبه حجرا

حجرا أَ لَمْ تَرَ كَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحٰابِ الْفِیلِ إلی آخر الآیه (۱) .

قصّه أصحاب الفیل:

ذکر المفسّرون و المؤرخون هذه القصّه بأسالیب مختلفه و اختلفوا فی سنه وقوعها.لکن أصل القصّه متوافره،و نحن نذکرها استنادا إلی الرّوایات المعروفه فی«سیره ابن هشام»و«بلوغ الأرب»و«بحار الأنوار»و«مجمع البیان»بتلخیص:

«ذو نواس»ملک الیمن اضطهد نصاری نجران قرب الیمن کی یتخلوا عن دینهم(ذکر القرآن قصّه هذا الاضطهاد فی موضوع أصحاب الأخدود فی سوره البروج،و بیّناها بالتفصیل هناک).

بعد هذه الجریمه نجا من بین النصاری رجل اسمه(دوس)و توجه إلی قیصر الروم الذی کان علی دین المسیح،و شرح له ما جری.

و لما کانت المسافه بین الروم و الیمن بعیده،کتب القیصر إلی النجاشی(حاکم الحبشه)لینتقم من(ذو نواس)لنصاری نجران،و أرسل الکتاب بید القاصد نفسه.

جهّز النجاشی جیشا عظیما یبلغ سبعین ألف محارب بقیاده(أریاط)و وجهه إلی الیمن.و کان(أبرهه)أیضا من قواد ذلک الجیش.

اندحر(ذو نواس)و أصبح(أریاط)حاکما علی الیمن،و بعد مدّه ثار علیه أبرهه و أزاله من الحکم و جلس فی مکانه.

بلغ ذلک النجاشی،فقرر أن یقمع(أبرهه).لکن أبرهه أعلن استسلامه الکامل للنجاشی و وفاءه له.حین رأی النجاشی منه ذلک عفا عنه و أبقاه فی مکانه.

و(أبرهه)من أجل أن یثبت ولاءه،بنی کنیسه ضخمه جمیله غایه الجمال،لا یوجد علی ظهر الأرض مثلها آنذاک،و قرر أن یدعو أهل الجزیره العربیه لأن

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۶۹،الحدیث ۸.

يحجّوا إليها بدل(الكعبه)،و ينقل مكانه الكعبه إلى أرض اليمن.

أرسل أبرهه الوفود و الدعاه إلى قبائل العرب فى أرض الحجاز،يدعونهم إلى حجّ كنيسه اليمن،فأحسّ العرب بالخطر لارتباطهم الوثيق بمكّه و الكعبه و نظرتهم إلى الكعبه على أنّها من آثار إبراهيم الخليل عليه السّلام.

تذكر بعض الرّوايات أنّ مجموعه من العرب جاؤوا خفيه و أضرموا النّار فى الكنيسه.و قيل إنّهم لوثوها بالقاذورات،ليعبروا عن اعتراضهم على فعل أبرهه و يهينوا معبده.

غضب أبرهه و قرر أن يهدم الكعبه هدما كاملا،للانتقام و لتوجيه أنظار العرب إلى المعبد الجديد،فجهّز جيشا عظيما كان بعض أفراده يمتطى الفيل،و اتجه نحو مكّه.

عند اقترابه من مكّه بعث من ينهب أموال أهل مكّه،و كان بين النهب مائتا بعير لعبد المطلب.

بعث(أبرهه)قاصدا إلى مكّه و قال له:ابحث عن كبير القوم و قل له إنّ أبرهه ملك اليمن يدعوك.أنا لم آت لحرب، بل جئت لأهدم هذا البيت،فلو استسلمتم، حقنت دماؤكم.

جاء رسول أبرهه إلى مكّه و بحث عن شريفها فدلوه على عبد المطلب، فحدثه بحديث أبرهه،فقال عبد المطلب،نحن لا طاقه لنا بحربكم،و للبيت ربّ يحميه.

ذهب عبد المطلب مع القاصد إلى النجاشى،فلما قدم عليه جعل النجاشى ينظر إليه و راقه حسنه و جماله و هيبته،حتى قام من مكانه احتراما و جلس على الأرض و اجلس عبد المطلب إلى جواره لأنّه ما أراد أن يجلس عبد المطلب على سرير ملكه ثمّ قال لمترجمه اسأله ما حاجتك؟قال عبد المطلب:نهبت إبلى فمرهم بردّها علىّ.

فانـدهش أبرهه و قال لمترجمه:قل له إنّه احتل مكانا فى قلبى حين رأيته، و الآن قـد سـقط من عينى.أنت تتحدث عن إبلك و لا تـذكر الكعبه و هى شـرفك و شـرف أجـدادك،و أنا قـدمت لهدمها؟! قال عبد المطلب:أنا ربّ الإبل،و للبيت ربّ يحميه؟! عاد عبد المطلب إلى مكّه،و أخبر أهلها أن يلجأوا إلى الجبال المحيطه بها، و ذهب هو و جمع معه إلى جوار البيت ليدعو فأخذ حلقه باب الكعبه و انشد أبياته المعروفه:

لا همّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صـليبهم و محالهم أبدا محالك جروا جميع بلادهم و الفيل كى يسـبوا عيالك و لا همّ إن المرء يمنع رحله فامنع عيالك و انصـر على آل الصـليب و عابـديه اليوم آلك ثمّ لاذ عبـد المطلب و جمع من قريش بإحدى شعاب مكّه و أمر أحد ولده أن يصعد على جبل(أبو قبيس)ليرى ما يجرى.

عاد الابن مسرعا إلى أبيه و أخبره أن سحابه سوداء تتجه من البحر(البحر الأحمر)إلى أرض مكّه. استبشر عبد المطلب و صاح:«يا معشر قريش ادخلوا منازلكم فقد أتاكم اللّه بالنصر من عنده».

من جـانب آخر،توجه أبرهه راكبـا فيله المسـمى«محمودا»مع جيشه الجرار مخترقـا الجبال و منحـدرا إلى مكّه،لكن الفيل أبى أن يتقدم،أمّا حينما يوجهوه نحو اليمن يهرول،تعجب أبرهه من هذا و تحيّر.

و فى هــذه الأثنــاء وصــلت طيـور قــادمه مـن جــانب البحر كأنهــا الخطـاطيف و هى تحمـل حجرا فى منقارهـا و حجريـن فى رجلها،بحجم الحمّصه،و ألقوها على جيش أبرهه،فأهلكتهم.و قيل:إنّ الحجر كان يسقط على الرجل منهم فيخترقه

و يخرج من الجانب الآخر.

ساد الجيش ذعر عجيب،فهلك منه من هلك،و فرّ من استطاع الفرار،صوب اليمن،و كانوا يتساقطون فى الطريق.

(أبرهه)أصيب بحجر،و جرح،فأعيد إلى صنعاء عاصمه ملكه،و هناك فارق الحياه.

و قيل:إنّ مرض الحصبه و الجدرى شوهد لأوّل مرّه فى أرض العرب فى تلك السنه.

و قيل:إنّ أبرهه جاء بفيل واحد كان يركبه و اسمه محمود.و قيل:بل ثمانيه أفيال،و قيل:عشره،و قيل:اثنى عشر.

و فى هذا العام ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حسب الرّوايه المشهوره،و قيل إنّ بين الحادثتين ارتباطا.

على أى حال،فإن أهميه هذه الحادثه الكبرى بلغت درجه تسميه ذلك العام بعام الفيل،و أصبح مبدأ تاريخ العرب (۱) .

***

التّفسير

اشاره

كيد ابرهه:

يخاطب اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الآيه الاولى من السّوره و يقول له: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰابِ الْفِيلِ ؟ لقد جاؤوا بجيش جرار مجهّز بالعدّه و العدد ليهدموا الكعبه.و اللّه سبحانه دحرهم بجيش فى ظاهره صغير بسيط.و أباد الفيله بطير صغير،و هدم الآله

۱- ۱) -سيره ابن هشام،ج ۱،ص ۳۸-۶۲؛و بلوغ الإرب،ج ۱،ص ۲۵۰-۲۶۳؛و بحار الأنوار،ج ۱۵،ص ۱۳۰ و ما بعدها؛ و مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۴۲.

الحربيه المتطوره فی ذلک الزمان بحجاره من سجیل.لیتّضح ضعف هذا الإنسان المغرور المتکبر أمام قدره اللّه.

التعبیر بجمله أَ لَمْ تَرَ فی الآیه،مع أنّ الحادثه وقعت قبل ولاده النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو مقترنه بولادته،یعود إلی أنّ الحادثه المذکوره قریبه العهد من عصر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، کما إنّها بلغت من الشهره و التواتر و کأن النّبی رآها بعینه المبارکه. هذا إلی أن جمعا من معاصری الرسول کانوا قد رأوها بأعینهم.

عباره بِأَصْحٰابِ الْفِیلِ إشاره إلی ما کان مع الجیش المهاجم من فیله جاؤوا بها من الیمن لیرعبوا العرب و خیولهم (۱) .

أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ

؟! لقد استهدفوا الکعبه لیهدموها و لیقیموا بدلها کعبه الیمن،و لیدعوا قبائل العرب إلی حج هذا المعبد الجدید.لکنّه سبحانه حال دون تحقق هدفهم،بل زاد الکعبه شهره و عظمه بعد أن ذاع نبأ أصحاب الفیل فی جزیره العرب،و أصبحت قلوب المشتاقین تهوی إلیها أکثر من ذی قبل،و أسبغ علی هذه الدیار مزیدا من الأمن.

کیدهم إذن صار فی تضلیل،أی فی ضلال حیث لم یصلوا إلی هدفهم.

ثمّ تشرح الآیات التالیه بعض جوانب الواقعه.

وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبٰابِیلَ

.

«أبابیل»لم تکن فی لهجات العرب المعروفه اسما لطائر،بل إنّها صفه،قیل إنّ معناها جماعات متفرقه.أی إنّ هذه الطیر کانت تأتی علی شکل مجموعات و الکلمه لها معنی الجمع.و قیل:إنّ مفرده(أبابله)و هی المجموعه من الطیر أو الخیل أو الإبل،و قیل إنّ الکلمه جمع لا مفرد له من لفظه.

علی أی حال عباره«طیرا أبابیل»تعنی طیرا علی شکل مجموعات.

۱- ۱) -الفیل،لفظه مفرد،و له هنا معنی الجنس و الجمع.

و المشهور أنّ هذه الطير كانت تشبه الخطاطيف قدمت من صوب البحر الأحمر فی اتجاه أصحاب الفیل.

تَرْمِیهِمْ بِحِجٰارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ

(۱)

.

و کما ذکرنا فی قصّه أصحاب الفیل،فإنّ کلّ واحده من هذه الطیر کانت تحمل ثلاث حجارات أصغر من الحمصه،واحده فی منقارها و اثنین فی ارجلها.

و ما أن تسقط هذه الحجاره علی أحد حتی تهلکه.

فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ

.

و«العصف»هو النبات الجاف المتهشّم،أی هو(التبن)بعباره اخری. و قیل إنّه قشر القمح حین یکون فی سنبله.و المناسب هنا هو المعنی الأوّل.

و قال«مأکول»إشاره إلی أنّ هذا التبن قد سحق مرّه أخری بأسنان الحیوان، ثمّ هشّم ثالثه فی معدته،و هذا یعنی أنّ أصحاب الفیل،قد تلاشوا بشکل کامل عند سقوط الحجاره علیهم.

و هذا التعبیر إضافه إلی ما له من معنی الإباده التامه،یحمل معنی التفاهه و الضعف ممّا صار إلیه هؤلاء المهاجمون الطغاه المستکبرون و المتظاهرون بالقوّه.

بحوث

اشاره

۱-المعجزه(للبیت ربّ یحمیه)

القرآن الکریم یذکر هذه القصّه الطویله فی عبارات قلیله قصیره قارعه،و فی غایه الفصاحه و البلاغه،و یرکز علی نقاط تساعد علی تحقیق الأهداف القرآنیه المتمثله فی إیقاظ المتعنتین المغرورین و بیان ضعف الإنسان أمام قدره الجبار

۱- ۱) -سجیّل کلمه فارسیه مأخوذه من دمج کلمتین هما«سنگ»و«گل».و تعنی الطین المتحجّر.

المتعال.

هـذه الحادثه تبيّن أنّ المعجزات و الخوارق لا تسـتلزم-كما ظنّ بعض- وجود النّبى و الإمام،بل تظهر فى كلّ ظرف يشاء اللّه فيه أن تظهر.و الهدف منها إظهار عظمه اللّه سبحانه و حقانيه دينه.

هـذا العقـاب العجيب الأعجـازى،يختلف عمّـا نزل من عقـاب على امم اخرى مثـل طوفان قوم نوح،و زلزال قوم لوط و إمطارهم بالحجاره،و صاعقه قوم ثمود؛ فهذه سلسله حوادث طبيعيه يتمثل إعجازها فى حدوثها فى تلك الظروف الخاصّه.

أمّا قصّه إباده جيش أبرهه بحجاره من سجّيل،ترميها طير أبابيل،و ليست كالحوادث الطبيعيه.

تحليـق هـذه الطيـور الصـغيره،و اتجاههـا نحـو ذلـك الجيش الخـاص،و رميـه بالحجـاره الـتى تسـتطيع أن تهشّـم أجسـاد جيش ضخم...كلّ تلك امور خارقه للعاده.و لكنّها-كما نعلم-ضئيله جدّا أمام قدره اللّه تعالى.

اللّه الـذى خلق داخل هـذه الحجاره قـدره ذريه لو تحررت لولـدت انفجارا هائلا،لقادر على أن يجعل فى هـذه الحجاره خاصـيه تستطيع أن تحوّل جيش أبرهه إلى(عصف مأكول).

لسـنا فى حاجه لأن نذهب إلى ما ذهب إليه بعض المعاصـرين فى تفسـير هلاك جيش أبرهه بمكروبات وباء الحصبه و الجدرى (١) أو أن نقول إنّ هـذه الحجـاره كـانت ذرات متكـافئه أزيلت الفراغـات بينهـا فأصـبحت ثقيله للغـايه،و قـادره على أن تخـترق الأجساد.

كلّ هذه تبريرات تستهدف إعطاء صفه طبيعيه لهذه الحادثه.و لسنا بحاجه

ص :۴۶۸

۱- ۱) -تفسير جزء عم،محمّد عبده،ص ۱۵۸.و ذكر المؤرخون طبعا انتشار وباء الحصـبه و الجدرى فى بلاد العرب لأوّل مرّه فى نفس ذلك العام،لكن هذا لا ينهض دليلا على أن هلاك جيش أبرهه بتلك الأوبئه.

إليها.کلّ ما نعلمه هو أنّ هذه الحجاره کانت لها خاصيه غريبه فی تهشيم الأجسام.و لم يخبرنا القرآن بأکثر من ذلک،و ليس الأمر بمتعذر أمام قدره اللّه سبحانه.

۲-أشد الجزاء بأبسط وسيله

يلاحظ أنّ هذه القصّه تتضمّن بيان قدره اللّه أمام المستکبرين و الطغاه على أفضل وجه...و لعل العقاب الذی حلّ بأبرهه و جيشه لا يبلغه عقاب،إذ على أثره تهشّم جيش و تحول إلى(عصف مأکول).

ثمّ إنّ إباده هذا الجيش الجرار بکلّ ما کان يمتلکه من قدره و شوکه کانت بواسطه أحجار صغيره،و بواسطه طيور صغيره کالخطاطيف.و فی هذا تحذير و إنذار لکلّ الطغاه و المستکبرين فی العالم،ليعلموا مدى ضعفهم أمام قدره اللّه سبحانه.

و قد يوکل اللّه سبحانه أداء هذه المهام الکبرى لموجودات أصغر،مثل المکروبات التی لا ترى بالعين المجرده،لتتکاثر و تتناسل فی مدّه وجيزه و تصيب أمما قويه بالأوبئه المختلفه کالطاعون،و تبيدهم خلال مدّه قصيره.

«سد مأرب»العظيم فی اليمن-کما جاء ذکره فی تفسير سوره سبأ-کان وسيله لعمران کبير و مدنيه عظيمه و قويه لقوم سبأ،و حين طغى هؤلاء القوم،جاء أمر إبادتهم عن طريق فأر صحراوی أو عدد من الفئران-کما تذکر بعض الرّوايات-فثقبت السد،و اتسع الثقب تدريجيا بالماء،و تحطم السد العظيم، و اکتسح الماء کلّ ما بناه القوم و أغرق الأفراد أو شردهم إلى کلّ حدب وصوب متفرقين حيارى،و هذه من مظاهر قدره اللّه سبحانه.

۳-أهداف قصّه الفيل

من السّوره التاليه(سوره لإيلاف)نفهم أنّ أحد أهداف سوره الفيل التذکير

بنعمه إلهيه كبرى منّ اللّه سبحانه بها على قريش،و تفهيمهم أنّه لو لا لطف اللّه سبحانه و فضله لما بقى أثر لمكّه و لا للكعبه و لا لقريش...لعل ذلك يكون عاملا على كبح جماح هؤلاء المغرورين،و على قبول دعوه الدين المبين.

من جهه اخرى هـذه الحادثه اقترنت بولاده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و كانت ممهّده للبعثه المباركه،و إرهاصا (۱) من إرهاصات بزوغ فجر الإسلام.

و القصه من ناحيه ثالثه تهديد لكل طغاه العالم،من قريش و غير قريش؛ ليعلموا أنّهم لا يستطيعون أبدا أن يقاوموا أمام قدره اللّه تعالى،فما أجدر بهم أن يعودوا إلى رشدهم،و يخضعوا لأمر اللّه،و يستسلموا للحق و العدل.

ثمّ هى من جانب رابع تبيّن أهميه هذا البيت الكبير.الأعداء الذين استهدفوا هدم الكعبه،و نقل مركزيه هذا الحرم الإبراهيمى إلى مكان آخر،قد واجهوا من العذاب ما أصبح عبره للأجيال،و ما زاد من أهميه هذا المركز المقدس.

و من جهه خامسه،هذه الحادثه تؤكّد مشيئه اللّه سبحانه فى جعل هذا الحرم آمنا استجابه لدعوه إبراهيم الخليل عليه السّلام.

۴-حادثه تاريخيه قطعيه

حادثه«أصحاب الفيل»كانت من الأهميه و الشهره بين العرب بحيث جعلوها مبدأ للتاريخ.و القرآن الكريم بدأ الحديث عن القصّه بعباره أَ لَمْ تَرَ مخاطبا نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى لم ير هذه الحادثه.و هى دلاله اخرى على قطعيه وقوع الحادثه.

أضف إلى ذلك أنّ النّبى-حين تلا هذه الآيات على المشركين-لم ينكر عليه أحد،و لو كان أمرا مشكوكا لاعترضوا عليه،و لسجل المؤرخون هذا الاعتراض كما سجلوا سائر الاعتراضات؛خاصّه و أنّ القرآن بدأ الموضوع بجمله أَ لَمْ تَرَ .

۱- ۱) -«الإرهاص»،هو المعجزه الّتى،تسبق ظهور النّبى،لتمهّد لدعوته.و الكلمه فى الأصل تعنى الأساس و الحجر الأوّل الذى يقام عليه البناء،و كذلك بمعنى الاستعداد.

کما إنّ عظمه هذا البیت الکریم تتبیّن ضمنیا بهذا الإعجاز التاریخی القطعی.

اللّهمّ!و فقنا لصیانه هذا المرکز التوحیدی العظیم.

اللّهم!طهّر هذا البیت من أولئک الذین یکتفون بحفظ ظواهره و یصادرون رسالته التوحیدیه الحقیقیه.

ربّنا!ارزقنا زیاره البیت بوعی و عرفان.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الفیل

ص :۴۷۱

سوره قریش

اشاره

مكيّه و عدد آياتها أربع آيات

ص :۴۷۳

محتوی السّوره:

هذه السّوره فی الحقیقه مکمله لسوره الفیل،و آیاتها تدل علی ذلک.

تتضمّن هذه السّوره بیان نعمه اللّه علی قریش و لطفه لهم و محبّته له،کی یحرک فیهم دافع الشکر و یحثهم علی عباده ربّ هذا البیت العظیم الذی یستمدون منه کلّ مفاخرهم و شرفهم.

و کما إنّ سوره«و الضحی»و سوره«ألم نشرح»تعتبران سوره واحده-کما ذکرنا-کذلک سوره«الفیل»و سوره«قریش»هما سوره واحده،و ارتباط موضوعهما یدل علی ذلک أیضا.

و لذلک وجب قراءتهما معا فی الصلاه لمن یری وجوب قراءه سوره کامله بعد الحمد.

لمزید من التوضیح تراجع کتب الفقه فی أبواب الصلاه. (۱)

فضیله السّوره:

ورد فی فضیله هذه السّوره

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأها اعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالکعبه و اعتکف بها» . (۲)

۱- ۱) -أورد الحر العاملی،فی کتابه وسائل الشیعه،ج ۴،ص ۷۴۳،باب ۱۰ من أبواب قراءه الصلاه،روایات عدّه فی هذا المضمار.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۴۳.

هـذه الفضـيله دون شـک لمن عبـد ربّ الـبيت حقّ عبـادته،و صـان حرمه البيت کمـا يجب،و تشـربت نفسه برسـاله هـذا المرکز التوحيدى.

ص :۴۷۶

الآيات [سوره قريش (۱۰۶): الآيات ۱ الى ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ لِإِيلاٰفِ قُرَيْشٍ (۱) إِيلاٰفِهِمْ رِحْلَةَ اَلشِّتٰاءِ وَ اَلصَّيْفِ (۲) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا اَلْبَيْتِ (۳) اَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (۴)

التّفسير

اشاره

ربّ هذا البيت يجب أن يعبد:

في سوره«الفيل»جاء ذكر إباده أصحاب الفيل الذين جاؤوا لهدم الكعبه و هذه السّوره التي تعتبر امتدادا للسوره السابقه تقول:نحن جعلنا أصحاب الفيل كعصف مأكول: لِإِيلاٰفِ قُرَيْشٍ (۱) ،أي لكي تأتلف قريش في هذه الأرض المقدسه و تتهيأ بذلك مقدمات ظهور نبيّ الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

«إيلاف»مصدر آلف،و«آلفه»أي جعله يألف،أي جعله يجتمع اجتماعا مقرونا بالانسجام و الأنس و الالتيام.و قال بعضهم:«الإيلاف»من المؤالفه،و هي

ص: ۴۷۷

۱- ۱) -«اللام»في«لإيلاف»بمعنى العله،و جار و مجرور متعلق ب«جعل»في السّوره السابقه في آيه فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ أو أحد الأفعال التي كانت في السّوره،بينما يرى البعض أن الجار و المجرور يتعلقان بجمله«فليعبدوا»القادمه،لكن هذا الاحتمال لا يتفق مع مضمون الآيات،و المعنى الأوّل أحسن.

العهد و الميثاق،و لا تناسب بين هذا المعنى و بين الكلمه و هى مصدر باب الأفعال، و بين محتوى السّوره.

على كلّ حال،المقصود إيجاد الألفه بين قريش و هذه الأرض المقدسه و هى مكّه و البيت العتيق،لأنهم و كلّ أهل مكّه اختاروا السكن فى هذه الأرض لمكانتها و أمنها.كثير من أهل الحجاز كانوا يحجّون البيت كلّ سنه،و يقترن حجّهم بنشاط أدبى و اقتصادى فى هذا البلد الأمين.

كلّ ذلك كان يحدث فى ظل الجو الآمن.و لو أنّ هذا الأمن قد انعدم أو أنّ الكعبه قد انهدمت بفعل هجوم أبرهه و أمثاله لما كان لأحد ألفه بهذه الأرض.

كلمه«قريش»فى الأصل نوع من الأحياء البحريه الضخمه التى تبتلع كلّ ما يصادفها،كما يقول المفسّرون و اللغويون،و عن ابن عباس فى معنى قريش قال:

«لدابه تكون فى البحر من أعظم دوابه،يقال لها القريش،لا تمرّ بشىء من الغث و السمين إلاّ أكلته»!و استشهد لذلك بأبيات ممّا قالته العرب.

من هنا فإنّ انتخاب هذا الاسم لهذه القبيله يعود إلى اقتدار هذه القبيله و قوتها،و إلى استغلال هذه القوّه فى الانقضاض على الآخرين.

و قيل إنّ قريش من القرش،و هو الاكتساب،لأنّ قريشا كانت مشغوله دوما بالتجاره و الكسب.

و قيل:إنّ معنى«القرش»التفتيش و المراجعه،و سمّيت قريش بذلك لتفقدها أحوال الحجاج و المسارعه لمساعدتهم.

و«القرش»فى اللغه ورد بمعنى الاجتماع أيضا،و إذا كان هذا المعنى مقصودا فى التسميه فذلك يعود إلى ما كانت تتصف به هذه القبيله من اجتماع و انسجام.

على أى حال اسم قريش لم يقترن بسمعه طيبه.فهم و إن كانوا عشيره الرسول-إلاّ أنّهم ناصبوا الإسلام أشدّ العداء،و لم يألوا جهدا فى وضع العراقيل أمام الدعوه و الوقوف بوجهها و تعذيب الدعاه،و بعد انتصار الإسلام عليهم،

عمـدوا إلى التآمر الخفى على المسـلمين،ثمّ بعد وفاه النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم خلقوا أحداثا مؤلمه لا ينساها لهم تاريخ الإسلام أبدا.و نعلم أنّ بنى اميه و بنى العباس الذين أقاموا حكومه الجبابره و الطواغيت كانوا من قريش.

القرائن التاريخيه تشـير إلى أنّ هذه القبيله كانت فى الجاهليه أيضا تسـتثمر النّاس و تسـتغلهم.و لذلك وجدت فى الإسـلام خطرا على مصالحها لدعوته إلى تحرير الإنسان،و شنت عليه حربا لا هواده فيها،إلى أن اندحرت أمام قدره الإسلام.

إِيلاٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتٰاءِ وَ الصَّيْفِ

(۱)

.

مكّه تقع فى واد غير ذى زرع،و الرعى فيها قليل،لذلك كانت عائدات أهل مكّه غالبا من قوافل التجاره،فى فصل الشـتاء يتجهون إلى أرض اليمن فى الجنوب حيث الهواء معتـدل،و فى فصـل الصـيف إلى أرض الشـام فى الشـمال حيث الجوّ لطيف.و الشـام و اليمن كانا من مراكز التجاره آنئذ،و مكّه و المدينه حلقتا اتصال بينهما.

هذه هى رحله الشتاء...و رحله الصيف.

و المقصود ب«إيلافهم»فى الآيه أعلاه قـد يكون جعلهم يـألفون الأرض المقـدّسه خلال رحلاتهم و ينشـدّون إليها لما فيها من آمن،كى لا تغريهم أرض اليمن و الشام،فيسكنون فيها و يهجرون مكّه.

و قـد يكون المقصود إيجاد الألفه بينهم و بين سائر القبائل طوال مدّه الرحلتين،لأنّ النّاس بدأوا ينظرون إلى قوافل قريش باحترام و يعيرونها أهميه

۱- ۱) -«إيلافهم»بـدل من فى الآيه السـابقه،و(هم)مفعول أوّل،و(رحله الشـتاء)مفعول ثـان،و قيل أنّه ظرف،و قيل منصوب بنزع الخـافض،أى إيلافهم من رحله الشـتاء و الصـيف(يبـدو أن المعنى الثّانى و الثّالث أنسب). «رحله»فى الأصل من«رحل»-على زنه شهر-بمعنى الغطاء الذى يغطى به ظهر الدابه لركوبها،ثمّ أطلقت على الإبل أو السفر بواسطته أو بوسائط اخرى.

خاصّه بعد قصّه اندحار جيش أبرهه.

قريش لم تكن طبعا مستحقه لكل هذا اللطف الإلهى لما كانت تقترفه من آثام،لكن اللّه لطف بهم لما كان مقدّرا للإسلام و النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يظهرا من هذه القبيله و تلك الأرض المقدّسه.

الآيه الاخيره تقول:إنّ هذه النعم الإلهيه التى أغدقت على قريش ببركه الكعبه يجب أن تدفعهم إلى عباده ربّ البيت لا الأوثان.

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ

.

اَلَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

...الذى جعل تجارتهم رائجه مريحه و مربحه،و دفع عنهم الخوف و الضرر،كلّ ذلك باندحار جيش أبرهه.

و بفضل دعاء إبراهيم الخليل عليه السّلام مؤسس الكعبه.لكنّهم لم يقدّروا هذه النعمه، فبدلوا البيت المقدس ببيت للأوثان،و ذاقوا فى النهايه و بال أمرهم.

اللّهمّ!هب لنا توفيق العباده و الطاعه و شكر النعم و حراسه هذا البيت العظيم.

ربّنا!زد فى عظمه هذا المركز الإسلامى الكبير و اجعله حلقه اتصال بين المسلمين.

إلهنا!اقطع دابر الأعداء الظالمين القتله المتلاعبين بمقدرات هذا المركز الإسلامى الكبير.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره قريش

ص :۴۸۰

سوره الماعون

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها سبع آیات

ص :۴۸۱

«سوره الماعون»

محتوى السّوره:

هـذه السّوره-على رأى أكثر المفسّرين-مكّيه،و لحنها الـذى يتحدث عن القيامه و أعمال منكرى القيامه بمقاطع قصيره و قارعه يؤيد ذلك.

السّوره بشكل عام تذكر صفات و أعمال منكرى القيامه فى خمس مراحل.

فهؤلاء نتيجه لتكـذيبهم بـذلك اليوم،لا ينفقون فى سبيـل اللّه و على طريق مساعـده اليتـامى و المسـاكين.ثمّ هم يتسـاهلون فى الصلاه،و يعرضون عن مساعده المحتاجين.

و فى سـبب نزول السّوره قيـل إنّهـا نزلت فى«أبى سـفيان»الـذى كـان ينحر فى اليوم اثنين من الإبل و يطعم أصـحابه،و لكن يتيما جاءه يوما يطلب منه شيئا فضربه بعصاه و طرده.

و قيل:إنّها نزلت فى«الوليد بن المغيره»،و قيل:فى«العاص بن وائل».

فضيله السّوره:

ورد فى فضيله هذه السّوره

عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام قال:

«من قرأ أَ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فى فرائضه و نوافله قبل اللّه صلاته و صيامه،و لم يحاسبه بما كان منه فى الحياه الدنيا» (۱) .

ص :۴۸۳

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۴۶.

الآيات [سوره الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ أَ رَأَيْتَ اَلَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذٰلِكَ اَلَّذِى يَدُعُّ اَلْيَتِيمَ (٢) وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ اَلْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (۴) اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ (۵) اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ (۶) وَ يَمْنَعُونَ اَلْمٰاعُونَ (٧)

التّفسير

اشاره

إنكار المعاد و آثاره المشؤومه:

هذه السّوره المباركه تبدأ بسؤال موجّه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن الآثار المشؤومه لإنكار المعاد و تقول:

أَ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ

.

و تجيب عن السؤال:

فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ

«الـدين»هنا«الجزاء»أو يوم الجزاء،و إنكار يوم الجزاء له عواقبه الوخيمه و انعكاسات على أعمال الإنسان.و فى هذه السّوره ذكرت خمسه آثار لهذا

ص: ۴٨۴

الإنکار منها:«طرد الیتیم،و عدم الحثّ علی إطعام المسکین».أی إنّ الشخص المنکر للمعاد لا یطعم المساکین،و لا یدعو الآخرین إلی إطعامهم.

و احتمل بعض أن یکون المقصود من الدین هنا القرآن أو الإسلام.

و المعنی الأوّل أنسب.و نظیره ورد فی قوله تعالی: کَلاّ بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ (۱) و قوله سبحانه: فَما یُکَذِّبُکَ بَعْدُ بِالدِّینِ (۲) . و فی هذه الآیات ورد «الدین»بمعنی یوم الجزاء أیضا بقرینه الآیات الأخری.

«یدع»أی یدفع دفعا شدیدا،و یطرد بخشونه.

و«یحضّ»أی یحرضّ و یرغب الآخرین علی شیء،و الحضّ مثل الحثّ،إلاّ أن الحث-کما یقول الراغب-یکون بسوق و سیر،و الحضّ لا یکون بذلک.

و صیغه المضارع فی الفعلین(یدع)و(یحضّ)تدل علی استمرارهم علی مثل هذا العمل فی حق الأیتام و المساکین.

و یلاحظ هنا بشأن الأیتام،أنّ العواطف الإنسانیه تجاه هؤلاء أکثر أهمیه من إطعامهم و إشباعهم.لأنّ آلام الیتیم تأتی من فقدانه مصدر العاطفه و الغذاء الروحی و التغذیه الجسمیه تأتی فی المرحله التالیه.

و مرّه اخری نری القرآن یتحدث عن إطعام المساکین،و هو من أهم أعمال البرّ،و فی الآیه إشاره إلی أنّک إذا لم تستطع إطعام المساکین،فشجّع الآخرین علی ذلک.

الفاء فی«فذلک»لها معنی السببیه،و تعنی أنّ التکذیب بالمعاد هو الذی یسبب هذه الانحرافات.و الحقّ أنّ المؤمن بالمعاد و بتلک المحکمه الإلهیه الکبری و بالحساب و الجزاء یوم القیامه،إیمانا راسخا تظهر علیه الآثار الإیجابیه لهذا الإیمان فی کلّ أعماله.و لکن فاقد الإیمان و المکذب بیوم الدین تظهر آثار

۱- ۱) -الإنفطار،الآیه ۹.

۲- ۲) -التین،الآیه ۷.

التكذيب عليه متمثله فی الجرأه علی ارتکاب الذنوب و الجرائم بشکل محسوس.

و يتواصل وصف هؤلاء المکذبين بالدين فتقول الآيات التاليه: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ .

لا يقيمون للصلاه وزنا،و لا يهتمون بأوقاتها،و لا يراعون أرکانها و شروطها و آدابها.

«ساهون»من السهو،و هو فی الأصل الخطأ الذی يصدر من الإنسان عن غفله،سواء کان مقصرا فی المقدمات أم لم يکن.فی الحاله الاولی لا يکون الساهی معذورا،و فی الحاله الثّانيه معذور.و المقصود فی الآيه السهو المقرون بالتقصير.

و يلاحظ أنّ الآيه لم تقل«فی صلاتهم ساهون»،لأنّ السهو فی الصلاه يعرض لکلّ فرد،و لکنّها قالت:«عن صلاتهم ساهون».فهم يسهون عن الصلاه بأجمعها.

واضح أنّ هذه الحاله لو اتفق وقوعها مرّه أو مرات لأمکن أن يکون ذلک عن قصور.لکن الذی يسهو عن صلاته دائما فهو المهمل لصلاته،لعدم إيمانه بها و إذا صلی أحيانا فلخوف من ألسن النّاس و أمثال ذلک.

إضافه لما ذکرناه من معانی لکلمه«ساهون»ذکر المفسّرون معانی اخری من ذلک تأخير الصلاه عن وقت فضيلتها.أو إشاره إلی المنافقين الذين ما کانوا يؤمنون بثواب الصلاه و لا بعقاب ترکها.أو المقصود الذين يراؤون فی صلاتهم (بينما جاء ذکر هذا المعنی فی الآيه التاليه).

الجمع بين هذه التفاسير ممکن طبعا،و إنّ کان التّفسير الأوّل أنسب.

علی أی حال،حين يکون الساهون عن الصلاه مستحقين للويل،فما بالک بتارکی الصلاه؟! الصفه الرابعه و الخامسه للمکذبين بالدين تذکرها الآيتان الأخيرتان.

اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ

.

من المؤكّد أنّ أحد عوامل التظاهر و الرياء عدم الإيمان بيوم القيامه،و عدم الانشداد بطلب الثواب الإلهی.و إلّا كيف يمكن للإنسان أن يترك مثوبه اللّه و يتجه إلى النّاس ليتزلف إليهم؟! «الماعون»من«المعن»و هو الشیء القليل.و كثير من المفسّرين قالوا إنّ المقصود من«الماعون»الأشياء البسيطه التی يستعيرها أو يقتنيها النّاس و خاصّه الجيران من بعضهم،مثل حفنه الملح،و الماء،و النّار(الثقاب)،و الأوانی و أمثالها.

واضح أنّ الذی يبخل فی إعطاء مثل هذه الأشياء إلى غيره إنسان دنیء عديم الإيمان.أی إنّه بخيل إلى درجه الإباء عن إعطاء مثل هذه الأشياء.بينما يمكن لهذه الأشياء البسيطه أن تسدّ الاحتياجات الكبيره.و منعها يؤدی إلى بروز مشاكل كثيره فی حياه الأفراد.

و قيل:إنّ الماعون يعنی الزكاه.لأنّ الزكاه تشكل نسبه قليله من أصل المال قد تبلغ عشره بالمائه و أحيانا خمسه بالمائه و أحيانا اثنين و نصف بالمائه.

منع الزكاه طبعا من أفظع السيئات،لأنّ الزكاه تحل كثيرا من مشاكل المجتمع الاقتصاديه.

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فی تفسير الماعون قال: «هو القرض يقرضه،و المتاع يعيره،و المعروف يصنعه» (1) .

و

فی روايه اخرى عن الصادق عليه السّلام فسّر الماعون بنفس المعنى السابق.فسأله سائل قال:لنا جيرانا إذا أعرناهم متاعا كسروه و أفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال:«لا ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك» (2) .

۱- ۱) -الكافی،نقلا عن نور الثقلين،ج ۵،ص ۶۷۹،الحديث ۱۸.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۱۹.

و فی معنی الماعون ذکرت احتمالات اخری ذکر القرطبی منها اثنی عشر رأیا یرجع کثیر منها إلی معنی مشترک و المهم ما ذکرناه أعلاه.

ذکر هاتین الصفتین بشکل متوال(الریاء و منع الماعون)کأنه إشاره إلی أن هؤلاء المکذبین بالدین یؤدون ما للّه بنیه النّاس،و ما للناس یمنعونه عنهم،و من هنا لا یصیب أی ذی حقّ حقّه.

مسک الختام

حدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من منع الماعون جاره منعه اللّه خیره یوم القیامه،و وکّله إلی نفسه،و من وکّله إلی نفسه فما أسوأ حاله»؟! (۱)

تعقیب

اشاره

۱-تلخیص موضوعات سوره الماعون

فی هذه السّوره القصیره،ذکر اللّه سبحانه مجموعه من الصفات الرذیله التی إن اتصف بها شخص فهی دلیل عدم إیمانه و دنائته و حقارته.و یلاحظ أنّها جمیعا فروع لظاهره التکذیب بیوم الدین أی بیوم الجزاء.

إهانه الیتامی،و ترک إطعام المساکین،و التهاون فی الصلاه،و الریاء،و عدم التعاون مع النّاس حتی فی إعاره الأشیاء الصغیره...تشکل بمجموعها طبیعه حیاه هؤلاء المکذبین.

من هنا فهؤلاء أناس بخلاء ذاتیون أنانیون متظاهرون لا ارتباط لهم بالخالق و لا بخلقه...أناس خلت نفوسهم من نور الإیمان و الشعور بالمسؤولیه،لا بثواب اللّه یفکرون،و لا من عذابه یخشون.

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۶۷۹،الحدیث ۲۰.

۲-التظاهر و الرياء بلاء اجتماعى كبير

قيمه كلّ عمل تتوقف على دافعه،و بالتعبير الإسلامى،أساس كلّ عمل نيه عامله.

الإسلام يركز على النيه فى تقويم الأعمال.لذلك

ورد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إنّما الأعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى».

و

جاء فى ذيل هذا الحديث: «فمن غزى ابتغاء ما عند اللّه فقد وقع أجره على اللّه عزّ و جلّ و من غزى يريد عرض الدنيا أو نوى عقالا لم يكن له إلّا ما نوى» (۱) .

و هذا يعود إلى أنّ النيه هى التى تصوغ شكل العمل دائما.من كان يعمل للّه جعل أساس عمله مستحكما،و سعى بكل جهده إلى أن يستفيد منه النّاس أكثر الاستفاده.لكن المتظاهر المرائى يكتفى بزخرفه الظاهر و تنميقه من دون أن يهتم بعمق العمل و باطنه و بحاجه المحتاجين إليه.

المجتمع الذى يتعود على الرياء لا يبتعد عن اللّه و عن الأخلاق الحسنه و الملكات الفاضله فحسب،بل تصبح كلّ برامجه الاجتماعيه فارغه خاليه المحتوى،لا تتعدى مجموعه من المظاهر،و إنّها لمأساه أن يكون مصير الفرد و مصير المجتمع بهذا الشكل.

الرّوايات فى ذم الرياء كثيره،بعضها و صفته بأنّه نوع من الشرك.و هنا نذكر ثلاثا منها:

-۱

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «سيأتى على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم، و تحسن فيه علانيتهم،طمعا فى الدنيا،لا يريدون به ما عند ربّهم،يكون دينهم رياء،لا يخالطهم خوف،يعمهم اللّه بعقاب،فيدعونه دعاء الغريق،فلا يستجيب لهم!» (۲)

ص: ۴۸۹

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۱،ص ۳۵،ح ۱۰.

۲- ۲) -اصول الكافى،ج ۲،باب الرياء،الحديث ۱۴.

۲-و

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا قال: «إنّ المرائى يدعى يوم القيامه بأربعه أسماء:يا كافر!يا فاجر!يا غادر!يا خاسر!حبط عملك،و بطل أجرك،فلا خلاص لك فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له» (۱) .

۳-و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال مخاطبا زراره(أحد أصحابه): «من عمل للناس كان ثوابه على النّاس يا زراره!كلّ رياء شرك» (۲) .

اللّهمّ!إخلاص النيّه أمر عسير فأعنا عليه بفضلك.

ربّنا!هب لنا إيمانا يجعل معيار تفكيرنا ثوابك و عقابك،و يساوى فى أنظارنا بين سخط المخلوقين و رضاهم فى السلوك إليك.

إلهنا!اغفر برحمتك زلاتنا.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الماعون

ص: ۴۹۰

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۱،ص ۵۱(ذيل الحديث ۱۶).

۲- ۲) -وسائل الشيعه،ج ۱،ص ۴۹(ذيل الحديث ۱۱).

سوره الکوثر

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ثلاث آیات

ص :۴۹۱

محتوى السّوره:

المشهور أنّ هذه السّوره نزلت فى مكّه،و قيل:فى المدينه،و قيل:من المحتمل أنّها نزلت مرّتين فى مكّه و المدينه،لكن الرّوايات فى سبب نزول السّوره تؤيد أنّها مكّيه.

ذكر فى سبب نزول السّوره:أنّ«العاص بن وائل»رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخرج من المسجد،فالتقيا عند باب بنى سهم،و تحدثا،و أناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد.فلما دخل«العاص»قيل له من الذى كنت تتحدث معه؟قال:

ذلك الأبتر.و كان قد توفى عبد اللّه بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو من خديجه،و كانوا يسمون من ليس له ابن أبتر.قسمته قريش عند موت ابنه أبتر.(فنزلت السّوره تبشر النّبى بالنعم الوافره و الكوثر و تصف عدوّه بالأبتر) (۱) .

و لمزيد من التوضيح نذكر أنّ النّبى كان له ولدان من ام المؤمنين خديجه عليها السّلام أحدهما«القاسم»و الآخر«الطاهر»و يسمى أيضا عبد اللّه.و توفى كلاهما فى مكّه.و أصبح النّبى من دون ولد.هذه المسأله و فرت للأعداء فرصه الطعن بالنّبى فسمّوه الأبتر (۲) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۴۹.

۲- ۲) -كان للرّسول ابن آخر من«ماريه القبطيه»اسمه إبراهيم.ولد فى الثامنه للهجره بالمدينه،و لكنّه توفى أيضا قبل بلوغ الثّانيه من عمره،و حزن عليه الرسول كثيرا.

و العرب حسب تقالیـدها کـانت تعیر أهمّیه بـالغه للولـد،و تعتبره امتـدادا لمهام الأب.بعـد وفاه عبـد اللّه خال الأعـداء أنّ الرساله سوف تنتهی بوفاه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

السّوره نزلت لتردّ علی هؤلاء الأعداء بشکل إعجازی و لتقول لهم:إنّ عدوّ الرسول هو الأبتر،و أن الرساله سوف تستمر و تتواصل و هـذه البشـری بـددت من جهه آمـال الأعـداء و طیبت خاطر النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم بعـد أن اغتم من لمز الأعـداء و تآمرهم.

فضیله السّوره:

ورد فی فضـیله هذه السّوره عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأها سقاه اللّه من أنهار الجنّه،و اعطی من الأجر بعدد کلّ قربان قربه العباد فی یوم عید،و یقربون من أهل الکتاب و المشرکین» (1) اسم هذه السّوره(الکوثر)مأخوذه من أوّل آیه فیها.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۴۸.

الآيات [سوره الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِنّٰا أَعْطَيْنٰاكَ اَلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ اِنْحَرْ (٢) إِنَّ شٰانِئَكَ هُوَ اَلْأَبْتَرُ (٣)

التّفسير

اشاره

أعطيناک الخير العميم،

الحديث فی كلّ هذه السّوره موجّه إلی النّبی الأكرم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم(مثل سوره و الضحی،و سوره ألم نشرح)،و أحد أهداف هذه السور تسليه قلب النّبی إزاء ركام الأحداث المؤلمه و طعون الأعداء.

تقول له أوّلا:

إِنّٰا أَعْطَيْنٰاكَ الْكَوْثَرَ

.

و«الكوثر»:من الكثره،و بمعنی الخير الكثير،و يسمی الفرد السخی كوثرا.

و فی معنی«الكوثر»

ورد أنّه لما نزلت سوره الكوثر صعد رسول للّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم المنبر فقرأها علی النّاس.فلما نزل قالوا:يا رسول اللّه ما هذا الذی أعطاک اللّه؟ قال:«نهر فی الجنّه أشدّ بياضا من اللبن،و أشدّ استقامه من القدح،حافتاه قباب

الدر و الياقوت...» (۱) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام فی معنی الکوثر قال: «نهی فی الجنّه أعطاه اللّه نبیّه عوضا من ابنه» (۲) .

و قیل:هو حوض النّبی الذی یکثر النّاس علیه یوم القیامه.

و قیل:هو النّبوه و الکتاب،و قیل:هو القرآن.و قیل:کثره الأصحاب و الأشیاع.و قیل:هو کثره النسل و الذریه و قد ظهرت الکثره فی نسله من ولد فاطمه علیها السّلام حتی لا یحصی عددهم،و اتصل إلی یوم القیامه مددهم،و

روی عن الصادق علیه السّلام أنّه الشفاعه (۳) الفخر الرازی نقل خمسه عشر رأیا فی تفسیر الکوثر،و لکن هذه التفاسیر تبیّن غالبا المصادیق البارزه لمعناها الواسع و هو«الخیر الکثیر».

نعلم أنّ اللّه سبحانه أعطی رسوله الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نعما کثیره،منها ما ذکره المفسّرون فی معنی الکوثر و غیرها کثیر،و کلّها یمکن أن تکون تفسیرا مصداقیا للآیه.

علی أی حال،کلّ الهبات الإلهیه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی کل المجالات تدخل فی إطار هذا الخیر الکثیر،و من ذلک انتصاراته علی الأعداء فی الغزوات،بل حتی علماء أمته الذین یحملون مشعل الإسلام و القرآن فی کلّ زمان و مکان.

و لا ننسی أنّ کلام اللّه سبحانه تعالی لنبیّه فی هذه السّوره کان قبل ظهور الخیر الکثیر.فهو إخبار بالمستقبل القریب و البعید،إخبار إعجازی یشکل دلیلا آخر علی صدق دعوه الرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

هذا الخیر الکثیر یستوجب شکرا عظیما،و إنّ کان المخلوق لا یستطیع أداء

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۴۹.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السابق.

حقّ نعمه الخالق أبدا.إذ أنّ توفيق الشكر نعمه اخری منه سبحانه.و لذا يقول سبحانه لنبيّه:

فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ

.

نعم،واهب النعم هو سبحانه.لذلک ليس ثمّه معنى للعبادات إن كانت لغيره.

خاصّه و إن كلمه(ربّ)تعنی استمرار النعمه و التدبير و الربوبيه.

بعباره اخری،العبادات،سواء كانت صلاه أم نحرا،تختص بالربّ و ولی النعمه،و هو اللّه سبحانه و تعالی.

و الأمر بالصلاه و النحر للربّ مقابل ما كان يفعله المشركون من سجودهم للأصنام و نحرهم لها،بينما كانوا يرون نعمهم من اللّه.و تعبير(لربّک)دليل واضح على وجوب قصد القربه فی العبادات.

كثير من المفسّرين يعتقدون أنّ الآيه تقصد صلاه عيد الأضحى و النحر فيه.

لكن مفهوم الآيه عام و واسع.و صلاه عيد الأضحى و النحر فيه من مصاديق الآيه البارزه.

عباره«و انحر»من النحر،و هو ذبح الناقه.و قد يكون ذلک لأهميه الناقه بين أنواع الأضاحی.و المسلمون الأوائل كانوا يعتزون بالإبل.و نحرها يحتاج إلى إيثار كثير.

و ذكر للآيه المباركه تفسيران آخران.

۱-المقصود من كلمه(و انحر)أن استقبل القبله فی الصلاه.لأنّ النحر أعلى الصدر،و العرب تستعمل الكلمه لاستقبال الشیء فيقولون:منازلنا تتناحر،أی تتقابل.

۲-المقصود رفع اليد عند النحر لدى التكبير و لذا

ورد فی الرّوايه أنّه لما

نزلت هـذه السّوره قال النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لجبريل:«ما هذه النحيره (۱) التى أمرنى بهـا ربّى؟» قال:«ليست بنحيره،و لكنّه يـأمرك إذا تحرّمت للصـلاه أن ترفع يـديك إذا كـبرت و إذا ركعت،و إذا رفعت رأسـك من الركوع و إذا سـجدت،فـإنّه صلاتنا و صلاه الملائكه فى السماوات السبع.فإن لكلّ شىء زينه،و إنّ زينه الصلاه رفع الأيدى عند كلّ تكبيره» (۲) .

و

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير الآيه أنّه أشار بيده و قال:«هكذا».

أى استقبل بيديه القبله فى افتتاح الصلاه(رفع يديه جاعلا كفه مقابل القبله) (۳) .

و التّفسـير الأـوّل أنسب،لأنّ المقصود هو الردّ على أعمال المشـركين الـذين كانوا يعبـدون و ينحرون لغير اللّه،و لكن لا مانع من الجمع بين هذه المعانى،خاصّه و قد وردت بشأن رفع اليد عند التكبير روايات كثيره فى كتب الشيعه و السنه.

و بذلك يكون للآيه مفهوم جامع يشمل هذه المعانى أيضا.

و فى آخر آيه يقول اللّه سبحانه لنبيّه ردّا على ما وصمه به المشركون: إِنَّ شٰانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ .

«الشانئ»هو المعادى من«الشنان»-على وزن ضربان-و هو العداء و الحقد.

و«أبـتر»فى الأصـل هـو الحيـوان المقطـوع الـذنب (۴) .و صــدر هـذا التعـبير مـن أعـداء الإســلام لانتهـاك الحرمـه و الإهـانه.و كلمه(شانئ)فيها ايحاء بأنّ عدوك لا يراعى أيه حرمه و لا يلتزم بأى أدب،أى أنّ عداوته مقرونه بالفظاظه و الدناءه.

و القرآن يقول لهؤلاء الأعداء فى الواقع:إنّكم أنتم تحملون صفه الأبتر لا رسول

۱- ۱) -«النحيره»آخر الشهر،لأنّ الإنسان يستقبل فيه الشهر الجديد.و سؤال النّبى لجبريل عن هذا الاستقبال للشهر الجديد،لذلك قال له جبريل:ليست بنحيره.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۵۰.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -مجمع البيان،ج ۱،ص ۵۴۸.

اللّه.

من جهه اخری،کما ذکرنا فی سبب نزول السّوره،قریش کانت تترقب انتهاء الرساله بوفاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأنّهم کانوا یقولون:إنّ النّبی بلا عقب.و القرآن یقول للنّبی:«لست بلا عقب،بل شانئک بلا عقب».

بحوث

اشاره

۱-فاطمه علیها السّلام و الکوثر

قلنا إنّ«الکوثر»له معنی واسع یشمل کل خیر وهبه اللّه لنبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و مصادیقه کثیره،لکن کثیرا من علماء الشیعه ذهبوا إلی أنّ«فاطمه الزهراء علیها السّلام» من أوضح مصادیق الکوثر،لأنّ روایه سبب النزول تقول:إنّ المشرکین وصموا النّبی بالأبتر،أی بالشخص المعدوم العقب،و جاءت الآیه لتقول: إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ الْکَوْثَرَ .

و من هنا نستنتج أن الخیر الکثیر أو الکوثر هو فاطمه الزهراء علیها السّلام،لأن نسل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انتشر فی العالم بواسطه هذه البنت الکریمه...و ذریه الرسول من فاطمه لم یکونوا امتدادا جسمیا للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فحسب،بل کانوا امتدادا رسالیا صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظه علیه و کان منهم أئمّه الدین الإثنی عشر،أو الخلفاء الإثنی عشر بعد النّبی کما أخبر عنهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الأحادیث المتواتره بین السنه و الشیعه،و کان منهم أیضا الآلاف المؤلفه من کبار العلماء و الفقهاء و المحدثین و المفسّرین وقاده الامّه.

و الفخر الرازی فی استعراضه لتفاسیر معنی الکوثر یقول:القول الثّالث «الکوثر»أولاده.قالوا لأنّ هذه السّوره إنّما نزلت ردّا علی من عابه علیه السّلام بعدم الأولاد فالمعنی أنّه یعطیه نسلا یبقون علی مرّ الزمان،فانظر کم قتل من أهل البیت

ثمّ العالم ممتلئ منهم و لم يبق من بنى اميه فى الـدنيا أحد يعبأ به،ثمّ أنظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السّلام و النفس الزكيه و أمثالهم (۱) .

۲-إعجاز السّوره

هذه السّوره تتضمّن فى الواقع ثلاثه من أنباء الغيب و الحديث عن المستقبل.

فهى أوّلاـ تتحـدث عن إعطـاء الخير الكثير للنّبى(أعطينـاك الكوثر)و هـذا الفعـل و إن جاء بصـيغه الماضـى،قـد يعنى المسـتقبل الحتمى الوقوع. و هـذا الخير الكثير يشـمل كلّ الانتصارات و النجاحات التى أحرزتها الـدعوه الإسـلاميه فيما بعد.و هى ما كانت متوقعه عند نزول السّوره فى مكّه.

من جهه اخرى،السّوره تخبر النّبى بأنّه سوف لا يبقى بدون عقب،بل إنّ ذريته ستنتشر فى الآفاق.

و من جهه ثـالثه،تخبر السّوره بـأنّ عـدوّه هو الأـبتر،و هـذه النبوءه تحققت أيضـا،فلا أثر لعـدوه اليوم،بنو اميه و بنو العباس الـذين عادوا النّبى و أبناءه كانوا ذا نسل لا يحصى عدده،و لم يبق اليوم منهم شىء يذكر.

۳-«إنّا»بصيغه الجمع،لما ذا؟

يلاحظ فى السّوره و فى مواضع اخرى من القرآن أن اللّه سـبحانه ذكر نفسه بصيغه الجمع(ضمير المتكلم مع الغير): إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ .

هـذا التعبير لبيـان عظمته جلّت قـدرته.فالعظماء حين يتحـدثون عن أنفسـهم، فلاـ يعنون بشخصـهم فقـط بـل يخبرون عمن تحت إمرتهم.و هى كنايه عن القدره

ص :۵۰۰

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۲،ص ۱۲۴.

و العظمه و عن وجود من يأتمر بأمرهم.

الآيه الكريمه مؤكّده بحرف(إنّ)تأكيدا آخر،و عباره«أعطيناك»تعنى هبه اللّه سبحانه لنبيّه هذا الكوثر،و لم يقل آتيناك.و هذه بشاره كبيره للنّبى تسلى قلبه أمام تخرصات الأعداء،و تثبت قدمه و تبعد الوهن عن عزيمته؛و ليعلم أن سنده هو اللّه مصدر كلّ خير و واهب ما عنده من خير كثير.

ربّنا!لا تحرمنا ممّا أنعمت به على نبيّك من خير كثير.

ربّنا!إنّك تعلم مدى حبّنا لرسولك و لذريته الطاهره،فاحشرنا فى زمرتهم.

ربّنا!عظمه رسولك و عظمه رسالته لا تبلغها عظمه،اللّهمّ فزدها عزّه و منعه و شوكه.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الكوثر

ص :۵۰۱

سوره الكافرون

اشاره

مكيّه و عدد آياتها ستّ آيات

ص :۵۰۳

«سوره الکافرون»

محتوى السّوره:

هذه السّوره نزلت فى مكّه لحنها و محتواها يؤيدان ذلك.و سبب نزولها الذى سنبيّنه بإذن اللّه دليل آخر على مكّيتها،و نستبعد ما ذهب إليه بعضهم من أنّها مدنيه.

من لحن السّوره نفهم أنّها نزلت فى زمان كان المسلمون فى أقليه و الكفار فى أكثريه،و النّبى يعانى من الضغوط التى تطلب منه أن يهادن المشركين.و أمام هذه الضغوط كان النّبى يعلن صموده و إصراره على المبدأ،دون أن يصطدم بهم.

و فى هذا درس عبره لكل المسلمين أن لا يساوموا أعداء الإسلام فى مبادئ الدين مهما كانت الظروف.و أن يبعثوا اليأس فى قلوبهم متى ما بادروا الى هذه المساومه.و فى هذه السّوره تكرر مرّتين نفى عباده الإنسان المسلم لما يعبده الكافرون،و هو تأكيد يستهدف بّث اليأس فى قلوب الكافرين.كما تكرر مرّتين نفى عباده الكافر لما يعبده المسلمون من إله واحد أحد.و هذا دليل على تعنتهم و لجاجهم.و نتيجه ذلك هو الفصل العقائدى الحاسم بين منهج التوحيد و متاهات الشرك: لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ .

فضيله السّوره:

ورد فى فضيله هذه السّوره عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأ قل يا أيّها الكافرون فكأنّما قرأ ربع القرآن و تباعدت عنه مرده الشياطين،و برأ من الشرك،

ص :۵۰۵

و يعافى من الفزع الأكبر» (۱) .

و عباره(ربع القرآن)قد تعنى أن مسأله مواجهه الشرک و الکفر تحتل ربع القرآن و جاءت عصارتها فى هذه السّوره المبارکه.و إنّما کانت هذه السّوره عاملا على تباعد مرده الشياطين عن قارئها،لأنّها رفض حاسم للشرک و المشرکين، و الشرک أهم حبائل الشيطان.

و النجاه فى يوم القيامه(أو المعافاه من الفزع الأکبر على حدّ تعبير الرّوايه) تتوقف بالدرجه الأولى على التوحيد و رفض الشرک.و هو ما دارت حوله مضامين هذه السّوره.

و

فى روايه أخرى أن رجلا أتى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:جئت يا رسول اللّه لتعلمنى شيئا أقوله عند منامى قال:«إذا أخذت مضجعک فاقرأ قل يا أيّها الکافرون،ثمّ نم على خاتمتها فإنها براءه من الشرک» (۲) .

و

عن جبير بن مطعم قال:قال لى رسول اللّه: «أ تحب يا جبير أن تکون إذا خرجت سفرا من أمثل أصحابک هيئه و أکثرهم زادا»؟ قلت:نعم بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه.

قال:«فاقرأ هذه السور الخمس:قل يا أيّها الکافرون،و إذا جاء نصر اللّه و الفتح،و قل هو اللّه أحد،و قل أعوذ برب الفلق،و قل أعوذ برب النّاس.و افتتح قراءتک ببسم اللّه الرحمن الرحيم».

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «کان أبى يقول:قل يا أيّها الکافرون ربع القرآن.و کان إذا فرغ منها قال:أعبد اللّه وحده،أعبد اللّه وحده» (۳) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۵۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السابق.

الآیات [سوره الکافرون (۱۰۹)]: الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ قُلْ یٰا أَیُّهَا اَلْکٰافِرُونَ (۱) لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ (۲) وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ (۳) وَ لاٰ أَنَا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ (۴) وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ (۵) لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ (۶)

سبب النّزول

جاء فی الرّوایه أن السّوره نزلت فی نفر من قریش منهم«الحارث بن قیس السهمی»و«العاص بن أبی وائل»و«الولید بن المغیره»،و«أمیه بن خلف» و غیرهم من القرشیین قالوا:هلم یا محمّد فاتبع دیننا نتبع دینک،و نشرکک فی أمرنا کلّه،تعبد آلهتنا سنه و نعبد آلهتک سنه.فإن کان الذی جئت به خیرا ممّا بأیدینا کنّا قد شرکناک فیه و أخذنا بحظنا منه.و إن کان الذی بأیدینا خیرا ممّا فی یدیک کنت قد شرکتنا فی أمرنا و أخذت بحظک منه.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «معاذ اللّه أن أشرک به غیره».

قالوا:فاستلم بعض آلهتنا نصدقک و نعبد آلهتک.

فقال:«حتی انظر ما یأتی من عند ربّی».

فنزل قل یا أیّها الکافرون-السّوره. فعدل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی المسجد

الحرام و فيه الملأ من قريش،فقام على رؤوسهم،ثمّ قرأ عليهم حتى فرغ من السّوره فأيسوا عند ذلك،فآذوه و آذوا أصحابه» (۱) .

التّفسير

اشاره

لا أهادن الكافرين:

قُلْ يٰا أَيُّهَا الْكٰافِرُونَ

و الخطاب إلى قوم مخصوصين من الكافرين كما ذكر كثير من المفسّرين،و الألف و اللام للعهد.و إنّما ذهب المفسّرون إلى ذلك لأن الآيات التاليه تنفى أن يعبد الكافرون ما يعبده المسلمون و هو اللّه سبحانه فى الماضى و الحال و المستقبل.و المجموعه المخاطبه بهذه الآيات بقيت بالفعل على كفرها و شركها حتى آخر عمرها.بينما دخل كثير من المشركين بعد فتح مكّه فى دين اللّه أفواجا.

لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ

فهذه مسأله مبدئيه لا تقبل المساومه و المهادنه و المداهنه.

وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ

لما تأصّل فيكم من لجاج و عناد و تقليد أعمى لآبائكم،و لما تجدونه فى الدعوه من تهديد لمصالحكم و للأموال التى تدر عليكم من عبده الأصنام.

و لمزيد من التأكيد و بث اليأس فى قلوب الكافرين،و لبيان حقيقه الفصل الحاسم بين منهج الإسلام و منهج الشرك قال سبحانه:

وَ لاٰ أَنَا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ، وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ

فعلى هذا لا معنى

ص :۵۰۸

---

۱ - ۱) -ذكر سبب النزول هذا كثير من المفسّرين على اختلاف يسير بينهم فى العبارات منهم الطبرسى فى مجمع البيان،و القرطبى فى تفسيره،و أبو الفتوح الرازى فى تفسيره،و السيوطى فى الدر المنثور.

لإصراركم على المصالحه و المهادنه معی حول مسأله عباده الأوثان فإنّه أمر محال لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ .

أسئله:

اشاره

۱-لما ذا بدأت السّوره بفعل الأمر «قل»

«قل»فعل أمر موجه من اللّه سبحانه لنبیه کی یبلّغ الکافرین و یقول لهم:

...یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ...

إلی آخر السّوره،فلما ذا بدأ النّبی تلاوه السّوره بکلمه«قل»،و هی موجهه إلیه لا-إلی الکافرین؟أما کان من الأفضل أن تبدأ السّوره بیا أیّها الکافرون...؟ الجواب یتضح لو التفتنا إلی محتوی السّوره.مشرکو العرب کانوا قد دعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیهادنهم بشأن الأوثان و علیه أن یرّد علیهم و یرفض الاستسلام لهم.و إذا لم یبدأ الکلام ب«قل»یصبح الأسلوب أسلوب خطاب طاب اللّه لهم.

و هذا لا ینسجم مع قوله: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ و ما شابهه.

أضف إلی ذلک أن کلمه«قل»کانت موجوده فی النص الذی جاء به جبرائیل من اللّه تعالی.و النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مکلف بالمحافظه علی النص القرآنی بحذافیره.و هذا یدل علی أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جبرائیل علیه السّلام لیس لهما أی دور فی صیاغه النص القرآنی و لیس لهما حق أی تغییر فیه:بل یأتمران بما أمرهما اللّه.و هذا المعنی تؤکده الآیه الکریمه: قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما یُوحی إِلَیَّ (۱) .

ص :۵۰۹

۱- ۱) -یونس-۱۵

۲-أ كان عبده الأصنام منكرين للّه؟

نعلم أن عبده الأصنام لم يكونوا منكرين للّه سبحانه،و القرآن يؤيد ذلك فى قوله سبحانه: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ (۱) .

كيف إذن تقول الآيه الكريمه: لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ، وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ .

الجواب:أن الكلام فى هذه السّوره يدور حول العباده لا الخلقه،و يتّضح أن عبده الأصنام كانوا يعتقدون أن«اللّه»خالق الكون،لكنّهم كانوا يرون ضروره«عباده»الأصنام كى تكون واسطه بينهم و بين اللّه،أو لاعتقادهم بأنّهم ليسوا أهلا لعباده اللّه،بل لا بدّ من عباده أصنام جسميه،و القرآن الكريم يرد على هذه الأوهام و يقول:إنّ العباده للّه وحده لا للأصنام و لا لكليهما!

۳-لم هذا التكرار؟

لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ...

وَ لاٰ أَنٰا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ

الآيتان تكرران معنى واحدا، و هكذا وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ... وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ تكررت أيضا، لماذا؟للمفسّرين فى جواب هذا السؤال آراء مختلفه.

ذهب بعضهم إلى أن الهدف من التكرار التأكيد و بثّ اليأس فى قلوب المشركين،و فصل المسيره الإسلاميه بشكل كامل عن مسيرتهم،و تثبيت فكره عدم إمكان المهادنه بين التوحيد و الشرك.بعباره أخرى القرآن الكريم قابل دعوه المشركين إلى المساومه و المهادنه و إصرارهم على ذلك و تكرارهم لدعوتهم، بتكرار فى الردّ عليهم.

ورد أن«أبا شاكر الديصانى»و هو من زنادق عصر الإمام الصادق عليه السّلام سأل

۱- ۱) -لقمان-۲۵

أحـد أصـحاب الصـادق عليه السّـلام و هو«أبو جعفر الأـحول»(محمّـد بن على النعمـانى المعروف بمؤمن الطـاق)عن سـبب هـذا التكرار،و هل الشـخص الحكيم يرد فى كلامه مثل هذا التكرار؟ أبو جعفر الأحول أعياه الجواب،فتوجه إلى المدينه،و دخل على الإمام الصادق عليه السّـلام و سأله عن ذلك،أجابه الإمام:كان سبب نزولها و تكرارها أن قريشا قالت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم:تعبـد آلهتنا سـنه و نعبـد إلهك سـنه و تعبد آلهتنا سـنه و نعبد إلهك سـنه فأصابهم بمثل ما قالوا فقال فيما قالوا تعبد آلهتنا سـنه قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ، لا أَعْبُـدُ ما تَعْبُدُونَ و فيما قالوا نعبد إلهك سـنه وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ و فيما قالوا تعبد آلهتنا سنه وَ لا أَنَا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ و فيما قالوا نعبد إلهك سنه وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ .

ذهب أبو جعفر الأـحول بالجواب إلى أبى شاكر،فلما سـمعه قال:«هـذا ما حمله الإبل من الحجاز» (۱) !(يشـير بذلك إلى أن هذا ليس كلامك بل كلام الصادق).

و قيل إن هذا التكرار يعود إلى أن الجمله الأولى تركز على الحال،و الجمله الثّانيه تركز على المستقبل،و يكون معنى الجملتين لا أعبد ما تعبدون فى الحال و المستقبل.و لا يوجد شاهد فى الآيه على هذا التّفسير.

ثمه تفسير ثالث لهـذا التكرار هو إن الأولى تشـير إلى الاختلاف فى المعبود و الثّانيه إلى الاختلاف فى العباده.أى لا أعبد الذى تعبدون،و لا أعبد عبادتكم لأن عبادتى خالصه من الشرك و لأنها عباده عن وعى و عن أداء للشكر لا عن تقليد أعمى (۲) .

و الظاهر أن هذا التكرار للتأكيد كما ذكرنا أعلاه،و جاءت الإشاره إليه أيضا

۱- ۱) -تفسير على بن إبراهيم،ج ۲،ص ۴۴۵.

۲- ۲) -بناء على هذا التّفسـير«ما»فى الآيتين الثّانيه و الثّالثه موصوله،و فى الرابعه و الخامسه مصدريه(ذكر هذا التّفسـير أبو الفتوح الرازى ضمن ذكره لاحتمالات تفسير الآيه ج ۱۲،ص ۱۹۲،و أشار إليه الطبرسى أيضا).

فی حدیث الإمام الصادق علیه السّلام.

و هناک تفسیر رابع للتکرار هو إن الآیه الثّانیه تقول:لا أعبد ما تعبدون الآن.

و الآیه الرابعه تقول:ما أنا عابد(فی الماضی)معبودکم،فما بالکم الیوم.هذا التّفسیر یستند إلی التفاوت بین فعلی الآیتین،فی الثّانیه الفعل مضارع«تعبدون»، و فی الآیه الرابعه«عبدتم»بصیغه الماضی و نحن لا نستبعده (۱) .

و إن کان هذا یحل مسأله تکرار الآیتین الثّانیه و الرابعه،و تبقی مسأله تکرار الآیتین الثّالثه و الخامسه علی حالها. (۲)

۴-هل الآیه لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ تعنی جواز عباده الأصنام؟!

قد یتصور أنّ هذه الآیه لها مفهوم«السلام العام»و تجیز حتی لعبده الأصنام أن یظلوا علیها عاکفین،لأنّها لا تصرّ علی قبول دین الإسلام.

لکن هذا التصور فارغ لا یقوم علی أساس،لحن الآیات یوضح بجلاء أنّها نوع من التحقیر و التهدید،أی دعکم و دینکم فسترون قریبا و بال أمرکم،تماما مثل ما ورد فی قوله تعالی: وَ إِذٰا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قٰالُوا:لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَکُمْ أَعْمٰالُکُمْ سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ لاٰ نَبْتَغِی الْجٰاهِلِینَ (۳) .

و الشاهد الواضح علی ذلک مئات الآیات الکریمه التی ترفض الشرک بکل ألوانه،و تعتبره عملا لا شیء أبغض منه،و ذنبا لا یغفر.

و هناک إجابات اخری علی هذا السؤال مثل تقدیر محذوف و تکون العباره:

لکم جزاء دینکم و لی جزاء دینی.

ص:۵۱۲

۱- ۱) -بناء علی هذا(عابد)و هو اسم فاعل یکون فی الآیه بمعنی الماضی أیضا.

۲- ۲) -یجب الالتفات إلی أن«ما الموصوله»و إن استعملت غالبا فی غیر ذوی العقول،تستعمل أیضا فی العاقل.و فی القرآن شواهد.

۳- ۳) -سوره القصص،الآیه ۵۵.

و قيل أيضا:«الدين»هنا بمعنى الجزاء،و لا محذوف فيها و مفهومها لكم جزاؤكم و لى جزائى (۱) .

و التّفسير الأوّل أنسب.

۵-هل هادن الشرک یوما؟

السّوره تطرح حقيقه التضاد و الانفصال التام بين منهج التوحيد،و منهج الشرك،و عدم وجود أى تشابه بينهما،التوحيد يشدّ الإنسان باللّه بينما الشرك يجعل الإنسان غريبا عن اللّه.

التوحيد رمز الوحده و الانسجام فى جميع المجالات،و الشرك مبعث التفرقه و التمزق فى كلّ الشؤون.

التوحيد يسمو بالإنسان على عالم الماده و الطبيعه،و يربطه بما وراء الطبيعه بالوجود اللامتناهى لربّ العالمين،بينما الشرك يجعل الإنسان يرسف فى أغلال الطبيعه،و يربطه بموجودات ضعيفه فانيه.

من هنا فالنّبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الأنبياء الكرام لم يهادنوا الشرك لحظه واحده،بل جعلوا مقارعته فى رأس قائمه أعمالهم.

السائرون على طريق اللّه من الدعاه و العلماء الإسلاميين يتحملون مسئوليه مواصله هذه المسيره،و عليهم أن يعلنوا براءتهم من الشرك و المشركين فى كلّ مكان.

هذا هو طريق الإسلام الأصيل.

اللّهم!جنبنا كلّ شرك فى أفكارنا و أعمالنا.

ربّنا!وساوس المشركين فى عصرنا خطره أيضا،فاحفظنا من الوقوع فى

ص:۵۱۳

۱- ۱) -و يلاحظ أن كلمه(دين)فى الآيه وَ لِيَ دِينِ مكسوره،و كسرتها تدل على ياء محذوفه أى:و لى دينى.

حبائلهم.

الهنـا!منّ علينـا بشـجاعه و صـراحه و حزم لنكون كمـا كان نبيّک صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم رافضـين لكلّ مساومه مع الكفر و الكافرين و الشرک و المشركين.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الكافرون

سوره النّصر

اشاره

مدنیّه و عدد آیاتها ثلاث آیات

ص :۵۱۵

محتوى السّوره:

هـذه السّوره نزلت فی المدینه بعد الهجره،و فیها بشـری النصـر العظیم و دخول النّاس فی دین اللّه أفواجا،و تدعو النّبی أن یسـبح اللّه و یحمده و یستغفره شکرا علی هذه النعمه.

فی الإسـلام فتوحات کثیره،و لکن فتحا بالمواصـفات المذکوره فی السّوره ما کان سوی«فتح مکّه»،خاصّه و أن العرب-کما جاء فی الرّوایات-کانت تعتقـد أن نبیّ الإسـلام صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لا یسـتطیع أن یفتـح مکّه إلاّ إذا کان علی حق...و لو لم یکن علی حقّ فربّ البیت یمنعه کما منع جیش أبرهه،و لذلک دخل العرب فی دین اللّه بعد فتح مکّه أفواجا.

قیل:إنّ هذه السّوره نزلت بعد«صلح الحدیبیه»فی السنه السادسه للهجره، و قبل عامین من فتح مکّه.

و ما احتمله بعضـهم من نزول هذه السّوره بعد فتح مکّه فی السـنه العاشـره للهجره فی حجّه الوداع فبعید جدّا،لأنّ عبارات السّوره لا تنسجم و هذا المعنی، فهی تخبر عن حادثه ترتبط بالمستقبل لا بالماضی.

و من أسماء هذه السّوره«التودیع»لأنّها تتضمّن خبر وفاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و

فی الرّوایه أنّ هـذه السّوره لمـا نزلت قرأهـا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم علی أصـحابه ففرحوا و استبشـروا، و سـمعها العباس فبکی،فقال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«ما یبکیک یا عم؟»

فقال:أظنّ أنّه قد نعیت إلیک نفسک یا رسول اللّه،فقال:«إنّه لکما تقول» (۱) .

و ظاهر السّوره لیس فیه إنباء عن قرب رحله الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بل عن الفتح و النصر،فکیف فهم العباس أنّها تنعی إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نفسه؟یبدو أنّ دلاله السّوره علی اکتمال الرساله و تثبیت الدین هو الذی أوحی بقرب ارتحال الرسول إلی جوار ربّه.

فضیله السّوره:

وردت فی فضیله السّوره

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأها فکأنّما شهد مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتح مکّه» (۲) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «من قرأ إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ فی نافله أو فریضه نصره اللّه علی جمیع أعدائه،و جاء یوم القیامه و معه کتاب ینطق،قد أخرجه اللّه من جوف قبره،فیه أمان من حرّ جهنّم» (۳) .

واضح أنّ هذه الفضیله لمن قرأ هذه السّوره فسلک مسلک رسول اللّه و عمل بسیرته و سنته،لا أن یکتفی بلقلقه اللسان.

ص :۵۱۸

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۵۴،هذه الرّوایه وردت بألفاظ مختلفه(المیزان،ج ۲۰،ص ۵۳۲).

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۵۳.

۳- ۳) -المصدر السابق.

الآیات [سوره النصر (۱۱۰): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اَللّٰهِ وَ اَلْفَتْحُ (۱) وَ رَأَیْتَ اَلنّٰاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اَللّٰهِ أَفْوٰاجاً (۲) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اِسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کٰانَ تَوّٰاباً (۳)

التّفسیر

اشاره

عند انبلاج فجر النصر:

إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ، وَ رَأَیْتَ النّٰاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللّٰهِ أَفْوٰاجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کٰانَ تَوّٰاباً

.

هذه الآیات الثلاث القصار فی ألفاظها العمیقه فی محتواها تتضمّن مسائل دقیقه کثیره نسلط علیها الضوء کی تساعدنا فی فهم معنی السّوره.

۱-«النصر»:فی الآیه أضیف إلی اللّه«نصر اللّه»و فی کثیر من المواضع القرآنیه نجد نسبه النصر إلی اللّه.یقول سبحانه أَلاٰ إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِیبٌ (۱) ، و یقول: وَ مَا النَّصْرُ إِلاّٰ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ (۲) .

ص:۵۱۹

۱- ۱) -البقره،الآیه ۲۱۴.

۲- ۲) -آل عمران،الآیه ۱۲۶؛الأنفال،الآیه ۱۰.

و هذا يعنى أن النصـر فى أى حال لا يكون إلّا بإراده اللّه،نعم،لا بدّ من إعداد القوّه للغلبه على العدو،لكن الإنسان الموحّد يؤمن أنّ النصر من عند اللّه وحده، و لذلك لا يغترّ بالنصر،بل يتجه إلى شكر اللّه و حمده.

۲-فى هذه السّوره دار الحديث عن نصـره اللّه،ثمّ عن«الفتح»و الانتصار، و بعدها عن اتساع رقعه الإسـلام و دخول النّاس فى دين اللّه زرافات و وحدانا.

و بين هذه الثلاثه ارتباط عله و معلول.فبنصـر اللّه زرافات يتحقق الفتح،و با الفتح تزال الموانع من الطريق و يدخل النّاس فى دين اللّه أفواجا.

بعد هذه المراحل الثلاث-التى يشكل كل منها نعمه كبرى-تحّل المرحله الرابعه و هى مرحله الشكر و الحمد.

من جهه أخرى نصر اللّه،و الفتح هدفهما النهائى دخول النّاس فى دين اللّه و هدايه البشريه.

۳-«الفتح»هنا مذكور بشكل مطلق،و القرائن تشير-كما ذكرنا-أنه فتح مكّه الذى كان له ذلك الصدى الواسع المذكور فى الآيه.

«فتح مكّه»فتح فى الواقع صـفحه جديده فى تاريخ الإسـلام،لأن مركز الشـرك قد تلاشـى بهذا الفتح،انهدمت الأصـنام،و تبددت آمال المشركين و أزيلت السدود و الموانع من طريق إيمان النّاس بالإسلام.

من هنا،يجب أن نعتبر فتـح مكّه بـدايه مرحله تثبيت أسـس الإسـلام و اسـتقراره فى الجزيره العربيه ثمّ فى العالم أجمع.لـذلك لا نرى بعـد فتـح مكّه مقـاومه من المشـركين(سوى مرّه واحـده قمعت بسـرعه)و كان النّاس بعـده يفـدون على النّبى من كل أنحاء الجزيره ليعلنوا إسلامهم.

۴-فى نهايه السّوره يأمر اللّه سـبحانه نبيّه(بل كل المؤمنين)بثلاثه أمور ليجسّد آلاء الشكر و ليتخذ الموقف الإيمانى المناسب من النصر الإلهى و هى :«التسبيح»و«الحمد»و«الاستغفار».

«التسبيح»تنزيه اللّه من كل عيب و نقص.

و«الحمد»لوصف اللّه بالصفات الكماليه.

و«الاستغفار»إزاء تقصير العبد.

هذا الإنتصار الكبير أدى إلى تطهير الساحه من أفكار الشرك،و إلى تجلى جمال اللّه و كماله أكثر من ذى قبل،و إلى اهتداء من ضلّ الطريق إلى اللّه.

هذا الفتح العظيم أدى إلى أن لا يظن فرد بأن اللّه يترك أنصاره وحدهم (و لذلك جاء أمر التسبيح لتنزيهه من هذا النقص)و إلى أن يعلم المؤمنون بأن وعده الحق(موصوف بهذا الكمال)،و إلى أن يعترف العباد بنقصهم أمام عظمه اللّه.

أضف إلى ما سبق،أن الإنسان-عند النصر-قد تظهر عليه ردود فعل سلبيه فيقع فى الغرور و التعالى،أو يتخذ موقف الانتقام و تصفيه الحسابات الشخصيه، و هذه الأوامر الثلاثه تعلمه أن يكون فى لحظات النصر الحساسه ذاكرا لصفات جلال اللّه و جماله و أن يرى كل شيء منه سبحانه،و يتجه إلى الاستغفار كى يزول عنه غرور الغفله و يبتعد عن الانتقام.

۵-رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل كل الأنبياء معصوم،فلما ذا الاستغفار؟ الجواب أن هذا تعليم لكل الأمه لأنه:

أوّلا:خلال أيّام المواجهه بين الإسلام و الشرك مرّت فترات عصيبه على المسلمين،و تفاقمت فى بعض المراحل مشاكل الدعوه،و ضاقت صدور بعضهم و ساور بعضهم الآخر شكوك فى وعد اللّه.كما قال سبحانه فيهم عند غزوه «الأحزاب»: وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنٰاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا (۱) .

و الآن إذ تحقق الإنتصار فقد اتضح خطل تلك الظنون،و لا بدّ من«الاستغفار» ثانيا:الإنسان لا يستطيع أن يؤدى حقّ الشكر،مهما حمد اللّه و أثنى عليه.

و لذلك لا بدّ له بعد الحمد و الثناء أن يتجه إلى استغفاره سبحانه.

۱- ۱) -الأحزاب،الآيه ۱۰.

ثالثا:بعد الإنتصار تبدأ عاده وساوس الشيطان،فتبرز ظاهره الغرور تاره و ظاهره الانتقام تاره أخرى.و لا بدّ إذن من ذكر اللّه و استغفاره باستمرار حتى لا تظهر هذه الحالات،و لتزول إن ظهرت.

رابعا:إعلام هذا النصر يعنى انتهاء مهمّه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تقريبا كما ذكرنا فى بدايه السّوره،و انتهاء عمره المبارك و التحاقه بالرفيق الأعلى.و لذا

جاء فى الرّوايات أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد نزول هذه السّوره كان يكثر من قول:«سبحانك اللّهم و بحمدك،اللّهم اغفر لى إنّك أنت التواب الرحيم».

۶-عباره إِنَّهُ كٰانَ تَوّٰاباً تبيّن علّه الاستغفار.أى استغفره و تب إليه لأنّه سبحانه تواب.

و قد تكون العباره تستهدف تعليم المسلمين العفو،فكما إن اللّه تواب كذلك أنتم ينبغى أن تقبلوا توبه المذنبين بعد الإنتصار ما أمكنكم ذلك.و أن لا تطردوهم ما داموا منصرفين عن المخالفه و التآمر.و لذلك اتخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى فتح مكّه -كما سنرى-موقف الرحمه و الرأفه مقابل الأعداء الحقودين.

التسبيح و الحمد و الاستغفار دأب كل الأنبياء الكرام عند تحقق النصر.يوسف عليه السّلام حين جلس على سرير الحكم فى مصر و عاد إليه والداه و اخوته بعد فراق طويل قال: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحٰادِيثِ فٰاطِرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِى بِالصّٰالِحِينَ . (۱)

و عند ما حضر عرش ملكه سبأ أمام سليمان عليه السّلام قال: هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ (۲) .

۱- ۱) -يوسف-الآيه ۱۰۱.

۲- ۲) -النمل،الآيه ۴۰.

بحث

اشاره

عند فتح مكّه:

فتح مكّه-كما ذكرنا-فتح صفحه جديده فى تاريخ الإسلام،و دحر الأعداء بعد عشرين عاما من المقاومه.و تطهرت أرض الجزيره العربيه من الشرك و الأوثان،و الإسلام تأهب لدعوه بقيه أصقاع العالم.

ملخص الواقعه على النحو التالى:

بعد صلح الحديبيه،عمد المشركون إلى نقض العهد،و إلى خرق بنود وثيقه الصلح،و اعتدوا على المتحالفين مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.فشكى المتحالفون ذلك إلى الرسول،فقرر النّبى أن يهب لحمايتهم.

من جهه أخرى،الظروف فى مكّه-حيث مركز الوثنيه و الأصنام و الشرك و النفاق-توفرت لتطهيرها.و هذه مهمّه كان لا بدّ من أدائها فى وقت من الأوقات.

لذلك استعد النّبى للحركه بأمر اللّه سبحانه صوب مكّه.

فتح مكّه تمّ فى ثلاث مراحل.المرحله التمهيديه و فيها تمّ تعبئه القوى اللازمه و اختيار الظروف الزمانيه المساعده،و جمع المعلومات الكافيه عن العدوّ، و المرحله الثّانيه كانت فتح مكّه بأسلوب ماهر خال من التلفات.و المرحله الأخيره هى مرحله عطاء الفتح و آثاره.

١-هذه المرحله اتصف بالدقّه المتناهيه.و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سيطر على الطريق بين مكّه و المدينه سيطره تامّه حتى لا يسرب خبر هذا الاستعداد الإسلامى إلى مكّه،و لكى يتمّ الفتح بشكل مباغت.و هذا أدى إلى فتح مكّه دون إراقه دماء تقريبا.

انقطاع اخبار المدينه عن مكّه كان متقنا،حتى أن نفرا من ضعاف الإيمان اسمه«حاطب بن أبى بلتعه»كتب رساله إلى قريش يخبرهم بأمر المسلمين فى المدينه،و بعثها بيد امرأه من قبيله«مزينه»اسمها«كفود»،أو«ساره».فعلم بها

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بطریق إعجازی،و بعث علیّا علیه السّلام إلی المرأه،فوجدها فی منزل بین مکّه و المدینه.أخذ منها الرساله و أعادها إلی المدینه،و قد أوردنا قصّتها فی تفسیر الآیه الأولی من سوره الممتحنه.

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم استخلف أحد المسلمین علی المدینه،و توجه فی العاشر من رمضان سنه ثمان للهجره إلی مکّه،و وصلها بعد عشره أیّام.

فی الطریق التقی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعمّه العباس و هو یهاجر من مکّه إلی المدینه.

فطلب منه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یرسل متاعه إلی المدینه و یلتحق بالمسلمین،و أخبره بأنّه آخر مهاجر.

۲-وصل المسلمون إلی مشارف مکّه و عسکروا عند«مرّ الظهران»علی بعد عدّه کیلومترات من مکّه.و فی اللیل أشعلوا نیران کثیره لإعداد الطعام(و لعلهم فعلوا ذلک لإثبات تواجدهم الواسع).رأی جمع من أهل مکّه هذا المنظر فتحیروا.

أخبار الزحف الإسلامی کانت لا تزال خافیه علی قریش فی تلک اللیله خرج«أبو سفیان»و معه عدد من سراه قریش للاستطلاع خارج مکّه.و فی نفس اللیله قال العباس عم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:یا سوء صباح قریش.و اللّه لئن باغتها رسول اللّه فی دیارها فدخل مکّه عنوه إنّه لهلاک قریش إلی آخر الدهر.فاستأذن رسول اللّه و خرج علی بغلته لعله یری أحدا متجها إلی مکّه فیخبرهم بمکان رسول اللّه فیأتونه فیستأمنونه.

و بینما العباس یطوف بأطراف مکّه إذ سمع صوت أبی سفیان و معه القرشیون الذین خرجوا یتجسّسون.فقال:أبو سفیان:ما رأیت نیرانا أکثر من هذه!فقال له أحد مرافقیه:هذه نیران خزاعه.فقال أبو سفیان:خزاعه أذلّ من ذلک.نادی العباس أبا سفیان،فسأله أبو سفیان علی الفور:ما وراءک؟قال العباس:هذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی المسلمین أتاکم فی عشره آلاف.

قال أبو سفیان:ما تأمرنی؟

أجابه العباس:ترکب معی فأستأمن لک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فو اللّه لئن ظفر بک لیضربنّ عنقک.

فخرجا یرکضان نحو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فکلما مرّا بنار من نیران المسلمین یقولون:عم رسول اللّه علی بغله رسول اللّه.(أی إن المارّ لیس بغریب).حتی مرّا بنار عمر بن الخطاب.فما أن أبصر به عمر حتی قال له:أبو سفیان!الحمد للّه الذی أمکن منک بغیر عقد و لا عهد! دخل العباس و أبو سفیان علی رسول اللّه و تبعهما عمر فدخل أیضا و قال للرسول:یا رسول اللّه هذا أبو سفیان عدوّ اللّه قد أمکن اللّه منه بغیر عهد و لا عقد فدعنی اضرب عنقه.

فقال العباس:یا رسول اللّه إنی قد أجرته.

و کثر الکلام بین العباس و عمر

فقال رسول اللّه للعباس:

اذهب فقد أمنّاه حتی تغدو علّی به بالغداه.

فلما کان من الغد جاء العباس بأبی سفیان إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلما رآه قال:

ویحک یا أبا سفیان!«ألم یأن لک أن تعلم أن لا إله إلا اللّه؟».

قال:بلی،بأبی أنت و أمی لو کان مع اللّه غیره لقد أغنی عنّی شیئا.

فقال النّبی:«ویحک ألم یأن لک أن تعلم أنّی رسول اللّه؟»فقال:بأبی أنت و أمی،أما هذه ففی النفس منها شیء.فقال:له العباس:ویحک تشهّد شهاده الحق قبل أن تضرب عنقک!فتشهّد.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم للعباس:«اذهب فاحبس أبا سفیان عند خطم الجبل بمضیق الوادی حتی تمرّ علیه جنود اللّه».

قال العباس:یا رسول اللّه إن أبا سفیان یحب الفخر فاجعل له شیئا یکون فی قومه.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«من دخل دار أبی سفیان فهو آمن...و من دخل المسجد فهو

آمن،و من أغلق بابه فهو آمن».

خرج العباس و أجلس أبا سفيان عند خطم الجبل فمرّت عليه القبائل،فيقول له العباس:هذه أسلم...هذه جهينه...حتى مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى كتيبته الخضراء مع المهاجرين و الأنصار متسربلين بالحديد لا يرى منهم إلا حدق عيونهم.فقال:

و من هؤلاء؟قال العباس:هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المهاجرين و الأنصار.

فقال أبو سفيان:لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما.

قال العباس:ويحك إنّها النبوه.

فقال:نعم إذن.

ثمّ قال له العباس:الحق بقومك سريعا فحذّرهم.

فخرج حتى أتى مكّه فصرخ فى المسجد:

يا معشر قريش هذا محمّد قد جاءكم بما لا قبل لكم به.ثمّ قال:من دخل دارى فهو آمن.و من دخل المسجد فهو آمن،و من أغلق بابه فهو آمن...و قال:يا معشر قريش اسلموا تسلموا.

فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته و قالت:يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق.فقال:أرسلى لحيتى و اقسم لئن أنت لم تسلمى لتضربن عنقك،ادخلى بيتك!فتركته.

ثمّ بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع جيش المسلمين منطقه«ذى طوى»و هى مرتفع يشرف على بيوت مكّه.فتذكر الرسول ذلك اليوم الذى خرج فيه مضطرا متخفيا من مكّه.و ها هو يعود إليها منتصرا،فوضع رأسه تواضعا للّه و سجد على رحل ناقته شكرا له سبحانه.

ثمّ ترجّل النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى«الحجون»إحدى محلات مكّه،و فيها قبر خديجه عليها السّلام،و اغتسل،ثمّ ركب ثانيه بجهاز الحرب و دخل المسجد الحرام و هو يتلو سوره الفتح.ثمّ كبر و كبر جند الإسلام معه،فدوى صوت التكبير فى أرجاء

مكّه.

ثمّ نزل من ناقته،و اقترب من الكعبه،و جعل يسقط الأصنام واحدا بعد الآخر و هو يقول: جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ إِنَّ الْبٰاطِلَ كٰانَ زَهُوقاً .

و كان عدد من الأصنام قد نصب فوق الكعبه،و لم تصل إليها يد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأمر عليّا أن يصعد على كتفه المباركه و يرمى بالأصنام فامتثل على أمر الرسول.

ثمّ أخذ مفاتيح الكعبه،و فتحها و محا ما كان على جدرانها من صور الأنبياء.

-٣

بعد الإنتصار الرائع السريع أخذ رسول اللّه حلقه باب الكعبه،و توجّه إلى أهل مكّه و قال لهم:يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟قالوا:خيرا،أخ كريم، و ابن أخ كريم.قال:اذهبوا فأنتم الطلقاء.

و أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جيشه أن لا يتعرضوا لأحد، و أن لا يريقوا دم أحد.

و أمر فقط بقتل سته أفراد-حسب الرّوايات-ممن كانوا خطرين و متوغلين فى عدائهم للإسلام.و حين بلغه أن سعد بن عباده-و هو أحد حمله الويه الجيش الإسلامى-يصيح:اليوم يوم الملحمه،اليوم تسبى الحرمه.

أمر عليّا عليه السّلام أن يأخذ منه الرّايه و يدخل بها مكّه دخولا رقيقا و يقول:اليوم يوم المرحمه!! و بهذا الشكل فتحت مكّه دون إراقه دماء و كان لعفو الرسول و رحمته الأثر الكبير فى القلوب،فدخل النّاس فى دين اللّه أفواجا.و دوّى خبر الفتح فى أرجاء الجزيره العربيه و ذاع صيت الإسلام،و تعززت مكانه المسلمين (١) .

و

جاء فى كتب التاريخ أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما وصل الكعبه قال:لا إله إلا اللّه وحده وحده،أنجز وعده،و نصر عبده،و هزم الأحزاب وحده،ألا إن كل مال أو مأثره أو دم تدعى فهو تحت قدمى هاتين!... (و بذلك الغى كل مخلفات الجاهليه و طوى جميع ملفاتها).

ص: ٥٢٧

١- ١) -بتلخيص عن الكامل لابن الأثير،ج ٢،و تفسير مجمع البيان،تفسير سوره النصر.

هذا المشروع الإسلامی الجبار اقترن بالعفو العام،لینقل قبائل الجزیره العربیه من ماضیهم المظلم إلی نور الإسلام بعیدا عن کل ألوان الصراع و التخبط الجاهلی.

و هذا ساعد کثیرا علی انتشار الإسلام و أصبح قدوه لحاضرنا و مستقبلنا.

اللّهمّ!إنّک قادر أن تعید للمسلمین عزّتهم و عظمتهم فی ظلّ الاقتداء بسنّه رسولک المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ربّنا!اجعلنا فی زمره السائرین الحقیقیین علی طریق نبیّ الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

إلهنا!وفقنا لإقامه حکومه العدل الإسلامیّه و نشر رایتها فی العالم لیدخل النّاس طواعیه فی دین اللّه أفواجا.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره النصر

ص :۵۲۸

سوره تبّت

اشاره

مكّيّه و عدد آياتها خمس آيات

ص:۵۲۹

محتوى السّوره:

هـذه السّوره مكّيه و نزلت في أوائـل الـدعوه العلنيه.و هي السّوره الوحيـده التي تحمـل هجومـا شديـدا بالاسم على أحـد أعـداء الإسلام و النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آنذاك و هو أبو لهب.و من السّوره يتضح أنّه كان يحمل عداء خاصا للنّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يمارس هو و زوجه كل أنواع الأذى بحقّه.

القرآن يصرّح بأنّهما أهل جهنّم،و ليس لهما طريق للنجاه،و تحققت هذه النبوءه القرآنيه،و كلاهما مات على الكفر.

فضيله السّوره:

ورد في فضـيله هذه السّوره عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنّه قال: «من قرأها رجوت أن لا يجمع اللّه بينه و بين أبي لهب في دار واحده» (۱) .

بـديهي أن هذه الفضـيله نصـيب من بقراءتها يفصل مسـيرته عن مسـيره أبي لهب،لا من يقرأها بلسانه و يعمل عمل أبي لهب في أفعاله.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۵۵۸.

الآیات [سوره المسد (۱۱۱): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ تَبَّتْ یَدٰا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ (۱) مٰا أَغْنیٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا کَسَبَ (۲) سَیَصْلیٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ (۳) وَ اِمْرَأَتُهُ حَمّٰالَهَ اَلْحَطَبِ (۴) فِی جِیدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (۵)

سبب النّزول

عن ابن عباس قال:عند ما نزلت وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ اَلْأَقْرَبِینَ أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن ینذر عشیرته و یدعوهم إلی الإسلام(أی أن یعلن دعوته).

صعد النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی جبل الصفا و نادی:«یا صباحاه»!(و هو نداء یطلقه العرب حین یهاجمون بغته کی یتأهبوا للمواجهه،و إنّما اختاروا هذه الکلمه لأنّ الهجوم المباغت کان یحدث فی أوّل الصبح غالبا).

عند ما سمع أهل مکّه هذا النداء قالوا:من المنادی؟قیل:محمّد.فاقبلوا نحوه، و بدأ ینادی قبائل العرب بأسمائها،ثمّ قال لهم:أ رأیتم لو أخبرتکم أن العدوّ مصبحکم أو ممسیکم،أما کنتم تصدقونی.

قالوا:بلی.قال:فإنّی نذیر لکم بین یدی عذاب شدید.

فقال أبو لهب:تبا لک.لهذا دعوتنا جمیعا؟!فأنزل اللّه هذه السّوره.

ص:۵۳۲

و قيل:إن امرأه أبى لهب(و اسمها أم جميل)علمت أن هذه السّوره نزلت فيها و فى زوجها.جاءت إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و النّبى لا يراها،حملت حجرا و قالت:سمعت أن محمّدا هجانى،قسما لو وجدته لألقمن فمه هذا الحجر.أنا شاعره أيضا.ثمّ أنشدت اشعارا فى ذم النّبى و الإسلام (۱) .

خطر أبى لهب و امرأته على الإسلام لم يكن منحصرا فيما ذكرناه.و إذ نرى القرآن يحمل عليهما بشدّه و يذمهما بصراحه،فلأسباب أخرى،سنشير إليها فيما بعد.

التّفسير

اشاره

تَبَّتْ يَدٰا أَبِي لَهَبٍ

هذه السّوره-كما ذكرنا فى سبب نزولها-ترد على بذاءات أبى لهب عم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ابن عبد المطلب.و كان من ألد أعداء الإسلام،و حين صدح النّبى بدعوته و أعلنها على قريش و أنذرهم بالعذاب الإلهى قال:«تبا لك أ لهذا دعوتنا جميعا»؟! و القرآن يرد على هذا الإنسان البذى و يقول له:

تَبَّتْ يَدٰا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ

.

«التّب»و«التاب»يعنى الخسران المستمر كما يقول الراغب فى مفرداته أو هو الخسران المنتهى بالهلاك كما يقول الطبرسى فى مجمع البيان.

و بعض اللغويين قال إنّه القطع و البتر.و هذا المعنى الأخير هو النتيجه الطبيعيه للخسران المستمر المنتهى بالهلاك.

۱- ۱) -تفسير القرطبى،ج ۱۰،ص ۷۳۲۴(بتلخيص قليل)و الرّوايه بنفس المضمون ذكرها الطبرسى فى مجمع البيان،و ابن الأثير فى الكامل،ج ۲،ص ۶۰ و فى الدر المنثور،و أبى الفتوح الرازى و الفخر الرازى،و فى ظلال القرآن،فى تفسير هذه السّوره.

الهلاك و الخسران فی الآیه یمکن أن یکون دنیویا،و یمکن أن یکون معنویا أخرویا،أو کلیهما.

و هنا یثار تساؤل بشأن سبب ذم هذا الشخص باسمه-و هو خلاف نهج القرآن-و بهذه الشدّه.

یتّضح ذلک لو عرفنا مواقف أبی لهب من الدعوه.

اسمه«عبد العزی»و کنیته«أبو لهب»و قیل إنّه کنی بذلک لحمره کانت فی وجهه.

و امرأته«أم جمیل»أخت أبی سفیان،و کانت من أشدّ النّاس عداوه و أقذعهم لسانا تجاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دعوته.

و فی الرّوایه عن«طارق المحاربی»قال:بینا أنا بسوق ذی المجاز إذا أنا بشاب یقول:«یا أیّها النّاس قولوا لا إله إلاّ اللّه تفلحوا».و إذا برجل خلفه یرمیه قد أرمی ساقیه و عرقوبیه و یقول:یا أیّها النّاس إنّه کذاب فلا تصدقوه.فقلت:من هذا؟فقالوا هو محمّد یزعم أنّه نبیّ.و هذا عمّه أبو لهب یزعم أنّه کذاب (1) .

و

فی روایه عن«ربیعه بن عباد»قال: کنت مع أبی أنظر إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یتبع القبائل،و وراءه رجل أحول و وضیء الوجه.یقف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی القبیله فیقول:«یا بنی فلان.إنّی رسول اللّه إلیکم.آمرکم أن تعبدوا اللّه و لا تشرکوا به شیئا،و أن تصدقونی و تمنعونی حتی أنفذ عن اللّه ما بعثنی به».و إذا فرغ من مقالته قال:الآخر من خلفه:یا بنی فلان.هذا یرید منکم أن تسلخوا اللات و العزی و حلفاءکم من الجن،إلی ما جاء به من البدعه و الضلاله، فلا تسمعوا له،و لا تتبعوه.

فقلت لأبی:من هذا؟قال:عمّه أبو لهب (2) .

و فی روایه أخری:و کان من عظیم خطر أبی لهب ضد الدعوه الإسلامیه أنّه

ص:534

1- 1) -مجمع البیان،ج 10،ص 559.

2- 2) -فی ظلال القرآن،ج 8،ص 697.

كلما جاء وفد إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسألون عنه عمّه أبا لهب-اعتبارا بكبره و قرابته و أهميته-كان يقول لهم:إنّه ساحر،فيرجعون و لا يلقونه،فأتاه وفد فقالوا:لا ننصرف حتى نراه،فقال:إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبا له و تعسا (۱) .

من هذه الرّوايات نفهم بوضوح أن أبا لهب كان يتتبع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غالبا كالظلّ.

و ما كان يرى سبيلا لإيذائه إلاّ سلكه.و كان يقذعه بأفظع الألفاظ.و من هنا كان أشدّ أعداء الرسول و الرساله.و لذلك جاءت هذه السّوره لتردّ على أبى لهب و امرأته بصراحه و قوّه (۲) .إنّه الوحيد الذى لم يوقع على ميثاق حمايه بنى هاشم للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و وقف فى صف الأعداء،و اشترك فى عهودهم.من كلّ ما سبق نفهم الوضع لاستثنائى لهذه السّوره.

مٰا أَغْنىٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا كَسَبَ

،فليس با مكان أمواله أن تدرأ عنه العذاب الالهى سَيَصْلىٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ .

من الآيه الأولى نفهم أنّه كان ثريا ينفق أمواله فى محاربه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و أبو لهب ناره ذات لهب يصلاها يوم القيامه.و قيل:يصلاها فى الدنيا قبل الآخره.و«لهب»جاءت بصيغه النكره لتدل على عظمه لهب تلك النّار.

لا-أبا لهب و لا-أى واحد من الكافرين و المنحرفين تغنيه أمواله و مكانته الاجتماعيه من عذاب اللّه،كما يقول سبحانه: يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . (۳)

بل لم تغنه فى الدنيا من سوء المصير.حيث جاء فى الرّوايه،أنّ أبا لهب لم يشترك فى بدر،بل أرسل من ينوب عنه.و بعد اندحار المشركين و عودتهم إلى مكّه، هرع أبو لهب ليسأل أبا سفيان عن الخبر.فأخبره أبو سفيان بالهزيمه و قال:

ص :۵۳۵

۱- ۱) -تفسير الفرقان،ج ۳۰،ص ۵۰۳.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الشعراء،الآيتان ۸۸-۸۹.

«و ایم اللّه ما لمت النّاس.لقینا رجالاـ بیضا علی خیل بلق بین السماء و الأرض...» قال أبو رافع(مولی العباس)و قد کان جالسا:تلک الملائکه.فرفع أبو لهب یده فضرب وجهه ضربه شدیده،ثمّ حمله و ضرب به الأرض،ثمّ برک علیه یضربه و کان رجلا ضعیفا.

و ما أن شهدت أم الفضل(زوجه العباس)،و کانت جالسه أیضا،ذلک حتی أخذت عمودا و ضربت أبا لهب علی رأسه و قالت:تستضعفه إن غاب عنه سیّده؟! فقام مولیا ذلیلا.

قال أبو رافع:فو اللّه ما عاش إلاّ سبع لیال حتی رماه اللّه بالعدسه(مرض یشبه الطاعون)فمات.و قد ترکه أبناه لیلتین أو ثلاثه ما یدفنانه حتی أنتن فی بیته.

فلما عیّرهما النّاس بذلک أخذ و غسل بالماء قذفا علیه من بعید،ثمّ أخذوه فدفنوه بأعلی مکّه و قذفوا علیه الحجاره حتی واروه (۱) .

وَ امْرَأَتُهُ حَمّٰالَهَ الْحَطَبِ (۲) ، فِی جِیدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

.

الآیتان تتحدثان عن«أم جمیل»امرأه أبی لهب،و أخت أبی سفیان،و عمّه معاویه.و تصفانها بأنّها تحمل الحطب کثیرا،و فی رقبتها حبل من لیف النخیل.

و لماذا وصفها القرآن بأنّها حماله الحطب؟ قیل:لأنّها کانت تأخذ الحطب المملوء بالشوک و تضعه علی طریق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لتدمی قدماه.

و قیل:إنّه کنایه عن النمیمه.

و قیل:إنّه کنایه عن شدّه البخل،فهی مع کثره ثروتها أبت أن تساعد الفقراء و کانت شبیهه بحمال الحطب الفقیر.

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۹،ص ۲۲۷.

۲- ۲) -«امرأته»معطوف علی ضمیر مستتر فی«سیصلی»و«حماله»حال منصوب.و قیل إنّها منصوبه بالشتم،کما ذهب إلی ذلک الزمخشری فی الکشاف،و التقدیر:أذّم حماله الحطب.و المعنی الأوّل أفضل.

و قيل:إنّها فى الآخره تحمل أوزارا ثقيله على ظهرها.

و بين هذه المعانى،المعنى الأوّل أنسب،و إن كان الجمع بينها غير مستبعد أيضا.

«الجيد»هو الرقبه،و جمعه أجياد.و قال بعض اللغويين:الجيد و العنق و الرقبه لها معنى واحد،مع تفاوت هو إن الجيد أعلى الصدر،و العنق القسم الخلفى من الرقبه،و الرقبه لجميعها،و قد يسمّى الإنسان بها كقوله سبحانه: فَكُّ رَقَبَةٍ أى فك الإنسان و إطلاق سراحه (١) .

«مسد»هو الحبل المفتول من الألياف.و قيل:حبل يوضع على رقبتها فى جهنّم،له خشونه الألياف و حراره النّار و ثقل الحديد.

و قيل:إنّ نساء الأشراف كن يرين شخصيتهنّ فى وسائل الزينه و خاصّه القلاده الثمينه.و اللّه سبحانه يلقى فى عنقها يوم القيامه حبل من ليف للإهانه.أو إن التعبير أساسا للتحقير و الإهانه.

و قيل:إنّ هذه العباره تشير إلى أنّ أم جميل أقسمت أن تنفق ثمن قلادتها الثمينه على طريق معاداه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و لذلك تقرر لها هذا العذاب.

ملاحظات

اشاره

١-إعجاز آخر

علمنا أن هذه الآيات نزلت فى مكّه و القرآن أخبر بتأكيد كامل أن أبا لهب و امرأته من أهل النّار،أى سوف لا يؤمنان أبدا.و هكذا كان كثير من مشركى مكّه آمنوا عن إيمان أو عن استسلام.لكن هذين الزوجين لم يؤمنا لا حقيقه

١- ١) -التحقيق فى كلمات القرآن الكريم،ج ٢،ص ١٥٨.

و لا ظاهرا.و هذا من أنباء الغيب فی القرآن.و فی القرآن الکریم مثل هذه الأخبار فی آیات أخری.

و تشکل بمجموعها فصلا من فصول إعجاز القرآن تحت عنوان«الأخبار الغیبیه».و کان لنا بحوث عندها.

۲-جواب عن سؤال

القرآن أخبر عن أبی لهب بأنّه سیصلی النّار،أی أنّه سیموت کافرا و لن یؤمن أبدا.و بهذا لا یمکن لأبی لهب أن یؤمن لأن نبوءه القرآن ستکون عندئذ کاذبه.

و إلاّ سیکون أبو لهب مجبرا علی الکفر.و لیس له اختیار؟! مثل هذا السؤال یطرح عن علم اللّه سبحانه فی مبحث الجبر و التفویض.و هو إنّ اللّه سبحانه یعلم من الأزل بکل شیء.بطاعه المطیعین و معصیه المذنبین أیضا.

ألا یکون العصاه بذلک مجبرین علی الذنب؟و إن لم یکونوا کذلک ألا یتبدل علم اللّه إلی جهل؟! الفلاسفه الإسلامیون أجابوا عن هذا السؤال منذ القدیم و قالوا إنّ اللّه سبحانه یعلم ما یفعله کل شخص بالاستفاده من حریته و اختیاره.ففی هذه الآیات مثلا یعلم اللّه منذ البدایه أنّ أبا لهب و زوجته سیختاران بإرادتهما و عن رغبتهما طریق الکفر،لا بالإجبار.

بعباره أخری،عنصر الحریه و الإختیار أیضا جزء ممّا هو معلوم عند اللّه تعالی.إنّه علی علم بما یعمله العباد و هم مختارون متمتعون بالإراده و الحریه.

و من المؤکّد أنّ مثل هذا العلم و الإخبار عن المستقبل،تأکید علی الإختیار، لا علی الإجبار.(تأمل بدقّه).

۳-لیس من أهلک هـذه السّوره المبارکه تؤکّد مرّه أخری أنّ القرابه لا قیمه لها إن لم تکن مقرونه برباط رسالی.و حمله الرساله الإلهیه کانوا لا یلینون أمام المنحرفین و الجبابره و الطغاه مهما کانت درجه قربهم منهم.

مع أنّ أبا لهب کان من أقرب أقرباء الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فقد عامله الإسلام مثل سائر المنحرفین و الضالین حین فصل مسیره العقائدی و العملی عن خط التوحید، و وجّه إلیه أشدّ الردّ و أحدّ التوبیخ.و علی العکس ثمّه أفراد بعیدون عن الرسول نسبا و قومیه و لغه،کانوا بسبب ارتباطهم الرسالی من القرب من الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی

قال فی أحدهم: «سلمان منّا أهل البیت» (۱) .

صحیح أن آیات هذه السّوره توجّه التقریع لأبی لهب و زوجه،و لکن کان ذلک لما اتصفا به من صفات.من هنا فإن کل فرد أو جماعه علی هذه الصفات سیواجهون مصیرا مشابها أیضا.

اللّهم!طهر قلوبنا من کل لجاج و عناد! ربّنا!کلنا من مصیرنا وجلون،فبفضلک و منّک اجعل عواقب أمورنا خیرا.

إلهنا!نحن نعلم أنّ الأموال و القرابه لا تغنی عنّا شیئا یوم الفزع الأکبر.

فاشملنا برحمتک و لطفک.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره تبّت

۱- ۱) -أوضحنا هذه المسأله أکثر فی تفسیر الآیه(۴۶)من سوره هود بمناسبه الحدیث عن ابن نوح علیه السّلام.

سوره الإخلاص

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها أربع آیات

ص :۵۴۱

محتوى السّوره:

هـذه السّوره،كما هو واضـح من اسـمها،(سوره الإخلاص،أو سوره التوحيد) تركز على توحيد اللّه،و في أربع آيات قصار تصـف التوحيد بشكل جامع لا يحتاج إلى أيه إضافه و في نزول السّوره

روى عن الإمام الصادق عليه السّـلام قال: «إنّ اليهود سألوا رسول اللّه فقالوا:أنسب لنا ربّك فلبث ثلاثا لا يجيبهم.ثمّ نزلت قل هو اللّه أحد إلى آخرها».

قيـل إنّ السائـل عبـد اللّه بن صوريـا اليهودى،و قيـل:إنّه عبـد اللّه بن سـلام سـأل رسول اللّه ذلـك بمكّه ثمّ آمن و كتم إيمانه.و قيل:إنّ مشركى مكّه سألوه ذلك (1) .

و قيل إنّ نصارى نجران هم الذين سألوا النّبى ذلك.

و لا تضاد بين هـذه الرّوايات،إذ قد يكون هؤلاء جميعا سألوا الرسول نفس هذا السؤال،فكان الجواب لهم جميعا،و هو دليل آخر على عظمه هذه السّوره.

فضيله السّوره:

وردت فى فضيله هذه السّوره نصوص كثيره تدل على مكانه هذه السّوره بين سور القرآن من ذلك.

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۳۹۰.

ورد عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «أ یعجز أحدکم أن یقرأ ثلث القرآن فی لیله»؟ قیل:یا رسول اللّه و من یطیق ذلک؟ قال:«اقرأوا قل هو اللّه أحد» (۱) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «إنّ رسول اللّه صلّی علی سعد بن معاذ.فلمّا صلّی علیه قال:لقد وافی من الملائکه سبعون ألف ملک،و فیهم جبرائیل یصلون علیه.فقلت:یا جبرائیل بم استحق صلاتهم علیه؟قال:بقراءه قل هو اللّه أحد قاعدا و قائما و راکبا و ماشیا و ذاهبا و جائیا» (۲) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام أیضا قال: «من مضی به یوم واحد فصلی فیه الخمس صلوات و لم یقرأ فیها بقل هو اللّه أحد،قیل له:یا عبد اللّه لست من المصلین» (۳) .

و

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر فلا یدع أن یقرأ فی دبر الفریضه بقل هو اللّه أحد.فإنّه من قرأها جمع له خیر الدنیا و الآخره و غفر اللّه له و لوالدیه و ما ولدا».

و یستفاد من روایات اخری أنّ قراءه هذه السّوره عند دخول البیت تزید الرزق و تدفع الفقر (۴) .

و الرّوایات فی فضیله هذه السّوره أکثر من أن تستوعبها هذه السطور،و ما نقلناه جزء یسیر منها.

و لکن کیف تعادل قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ثلث القرآن؟ قیل:لأنّ القرآن یشمل«الأحکام»و«العقائد»و«التاریخ».و هذه السّوره

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۷۰۵،الحدیث ۴۲،نقلا عن مجمع البیان.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۷۰۰،الحدیث ۱۲؛نقلا عن کتاب ثواب الأعمال.

۳- ۳) -المصدر السابق،ص ۶۹۹،الحدیث ۱.

۴- ۴) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۶۱،و کتب الحدیث و التّفسیر الاخری.

تبیّن قسم العقائد بشکل مقتضب.

و قیل:إنّ القرآن علی ثلاثه أقسام:المبدأ،و المعاد،و ما بینهما.و هذه السّوره تشرح القسم الأوّل.

و واضح أنّ ثلث موضوعات القرآن تقریبا تدور حول التوحید.و جاءت عصارتها فی هذه السّوره.

و نختتم حدیثنا

بروایه اخری عن الإمام علی بن الحسین علیه السّلام حول عظمه هذه السّوره قال: «إنّ اللّه عزّ و جلّ علم أنّه یکون فی آخر الزمان أقوام متعمقون،فأنزل اللّه تعالی: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ .و الآیات من سوره الحدید إلی قوله تعالی: وَ هُوَ عَلِیمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ فمن رام وراء ذلک فقد هلک» (۱) .

۱- ۱) -اصول الکافی،ج ۱،باب النسبه،الحدیث ۳.

الآیات [سوره الإخلاص (١١٢)]: الآیات ١ الی ۴

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ (١) اَللّٰهُ اَلصَّمَدُ (٢) لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ (٣) وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ (۴)

التّفسیر

اشاره

أحد-صمد:

جوابا عن الأسئله المکرره التی طرحت من قبل الأفراد و الجماعات بشأن أوصاف اللّه سبحانه تقول الآیه:

قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ

(١)

.

الضمیر(هو)فی الآیه للمفرد الغائب و یحکی عن مفهوم مبهم،و هو فی الواقع یرمز إلی أن ذاته المقدّسه فی نهایه الخفاء،و لا تنالها أفکار الإنسان المحدوده و إن کانت آثاره أظهر من أی شیء آخر،کما ورد فی قوله تعالی: سَنُرِیهِمْ آیٰاتِنٰا فِی الْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . (٢)

ص: ۵۴۶

١- ١) -قیل«هو»فی الآیه ضمیر الشأن،و اللّه مبتدأ.و الأفضل أن نعتبر«هو»إشاره إلی ذاته المقدّسه،و قد کانت مجهوله لدی السائل،و تکون بذلک«هو»مبتدأ و«اللّه»خبرا و«أحد»خبر بعد الخبر.

٢- ٢) -فصلت،الآیه ۵٣.

ثمّ بعد الضمير تكشف الآيه عن هذه الحقيقه الغامضه و تقول: اَللّهُ أَحَدٌ .

و قُلْ فی الآیه تعنی أن أظهر هذه الحقيقه و بيّنها.

عن الإمام محمّد بن علی الباقر عليه السّلام قال بعد بيان معنی«قل»فی الآيه(و هو الذی ذكرناه):«إن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشاره الشاهد المدرک.فقالوا:

هذه آلهتنا المحسوسه المدركه بالأبصار.فأشر أنت يا محمّد إلی إلهک الذی تدعو إليه حتی نراه و ندركه و لا نأله فيه.فانزل اللّه تبارک و تعالی: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ،فالهاء تثبيت للثابت،و الواو إشاره إلی الغائب عن درک الأبصار و لمس الحواس». (۱)

و

عن أمير المؤمنين علی عليه السّلام قال: «رأيت الخضر عليه السّلام فی المنام قبل بدر بليله، فقلت له:علمنی شيئا أنصر به علی الأعداء.فقال:قل:يا هو،يا من لا هو إلاّ هو.

فلمّا أصبحت قصصتها علی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فقال لی:يا علی علمت الاسم الأعظم» (۲) .

و

كان علی عليه السّلام يذكر اللّه تعالی بهذا الذكر يوم صفين.فقال له عمار بن ياسر:يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟قال:«اسم اللّه الأعظم و عماد التوحيد...». (۳)

«اللّه»اسم علم للباری سبحانه و تعالی.و مفهوم كلام الإمام علی عليه السّلام أن جميع صفات الجلال و الجمال الإلهيه أشير إليها بهذه الكلمه.و من هنا سميت باسم اللّه الأعظم.

هذا الاسم لا يطلق علی غير اللّه،بينما أسماء اللّه الأخری تشير عاده إلی واحده من صفات جماله و جلاله مثل:العالم و الخالق و الرازق،و تطلق غالبا علی غيره أيضا مثل:(رحيم،و كريم،و عالم،و قادر...).

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۳،ص ۲۲۱،الحديث ۱۲،بتلخيص.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السابق.

و لفظ الجلاله مشتق من معنی وصفی.قیل من«وله»أی تحیّر،لأنّ العقول تحیر فی ذاته المقدّسه.و فی ذلک

ورد عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام قال: «اللّه معناه المعبود الذی یأله فیه الخلق،و یؤله إلیه،و اللّه هو المستور عن درک الأبصار، المحجوب عن الأوهام و الخطرات». (۱)

و قیل:إن لفظ الجلاله مشتق من«آله»بمعنی عبد،و الإله:هو المعبود.حذفت همزته و ادخل علیه الألف و اللام فخص بالباری تعالی.

و مهما یکن الأصل المشتق منه لفظ الجلاله،فهو اسم یختص به سبحانه و یعنی الذات الجامعه لکل الأوصاف الکمالیه،و الخالیه من کل عیب و نقص.

هذا الاسم المقدّس تکرر ما یقارب من«ألف مرّه»فی القرآن الکریم،و لم یبلغه أی اسم من الأسماء المقدّسه فی مقدار تکراره.و هو اسم ینیر القلب،و یبعث فی الإنسان الطاقه و الطمأنینه،و یغمر وجوده صفاء و نور.

«أحد»:من الواحده،و لذلک قال بعضهم:أحد و واحد بمعنی واحد،و هو المتفرد الذی لا نظیر له فی العلم و القدره و الرحمانیه و الرحیمیه،و فی کل الجهات.

و قیل:إنّ بین«أحد»و«واحد»فرق هو إن«أحد»تطلق علی الذات التی لا تقبل الکثره لا فی الخارج و لا فی الذهن.و لذلک لا تقبل العدّو لا تدخل فی زمره الأعداد،خلافا للواحد الذی له ثان و ثالث،فی الخارج أو فی الذهن.و لذلک نقول:لم یأت أحد.للدلاله علی عدم مجیء أی إنسان.و إذا قلنا:لم یأت واحد فمن الممکن أن یکون قد جاء اثنان أو أکثر. (۲)

و لکن هذا الاختلاف لا ینسجم کثیرا مع ما جاء فی القرآن الکریم و الرّوایات.

و قیل:فی«أحد»إشاره إلی بساطه ذات اللّه مقابل الأجزاء الترکیبیه

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -المیزان،ج ۲۰،ص ۵۴۳.

الخارجیه أو العقلیه(الجنس،الفصل،و الماهیه،و الوجود).بینما الواحد إشاره إلی وحده ذاته مقابل أنواع الکثره الخارجیه.

و

فی روایه عن الإمام الباقر علیه السّلام قال: «الأحد المتفرد،و الأحد و الواحد بمعنی واحد،و هو المتفرد الذی لا نظیر له،و التوحید الإقرار بالوحده و هو الانفراد».

و

فی ذیل الرّوایه هذه جاء «إن بناء العدد من الواحد،و لیس الواحد من العدد.لأن العدد لا یقع علی الواحد بل یقع علی الاثنین.فمعنی قوله:اللّه أحد.أی المعبود الذی یأله الخلق عن إدراکه و الإحاطه بکیفیته،فرد بإلهیته،متعال عن صفات خلقه» (۱) .

و فی القرآن الکریم«واحد»و«أحد»تطلقان معا علی ذات اللّه سبحانه.

و من الرائع فی هذا المجال ما

جاء فی کتاب التوحید للصدوق: أنّ أعرابیا قام یوم الجمل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال:یا أمیر المؤمنین،أتقول:إن اللّه واحد؟ فحمل النّاس علیه و قالوا:یا أعرابی أما تری ما فیه أمیر المؤمنین من تقسّم القلب (أی تشتت الخاطر)؟فقال:أمیر المؤمنین علیه السّلام:«دعوه فإنّ الذی یریده الأعرابی هو الذی نریده من القوم.ثمّ قال:یا أعرابی،إنّ القول فی أنّ اللّه واحد علی أربعه أقسام.فوجهان منها لا یجوزان علی اللّه عزّ و جلّ،و وجهان یثبتان فیه،فأمّا اللذان لا یجوزان علیه فقول القائل:واحد یقصد به باب الأعداد فهذا ما لا یجوز،لأنّ ما لا ثانی له لا یدخل فی باب الأعداد.أمّا تری أنّه کفر من قال إنّه ثالث ثلاثه؟ و قول القائل:هو واحد من النّاس یرید به النوع من الجنس،فهذا ما لا یجوز(قوله علی اللّه)لأنّه تشبیه،و جلّ ربّنا و تعالی عن ذلک.

و أمّا الوجهان اللذان یثبتان فیه،فقول القائل:هو واحد لیس له فی الأشیاء شبه،کذلک ربّنا.و قول القائل:إنّه عزّ و جلّ أحدیّ المعنی،یعنی به أنّه لا ینقسم فی

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۳،ص ۲۲۲.

وجود و لا عقل و لا وهم،كذلك ربّنا عزّ و جلّ» (۱) .

و باختصار:اللّه أحد و واحد لا بمعنى الواحد العددی أو النوعی أو الجنسی بل بمعنى الوحده الذاتيه.بعباره أوضح:وحدانيته تعنی عدم وجود المثل و الشبيه و النظير.

الدليل على ذلك واضح:فهو ذات غير متناهيه من كلّ جهه،و من المسلم أنّه لا يمكن تصور ذاتين غير متناهيتين من كلّ جهه.إذ لو كان ثمّه ذاتان،لكانت كلتاهما محدودتين،و لما كان لكل واحده منهما كمالات الأخرى.(تأمل بدقّه).

اَللّهُ الصَّمَدُ

و هو وصف آخر لذاته المقدّسه.و ذكر المفسّرون و اللغويون معانی كثيره لكلمه«صمد».

الراغب فی المفردات يقول:الصمد،هو السيد الذی يصمد إليه فی الأمر،أی يقصد إليه.و قيل:الصمد الذی ليس بأجوف.

و فی معجم مقاييس اللغه،الصمد له أصلان:أحدهما القصد،و الآخر:الصلابه فی الشیء...و اللّه جلّ ثناؤه الصمد؛لأنّه يصمد إليه عباده بالدعاء و الطلب (۲) .

و قد يكون هذان الأصلان اللغويان هما أساس ما ذكر من معانی لصمد مثل:

الكبير الذی هو فی منتهی العظمه،و من يقصد إليه النّاس بحوائجهم،و من لا يوجد أسمى منه،و من هو باق بعد فناء الخلق.

و

عن الإمام الحسين بن علی عليه السّلام أنّه ذكر لكلمه«صمد»خمسه معان هی:

الصمد:الذی لا جوف له.

الصمد:الذی قد انتهى سؤدده(أی فی غايه السؤدد) الصمد:الذی لا يأكل و لا يشرب.

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۳،ص ۲۰۶،الحديث ۱.

۲- ۲) -معجم مقاييس اللغه،ابن فارس،ج ۳،ص ۳۹.

الصمد:الذی لا ینام.

الصمد:الذی لم یزل و لا یزال.

و

عن محمّد بن الحنفیه(رض)قال: الصمد القائم بنفسه الغنی عن غیره.و قال غیره:الصمد،المتعالی عن الکون و الفساد (۱) .

و

عن الإمام علی بن الحسین علیه السّلام قال: «الصمد الذی لا شریک له،و لا یؤوده حفظ شیء،و لا یعزب عنه شیء. (أی لا یثقل علیه حفظ شیء و لا یخفی عنه شیء)» (۲) .

و ذهب بعضهم إلی أنّ«الصمد»هو الذی یقول للشیء کن فیکون.

و

فی الرّوایه أنّ أهل البصره کتبوا إلی الحسین بن علی علیه السّلام یسألونه عن الصمد.فکتب إلیهم: «بسم اللّه الرحمن الرحیم،أمّا بعد فلا تخوضوا فی القرآن، و لا تجادلوا فیه،و لا تتکلّموا فیه بغیر علم.فقد سمعت جدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول:من قال فی القرآن بغیر علم فلیتبوّأ مقعده من النّار،و أنّه سبحانه قد فسّر الصمد فقال:اللّه أحد،اللّه الصمد،ثمّ فسّره فقال:لم یلد و لم یولد و لم یکن له کفوا أحد...» (۳) .

و

عن ابن الحنفیه قال:قال علی علیه السّلام تأویل الصمد: «لا اسم و لا جسم،و لا مثل و لا شبه،و لا صوره و لا تمثال،و لا حدّ و لا حدود،و لا موضع و لا مکان،و لا کیف و لا أین،و لا هنا و لا ثمّه،و لا ملأ و لا خلأ،و لا قیام و لا قعود،و لا سکون و لا حرکه،و لا ظلمانی و لا نورانی،و لا روحانی و لا نفسانی،و لا یخلو منه موضع و لا یسعه موضع،و لا علی لون،و لا علی خطر قلب،و لا علی شمّ رائحه،منفی عنه

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۳،ص ۲۲۳.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۶۵.

هذه الأشياء» (۱) .

هـذه الرّوايه توضـح أنّ«الصـمد»له مفهـوم واسـع ينفى كـلّ صـفات المخلوقين عن سـاحته المقـدّسه،لأنّ الأسـماء المشـخصه و المحـدوده و كـذلك الجسـميه و اللون و الرائحه و المكـان و السـكون و الحركه و الكيفيه و الحـد و الحـدود و أمثالها كلها من صفات الممكنات و المخلوقات،بل من أوصاف عالم الماده،و اللّه سبحانه منزّه منها جميعا.

فى العلوم الحديثه اتضح أنّ كلّ ماده فى العالم تتكون من ذرات.و كلّ ذره تتكون من نواه تدور حولها الإلكترونات.و بين النواه و الإلكترونات مسافه كبيره نسبيا.و لو أزيلت هذه الفواصل لصغر حجم الأجسام إلى حدّ كبير مدهش.

و لو أزيلت الفواصل الـذريه فى مواد جسم الإنسان مثلا،و كثفت هـذه المواد، لصـغر جسم الإنسان إلى درجه عدم إمكان رؤيته بالعين المجرّده،مع احتفاظه بالوزن الأصلى!!.

و بعضـهم اسـتفاد من هذه الحقائق العلميه ليسـتنتج أنّ الآيه تنفى عن اللّه كلّ ألوان الجسـمانيه،لأنّ واحدا من معانى«الصـمد»هو الذى لا جوف له،و لما كانت كل الأجسام تتكون من ذرات،و الذرات جوفاء،فالصـمد نفى الجسـميه عن ربّ العالمين.و بذلك تكون الآيه من المعاجز العلميه فى القرآن.

و لكن،يجب أن لا ننسـى المعنى الأصـلى لكلمه«صـمد»و هو السـيد الـذى يقصده النّاس بحوائجهم،و هو كامل و مملوء من كلّ الجهات،و بقيه المعانى و التفاسير الاخرى المذكوره للكلمه قد تعدو إلى نفس هذا المعنى.

الآيه التاليه تردّ على معتقدات اليهود و النصارى و مشركى العرب و تقول:

لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ

.

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۳،ص ۲۳۰؛الحديث ۲۱.

إنّها ترد على المؤمنين بالتثليث(الربّ الأب،و الربّ الابن،و روح القدس).

النصارى تعتقد أنّ المسيح ابن اللّه،و اليهود ذهبت إلى أنّ العزير ابن اللّه:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ

(۱)

.

و مشركو العرب كانوا يعتقدون أنّ الملائكه بنات اللّه: وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ (۲) .

و يستفاد من بعض الرّوايات أن الولاده فى قوله: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ لها معنى واسع يشمل كلّ أنواع خروج الأشياء الماديه و اللطيفه منه،أو خروج ذاته المقدّسه من أشياء ماديه أو لطيفه.

و

فى نفس الرساله التى كتبها الإمام الحسين بن على عليه السّلام إلى أهل البصره يجيبهم عن تساؤلهم بشأن معنى الصمد قال فى تفسير: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ :« لَمْ يَلِدْ لم يخرج منه شىء كثيف كالولد و سائر الأشياء الكثيفه التى تخرج من المخلوقين،و لا شىء لطيف كالنفس،و لا يتشعب منه البداوات(الحالات المختلفه)كالسنه و النوم،و الخطره و الهم،و الحزن و البهجه،و الضحك و البكاء، و الخوف و الرجاء،و الرغبه و السأمه،و الجوع و الشبع،تعالى أن يخرج منه شىء، و أن يتولد منه شىء كثيف أو لطيف، وَ لَمْ يُولَدْ لم يتولد من شىء،و لم يخرج من شىء كما تخرج الأشياء الكثيفه من عناصرها كالشىء من الشىء و الدابه من الدابه،و النبات من الأرض،و الماء من الينابيع،و الثمار من الأشجار،و لا كما تخرج الأشياء اللطيفه من مراكزها،كالبصر من العين،و السمع من الاذن،و الشم من الأنف،و الذوق من الفم،و الكلام من اللسان،و المعرفه و التمييز من القلب،

۱- ۱) -التوبه،الآيه ۳۰.

۲- ۲) -الأنعام،الآيه ۱۰۰.

و كالنّار من الحجر...» (۱) .

بناء على هذه الرّوايه،للتولد معنى واسع يشمل خروج و تفرع كلّ شىء من شىء،و هذا فى الحقيقه المعنى الثّانى للآيه.و معناها الأوّل هو المعنى الظاهر الذى ينفى أن يكون البارى سبحانه من أب أو أن يكون له ابن أضف إلى ذلك،المعنى الثّانى قابل للفهم عند تحليل المعنى الأوّل.لأنّ اللّه سبحانه إنّما لم يكن له ولد لأنّه منزّه عن عوارض الماده،و هذا المعنى يصدق بشأن سائر عوارض الماده الاخرى.

ثمّ تبلغ الآيه الأخيره غايه الكمال فى أوصاف اللّه تعالى.

وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ

(۲)

أى ليس له شبيه و مثل إطلاقا.

«الكفو»:هو الكفء فى المقام و المنزله و القدر.ثمّ أطلقت الكلمه على كلّ شبيه و مثيل.

استنادا إلى هذه الآيه،اللّه سبحانه منزّه عن عوارض المخلوقين و صفات الموجودات و كلّ نقص و محدوديه.و هذا هو التوحيد الذاتى و الصفاتى،مقابل التوحيد العددى و النوعى الذى جاء فى بدايه تفسير هذه السّوره.

من هنا فهو تبارك و تعالى لا ـ شبيه له فى ذاته،و لا ـ نظير له فى صفاته،و لا ـ مثيل له فى أفعاله،و هو متفرد لا ـ نظير له من كلّ الجهات.

أمير المؤمنين على عليه السّلام يقول فى إحدى خطب نهج البلاغه: «لم يلد فيكون مولودا،و لم يولد فيصير محدودا...و لا كفء له فيكافئه،و لا نظير له فيساويه» (۳) .

هذا التّفسير الرائع يكشف عن أسمى معانى التوحيد و أدقّها.

ص :۵۵۴

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۳،ص ۲۲۴.

۲- ۲) -«أحد»اسم كان و«كفوا»خبرها.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۸۶.

سلا اللّه علیک یا أمیر المؤمنین.

بحوث

اشاره

الأوّل:التوحید

التوحید،یعنی وحدانیه ذات اللّه تعالی و نفی أی شبیه و مثیل له.و إضافه إلی الدلیل النقلی المتمثل فی النصوص الدینیه ثمّه دلائل عقلیه کثیره أیضا تثبت ذلک نذکر قسما منها باختصار:

۱-برهان صرف الوجود:و ملخصه أن اللّه سبحانه وجود مطلق لا یحده قید و لا شرط،و مثل هذا الوجود سیکون غیر محدود دون شک، فلو کان محدودا لمنی بالعدم،و الذات المقدّسه التی ینطلق منها الوجود لا یمکن أن یعترضها العدم و الفناء،و لیس فی الخارج شیء یفرض علیه العدم،و لذلک لا یحدّه حدّ.

من جهه اخری لا یمکن تصوّر وجودین غیر محدودین فی العالم.إذ لو کان ثمّه وجودان لکان کلّ واحد منهما فاقدا حتما لکمالات الآخر،أی لا یملک کمالاته و من هنا فکلاهما محدودان.و هذا دلیل واضح علی وحدانیه ذات واجب الوجود(تأمل بدقّه) ۲-البرهان العلمی:عند ما ننظر إلی الکون الذی یحیط بنا،نلاحظ فی البدایه موجودات متفرقه...الأرض و السماء و الشمس و القمر و النجوم و أنواع النباتات و الحیوانات.و کلما ازددنا إمعانا فی النظر ألفینا مزیدا من الترابط و الانسجام بین أجزاء هذا العالم و ذراته،و ظهر لنا أنّه مجموعه واحده تتحکم فیها جمیعا قوانین واحده.

و مهما تقدم العلم البشری اکتشف مزیدا من ظواهر وحده أجزاء هذا العالم

و انسجامها؛حتى أنّ ظاهره بسيطه(مثل سقوط تفاحه من الشجره)يؤدى إلى اكتشاف قانون عام يحكم كلّ أجزاء الكون.(مثل قانون الجاذبيه الذى اكتشفه نيوتن).

هذه الوحده فى نظام الوجود،و القوانين الحاكمه عليه،و الانسجام التام بين أجزائه كلّها ظواهر تشهد على وحدانيه الخالق.

۳-برهان التمانع:(الدليل العلمى الفلسفى)،و هو دليل آخر على إثبات وحدانيه اللّه،مستلهم من قوله سبحانه: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ (۱) .

توضيح هذا الدليل جاء فى المجلد ۱۰ الصفحه ۱۴۵ من هذا التّفسير تحت عنوان:برهان التمانع.

۴-دعوه الأنبياء إلى اللّه الواحد الأحد:و هو دليل آخر على وحدانيه اللّه، إذ لو كان هناك خالقان كلّ واحد منهما واجب الوجود فى العالم،لاستلزم أن يكون كلّ واحد منهما منبعا للفيض.فلا يمكن لوجود ذى كمال مطلق أن يبخل فى الإفاضه لأنّ عدم الفيض نقص بالنسبه للوجود الكامل.و حكمته تستوجب أن يشمل الجميع بفيضه.

و هذا الفيض له نوعان:فيض تكوينى(فى عالم الخلقه)،و فيض تشريعى(فى عالم الهدايه).من هنا لو كان هناك آلهه متعدده لوجب أن يأتى مبعوثون منهم جميعا،ليواصلوا فيضهم التشريعى إلى النّاس.

أمير المؤمنين على عليه السّلام يقول لابنه الحسن عليه السّلام و هو يوصيه:«و اعلم يا بنى أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله،و لرأيت آثار ملكه و سلطانه،و لعرفت أفعاله و صفاته،و لكنّه إله واحد كما وصف نفسه» (۲) .

۱- ۱) -الأنبياء،الآيه ۲۲.

۲- ۲) -نهج البلاغه،وصيته لابنه المجتبى(قسم الرسائل،الرساله ۳۱).

هـذه كلّهـا دلائـل وحـدانيه ذاته.أمّـا الـدليل على عـدم وجود أى تركيب و أجزاء فى ذاته المقـدسه فواضـح،إذ لو كان له أجزاء خارجيه لكان محتاجا إليها طبعا.

و الاحتياج لا يعقل لواجب الوجود.

و إذا كـان المقصود أجزاء عقليه(التركيب من الماهيه و الوجود،أو من الجنس و الفصل)فهو محال أيضا.لأنّ التركيب من الماهيه و الوجود فرع لمحـدوديه الموجود.بينما وجوده سبحانه غير محدود.و التركيب من الجنس و الفصل فرع من أن يكون للموجود ماهيه.و ما لا ماهيه له،ليس له جنس و لا فصل.

الثّاني:فروع دوحه التوحيد

تذكر للتوحيد عاده أربعه فروع:

١-توحيد الذات:(و هو ما شرحناه أعلاه).

٢-توحيد الصفات:أى إنّ صفاته لا تنفصل عن ذاته،و لا تنفصل عن بعضها.على سبيل المثال العلم و القدره فى الإنسان عارضان على ذاته.ذاته شيء،و علمه و قدرته شيء آخر.كما إنّ علمه و قدرته منفصلان عن بعضهما.

مركز العلم روح الإنسان،و مركز قدرته الجسـميه ذراعه و عضـلاته.لكن صـفات اللّه ليست زائده على ذاته،و ليست منفصـله عن بعضها.بل هو وجود كلّه علم، و كلّه قدره،و كلّه أزليه و أبديه.

و لو لم يكن ذلك لاستلزم التركيب،و إن كان مركبا لاحتاج إلى الأجزاء و المحتاج لا يكون واجبا للوجود.

٣-التوحيـد الأفعالى:و يعنى أنّ كلّ وجود و كلّ حركه و كلّ فعل فى العالم يعود إلى ذاته المقـدّسه،فهو مسـبب الأسـباب و عله العلـل.حتى الأفعـال التى تصـدر منّا هى فى أحـد المعانى صادره عنه.فهو الـذى منحنا القـدره و الإختيار و حريه الإراده.و مع أنّنا نفعل الأفعال بأنفسنا،و أنّنا مسئولون تجاهها.فالفاعل

من جهه هو اللّه سبحانه لأنّ كلّ ما عندنا يعود إليه:(لا مؤثر فى الوجود إلاّ اللّه).

۴-التوحيد فى العباده:أى تجب عبادته وحده دون سواه،و لا يستحق العباده غيره.لأنّ العباده يجب أن تكون لمن هو كمال مطلق.و مطلق الكمال،لمن هو غنى عن الآخرين،و لمن هو واهب النعم و خالق كلّ الموجودات و هذه صفات لا تجتمع إلاّ فى ذات اللّه سبحانه.

الهدف الأصلى للعباده هو الاقتراب من ذلك الكمال المطلق،و الوجود اللامتناهى،هو السعى لإناره النفس بقبس من صفات كماله و جماله...و ينتج عن ذلك الابتعاد عن الأهواء و الشهوات و الاتجاه نحو بناء النفس و تهذيبها.

هذا الهدف لا يتحقق إلاّ بعباده اللّه،و هو الكمال المطلق.

الثّالث:التوحيد الأفعالى

اشاره

توحيد الأفعال له بدوره فروع كثيره نشير إلى سته من أهمها:

۱-توحيد الخالقيه

و القرآن الكريم يقول: قُلِ اللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (۱) .

و دليله واضح،فحين ثبت بالأدله السابقه أنّ واجب الوجود واحد،و كلّ ما عداه ممكن الوجود،يترتب على ذلك أنّ خالق كلّ الموجودات واحد أيضا.

۲-توحيد الربوبيه

أى إنّ اللّه وحده هو مدبّر العالم و مربّيه و منظّمه.كما جاء فى قوله تعالى:

قُلْ أَ غَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِي رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ

(۲)

.

دليل ذلك أيضا وحده واجب الوجود،و توحيد الخالق فى عالم الكون.

۱- ۱) -الرعد،الآیه ۱۶۰.

۲- ۲) -الأنعام،الآیه ۱۶۴.

۳-التوحید فی التقنین و التشریع

یقول سبحانه: وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْکٰافِرُونَ (۱) .

لما ثبت أنّه سبحانه هو المدیر و المدبّر،فلیس لأحد غیره حتما صلاحیه التقنین.إذ لا سهم لغیره فی تدبیر العالم کی یستطیع أن یضع قوانین منسجمه مع نظام التکوین.

۴-التوحید فی المالکیه

سواء«الملکیه الحقیقیه»أی السلطه التکوینیه علی الشیء،أم«الملکیه الحقوقیه»و هی السلطه القانونیه علی الشیء،فهی له سبحانه،کما یقول فی کتابه العزیز: وَ لِلّٰهِ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ (۲) و یقول سبحانه: وَ أَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَکُمْ مُسْتَخْلَفِینَ فِیهِ (۳) .

و الدلیل علی ذلک هو نفس الدلیل علی توحید الخالقیه،و حین یکون هو سبحانه خالق کلّ شیء فهو مالک کلّ شیء أیضا.فکلّ ملکیه یجب أن تستمد وجودها من مالکیته.

۵-توحید الحاکمیه

لا بدّ للمجتمع البشری من حکومه،لأنّ الحیاه الاجتماعیه تتطلب ذلک،فلا یمکن بدون حکومه أن تقسم المسؤولیات،و تنظم المشاریع،و یحال دون التعدی و التجاوز.

و من جهه أخری،مبدأ الحریه یقرر أن لا أحد له حق الحکومه علی أحد،إلاّ

۱- ۱) -المائده،الآیه ۴۴.

۲- ۲) -آل عمران،الآیه ۱۸۹.

۳- ۳) -الحدید،الآیه ۷.

إذا سمح بذلك المالك الأصلی و الصاحب الحقیقی.من هنا فالإسلام یرفض کلّ حکومه لا تنتهی إلی الحکومه الإلهیه و من هنا أیضا نری شرعیه الحکم للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و للأئمّه المعصومین علیه السّلام ثمّ للفقیه الجامع للشرائط بعدهم.

و من الممکن أن یجیز النّاس أحدا لیحکمهم.و لکنّ اتفاق النّاس بأجمعهم غیر ممکن فی مجتمع عاده،و لذلک لا یمکن إقامه مثل هذه الحکومه عملیا (۱) .

جدیر بالذکر أن توحید الربوبیه یرتبط بعالم التکوین، و توحید التقنین یرتبط بعالم التشریع.

یقول سبحانه: إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ (۲) .

۶-توحید الطاعه

اللّه سبحانه هو وحده«واجب الإطاعه»فی هذا الکون.و هو تعالی مصدر مشروعیه إطاعه غیره.أی إنّ إطاعه غیره یجب أن تعدّ إطاعه له.

دلیل ذلک واضح أیضا،حین تکون الحاکمیه له دون سواه فیجب أن یکون هو المطاع دون غیره،و لذلک نحن نعتبر إطاعتنا للأنبیاء علیهم السّلام و الأئمّه المعصومین و من ینوب عنهم هی انعکاس عن طاعتنا للّه.یقول تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ (۳) .

و یقول سبحانه: مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ (۴) .

کلّ واحد من المواضیع المذکوره أعلاه تحتاج إلی شرح و تفصیل،و نحن نکتفی بهذه الخلاصه کی لا نخرج عن إطار هذا التّفسیر.

ص: ۵۶۰

۱- ۱) -لذلک إذا تعینت حکومه عن طریق الانتخابات و بأکثریه الأصوات،فلا بدّ من تنفیذ الفقیه الجامع للشرائط کی تکون لها شرعیه إلهیه.

۲- ۲) -الأنعام،الآیه ۵۷.

۳- ۳) -النساء،الآیه ۵۹.

۴- ۴) -النساء،الآیه ۸۰.

إلهی!ثبت أقدامنا علی خط التوحید ما حیینا.

ربّنا!فروع الشرک مثل فروع التوحید کثیره و لا نجاه لنا من الشرک إلاّ بلطفک،فاشملنا بفضلک.

إلهنا!اجعل حیاتنا مع التوحید،و مماتنا مع التوحید،و احشرنا مع حقیقه التوحید.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الإخلاص

ص :۵۶۱

سوره الفلق

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها خمس آیات

ص :۵۶۳

محتوى السّوره:

قيل:أنّها مكّيه،و بعض المفسّرين قال إنّها مدنيه.

تتضمّن السّوره تعاليم للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خاصّه،و للناس عامّه تقضى أن يستعيذوا باللّه من شرّ كلّ الأشرار،و أن يوكلوا أمرهم إليه،و يأمنوا من كل شرّ فى اللجوء إليه.

و بشأن نزول السّوره ذكرت الرّوايه المنقوله فى أغلب كتب التّفسير أنّ النّبى أصيب بسحر بعض اليهود،و مرض على أثر ذلك فنزل جبرائيل و أخبره أنّ آله السحر موجوده فى بئر.فأرسل من يخرجها،ثمّ تلا هذه السّوره،و تحسنت صحته.

المرحوم الطبرسى و محققون آخرون شككوا فى هذه الرّوايه التى ينتهى سندها إلى عائشه و ابن عباس لما يلى:

أوّلا-السّوره كما هو مشهور مكّيه و لحنها مثل لحن السور المكّيه،و النّبى جابه اليهود فى المدينه و هذا يدل على عدم أصاله الرّوايه.

ثانيا:لو كان اليهود بمقدورهم أن يفصلوا بسحرهم ما فعلوه بالنّبى حسب الرّوايه لاستطاعوا أن يصدوه عن أهدافه بسهوله عن طريق السحر،و اللّه سبحانه قد حفظ نبيّه كى يؤدى مهام النّبوه و الرساله.

ثالثا:لو كان السحر يفعل بجسم النّبى ما فعله لأمكن أن يؤثر فى روحه أيضا، و تكون أفكاره بذلك لعبه بيد السحره،و هذا يزلزل مبدأ الثقه بالنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و القرآن الكريم يردّ على أولئك الذين اتهموا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنّه مسحور إذ قال: وَ قٰالَ

الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً

(۱)

.

«مسحور»فی الآیه تشمل من أصیب بسحر فی عقله أو فی جسمه،و هی دلیل علی ما نذهب إلیه.

علی أی حال لا یجوز أن نمسّ من قداسه مقام النبوّه بهذه الرّوایات المشکوکه،أو أن نعتمد علیها فی فهم الآیات.

فضیله السّوره:

روی فی فضیله هذه السّوره عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «أنزلت علی آیات لم ینزل مثلهنّ:المعوذتان» (۲) .

و

عن أبی جعفر محمّد بن علی الباقر علیه السّلام قال: «من أوتر بالمعوذتین و قل هو اللّه أحد قیل له:یا عبد اللّه أبشر فقد قبل اللّه و ترک» (۳) .

و

عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لأحد أصحابه: «ألا أعلمک سورتین هما أفضل سور القرآن،أو من أفضل القرآن؟قلت:بلی یا رسول اللّه.فعلمنی المعوذتین.ثمّ قرأ بهما فی صلاه الغداه،و قال لی اقرأهما کلما قمت و نمت». (۴)

واضح أنّ هذه الفضیله نصیب من جعل روحه و عقیدته و عمله منسجما مع محتوی السّوره.

۱- ۱) -الفرقان،الآیتان ۸ و ۹.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۷۱۶،و مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۶۷.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ (٢) وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ (٣) وَ مِنْ شَرِّ اَلنَّفّٰاثٰاتِ فِي اَلْعُقَدِ (۴) وَ مِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ إِذٰا حَسَدَ (۵)

التّفسير

اشاره

بربّ الفلق أعوذ:

يخاطب اللّه سبحانه نبيّه باعتباره الاسوه و القدوه، و يقول له:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ

«الفلق»:من فلق أى شقّ و فصل؛و سمى طلوع الصبح بالفلق لأنّ ضوء الصبح يشق ظلمه الليل؛و مثله الفجر،اطلق على طلوع الصبح لنفس المناسبه.

و قيل:إنّ الفلق يعنى ولاده كلّ الموجودات الحيّه،بشريه كانت أم حيوانيه أم نباتيه.فولاده هذه الموجودات تقترن بفلق حبّتها أو بيضتها.و الولاده من أعجب مراحل وجود هذه الأحياء،لأنّها تشكل طفره فى مراحل وجودها،و انتقالا من عالم إلى عالم آخر.يقول سبحانه: إِنَّ اللّٰهَ فٰالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ

(۱)

.

و قيل:إنّ الفلق له معنى واسع يشمل كلّ خلق،لأنّ الخلق،هو شقّ ستار العدم ليسطع نور الوجود.

و كلّ واحد من هذه المعانى الثلاثه(طلوع الصبح-و ولاده الموجودات الحيّه -و خلق كلّ موجود)ظاهره عجيبه تدل على عظمه البارى و الخالق و المدبّر، و وصف اللّه بذلك له مفهوم عميق.

فى بعض الرّوايات جاء أنّ الفلق بئر عظيم فى جهنّم تبدو و كأنّها شقّ فى داخلها.و قد تكون الرّوايه إشاره إلى أحد مصاديقها لا أن تحدّ المفهوم الواسع لكلمه«الفلق».

مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ

...من كلّ موجود شرّير من الإنس و الجن و الحيوان و حوادث الشرّ و النفس الأماره بالسوء،و هذا لا يعنى أنّ الخلق الإلهى ينطوى فى ذاته على شرّ،لأنّ الخلق هو الإيجاد،و الإيجاد خير محض.يقول سبحانه: اَلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (۲) .

بل الشرّ يعرض المخلوقات حين تنحرف عن قوانين الخلقه،و تنسلخ عن المسير المعين لها.على سبيل المثال،أنياب الحيوانات وسيله دفاعيه تستخدمها أمام الأعداء،كما نستخدم نحن السلاح للدفاع مقابل العدو.لو أنّ هذا السلاح استخدم فى محله فهو خير،و إن لم يستعمل فى محله كأن صوب تجاه صديق فهو شرّ.

جدير بالذكر أنّ كثيرا من الأمور نحسبها شرّا و فى باطنها خير كثير،مثل الحوادث و البلايا التى تنفض عن الإنسان غبار الغفله و تدفعه إلى التوجه نحو اللّه هذه ليس من الشرّ حتما.

۱- ۱) -الأنعام،الآيه ۹۵.

۲- ۲) -ألم السجده،الآيه ۷.

وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ

.

«غاسق»:من الغسق،و هو-كما يقول الراغب فى المفردات-شدّه ظلمه الليل فى منتصفه.و لذلك يقول القرآن الكريم فى إشارته إلى نهايه وقت صلاه المغرب:

...إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ... و ما قاله بعضهم فى الغسق أنّه ظلمه أوّل الليل فبعيد خاصّه و أن أصل الكلمه يعنى الامتلاء و السيلان.و ظلمه الليل تكون ممتلئه حين ينتصف الليل.و أحد المفاهيم الملازمه لهذا المعنى الهجوم،و لذلك استعملت الكلمه فى هذا المعنى أيضا.

«غاسق»:تعنى إذن فى الآيه:الفرد المهاجم،أو الموجود الشرّير الذى يتستر بظلام الليل لشنّ هجومه.فليست الحيوانات الوحشيه و الزواحف اللاسعه وحدها تنشط فى الليل و تؤذى الآخرين بل الأفراد الشرّيرين يتخذون من الليل أيضا ستارا لتنفيذ أهدافهم الخبيثه.

«وقب»:من الوقب،و هو الحفره،ثمّ استعمل الفعل«وقب»للدخول فى الحفره؛و كأن هذه الموجودات الشريره المضره تستغل ظلام الليل،فتصنع الحفر الضاره لتحقق مقاصدها الخبيثه.و قد يكون الفعل يعنى:نفذ و توغّل.

مِنْ شَرِّ النَّفّٰاثٰاتِ فِي الْعُقَدِ

.

«النفاثات»:من«النفث»و هو البصق القليل،و لما كان البصق مقرونا بالنفخ، فاستعملت نفث بمعنى نفخ أيضا.

كثير من المفسّرين قالوا إنّ«النفاثات»هى النساء الساحرات. و هى صيغه جمع للمؤنث و مبالغه من نفث.و هذه النسوه كن يقرأن الأوراد و ينفخن فى عقد، و بذلك يعملن السحر.و قيل:إنّها إشاره للنساء اللاتى كن يوسوسن فى أذن الرجال و خاصّه الأزواج ليثنوهم عن عزمهم و ليوهنوا إرادتهم فى أداء المهام الكبرى.و ما أكثر الحوادث المؤلمه التى أدت إليها وساوس أمثال هذه النسوه

طوال التاريخ!و ما أكثر نيران الفتنه التى أشعلتها،و العزائم التى أرختها و أوهنتها! الفخر الرازى يقول النساء يتصرفن فى قلوب الرجال لنفوذ محبّتهن فى قلوبهم (۱) .

و هذا المعنى فى عصرنا أظهر من أى وقت آخر،إذ إنّ إحدى أهم وسائل نفوذ الجواسيس فى أجهزه السياسه العالميه استخدام النساء،اللائى ينفثن فى العقد،فتنفتح مغاليق الأسرار فى القلوب و يحصلن على أدقّ الأسرار.

و قيل:إنّ النفاثات هى النفوس الشريره،أو الجماعات المشككه التى تبعث بوساوسها عن طريق وسائل إعلامها لتوهن عزيمه الجماعات و الشعوب.

و لا يستبعد أن تكون الآيه ذات مفهوم عام جامع يشمل كلّ أولئك و يشمل أيضا النمامين و الذين يهدمون بنيان المحبّه بين الأفراد.

و ينبغى التأكيد على أنّ السّوره لا تتضمّن أيه دلاله على أن المقصود بآياتها سحر الساحرين.و على فرض أنّها تشير إلى سحر الساحرين،فإنّها لا تشكل دليلا على صحه سبب النزول الذى ذكره المفسّرون للسوره،بل تدل على أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم استعاذ باللّه من شرّ الساحرين.تماما مثل الفرد السالم الذى يستعيذ باللّه من السرطان و هو لم يصب به أصلا.

وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ

.

هذه الآيه تبيّن أنّ الحسد أسوأ الصفات الرذيله و أحطها،لأنّ القرآن وضعه فى مستوى أعمال الحيوانات المتوحشه و الثعابين اللاسعه و الشياطين الماكره.

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۲،ص ۱۹۶.

بحوث

اشاره

۱–أخطر مصادر الشرّ و الفساد

السّوره تبدأ بأمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یستعیذ باللّه من شرّ ما خلق.ثمّ تبیّن ثلاثه أنواع من الشرور کتوضیح للآیه:

شرّ المهاجمین القساه الذین یتسترون باللیل لشن هجومهم.

و شرّ الموسوسین الذین یوهنون بأحابیلهم إراده الأفراد و إیمانهم و عقیدتهم و أواصر الحبّ و الودّ بینهم.

و شرّ الحاسدین.

من هذه العبارات المجمله نستطیع أن نستنتج أن أخطر مصادر الشرّ و الفساد هی هذه الثلاثه المذکوره فی السّوره.و هذا یستدعی التأمل و التعمق.

۲–تناسب الآیات

یلاحظ أنّ أوّل آیه فی السّوره تأمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یستعیذ بربّ الفلق،من شرّ ما خلق.و انتخاب«ربّ الفلق»قد یعود إلی أنّ الموجودات الشریره تطفئ نور السلامه و الهدایه.لکن اللّه سبحانه ربّ الفلق...ربّ فلق الظلمات.

۳–تأثیر السحر

فی تفسیر الآیتین ۱۰۲ و ۱۰۳ من سوره البقره،فی الجزء الأوّل من هذا التّفسیر تحدثنا بالتفصیل عن حقیقه السحر فی الازمنه الغابره،و رأی الإسلام فی السحر،و کیفیه تأثیره.و هناک ذکرنا قبولنا لتأثیر السحر بشکل عام،و لکن لا بالصوره التی یتخیلها المتخیلون و الخرافیون.و من أراد مزیدا من التوضیح فی هذا المجال فلیراجع بحثنا المذکور.

و من اللازم أن نذکر هنا أنّ آیات هذه السّوره لو کانت تستهدف أمر النّبی

بالاستعاذه من سحر الساحرين،فهذا لا يعنى أن النّبى تعرض لتأثير السحر.بل إنّها تشبه استعاذه النّبى باللّه من كلّ خطأ و ذنب.أى إنّه مصون من هذه العوارض بلطف اللّه و فضله،و لو لا فضله لما سلم من تأثير السحر هذا من جهه.

و من جهه اخرى،لا يوجد دليل كما قلنا على أن معنى، اَلنَّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ هو السحره أو الساحرات.

۴-شرّ الحاسدين

«الحسد»خصله سيئه شيطانيه تظهر فى الإنسان نتيجه عوامل مختلفه مثل:

ضعف الإيمان،و ضيق النظر،و البخل.و هو يعنى طلب و تمنّى زوال النعمه من شخص آخر.

الحسد منبع كثير من الذنوب الكبيره.

عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام قال: «إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب» (١) .

و

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «أفه الدين الحسد و العجب و الفخر» (٢) .

ذلك لأن الحسود يعترض فى الواقع على حكمه اللّه و على ما آت اللّه من نعمه لهذا الفرد أو ذاك.كما يقول سبحانه: أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٣) .

و قد يبلغ الحسد بالحاسد إلى أن يوقع نفسه فى كلّ تهلكه من أجل زوال النعمه من الشخص المحسود،كما هو معروف فى حوادث التاريخ.

ص: ۵۷۲

١- ١) -بحار الأنوار،ج ٧٣،ص ٢٣٧.

٢- ٢) -المصدر السابق،ص ٢۴٨.

٣- ٣) -النساء،الآيه ۵۴.

و فی ذم الحسد یکفی أن أوّل قتل حدث فی العالم کان من قابیل علی أثر حسده لأخیه هابیل.

«الحساد»کانوا دوما عقبه علی طریق الأنبیاء و الأولیاء.و لذلک یأمر اللّه نبیّه أن یستعیذ بربّ الفلق من شرّ حاسد إذا حسد.

المخاطب فی هذه السّوره و السّوره التالیه شخص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لکنّه خوطب لأنّه القدوه و النموذج،و کلّ المسلمین یجب أن یستعیذوا باللّه من شرّ الحاسدین.

اللّهمّ!إنّا نعوذ بک من شرّ الحاسدین إلهنا!احفظنا من شرّ الوقوع فی حسد الآخرین.

ربّنا!استرنا بسترک من شرّ النفاثات فی العقد،و من کلّ الموسوسین المشککین فی مسیرتنا إلیک.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره الفلق

ص :۵۷۳

سوره النّاس

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها ستّ آیات

ص :۵۷۵

محتوى السّوره:

الإنسان معرض دائما لوساوس الشيطان.و شياطين الجن و الإنس يسعون دائما للنفوذ فى قلبه و روحه.و مقام الإنسان فى العلم مهما ارتفع،و مكانته فى المجتمع مهما سمت يزداد تعرضه لوساوس الشياطين ليبعدوه عن جاده الحق.

و ليبيدوا العالم بفساد العالم.

هذه السّوره تأمر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باعتباره القدوه و الأسوه أن يستعيذ باللّه من شرّ الموسوسين.

محتوى هذه السّوره شبيه بمحتوى سوره الفلق،فكلاهما يدوران حول الاستعاذه باللّه من الشرور و الآفات،مع فارق أن سوره الفلق تتعرض لأنواع الشرور،و هذه السّوره تركز على شرّ(الوسواس الخناس).

و اختلف المفسّرون فى مكان نزول هذه الآيه.قيل إنّها مكّيه،و قيل إنّها مدنيه،و لحن الآيات يزيد احتمال مكّيتها.

هذه السّوره و سوره الفلق نزلتا معا حسب الرّوايات.و سوره الفلق على رأى الكثيرين مكّيه.و هذه السّوره يمكن أن تكون مكّيه أيضا.

و فضيله السّوره:

وردت فى فضيله هذه السّوره روايات متعدده منها ما روى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اشتكى شكوى شديده،و وجع وجعا شديدا.فأتاه جبرائيل

و میکائیل علیه السّلام فقعد جبرائیل عند رأسه و میکائیل عند رجلیه،فعوّذه جبرائیل بقل أعوذ بربّ الفلق و میکائیل بقل أعوذ بربّ النّاس (۱) .

و ذکرنا ما

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام قال: «من أوتر بالمعوذتین و قل هو اللّه أحد قیل له:یا عبد اللّه ابشر فقد قبل اللّه و ترک» (۲) .

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۷۶۴۵،و مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۶۷،و ۵۶۹.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الناس (۱۱۴): الآيات ۱ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلنّٰاسِ (۱) مَلِكِ اَلنّٰاسِ (۲) إِلٰهِ اَلنّٰاسِ (۳) مِنْ شَرِّ اَلْوَسْوٰاسِ اَلْخَنّٰاسِ (۴) اَلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ اَلنّٰاسِ (۵) مِنَ اَلْجِنَّةِ وَ اَلنّٰاسِ (۶)

التّفسير

اشاره

بربّ النّاس أعوذ:

في هذه السّوره يتجه الخطاب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باعتباره الأسوه و القدوه:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّٰاسِ، مَلِكِ النّٰاسِ، إِلٰهِ النّٰاسِ

يلاحظ أن الآيات ركزت على ثلاث من صفات اللّه سبحانه هي(الربوبيه و المالكيه و الألوهيه)و ترتبط كلها ارتباطا مباشرا بتربيه الإنسان و نجاته من براثن الموسوسين.

المقصود من الاستعاذه باللّه ليس طبعا ترديد الاستعاذه باللسان فقط،بل على الإنسان أن يلجأ إليه جلّ و علا في الفكر و العقيده و العمل أيضا،مبتعدا عن الطرق الشيطانيه و الأفكار المضلله الشيطانيه،و المناهج و المسالك الشيطانيه و المجالس و المحافل الشيطانيه،و متجها على طريق المسيره الرحمانيه،و إلاّ فإن

الإنسان الذی أرخی عنان نفسه تجاه وساوس الشیطان لا تکفیه قراءه هذه السّوره و لا تکرار ألفاظ الاستعاذه باللسان.

علی المستعیذ الحقیقی أن یقرن قوله«ربّ النّاس»بالاعتراف بربوبیه اللّه تعالی،و بالانضواء تحت تربیته؛ و أن یقرن قوله«ملک النّاس»بالخضوع لمالکیته، و بالطاعه التامه لأوامره؛و أن یقرن قوله:«إله النّاس»بالسیر علی طریق عبودیته، و تجنب عباده غیره.

و من کان مؤمنا بهذه الصفات الثلاث؛و جعل سلوکه منطلقا من هذا الإیمان فهو دون شک سیکون فی مأمن من شرّ الموسوسین.

هذه الأوصاف الثلاثه تشکل فی الواقع ثلاثه دروس تربویه هامّه...ثلاث سبل وقایه...و ثلاث طرق نجاه من شرّ الموسوسین،إنّها تؤمن علی مسیره الإنسان من الأخطار.

مِنْ شَرِّ الْوَسْوٰاسِ الْخَنّٰاسِ، الَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّٰاسِ

.

کلمه«الوسواس»أصلها-کما یقول الراغب فی المفردات-صوت الحلی (اصطکاک حلیه بحلیه).ثمّ اطلق علی أی صوت خافت.ثمّ علی ما یخطر فی القلب من أفکار و تصورات سیئه،لأنّها تشبه الصوت الباهت الذی یوشوش فی الأذن.

«الوسواس»:مصدر،و یأتی بمعنی اسم الفاعل بمعنی الموسوس،و هی فی الآیه بهذا المعنی.

«الخنّاس»صیغه مبالغه من الخنوس و هو التراجع،لأنّ الشیاطین تتراجع عند ذکر اسم اللّه؛و الخنوس له معنی الاختفاء أیضا،لأن التراجع یعقبه الاختفاء عاده.

فقوله سبحانه: مِنْ شَرِّ الْوَسْوٰاسِ الْخَنّٰاسِ أی أعوذ باللّه من شرّ الموسوس ذی الصفه الشیطانیه الذی یهرب و یختفی من ذکر اسم اللّه.

ص :۵۸۰

الشیاطین یمزجون أعمالهم دائما بالتستر.و یرمون بالقاءاتهم فی الإنسان بطریقه خفیه حتی یخال الإنسان أن هذه الإلقاءات من بنات أفکاره،و هذا ما یؤدی إلی ضلاله و غوایته.

عمل الشیطان هو التزیین،و إخفاء الباطل تحت طلاء الحق،و الکذب فی قشر من الصداق،و الذنب فی لباس العباده،و الضلال خلف ستار الهدایه.

و بإیجاز،الموسوسون متسترون،و طرقهم خفیه،و فی هذا تحذیر لکل سالکی طریق اللّه أن لا یتوقعوا رؤیه الشیاطین فی صورتهم الأصلیه،أو رؤیه مسلکهم علی شکله المنحرف.أبدا...فهم موسوسون خناسون...و عملهم الحیله و المکر و الخداع و التظاهر و الریاء و إخفاء الحقیقه.

لو أنّ هؤلاء أماطوا اللثام عن وجههم الحقیقی،و لم یخلطوا الحق بالباطل؛لو أن هؤلاء قالوا کلمتهم صریحه واضحه«لم یخف علی المرتادین»کما یقول أمیر المؤمنین علی علیه السّلام نعم لم یخف فی هذه الحاله علی روّاد طریق الحق.و لکنّهم یأخذون شیئا من هذا و شیئا من ذاک فیخلطونه و بذلک تنطلی حیلتهم علی الآخرین أو کما

یقول علی علیه السّلام: «فهنالک یستولی الشیطان علی أولیائه» (۱) .

عباره«یوسوس»و عباره«فی صدور النّاس»تأکید علی هذا المعنی.

جمله مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ تنبیه علی حقیقه هامّه هی إن«الوسواس الخناس» لا ینحصر وجوده فی مجموعه معینه،و لا فی فئه خاصّه،بل هو موجود فی الجن و الإنس...فی کل جماعه و فی کل ملبس،فلا بدّ من الحذر منه أینما کان، و الاستعاذه باللّه منه فی کل أشکاله و صوره.

أصدقاء السوء،و الجلساء المنحرفون،و أئمه الظلم و الضلال،و الولاه الجبابره الطواغیت،و الکتاب و الخطباء الفاسدون،و المدارس الإلحادیه و الالتقاطیه

ص :۵۸۱

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۵۰.

المخادعه،و وسائل الإعلام المزوّره الملفّقه،كلها هی و أمثالها تندرج ضمن المفهوم الواسع للوسواس الخناس و تتطلب من الإنسان أن يستعيذ باللّه منها.

ملاحظات

اشاره

۱-لما ذا نستعيذ باللّه؟!

الإنسان معرض للانحراف فی كل لحظه،و حين يأمر اللّه نبيّه أن يستعيذ به من شر«الوسواس الخناس»فإن ذلك دليل على إمكان الوقوع فی شراك الموسوسين الخناسين.

مع أنّ النّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فی مأمن من الانحراف بفضل اللّه و مدده الغيبی و خضوعه التام للّه،فالآيات تأمره أن يستعيذ باللّه من شرّ الوسواس الخناس،فما بالك بغيره من النّاس! و لا يجوز للإنسان أن ييأس أمام مخاوف الموسوسين.فملائكه اللّه تهبّ للأخذ بناصيه المؤمنين و السائرين على طريق اللّه.فالمؤمنون ليسوا وحيدين فی ساحه صراع الحق مع الباطل، بل ملائكه اللّه فی عونهم: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَهُ (۱) .

و لكن،على أی حال،لا يجوز للإنسان أن يغترّ و أن يحسب نفسه غنيا عن الموعظه و التذكير و الإمداد الإلهی.يجب الاستعاذه به سبحانه دائما و يجب أن يكون الإنسان على وعی و حذر باستمرار.

۲-لما ذا تكررت كلمه«النّاس»

فی سبب تكرار كلمه«النّاس»فی السّوره،قيل:إن كل واحد منها لها معنى

۱- ۱) -فصلت،الآيه ۳۰.

خاص.

و لکن یظهر أن التکرار تأکید علی عمومیه هذه الصفات الثلاث الإلهیه،و هی فی المواضع الثلاثه بمعنی واحد.

۳-معنی الخناس علی لسان الرّوایه

روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «ما من مؤمن إلاّ و لقلبه فی صدره أذنان:أذن ینفث فیها الملک،و أذن ینفث فیها الوسواس الخناس،فیؤید اللّه المؤمن بالملک، فهو قوله سبحانه: وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » (۱) .

و

روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام قال: «لما نزلت هذه الآیه:

وَ الَّذِینَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَهً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ .صعد إبلیس جبلا بمکه یقال له ثویر،فصرخ بأعلی صوته بعفاریته فاجتمعوا إلیه فقالوا:

یا سیدنا لم دعوتنا؟ قال:نزلت هذه الآیه فمن لها؟ فقام عفریت من الشیاطین فقال:أنا لها بکذا و کذا.

قال:لست لها.

فقام لها آخر فقال مثل ذلک.فقال:لست لها.

فقال الوسواس الخناس:أنا لها.قال:بماذا؟ قال:أعدهم و أمنیهم حتی یواقعوا الخطیئه...فإذا واقعوا الخطیئه أنسیتهم الاستغفار.

فقال:أنت لها فوکله بها إلی یوم القیامه» (۲) .

اللّهمّ!احفظنا من شرّ کلّ وسواس خناس.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۵۷۱.

۲- ۲) -تفسیر المیزان،ج ۲۰،ص ۵۵۷.

ربّنا!التآمر دقيق،و العدوّ متربّص،و المخططات خفيه رهيبه،و لا نجاه لنا منها إلاّ بلطفك و فضلك.

يا كريم!بفضلك و بمنّك و بنعمتك استطعنا بعد جوله استغرقت ما يقرب من خمسه عشر عاما فی کتابک الكريم أن ننهی هذا التّفسير.

يـا غفور و يـا رحيم!تعلم أننا فی هـذه اللحظات الأخيره من كتابه هـذا التّفسـير مغمورون بفرحه ممزوجه بالشـكر فنبتهل إليک و نتضرع أن تغفر لنا زلاتنا فإنّک أرحم الراحمين.

و تقبل منّا يا ربّ هذا الجهد المتواضع بكرمک،و اجعله لنا ذخرا يوم نلقاک.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين نهايه سوره النّاس انتهی تأليف هذا التّفسير فی الثامن من ذی القعده سنه ۱۴۰۷ هجريه

ص :۵۸۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹